



جامعة المهرة
Mahrah University
كلية الدراسات العليا

مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية

ISSN: 2707 - 8655
EISSN: 2707 - 8663



جامعة المهرة
Mahrah University
كلية الدراسات العليا

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

- « التفسير التنزيلي وأثره في إبراز فاعلية النص القرآني - دراسة منهجية تحليلية »
- « الأقوال الأصولية التي نسبها المرادوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير: دراسة استقرائية استنباطية »
- « زيادات زكريا الأنصاري في لب الأصول - على جمع الجوامع - للسبكي - السنة والإجماع - نموذجاً جمعاً ودراسة »
- « صيغة العقد في المتجر الإلكتروني (دراسة تأصيلية فقهية) »
- « منهج مكّي بن أبي طالب في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات القرآنية من خلال كتابه - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها - »
- « وصف الشخصيات في شعر أحمد شوقي الشخصيات التاريخية أنموذجاً دراسة وصفية »
- « صورة الغرب في -رحلاتي إلى بلاد الإنجليز- لأرن مطبقاني - دراسة في ضوء النقد الثقافي - »
- « أصول معجمية متوافقة بين العربية الفصحى واللغة المهرية، نماذج دالة من خلال معجم الصحاح للجوهري »
- « الإشارات في المقاربة التداولية: قراءة في مذكرات أميرة عربية سائلة بنت سعيد بن سلطان »
- « النظرية المجنّدة وعلاقتها بالبحث التربوي في الجامعات اليمنية »
- « تصورات المعلمين حول تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة: الواقع، والتحديات والمقترحات التطويرية »
- « درجة ممارسة المهارات القيادية لدى مديري المدارس الثانوية في محافظة حضرموت في ضوء مدخل الجودة الشاملة. »
- « مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية »
- « سلطات الإدارة العامة في تعديل وإنهاء العقود الإدارية »
- « دور تخطيط الموارد البشرية في التطوير الإداري بشركة خلود للاستثمار في الضأن الصحراوي »
- « محطات الوقود في مدينة المكلا والملاءمة المكانية لتوزيعها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية »

العدد العشرون - محرم ١٤٤٨هـ - يونيو ٢٠٢٦م
Issue (No-20) June 2026

مجلة جامعة المهرة
of Humanities
Mahrah University Journal



جامعة المهرة
Mahrah University
كلية الدراسات العليا

Mahrah University Journal of Humanities

ISSN: 2707 - 8655
EISSN: 2707 - 8663



جامعة المهرة
Mahrah University
كلية الدراسات العليا

Semi-annual Refereed Scientific Journal

- » Revelation-Based Exegesis and Its Impact on Highlighting the Qur'anic Text's Efficacy: A Methodological and Analytical Study
- » The Usuli Statements Attributed by al-Mardawi to the Verifying Scholars in the Book al-Tahbir: An Inductive and Deductive Study
- » Zakariyya al-Ansari's Additions in Lub al-Usul to al-Subki's Jam' al-Jawami': "Sunnah and Ijma'" as a Model - Compilation and Study
- » The Form of Contract in Electronic Stores: A Foundational Jurisprudential Study
- » Makki ibn Abi Talib's Methodology in Using Consensus (Ijma') as Evidence in Interpreting Qur'anic Readings: A Study Based on His Book Kashf 'an Wujuh al-Qira'at al-Sab' wa 'Iliha wa Hujajiha
- » Characterization in Ahmed Shawqi's Poetry: Historical Figures as a Model - A Descriptive Study
- » The Image of the West in "My Journeys to the Land of the English" by Mazin Mutabagani: A Study in Light of Cultural Criticism
- » Lexical Origins Common to Classical Arabic and the Mehri Language, Illustrative Models from Al-Jawhari's Al-Sihah Dictionary
- » Deictic References in the Pragmatic Approach: A Reading of the Memoirs of an Arab Princess Author: Salma bint Said bin Sultan
- » Grounded Theory and Its Relationship to Educational Research in Yemeni Universiti
- » Teachers' Perceptions Regarding the Inclusion of Cultural Pluralism and Peaceful Coexistence Values in Intermediate Stage Islamic Studies Curricula: Reality, Challenges, and Developmental Proposals
- » The Degree of Leadership Skills Practice among Secondary School Principals in Hadhramaut Governorate (Coastal) in Light of the Total Quality Approach
- » The Availability of Quality Standards in Governmental Public Education Schools in the City of Mukalla in Light of the Standards of the School Development Program in the Republic of Yemen
- » Public Administration Powers in Amending and Terminating Administrative Contracts
- » The Role of Human Resource Planning in Managerial Development at Khaluj Investment Company for Desert Sheep
- » Gas Stations in the City of Mukalla and the Spatial Suitability of Their Distribution Using Geographic Information Systems

Issue (No-20) June 2026

العدد العشرون - محرم ١٤٤٨هـ - يونيو ٢٠٢٦م

ISSN: 2707- 8655

EISSN:2707-8663

مجلة علمية نصف سنوية محكمة
العدد العشرون - محرم 1448هـ - يونيو 2026م

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية



2

مجلة
جامعة المهرة
للعلوم الإنسانية



جامعة المهرة
Mahrah University

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن جامعة المهرة
تهتم بنشر الأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية
العدد العشرون - يونيو 2026م

الترقيم الدولي:

ISSN:2707-8655

EISSN: 2707-8663



الرقم المحلي للمجلة:

1564 للعام 2020م

المشرف العام
د. أنور محمد كلشات

رئيس التحرير
أ.د. محمد علي جبران

مدير التحرير
أ.د. أمين عبد الله اليزيدي

نائب مدير التحرير
أ.د. عادل كرامة معيلي

سكرتير التحرير
أ.م.د. هلال محمد علي السفيني

التدقيق اللغوي
أ.د. عبدالكريم حسين علي رعدان

مدقق اللغة الإنجليزية
د. خليل الراشدي

الهيئة العلمية والاستشارية للمجلة

م	الاسم	البلد	التخصص
1	أ.د. عبد القادر الرباعي	الأردن	أدب ونقد
2	أ.د. عبد الحميد سيف الحسامي	السعودية- الملك خالد	أدب ونقد حديث
3	أ.د. هادي سالم الصبان	اليمن- حضرموت	تربية رياضية
4	أ.د. عامر فائل محمد	عمان- جامعة الشرقية	لغة ونحو
5	أ.د. هيثم عبد الحميد خزنة	تركيا - جامعة إسطنبول صباح الدين زعيم	فقه وأصوله
6	أ.د. رياض فرج بن عبدات	اليمن- سيئون	فقه مقارنة
7	أ.د. الخضر عبد الله حنشل	اليمن - عدن	حقوق
8	أ.د. أحمد صالح قطران	السعودية - الملك خالد	أصول فقه
9	أ.د. داوود عبد الملك الحدابي	ماليزيا- الجامعة الإسلامية	مناهج وطرائق التدريس
10	أ.د. شرف أحمد الشهاري	اليمن- الأندلس	أصول التربية
11	أ.د. محمد أحمد غالب العامري	اليمن- سبأ	أدب ونقد قديم
12	أ.د. عبد الكريم مصلح البهلة	اليمن- ذمار	لسانيات عربية
13	أ.د. حسن عبيد الفضلي	اليمن- حضرموت	لغة إنجليزية
14	أ.د. جهاد الغرام	كندا- المعهد الكندي لدراسات الشرق الأوسط والخليج العربي	الإعلام والعلوم السياسية
15	أ.د. سالم أحمد بافظوم	اليمن - جامعة المهرة	علم النفس التربوي
16	أ.د. الهادي بن علي العيادي	تونس- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	اللغة العربية وحضارتها
17	أ.د. نزار "محمد خير" فالح الويسي	الأردن- جامعة اليرموك	تربية رياضية
18	أ.د. امحمد عمر واحمد	المغرب- جامعة بن طفيل	التعليم العالي

إيميل: mjh@mhr.u.edu.ye - almahrajh@gmail.com

تلفون- واتس: 009677713851060 - 00967774244170 - 00967772717308

قواعد النشر:

تصدر مجلة (جامعة المهرة) للعلوم الإنسانية عن جامعة المهرة- اليمن- وفقاً للقواعد الآتية:
تطبع البحوث المرسلّة وتقدم للنشر على برنامج (Microsoft Word) ويتم تنسيق الورقة على قياس (A4)،
بأبعاد 2.5 من جميع الاتجاهات، وفقاً للآتي:

- 1) في البحوث المكتوبة باللغة العربية: خط (Arabic Transparent) بحجم (14) للمتن، و(12) للهوامش،
وحجم (16) للعناوين الرئيسة و(14) للعناوين الفرعية بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين
الأسطر يجب أن لا تقل عن (1.5)، وحجم الخط (12) عادي للجداول والأشكال.
- 2) في البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية: خط (Times New Roman) حجم (12) للمتن وبحجم (10)
لهوامش، والعناوين الرئيسة بحجم (14) بخط أسود عريض (بولد)، والمسافة بين الأسطر يجب أن
لا تقل عن (1.5)، وحجم الخط (11) عادي للجداول والأشكال التوضيحية.
- 3) يسلم الباحث ملخصين للبحث: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز
كلمات كل واحد منهما عن (200) كلمة، ويحتوي على كلمات مفتاحية لا تزيد عن ست كلمات، كما
يحتوي على فحوى النتائج التي توصل إليها الباحث.
- 4) تنشر المجلة مجاناً لأعضاء هيئة التدريس بجامعة المهرة، فيما يدفع الباحث من داخل اليمن
(25000) خمسة وعشرين ألف ريال، ويدفع الباحث من خارج اليمن (50) خمسين دولاراً أمريكياً.
- 5) يفضل ألا تزيد صفحات البحث عن (25) صفحة، وفي حالة الزيادة يدفع ألف ريال يمّني عن كل
صفحة زائدة.
- 6) ترسل الرسوم بحواله باسم رئيس التحرير.

التوثيق:

يشار إلى المصادر والمراجع على هيئة هوامش مرقمة أسفل الصفحة، تعتمد فيها الأصول المتعارف
عليها، وترتب المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع ألف بائياً في القائمة
حسب اسم المؤلف وفقاً للآتي:

- 1) البحوث والمقالات المنشورة في الدوريات والمجلات: يكتب اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم
العائلة، "عنوان البحث"، اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.
- 2) الكتب: اسم المؤلف (المؤلفين) بدءاً باسم العائلة، عنوان الكتاب، اسم الناشر، سنة النشر.
- 3) الرسائل العلمية: اسم صاحب الرسالة بدءاً باسم العائلة، "عنوان الرسالة"، يذكر رسالة
ماجستير أو دكتوراه، اسم الجامعة، السنة.

- (4) النشرات والإحصائيات الصادرة عن جهة رسمية: اسم الجهة، عنوان التقرير، المدينة، أرقام الصفحات، سنة النشر.
 - (5) إذا كان المرجع موقعاً إلكترونياً: اسم المؤلف بدءاً باسم العائلة، عنوان الموضوع، سنة النشر، الرابط الإلكتروني وتاريخ آخر زيارة للرابط.
 - (6) المستلات: اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، "عنوان البحث"، اسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.
 - (7) وقائع المؤتمر: اسم الباحث (الباحثين) بدءاً باسم العائلة، عنوان البحث، اسم المؤتمر، رقم المجلد، أرقام الصفحات، سنة النشر.
 - (8) في حالة أن يكون التوثيق في المتن فيكون على النحو الآتي: (اللقب، عام النشر، الصفحة)
 - (9) ترفق قائمة بالمصادر مرتبة هجائياً متضمنة المعلومات الأساسية: المؤلف، المرجع، تاريخ النشر، بلد النشر، رقم الطبعة.
- يمنح الباحث نسخة من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح كاتبوا لمناقشات والمراجعات والتقارير والملخصات الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركتهم.
- المرفقات المطلوبة مع البحث:**
- (1) رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدد فيها التخصص الدقيق للبحث.
 - (2) تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أولم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.
 - (3) نسخة من البحث بصيغة وورد وأخرى بصيغة بي دي إف.
 - (4) سيرة ذاتية مختصرة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، ودرجته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقم هاتفه الثابت والنقال ورقم هاتف الواتس اب.
 - (5) نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها)، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.

قائمة الموضوعات

الصفحات	الموضوع
5	قواعد النشر
7	قائمة الموضوعات
9	كلمة المشرف العام
10	كلمة العدد
48-15	التفسير التنزيلي وأثره في إبراز فاعلية النص القرآني "دراسة منهجية تحليلية" د. د. أحمد حسن صالح الفقيه
71-49	الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير: دراسة استقرائية استنباطية الباحث محمد بن منصور الزيايدي
104-72	زيادات زكريا الأنصاري في "لب الأصول" على "جمع الجوامع" للسبكي: "السنة والإجماع" أنموذجاً - جمعاً ودراسة الباحث عمار صالح علي بلال
134-105	صيغة العقد في المتجر الإلكتروني (دراسة تأصيلية فقهية) د. عدنان رويشان محمد سويدان
170-135	منهج مكي بن أبي طالب في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات القرآنية من خلال كتابه "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها" الباحث: أحمد صالح عبده الأقطر.
218-171	وصف الشخصيات في شعر أحمد شوقي، الشخصيات التاريخية أنموذجاً - دراسة وصفية أ.م.د. ليلي عثمان عبد الله محمد.
244-219	صورة الغرب في "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز" لمازن مطبقاني - دراسة في ضوء النقد الثقافي - الباحثة: فاطمة أحمد الشاردي.

الصفحات	الموضوع
279-245	أصول معجمية متوافقة بين العربية الفصحى واللغة المهرية، نماذج دالة من خلال معجم الصحاح للجوهري د. مسعد عامر إبراهيم سيدون.
301-280	الإشارات في المقاربة التداولية: قراءة في مذكرات أميرة عربية، سالمه بنت سعيد بن سلطان الباحثة: أسماء بنت صالح بن عبدالعزيز الحضيف.
330-302	النظرية المجندرة وعلاقتها بالبحث التربوي في الجامعات اليمنية د. ملهي ملهي صالح لطف الله.
354-331	تصورات المعلمين حول تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة: الواقع، والتحديات والمقترحات التطويرية الباحث محمد بن ناصر علي دباء . الباحث عبد الله بن عبد اللطيف السعود
384-355	درجة ممارسة المهارات القيادية لدى مديري المدارس الثانوية في محافظة حضرموت في ضوء مدخل الجودة الشاملة. أ. سالم أحمد علي حمده.
416-385	مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية الباحث وليد أحمد عبد الله باعباد.
440-417	سلطات الإدارة العامة في تعديل وإنهاء العقود الإدارية د. نافع عبد القوي علي العلفي.
469-441	دور تخطيط الموارد البشرية في التطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي د. أيمن محمد عامر محمد د. التاج محمد محمد علي حامد
513-470	محطات الوقود في مدينة المكلا والملاءمة المكانية لتوزيعها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية د. أمين عبدالقادر حسين هشة.

كلمة المشرف العام

يتزامن إصدار هذا العدد مع مناسبات جليلة سبقته بأيام يسيرة، أبرزها المؤتمر الإسلامي العالمي المتمثل في الحج؛ تلك الشعيرة العظيمة التي تُعد أكبر تجمع بشري يُدار في وقت واحد ومدة محدودة.

ولم يكن ميدان العلم التطبيقي بعيداً عن هذا المشهد. ولا أعني هنا العلم الشرعي، فهو مما لا يسع المسلم - فضلاً عن الحاج - أن يجهله، بل أقصد العلم المتصل بالتقنيات الحديثة التي طوّعها الإنسان لخدمته، بأمر الله، وبما سخره له من قدرات عقلية ولغوية وتخليقية مكنته من استشراف أمور لم تكن تخطر على بال البشر قبل مائتي عام.

ومنذ أن احتكر العالم المتقدم آليات المحرك المغلق، ما زال الإنتاج الفعلي للتقنيات المتقدمة حكراً عليه. إلا أن هذا الاحتكار يقابله شيوع الاستخدام ويُسر التعامل مع الآلة. وقد ساهمت التقنيات الحديثة بصورة مباشرة في تغيير نمط حياتنا، ويسّرت التواصل والحصول على المعلومة، وها هي اليوم تيسّر للقائمين على شؤون الحج إدارة الحشود وأعمالاً أخرى كثيرة.

وخلال السنوات الخمس الأخيرة، لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد طفرة عابرة، بل أصبح يحفر مقعده في التاريخ. ونحن في جامعة المهرة، ورغم معاناتنا من تحديات توفير الطاقة وإنشاء البنية التحتية للتعليم المواكب لتطورات العصر، نعمل جاهدين ليظل منبر البحث العلمي منيراً بأقلام الباحثين، مستنيراً بعقولهم الرائدة، وبما تنتجه قرائحهم من إبداع علمي.

المشرف العام

د. أنور محمد علي كلشات

رئيس جامعة المهرة

كلمة العدد

التحولات الرقمية وأثرها على العلوم الإنسانية

كلمة رئيس التحرير أ.د. محمد علي هارب جبران

قبل عقدين من الزمن، كان الباحث في العلوم الإنسانية يقضي شهوراً، بل سنوات، بين أروقة المكتبات، يقلب صفحات المخطوطات النادرة، ويدون بخط يده بطاقات المراجع، وينتظر أسابيع لتصل إليه نسخة من دورية علمية عبر البريد البريدي، أما اليوم، وبفضل التحولات الرقمية، فقد تغير المشهد تماماً: فالمخطوطات النادرة أصبحت مصورة ومتاحة عبر الإنترنت، وقواعد البيانات الببليوغرافية تبحث لنا في ثوانٍ عما كنا نبحث عنه أياماً، والمجلات العلمية قد تصل إلى بريدنا الإلكتروني لحظة نشرها.

هذه التحولات ليست تغييراً في "الأدوات" التي نستخدمها، إنه تغيير جوهري في طريقة إنتاج المعرفة الإنسانية، ونشرها، وتقييمها، واستهلاكها، وهي تحمل في طياتها فرصاً هائلة، ومخاطر جسيمة، ومسؤوليات جديدة تقع على عاتق الباحثين، والمجلات العلمية، والجامعات، وصناع السياسات الثقافية والعلمية.

في هذه العجالة، لا أسعى إلى تعداد الأدوات الرقمية المتاحة للباحث في العلوم الإنسانية، فهذا أمر يمكن العثور عليه في أي دليل تقني، بل أسعى إلى ما يحدث للعلوم الإنسانية نفسها - لموضوعها، ومناهجها، وغاياتها - في ظل التحولات الرقمية. ويمكن إيجاز القول في العناصر الآتية:

أولاً: فضاء جديد للمعرفة الإنسانية

ثمة أمر جوهري وهو أن الإنترنت لم يضيف فقط "سرعة" و"سهولة" إلى الممارسات البحثية القديمة، بل خلق فضاء معرفياً جديداً مختلفاً، هذا الفضاء يتميز بثلاث خصائص رئيسية هي:

اللامركزية: في الماضي، كانت مصادر المعرفة المركزية هي المؤسسات (الجامعات، المكتبات الوطنية، دور النشر الكبرى، المجلات العلمية المرموقة)، أما اليوم، فإن أي فرد يمكنه نشر أي شيء عبر الإنترنت، وقد يصبح هذا "الشيء" مرجعاً لمئات أو آلاف من

البشر، هذه اللامركزية فيها مشاركة معرفية منضبطة مرحب بها، وفي الوقت نفسه فيها فوضى معرفية ومعلومات مضللة قد تحمل كل علامات المصادقية الزائفة.

الترابط: لم تعد المعرفة تقدم في صورة "كتاب مستقل" أو "مقال منفرد"، بل في صورة شبكة من النصوص التشعبية التي تشير إلى بعضها بعضاً، وقد ترتبط بمقاطع الفيديو، والتسجيلات الصوتية، وقواعد البيانات، ومنصات النقاش الحي، هذا الترابط يفتح آفاقاً جديدة لفهم الظواهر المركبة، لكنه أيضاً يحمل خطر "التشتت والتسطيح" فالقارئ قد ينتقل من رابط إلى رابط دون أن يعود إلى النص الأصلي.

السرعة والتغير: المعرفة الرقمية ليست جامدة كما كانت المعرفة المطبوعة، فالنص الذي يُنشر اليوم على موقع الويب يمكن تعديله غداً، أو حذفه بعد أسبوع، والمحتوى الذي يصبح متداولاً على مواقع التواصل الاجتماعي في الصباح قد يتحول إلى "معلومة شبه مقدسة" بحلول المساء، هذه السرعة تجعل من الصعب، وأحياناً المستحيل، "تثبيت" المعرفة وتوثيقها بالطريقة التي اعتدنا عليها في الثقافة الورقية.

هذه الخصائص الثلاث تفرض تحديات غير مسبقة على الباحث التقليدي في العلوم الإنسانية الذي تدرب على العمل ضمن مصادر مركزية، ونصوص مستقلة، ومعرفة بطيئة، لكنها أيضاً تقدم فرصاً جديدة لمن يعرف كيف يوظفها لصالحه.

ثانياً: المنهجيات الرقمية في العلوم الإنسانية

من أبرز مظاهر التحول الرقمي بروز ما يُعرف بـ"العلوم الإنسانية الرقمية"، وهذا المجال لا يعني "استخدام الحاسوب في البحث الإنساني" فهو أمر قديم قدم الحواسيب نفسها، بل يعني إعادة التفكير في أسئلة وأساليب العلوم الإنسانية في ضوء الأدوات الرقمية.

وعلى سبيل المثال: تحليل النصوص على نطاق واسع، في المنهج التقليدي، كان الباحث يقرأ بعناية عدداً محدوداً من النصوص (رواية، ديوان شعر، مجموعة وثائق تاريخية) ويستخلص منها استنتاجات معمقة، أما اليوم، وباستخدام تقنيات التنقيب في النصوص يمكن للباحث تحليل آلاف بل ملايين النصوص في وقت قصير، بحثاً عن أنماط إحصائية، أو تطور مصطلحات، أو شبكات مفاهيمية تتكرر عبر تاريخ طويل.

هذا النوع من التحليل لا يستغني عن القراءة المتأنية، بل يضيف إليها بُعداً جديداً، فالباحث يستخدم التحليل الكمي للتعرف على الظواهر التي تستحق القراءة المتأنية، ليصل إلى الدقة المعرفية والشمول الإحصائي، فالتصور البياني للبيانات الإحصائية يساعد على رؤية علاقات مكانية وزمانية في البيانات التاريخية والجغرافية لم تكن مرئية من قبل .

ثالثاً: أخلاقيات البحث الرقمي

من أبرز القضايا الأخلاقية التي يثيرها التحول الرقمي في العلوم الإنسانية: **الخصوصية وسرية البيانات**: تعتمد كثير من البحوث الإنسانية اليوم على بيانات بشرية متاحة عبر الإنترنت: منشورات على مواقع التواصل الاجتماعي، تغريدات، تعليقات في المنتديات، مراجعات لمنتجات وخدمات، ولكن هل من الأخلاق استخدام هذه البيانات في البحث دون موافقة أصحابها؟ الجواب يختلف حسب السياق، فبعض هذه البيانات منشور للعموم صراحة، وبعضها الآخر منشور ضمن إعدادات خصوصية معقدة، والباحث مطالب بفهم هذه التفاصيل واحترامها.

التحيز الخوارزمي: الأدوات الرقمية ليست محايدة، فخوارزميات البحث، ومحركات الترجمة الآلية، وأنظمة التوصية، كلها تحمل في طياتها تحيزات المصممين، أو تحيزات البيانات التي دُرِّبَ عليها، والباحث الذي يستخدم أداة رقمية من غير أن يفهم حدودها وتحيزاتها، قد يصل إلى استنتاجات مضللة.

الفجوة الرقمية: ليست كل المجتمعات ممثلة بالتساوي في الفضاء الرقمي، فالمجتمعات الفقيرة، والمناطق النائية، والفئات المهمشة، غالباً ما يكون حضورها الرقمي أضعف، أو تكون بياناتها أقل تنظيماً وإتاحة، والباحث الذي يعتمد فقط على المصادر الرقمية المتاحة يخاطر بإعادة إنتاج التهميش، وتقديم صورة منقوصة عن الواقع الإنساني.

هذه القضايا الأخلاقية ليست عقبات تعوق البحث، بل هي جزء لا يتجزأ من منهجيته، والباحث الجيد في العلوم الإنسانية في العصر الرقمي هو من يتعامل مع هذه التحديات بوعي وشفافية، ويجعلها جزءاً من تحليله النقدي.

رابعاً: التحولات الرقمية كموضوع للبحث

التحولات الرقمية هي أيضاً موضوع حيوي للبحث في العلوم الإنسانية بحد ذاتها، ولكن

السؤال هو كيف؟

كيف تؤثر وسائل التواصل الاجتماعي على تشكل الهوية الفردية والجماعية؟

ما تأثير انتشار الأخبار الزائفة والمعلومات المضللة على الخطاب العام الحر؟

كيف يُعيد الذكاء الاصطناعي التوليدي تعريف مفهوم "الأصالة" و"الملكية الفكرية"

و"الإبداع"؟

ما التحولات التي طرأت على اللغة العربية نفسها في ظل الكتابة على لوحات المفاتيح،

واستخدام الرموز التعبيرية، والترجمة الآلية؟

كيف تُدرّس العلوم الإنسانية في عصر يحصل فيه الطلاب على معلومات فورية لكنهم

يفتقرون إلى القدرة على تحليلها وتقييمها؟

هذه أسئلة لا يمكن للإجابة عليها أن تكون تقنية بحتة، لأنها تتعلق بالمعنى، والقيمة،

والغاية، والتحولات الرقمية تمنح العلوم الإنسانية فرصة استثنائية لإثبات أهميتها، ليس بوصفها

رفاهاً أكاديمياً، بل بوصفها حاجة مجتمعية ملحة.

خامساً: دور مجلة جامعة المهرة في عصر التحولات الرقمية

مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية تعيش هذا الواقع الرقمي وفقاً للمتاح لها حالياً،

ويمكن إيجاز ذلك في الآتي:

1- النشر الإلكتروني والوصول المفتوح: أصبحت المجلة حاضرة رقمياً ويمكن

الوصول إليها ببسر وسهولة، ودخلت ضمن المجالات التي تسمح بالبحث داخل النصوص،

وارتبطت بقواعد بيانات عالمية، كونها مرتبطة بمعرفات رقمية دائمة (DOIs) لكل مقال، وتقدم

إحصائيات دقيقة حول التحميلات والاستشهادات، وتطبيق سياسات الوصول.

2- استقبال البحوث الرقمية ترحب المجلة بالبحوث العلمية الرصينة والبحوث التي

تتعامل مع التحولات الرقمية بوصفها موضوعاً للدراسة، سواء من حيث تأثيرها على الإنسان

والمجتمع، أو من حيث توظيف المنهجيات الرقمية في البحث في العلوم الإنسانية.

3- الأمانة العلمية في العصر الرقمي: مع سهولة النسخ واللصق، وتوفر أدوات الترجمة الآلية، وانتشار خدمات الكتابة بالنيابة تصبح مسؤولية المجلات أكبر وبخاصة في كشف الانتحال العلمي وسوء الممارسة البحثية، ولذا لابد من استخدام برامج كشف الانتحال والاقتباس غير المصرح به، وتطبيق أعلى معايير الأمانة العلمية.

4- الحفاظ على الهوية في العصر الرقمي: بينما نؤكد على أهمية استخدام الأدوات والمصادر الرقمية العالمية، لا ننسى أن نؤكد أكثر على توثيق المعرفة الإنسانية، وتشجيع البحوث التي تتناول قضايانا الخاصة بلغتنا ومرجعياتنا الثقافية، فالرقمنة أداة لخدمة المعرفة، وليست بديلاً عنها.

ختاماً: لطالما تكرر، تاريخياً، أن كل ثورة تقنية كبرى صاحبها مخاوف بنهاية الإنسان: فقالوا عن السكك الحديدية أنها ستفسد الأخلاق، وقالوا عن التلغراف سيدمر التواصل العميق، وقالوا عن التلفاز سيحول العقول إلى إسفنج، وقالوا عن الإنترنت سيقول القراءة، كل هذه المخاوف أثبتت أن فيها مبالغة، ومن هذا نستنتج أن التحولات الرقمية لا تقتل العلوم الإنسانية، بل تمنحها أدوات جديدة لمعرفة أكثر عمقاً لم تكن ممكنة من قبل، وهذه الأدوات، كأى أدوات، يمكن توظيفها بحكمة أو بطيش، فالوعي المنهجي، والنزاهة الأخلاقية، والإخلاص هذه القيم هي ما يميز الباحث في العلوم الإنسانية في أي عصر، رقمياً كان أم ورقياً.

وأخير توجه أسرة تحرير دعوة للشجاعة البحثية: شجاعة تعلم أدوات جديدة، وشجاعة نقدها وفهم حدودها، وشجاعة استخدامها في خدمة قضايانا المحلية والعربية والإنسانية. وهي ترحب بنتائجكم البحثية لنشرها عبر صفحاتها، مثنين جهود كل من شاركنا الوصول إلى هذا العدد.

التفسير التنزلي وأثره في إبراز فاعلية النص القرآني "دراسة منهجية تحليلية"

د. أحمد حسن صالح الفقيه

جامعة الإيمان بـسيئون اليمن

alfalih12zx@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/12/9 تاريخ قبول البحث 2026/3/26

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/.v7i1.253>

ملخص:

يتناول هذا البحث منهج التفسير التنزلي بوصفه أحد المناهج التفسيرية التي تنطلق من دراسة سياق نزول النص القرآني وملابساته التاريخية، وتتبع تدرج خطابه، للكشف عن آليات فاعليته واستمرار دلالاته في الواقع الإنساني المتجدد. ولا يقتصر مفهوم التفسير التنزلي في هذا البحث على مجرد تفسير القرآن وفق ترتيب النزول، بل يتجاوز ذلك إلى اعتبار دراسة التنزيل مدخلاً منهجياً لفهم مقاصد النص، وكيفية انتقاله من معالجة الوقائع الجزئية إلى بناء المبادئ الكلية القابلة للامتداد عبر الأزمنة. ويهدف البحث إلى بيان أثر التفسير التنزلي في إبراز فاعلية النص القرآني، حيث تُستعمل «فاعلية النص» بوصفها مفهوماً إجرائياً يدل على قدرة القرآن الكريم على الاستمرار في إنتاج الدلالة، والتفاعل مع التحولات الواقعية، وتوجيه السلوك الفردي والجماعي، من خلال مناهج تفسيرية منضبطة، دون إخلال بثوابت النص أو مقاصده الكلية. واعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في تتبع مفهوم التفسير التنزلي وتحليل خصائصه وضوابطه، والمنهج المقارن في إبراز أوجه الاتفاق والافتراق بينه وبين بعض المناهج القريبة منه، كالتفسير المقاصدي والتفسير الموضوعي. كما استعان بنماذج تطبيقية تهدف إلى توضيح آلية الانتقال من سياق النزول التاريخي إلى الدلالة الممتدة، دون ادعاء تقديم اجتهادات فقهية معاصرة مكتملة. وخلص البحث إلى أن التفسير التنزلي، متى ما استعمل ضمن ضوابطه المنهجية، يُسهم في إبراز العلاقة الحية بين النص

القرآني والواقع، ويكشف عن مرونة الخطاب القرآني وقدرته على توجيه الوقائع المتجدّدة، من غير أن يُختزل في مجرد إسقاطات واقعية أو معالجات وعظية.

الكلمات المفتاحية: التفسير التنزيلّي - فاعلية النص القرآني - سياق النزول - فاعلية النص - فقه التنزيل.

Revelation-Based Exegesis and Its Impact on Highlighting the Qur'anic Text's Efficacy: A Methodological and Analytical Study

Dr. Ahmed Hassan Saleh Al-Faqih

Al-Iman University in Seiyun, Yemen

Abstract:

This study examines Tanzīl-based exegesis as a Qur'anic interpretive approach that begins with analyzing the historical context of revelation, its circumstances, and the gradual development of Qur'anic discourse, with the aim of uncovering the mechanisms through which the Qur'anic text maintains its effectiveness and relevance across changing realities. In this study, Tanzīl-based exegesis is not confined to interpreting the Qur'an according to the chronological order of revelation; rather, it is approached as a methodological framework in which the study of revelation serves as an analytical gateway to understanding the objectives of the text and the process by which it moves from addressing specific historical situations to establishing universal principles capable of extended application. The concept of the vitality of the Qur'anic text is employed here as an operational term referring to the text's capacity for continuous meaning production, its dynamic engagement with evolving contexts, and its ability to guide individual and collective conduct through disciplined interpretive methodologies. This usage does not claim the establishment of a new technical term, but rather corresponds to widely used notions in contemporary scholarship, such as textual dynamism, functional relevance, and enduring applicability. Methodologically, the study adopts a descriptive-analytical approach to trace and analyze the concept, characteristics, and methodological controls of Tanzīl-based exegesis, alongside a comparative approach to distinguish it from related interpretive methods, particularly maqāṣid-based and thematic exegesis. Selected applied examples are

presented to illustrate the methodological transition from the historical context of revelation to extended meaning, without claiming to offer fully developed contemporary legal judgments. The study concludes that Tanzīl-based exegesis, when applied within sound methodological constraints, contributes to highlighting the dynamic relationship between the Qur'anic text and reality, demonstrating its flexibility and enduring relevance through identifiable interpretive mechanisms grounded in the structure and progression of Qur'anic discourse.

Keywords: Tanzīl-based Exegesis – Qur'anic Textual Dynamism – Context of Revelation – Textual Relevance – Application of Revelation.

مقدمة:

يُعدّ القرآن الكريم نصّاً مؤسّساً للخطاب الديني والحضاري في الأمة الإسلامية، وقد تميّز - عبر تاريخ تلقيه وتفسيره - بقدرته المستمرة على توجيه الواقع الإنساني والتفاعل مع تحولاته المتجدّدة، من غير أن يفقد ثوابته العقدية والتشريعية. غير أن هذه القدرة لا تنفصل عن المنهج التفسيري الذي يُقارب النص ويكشف دلالاته في سياقها التاريخي والواقعي. وقد عرّف التراث التفسيري الإسلامي تنوعاً منهجياً واسعاً في مقاربة النص القرآني، شمل التفسير بالمأثور، والتفسير اللغوي، والفقهي، والموضوعي، وغيرها من المناهج التي أسهمت في خدمة النص وضبط معانيه. ومع ذلك، فقد برزت في الدراسات القرآنية المعاصرة عناية متزايدة بما يمكن تسميته بالبعد التنزيلي للتفسير، أي دراسة النص القرآني في سياق نزوله التاريخي، وتتبع تدرّج خطابه، وتحليل علاقته بالواقع الذي نزل فيه، بوصف ذلك مدخلاً لفهم مقاصده العامة وآليات امتداد دلالاته إلى الوقائع اللاحقة. ومن هنا جاء الاهتمام بما يُصطلح عليه في هذا البحث بـ التفسير التنزيلي، لا بمعناه الضيق المقتصر على ترتيب النزول فحسب، بل باعتباره منهجاً تفسيرياً ينطلق من سياق التنزيل وملابساته التاريخية، ليستكشف من خلاله فاعلية النص القرآني وقدرته على توجيه الواقع الإنساني في مختلف الأزمنة. فدراسة النزول، في هذا التصور، ليست غاية مستقلة، وإنما وسيلة منهجية لفهم تشكّل الخطاب القرآني وتدرّج أحكامه، وكيفية انتقاله من معالجة وقائع جزئية إلى إرساء مبادئ كلية قابلة للامتداد. وفي هذا الإطار، يستعمل

البحث مصطلح "فاعلية النص القرآني" بوصفه مفهوماً إجرائياً يعبر عن قدرة النص على الاستمرار في إنتاج الدلالة، والتفاعل مع الوقائع المتجددة، وتوجيه السلوك الفردي والجماعي، من خلال آليات تفسيرية منضبطة. ولا يقصد بهذا المصطلح ادعاء تأسيس مفهوم اصطلاحي تراثي مستقل، وإنما التعبير عن معنى قريب مما تداولته الدراسات المعاصرة تحت مسميات متعددة، مثل فاعلية النص، ودينامية الخطاب، وصلاحية القرآن لكل زمان ومكان. وتتبع إشكالية البحث من الحاجة إلى تقويم الدور الذي يقوم به التفسير التنزيلي في إبراز هذه الحيوية، وبيان الضوابط المنهجية التي تمنع الانزلاق إلى إسقاطات غير منضبطة على النص، أو الخلط بين التفسير العلمي والاجتهاد الدعوي. ويعتمد البحث في معالجته لهذه الإشكالية على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن، مع الاستعانة بنماذج تطبيقية تهدف إلى توضيح آلية الانتقال من سياق النزول إلى الدلالة الممتدة، دون ادعاء تقديم اجتهادات فقهية معاصرة مكتملة. وتتمثل الإضافة العلمية لهذه الدراسة في تقديم معالجة منهجية محررة لمفهوم التفسير التنزيلي من خلال التمييز الدقيق بينه وبين المفاهيم القريبة كفقه التنزيل والتفسير المقاصدي وبيان ضوابطه المنهجية الحاكمة لعملية تنزيل النص على الواقع بما يسهم في ضبط توظيفه في الدراسات التفسيرية المعاصرة. كما يقدم البحث نماذج تطبيقية تبرز آلية الانتقال المنضبط من سياق النزول إلى الدلالة الممتدة وهو جانب لم يحظ - في حدود اطلاع الباحث - بمعالجة تركيبية تجمع بين التأصيل النظري والتطبيق المنهجي في دراسة واحدة.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما الضوابط المنهجية التي تحكم التفسير التنزيلي، وما مدى إسهامه المنضبط في إبراز قابلية النص القرآني للتفاعل مع الواقع؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1. ما المقصود بالتفسير التنزيلي في الدراسات المعاصرة؟
2. ما الفروق المنهجية بين التفسير التنزيلي وبين المناهج التفسيرية القريبة؟
3. ما الضوابط الحاكمة لتنزيل النص على الوقائع المتجددة؟
4. كيف تسهم التطبيقات التنزيلية في إبراز فاعلية النص القرآني؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى ما يأتي:

- 1- تحرير مفهوم التفسير التنزيلي وبيان دلالاته الاصطلاحية في الدراسات القرآنية المعاصرة.
- 2- التمييز المنهجي بين التفسير التنزيلي بمعنى ترتيب النزول، وبين فقه تنزيل النصوص على الواقع.
- 3- تحليل الأسس المنهجية التي يقوم عليها كل اتجاه، وحدود التداخل بينهما.
- 4- تقويم دور التفسير التنزيلي في إظهار قابلية النص القرآني للتفاعل مع الواقع، في ضوء الضوابط العلمية للتفسير.
- 5- دراسة نماذج تطبيقية مختارة لبيان آليات التنزيل الصحيح للنص القرآني على الوقائع المعاصرة.

أهمية البحث: تتبع أهمية هذا البحث من عدة اعتبارات علمية، من أبرزها:

- 1- الإسهام في ضبط المصطلحات التفسيرية المعاصرة، والحد من الخلط المفاهيمي بين مناهج التفسير المختلفة.
- 2- تعزيز الوعي المنهجي بأهمية التمييز بين دراسة سياق النزول التاريخي، وبين الاجتهاد في تنزيل النص على الواقع.
- 3- الإفادة من التفسير التنزيلي في فهم تطور الخطاب القرآني دون إخراجها عن مقاصده الكلية أو ضوابطه العلمية.
- 4- تقديم معالجة تحليلية قد تُفيد الباحثين في الدراسات القرآنية والتفسيرية المعاصرة.

حدود البحث

- الحد الموضوعي: يقتصر البحث على دراسة مفهوم التفسير التنزيلي وأثره المنهجي في إبراز قابلية النص القرآني للتفاعل مع الواقع، دون الخوض في جميع مدارس التفسير أو التطبيقات الفقهية التفصيلية.
- الحد الزمني: يركز البحث على الدراسات التفسيرية المعاصرة في القرن الأخير، مع الاستفادة من التراث التفسيري عند الحاجة.
- الحد المنهجي: يعتمد البحث على تحليل الاتجاهات العلمية في تعريف التفسير التنزيلي وتقويمها، دون تبني دعوى تأسيس منهج جديد مستقل.

- الحد التطبيقي: تقتصر النماذج التطبيقية على أمثلة مختارة تُوظف لبيان الآلية المنهجية، لا للاستقصاء الشامل.

منهج البحث وإجراءاته

أ- **منهج البحث:** يعتمد البحث على المناهج الآتية:

- 1- **المنهج الوصفي التحليلي:** لوصف مفهوم التفسير التنزيلي وتحليل تعريفاته واتجاهاته في الدراسات المعاصرة.
- 2- **المنهج المقارن:** ويقوم بتوظيف المنهج المقارن في هذه الدراسة على موازنة التفسير التنزيلي بالمناهج التفسيرية القريبة منه - ولا سيما التفسير المقاصدي وفقه التنزيل - وفق معايير محدودة تشمل: منطلق كل منهج ومجال اشتغاله، وآلياته في توجيه الدلالة وحدود توظيفه في تنزيل النص على الواقع. وتهدف هذه المقارنة إلى إبراز الخصائص المنهجية للتفسير التنزيلي وتحديد موقعه ضمن الخريطة التفسيرية المعاصرة.

ب- إجراءات البحث

- 1- تتبع تعريفات التفسير التنزيلي في كتب التفسير والدراسات القرآنية المعاصرة، مع بيان سياقات استعمال المصطلح.
- 2- تحليل النماذج التفسيرية التي استُخدم فيها التفسير التنزيلي، وتقويم مدى التزامها بالضوابط العلمية.
- 3- توثيق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية من مصادرها الأصلية، مع ذكر أرقام الآيات والأحاديث ومراجعتها المعتمدة.
- 4- التعريف بالأعلام المعاصرين الوارد ذكرهم عند أول ورود، عند توفر المصادر.
- 5- اختيار نماذج تطبيقية وفق معايير منهجية واضحة، تهدف إلى بيان آلية التنزيل لا مجرد تقرير صلاحية النص.

الدراسات السابقة:

تناولت جملة من الدراسات المعاصرة بعض الجوانب المتصلة بموضوع التفسير التنزيلي، ولا سيما ما يتعلق بسياق النزول وأثره في فهم النص القرآني، ويمكن الإشارة إلى أبرزها على النحو الآتي:

- تتفق هذه الدراسة مع أطروحة الدكتور/ قطب الريسوني [النص القرآني من تهافت التأويل إلى سعة التدبر] في إثبات فاعلية النص القرآني وقدرته على الاستجابة للواقع، إلا أن بحثي يقوم بتقديم رؤية إجرائية محددة عبر منهج التفسير التنزيلي، متجاوزاً الإطار التنظيري لسعة التدبر إلى ضبط آليات إنزال النص على النوازل المعاصرة. كما ينفرد البحث بوضع فصل منهجي دقيق بين بيان الدلالة التاريخية وبين (فقه التنزيل) التطبيقي، معزراً ذلك بنماذج عملية في القضايا الاجتماعية والسياسية، مما يسد ثغرة الجانب التطبيقي المنضبط التي لم تستغرقها دراسة الريسوني.

- تتقاطع دراستي هذه مع رؤية العلواني في تأصيل (الجمع بين القراءتين) كمدخل لاستعادة فاعلية النص القرآني في شهود الحضارة، إلا أن بحثي يمتاز بالتركيز على (منهج التفسير التنزيلي) كآلية إجرائية وسيطة لضبط هذا الجمع، متجاوزاً الإطار الكلي لـ (قراءة الوحي والكون) إلى تحديد ضوابط لغوية وشرعية تمنع ذوبان النص في الواقع. كما ينفرد بحثي بتقديم نماذج تطبيقية معاصرة (اجتماعية وسياسية) تُبرز كيفية تنزيل النص على النوازل، ساداً بذلك فجوة الجانب الإجرائي المنضبط الذي تركه العلواني كأفق نظري مفتوح.

- دراسة "عدنان بن محمد أبو عمر" المعنونة بـ "أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن الكريم": دراسة نظرية تطبيقية (2017م) تناول أهمية السياق التاريخي للنزول في توجيه الفهم التفسيري، مع تقديم نماذج تطبيقية تُبرز أثر سبب النزول في بيان المعنى. غير أنها اقتصرَت على بيان دلالة النص في زمن نزوله، دون تناول آليات تنزيل هذه الدلالة على الواقع المعاصر. وأسهمت دراستي في ترسيخ مركزية السياق التنزيلي في فهم النص.

- وتتفق دراستي هذه مع رؤية بهجت بور في اعتماد (التفسير التنزيلي) كمنهج لفهم النص وفق سياق نزوله التاريخي، إلا أن بحثي يمتاز بتجاوز الإطار (الوصفي التنظيري) العام للقواعد والفوائد إلى بناء إطار منهجي إجرائي يضبط علاقة التفسير بالتنزيل المعاصر. كما ينفرد بتقديم ضوابط علمية (عقدية وشرعية) تمنع إخضاع النص للواقع المتغير، معزراً ذلك بنماذج تطبيقية معاصرة في المجالات السياسية

والاجتماعية، لسد فجوة (التنزيل التطبيقي) التي لم تستغرقها دراسة بهجت بور المقتصرة على زمن التنزيل.

ختاماً، يتضح من استعراض الدراسات السابقة أنها أسهمت في إبراز أهمية السياق التنزيلي في فهم النص القرآني، غير أن معظمها اتجه إلى معالجة جزئية للمسألة؛ فبعضها ركز على أسباب النزول ودلالاتها التفسيرية، في حين تناولت أخرى توظيف النص في الواقع المعاصر دون تحرير كافٍ للضوابط المنهجية الحاكمة لهذه العملية. كما لم تعن تلك الدراسات - في مجملها - ببناء تصور منهجي متكامل للتفسير التنزيلي يحدد مجاله ويميزه عن المناهج التفسيرية القريبة، ويضبط آليات انتقال الدلالة من سياقها التاريخي إلى مجالاتها الممتدة. ومن هنا يأتي هذا البحث ليسهم في سد هذه الفجوة، من خلال تقديم معالجة تأصيلية تطبيقية تجمع بين تحرير المفهوم وتعيد الضوابط وبيان الأثر.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، ومبحث تمهيدي، وثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على: مشكلة البحث، أهدافه، أهميته، حدوده، منهجه وإجراءاته، الدراسات السابقة، خطة البحث.

المبحث التمهيدي: الإطار المفاهيمي والمنهجي للتفسير التنزيلي: ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم التفسير التنزيلي ونطاقه الاصطلاحي.

المطلب الثاني: التفسير التنزيلي في التراث التفسيري

المطلب الثالث: التمييز بين التفسير التنزيلي والمناهج التفسيرية القريبة

المبحث الأول: الضوابط المنهجية للتفسير التنزيلي: ويشتمل على:

المطلب الأول: الضوابط اللغوية والسياقية

المطلب الثاني: الضوابط العقدية والشرعية

المطلب الثالث: محاذير تنزيل النص على الواقع

المبحث الثاني: دور التفسير التنزيلي في إبراز قابلية النص القرآني للتفاعل مع الواقع:
ويشتمل على:

المطلب الأول: التفسير التنزيلي وفهم تطور الخطاب القرآني

المطلب الثاني: أثر مراعاة السياق التنزيلي في توجيه الدلالة

المطلب الثالث: حدود هذا الدور وعلاقته بالمناهج التفسيرية الأخرى

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية في تنزيل النص القرآني على الواقع: ويشتمل على:

المطلب الأول: نماذج تطبيقية في القضايا التعبدية والتشريعية.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في القضايا الاجتماعية.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية في القضايا العامة المعاصرة.

الخاتمة، وتتضمن:

- أبرز النتائج التي توصل إليها البحث
- التوصيات العلمية المنبثقة عن الدراسة

المبحث التمهيدي: الإطار المفاهيمي والمنهجي للتفسير التنزيلي

يهدف هذا المبحث إلى ضبط المفاهيم المركزية التي يقوم عليها البحث، وتهيئة الإطار المنهجي لدراسة التفسير التنزيلي، من خلال تحرير المصطلح، وبيان جذوره في التراث التفسيري، والتمييز بينه وبين المناهج التفسيرية القريبة منه، مع الاستئناس بأقوال المفسرين والباحثين، أو الإحالة إلى مؤلفاتهم، تجنباً للتضخم النظري.

المطلب الأول: مفهوم التفسير التنزيلي ونطاقه الاصطلاحي

يُعد مصطلح التفسير التنزيلي من المصطلحات التي شاع استعمالها في الدراسات القرآنية المعاصرة، غير أن هذا الشيوع لم يكن دائماً مصحوباً بضبط اصطلاحى دقيق، مما أدى إلى تعدد دلالاته واختلاف مقاصده المنهجية. فمن حيث اللغة، تدل مادة «نزل» على التدرج والانحدار والهبوط من أعلى إلى أسفل⁽¹⁾، وهو معنى حاضر في توصيف القرآن لطريقة نزول الوحي، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ

عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ» [الإسراء: 106]. وقد نبه العلماء إلى أن هذا التجسيم لم يكن مجرد ترتيب زمني، بل كان مرتبطاً بالوقائع والأحداث، ومراعياً لحال المخاطبين⁽¹⁾. ويظهر من تتبع استعمال المصطلح عند المعاصرين أنه يُطلق على اتجاهين رئيسين: أ- تفسير القرآن في ضوء سياق النزول وترتيبه الزمني⁽²⁾.

ب- تنزيل دلالات النص القرآني على الواقع المتجدد. وتتمثل في تجاوز التفسير اللغوي التاريخي وتحويل الوقائع الجزئية لزمن النزول إلى مبادئ كلية قادرة على معالجة المستجدات، وهذا يقتضي تحرير الآيات من قيود الزمان والمكان لإسقاط أبعادها الهدائية على الواقع المعيش، مما يجعل القرآن خطاباً متجدداً يصلح حال الأمة في كل عصر⁽³⁾.

والاتجاه الأول يؤكد ابن عاشور⁽⁴⁾، بقوله في معرفة أسباب النزول أنها من أهم الوسائل المعينة على فهم معاني القرآن، لما لها من أثر في توجيه الخطاب، وبيان وجه التخصيص في العام، وكشف مقاصد الآيات في سياقها⁽⁵⁾. وفي مقابل ذلك، يقرر محمد الغزالي⁽⁶⁾ الاتجاه الثاني بقوله إن القرآن جاء بالمبادئ الكلية، وترك للاجتهاد البشري مهمة تنزيل هذه المبادئ على الواقع المتجدد، بحسب معطيات كل عصر ومشكلاته، مما يندرج في باب الاجتهاد التطبيقي لا التفسير بالمعنى الاصطلاحي⁽⁷⁾. وعليه، فإن البحث يُميّز بين التفسير التنزيلي

1- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: 39.

2- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري: 243.

3- تجدد الخطاب القرآني - قراءة تدبرية في فاعلية النص القرآني وإعجازه: 310.

4- هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، ولد عام 1296 الموافق 1879هـ، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. عين (عام 1932) شيخاً للإسلام مالكيًا. وتوفي 1393 هـ الموافق 1973م. انظر: الأعلام: 6/ 173.

5- التحرير والتنوير: 1/ 46-50.

6- محمد الغزالي (1917-1996م): عالم ومفكر إسلامي مصري، يعد من أبرز دعاة التجديد والوسطية في العصر الحديث، ومحاربة الجمود الفكري والاستبداد. تميزت مؤلفاته بالجمع بين أصالة النص القرآني ومتطلبات الواقع المعاصر، سعياً لإعادة بناء الشخصية المسلمة على أسس من الوعي والحرية. انظر: محمد الغزالي، مدرسة فكرية ومنهج حياة، للدكتور يوسف القرضاوي.

7- كيف نتعامل مع القرآن: 107.

بوصفه بيانًا لدلالة النص في سياق نزوله، وبين فقه تنزيل هذه الدلالة على الواقع، مع الإقرار بوجود صلة منهجية بينهما من حيث الاستمداد، دون خلطٍ في الوظيفة أو تطابقٍ في المجال.

المطلب الثاني: التفسير التنزيلي في التراث التفسيري

على الرغم من حداثة مصطلح التفسير التنزيلي، فإن مضمونه حاضر في التراث التفسيري حضورًا واضحًا، وإن لم يُصغ بهذا اللفظ الاصطلاحي. فقد اعتنى الصحابة رضي الله عنهم بربط الآيات بوقائع نزولها، وعدّوا معرفة السبب والسياق معيّنًا على فهم المراد، لا قيدًا على دلالة النص. وقد قرر ابن تيمية هذا الأصل تقريرًا دقيقًا بقوله: «قولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب»⁽¹⁾، أي: من جملة ما تتناوله الآية. وبمثل هذا قرر الزركشي⁽²⁾، ونسبه إلى المفسرين عامة، فقال: «وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية فقد يكون من هذا الباب، لاسيما وقد عُرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها»⁽³⁾. ويُفهم من هذا المسلك أن العناية بسياق النزول ووقائعه كانت وسيلةً لبيان دلالة النص في زمن التنزيل، وهو المعنى الذي يندرج - في الجملة - ضمن ما يُطلق عليه في الدراسات المعاصرة التفسير التنزيلي. كما أن تقسيم القرآن إلى مكّي ومدني، وما يترتب عليه من معرفة طبيعة الخطاب وأهدافه، يُعد من أوضح صور مراعاة السياق التنزيلي عند السلف، وقد بنى المفسرون على ذلك فهمهم لتدرج التشريع وتنوع أساليب الخطاب. وفي المقابل، فإن تنزيل النص على الوقائع اللاحقة كان ضمن إطار الاجتهاد الفقهي، لا بوصفه تفسيرًا للنص، وهو ما يدل على إدراك العلماء للفصل المنهجي بين بيان الدلالة وتطبيقها.

1- مقدمة في أصول التفسير: 38.

2- هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي، ولد سنة 745هـ، وقد أخذ عن جمال الدين الأسنوي، وسراج الدين البلقيني، توفي بمصر ودفن بالقرافة، سنة 794هـ، انظر: شذرات الذهب.

3- البرهان في علوم القرآن: 1/ 126.

المطلب الثالث: مفهوم فاعلية النص القرآني وعلاقته بالتفسير التنزيلى أولاً: مفهوم فاعلية النص القرآني:

يُستعمل مصطلح فاعلية النص القرآني في الدراسات المعاصرة للدلالة على قدرة الخطاب القرآني على الاستمرار في أداء وظيفة الهداية والتوجيه عبر الأزمنة والأمكنة المختلفة، مع ثبات أصوله الدلالية، وقابليته للفهم والتفاعل مع الوقائع المتجددة. ولا يُقصد بفاعلية النص خروجه عن معانيه اللغوية أو سياقاته الأصلية، وإنما يُراد بها مرونة الدلالة في حدودها المنهجية، بما يسمح باستنباط الهدايات والمعاني المناسبة لتغيّر الأحوال، دون إخلال بثوابت النص أو مقاصده⁽¹⁾. ويمكن - في ضوء ذلك - تعريف فاعلية النص القرآني بأنها: صفة دلالية تُمكن النص من الاستمرار في إنتاج المعنى والهداية، مع ثبات أصوله ومرونة تنزيل هداياته، في إطار اللغة والسياق والمقاصد الشرعية⁽²⁾.

ثانياً: مكونات فاعلية النص القرآني:

ومن خلال هذا التصور، يمكن ردّ مكونات فاعلية النص القرآني إلى جملة من العناصر المتكاملة، من أبرزها:

- 1- الثبات في الأصول الدلالية: وذلك بالمحافظة على المعنى الشرعي الصحيح للنص، وعدم إخراجهِ عن دلالاته اللغوية والسياقية.
- 2- المرونة في توجيه المعنى: بما يسمح باستنباط الهدايات المناسبة لتغيّر الأحوال، دون ابتداع دلالات لا يحتملها النص.
- 3- الاستمرارية الزمنية: حيث يمتد أثر الخطاب القرآني إلى الأجيال المتعاقبة، دون أن يفقد قدرته على التأثير.
- 4- الملاءمة مع الواقع: من حيث قابلية الهدايات القرآنية للفهم والتوظيف في معالجة القضايا المتجددة، لا من حيث تنزيل الأحكام مباشرة.

1- تجدد الخطاب القرآني - قراءة تدبرية في فاعلية النص القرآني، وإعجازه: 304 ، وص 313 في الخاتمة.

2- النص القرآني من تهافت التأويل إلى سعة التدبر: رؤية في الضوابط والمنطلقات: 14.

5- الفاعلية العملية: وذلك بترجمة الهداية القرآنية إلى سلوكٍ وقيمٍ وأخلاق، عبر آليات الاجتهاد المنضبط. (1).

ثالثاً: علاقة فاعلية النص بالتفسير التنزيلي:

يتضح من ذلك أن التفسير التنزيلي يُسهم في إبراز فاعلية النص القرآني من خلال ربط دلالاته بسياق نزوله، وكشف مقاصده الأصلية، وهو ما يوفر الأساس العلمي لفهم النص فهماً حياً متجدداً، دون أن يتحوّل التفسير إلى تنزيلٍ مباشر على الوقائع.

المطلب الرابع: التمييز بين التفسير التنزيلي والمناهج التفسيرية القريبة.

من خلال استقراء الاتجاهات التفسيرية المعاصرة، يتضح أن ثمة تداخلاً مفاهيمياً بين التفسير التنزيلي الذي يُعنى ببيان دلالة النص في ضوء سياق نزوله التاريخي ومراحل الزمانية، وبين فقه التنزيل الذي يمثل جهداً اجتهادياً لاحقاً يهدف إلى تفعيل تلك الدلالات في الواقع المتجدد. وبالرغم من وجود صلة منهجية بينهما من حيث الاستمداد؛ إذ يمثل التفسير التنزيلي الأساس العلمي الذي ينطلق منه فقه التنزيل، إلا أن الخلط بين وظيفة كل منهما قد يُفضي إلى انحرافات منهجية أو تحميل النص ما لا يحتمله (2). ويمكن إجمال أهم الفروق المنهجية بينهما في النقاط الآتية:

- 1- من حيث المفهوم والنطاق: ينطلق التفسير التنزيلي من دراسة سياق نزول النص وملابساته التاريخية وتتبع تدرج خطابه، بينما يُعد فقه التنزيل مجالاً اجتهادياً لاحقاً يُعنى بكيفية إسقاط تلك الدلالات على الواقع المعاصر والوقائع الإنسانية المتجددة (3).
- 2- من حيث الوظيفة والمقصد: تتركز وظيفة التفسير التنزيلي في الكشف عن آليات فاعلية النص وكيفية انتقاله من معالجة الوقائع الجزئية إلى بناء المبادئ الكلية، في

1- تجدد الخطاب القرآني - قراءة تدبرية في فاعلية النص القرآني وإعجازه: 306 - 314.

2- الاجتهاد: النص، المصلحة، الواقع: 59 - 64. تجدد الخطاب القرآني: 305.

3- تجدد الخطاب القرآني: قراءة تدبرية في فاعلية النص القرآني وإعجازه: 306؛ الاجتهاد: النص، المصلحة، الواقع:

حين يتجه فقه التنزيل نحو تفعيل هذه المبادئ في الواقع العملي بحسب معطيات كل عصر ومشكلاته⁽¹⁾.

3- من حيث الارتباط الزمني: يرتبط التفسير التنزيلي بزمان التنزيل وما أحاط به من ملابسات تاريخية وسياقات نزول، أما فقه التنزيل فيرتبط بالواقع المعاصر وما يفرضه من مستجدات تستدعي الاجتهاد التطبيقي.

4- من حيث طبيعة العملية العلمية: يمثل التفسير التنزيلي عملية بيان وتحليل لدلالة النص في ضوء سياقه الأصلي، بينما يمثل فقه التنزيل عملية اجتهاد وتطبيق تتجاوز شرح الألفاظ إلى توجيه السلوك الفردي والجماعي في الواقع المعاصر.

5- من حيث الضوابط الحاكمة: يخضع التفسير التنزيلي لضوابط اللغة، والسياق التاريخي، وأسباب النزول، والتمييز بين المكي والمدني، بينما يستند فقه التنزيل إلى فقه الواقع، وفقه المآلات، ومقاصد الشريعة الكلية لضمان سلامة التطبيق⁽²⁾.

وقد خَلَصَ هذا المبحث إلى أن التفسير التنزيلي - بمعناه المرتبط بسياق النزول - أصلٌ راسخ في التراث التفسيري، وأن الإشكال المعاصر يكمن في اتساع استعمال المصطلح وتداخل دلالاته مع مجالات اجتهادية أخرى. ومن ثم فإن ضبط المفهوم والتمييز بينه وبين المناهج القريبة يُعد مدخلاً منهجياً ضرورياً لدراسة أثره في إبراز فاعلية النص القرآني وقابليته للتفاعل مع الواقع في إطار الضوابط العلمية.

المبحث الأول: الضوابط المنهجية للتفسير التنزيلي

يُعد الالتزام بالضوابط المنهجية شرطاً أساساً لصحة أي ممارسة تفسيرية، ولا سيما في القضايا التي تتصل بسياق النزول أو بتنزيل دلالات النص على الواقع؛ لما قد يترتب على تجاوز هذه الضوابط من تحميل النص القرآني ما لا يحتمله، أو الخلط بين التفسير والاجتهاد. ومن ثم يهدف هذا المبحث إلى بيان أهم الضوابط التي تحكم التفسير التنزيلي، وتحدد مجاله المشروع، وتمنع الانفلات الدلالي، وذلك في ضوء ما قرره علماء التفسير وأصول الفقه.

1- الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده: 115؛ تجدد الخطاب القرآني: 307، نقلاً عن النورسي بديع الزمان، الكلمات.

2- تجدد الخطاب القرآني: قراءة تدبرية في فاعلية النص القرآني وإعجازه: 303-310.

المطلب الأول: الضوابط اللغوية والسياقية

يُعد الالتزام بالدلالة اللغوية للألفاظ القرآنية وسياقها من أهم الضوابط التي لا يصح تجاوزها في أي تفسير، سواء أكان تفسيرًا تنزيليًا أم غيره؛ إذ إن النص القرآني نزل بلسان عربي مبين، وتوجّه إلى مخاطبين لهم سياقهم الزمني والاجتماعي. وقد أشار الطبري إلى ذلك بقوله: "توجيه معاني كتاب الله TM إلى الظاهر المستعمل في الناس، أولى من توجيهها إلى الخفيّ القليل في الاستعمال" ⁽¹⁾.

ويشمل هذا الضابط مراعاة: دلالات الألفاظ في استعمالها العربي، وسياق الآية ضمن السورة وأسباب النزول، والمرحلة المكية أو المدنية. وقد نبه العلماء إلى أن إهمال السياق يؤدي إلى انحراف في الفهم، حتى وإن استند إلى معنى لغوي محتمل. وفي هذا المعنى يقول الزركشي: "القرينة السياقية تُرشد إلى تبين المُجمل والقطع بعدم احتمال غير المُراد، وتخصيص العام، وتقييد المُطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مُراد المُتكلّم فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظرته" ⁽²⁾. وقد نقل السيوطي ⁽³⁾، عن الواحدي وابن دقيق العيد وابن تيمية أن معرفة أسباب النزول من أعظم ما يُستعان به على فهم كتاب الله، لما لها من أثر في بيان المراد، وتوجيه الخطاب، ودفع توهم العموم في غير موضعه، لا على سبيل الحصر، بل بوصفها قرينة موجهة للفهم ⁽⁴⁾.

وبذلك يتضح أن مراعاة اللغة والسياق - بجميع مستوياته - تمثل الأساس الأول الذي يُبنى عليه التفسير التنزيلي المنضبط. ولا يخفى أن سبب النزول هو العماد المفسر للسياق، وبدونه يصبح النص مجرداً عن بيئته الواقعية، مما يضعف القدرة على تنزيله على مشكلات الحاضر.

1- جامع البيان في تأويل القرآن: 6/ 309.

2- البرهان في علوم القرآن: 2/ 200.

3- هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضير الأسويطي ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة، ونشأ في القاهرة يتيماً، اشتغل بالعلوم وكان علماً توفي ليلة الجمعة لتسعة عشر يوماً خلت من جمادى الأولى سنة (911) للهجرة، وكان عمره إحدى وستين سنة، انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: 110.

4- الإتيان في علوم القرآن: 107/1 - 108.

المطلب الثاني: الضوابط العقدية والشرعية

يُعدّ الالتزام بالضوابط العقدية والشرعية من أهم ما يحفظ سلامة التفسير التنزيلي، ويمنع الانحراف في فهم النص القرآني عند ربطه بسياق نزوله، إذ إن مراعاة التدرج التنزيلي لا تعني بحال إخضاع العقائد أو الأحكام القطعية للتطور أو التبدّل، وإنما تتصل بطريقة عرض الخطاب وتوجيهه في مراحل الدعوة المختلفة.

أولاً: الضوابط العقدية

1- سلامة العقيدة عند المفسّر بأن يكون قائماً على منهج أهل السنة والجماعة، بعيداً عن التأويلات الكلامية أو الفلسفية التي تُخلّ بصفاء التوحيد. وقد عدّ السيوطي العقيدة السليمة المستقيمة على منهاج الكتاب والسنة وسلف الأمة من أهم شروط المفسر⁽¹⁾. كما قرر مناع القطان أن فساد الاعتقاد يؤدي إلى تحريف النصوص وحملها على غير مرادها⁽²⁾.

2- عدم إخضاع أصول العقيدة للتدرج التنزيلي فالتدرج الوارد في النصوص إنما هو في عرض الخطاب وتربية المخاطبين، لا في ثبوت أصول التوحيد والإيمان. وقد بيّن محمد الغزالي أن التدرج وقع في مجال التشريع، لا في أصل العقيدة التي جاء القرآن فيها بالحسم والقطع⁽³⁾.

3- مراعاة المقاصد العقدية في كل مرحلة من مراحل النزول حيث ركز القرآن المكي على تقرير التوحيد والبعث والنبوة، بينما جاء القرآن المدني بتثبيت تلك الأصول وتنزيلها في بناء الجماعة المسلمة وتشريع الأحكام، كما بيّن ذلك حسن عباس في دراسته لطبيعة الخطاب المكي والمدني⁽⁴⁾.

1- الإتيان في علوم القرآن: 2/ 498.

2- مباحث في علوم القرآن: 340.

3- كيف نتعامل مع القرآن: 130.

4- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية: 43.

ثانيًا: الضوابط الشرعية

1- الالتزام بمقاصد الشريعة وأحكامها القطعية بحيث تُفهم الآيات في سياقها المرحلي دون الإخلال بثوابت التشريع، وقد قرر الـريسوني أن فهم النص متوقف على تحري مقاصد الخطاب كما أرادها الشارع، دون زيادة أو تجاوز⁽¹⁾.

2- التمييز بين الأحكام المرحلية والأحكام النهائية فبعض الأحكام وردت في سياق مرحلي تمهيدي، ثم استُكملت بتشريعات لاحقة، ولا يعني ذلك إلغاء جميع الأحكام السابقة، بل يُنظر إليها في ضوء قواعد النسخ والتدرج ومقاصد التشريع، وفق منهج الاجتهاد المنضبط.

3- الالتزام بالاستدلال المنضبط بحيث لا يُستخرج من الآيات المكية أو المدنية ما يُعارض نصوصًا قطعية متأخرة في النزول، لأن الاستدلال فرع عن الجمع بين النصوص لا معارضتها.

4- الالتزام بالمنهج النبوي في الفهم والتلقي إذ إن النبي ﷺ هو المبين عن الله تعالى، وسنته شارحة للقرآن ومكملة له، وقد قرر ابن تيمية أن أصدق طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة⁽²⁾.

5- الموازنة بين السياق التاريخي وقدسية الوحي بحيث لا يتحول الاهتمام بظروف النزول إلى قراءة تاريخية محضة تُفرغ النص من عالميته؛ وذلك لأن القرآن خطاب هداية عام، قال تعالى: {قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158].

وقد خلص هذا المبحث إلى أن التفسير التنزيلي لا يستقيم منهجًا ولا يُثمر نتائج علمية معتبرة إلا بالالتزام بجملة من الضوابط المنهجية التي تضبط مجاله وتمنع الانفلات في دلالاته. وقد تبين أن مراعاة الدلالة اللغوية والسياق القرآني، بما يشمل من أسباب النزول والتمييز بين المكي والمدني، تمثل الأساس الأول في هذا المنهج، ولا يصح تجاوزها عند بيان المعنى أو تنزيهه.

1- الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده: 93.

2- مقدمة في أصول التفسير: 93.

كما أظهر المبحث أن الضوابط العقدية والشرعية تمثل صمام الأمان للتفسير التنزيلي، إذ تحفظ ثوابت العقيدة والأحكام القطعية، وتمنع الخلط بين التفسير والاجتهاد التطبيقي، مع ضرورة الالتزام بالمنهج النبوي ومقاصد الشريعة دون إخلال بدلالة النص.

وقد وضع هذا المبحث أن تجاوز هذه الضوابط يؤدي إلى محظورات منهجية وفكرية في تنزيل النصوص على الواقع، وهو ما يؤكد أن ضبط المنهج شرط أساس لإبراز فاعلية النص القرآني في التفاعل مع الواقع، دون المساس بقدسيته أو تحميله ما لا يحتمله.

المطلب الثالث: المحظورات في تنزيل النصوص على الواقع

يُعدّ تنزيل النصوص الشرعية على الوقائع المعاصرة من أدقّ مجالات الاجتهاد؛ إذ يتوقف على سلامته اجتماع فهم صحيح للنص، وفهم دقيق للواقع، ثم تحقيق التناسب بينهما في ضوء مقاصد الشريعة وضوابطها. ومع التنبيه إلى أن تنزيل النصوص على الواقع يُعدّ ثمرة لاحقة للفهم التفسيري، لا جزءاً من التفسير التنزيلي ذاته، إلا أن الخلل في أحدهما ينعكس بالضرورة على الآخر؛ فإن هذا المجال يتعرض لانحرافات متعددة تُعرف بالمحظورات في التنزيل، ويمكن تصنيفها إلى قسمين رئيسيين:

القسم الأول: المحظورات الشرعية والفكرية

1- تحريف النصوص عن مقاصدها الشرعية وذلك بتأويلاتٍ معاصرة تُفرغ النص من دلالاته الأصلية بحجة مواكبة الواقع، وهو لونٌ من التأويل المنفلت الذي حذر منه العلماء؛ لأن المقاصد الشرعية تُعد الميزان الضابط للتوفيق بين النص والواقع، لا أداة لتعطيل النص أو إفراغه من محتواه. قال الشاطبي: «لا يحصل العلم بالقرآن إلا لمن أحكم أصول الشريعة، وعرف مقاصدها جملةً وتفصيلاً»⁽¹⁾. وقال ابن عاشور: «فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان

يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ»⁽¹⁾. وعليه، فلا يُقبل تنزيلٌ يصادم الكليات الشرعية أو يناقض مقاصد الهداية والإصلاح، وهو ما يميز المنهج التفسيري المنضبط عن التأويل الحداثي الذي يفصل النص عن غاياته التعبدية والتشريعية.

2- إخضاع النص القطعي للواقع المتغير أو إهمال فقه الواقع وكلا الأمرين انحرافٌ منهجي؛ فالأول يجعل الواقع حاكمًا على النص، والثاني يُنتج أحكامًا غير منضبطة لقصور التصور. وقد قرر ابن القيم هذا الميزان بقوله: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: فهم الواقع وفقه فيه... وفهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ»⁽²⁾. فالمنهج السليم يوازن بين النص والواقع دون أن يطغى أحدهما على الآخر.

3- عدم التمييز بين النصوص القطعية والنصوص الظنية مما يؤدي إلى تنزيل نصوص ظنية على نحوٍ يصادم الأصول القطعية، وهو خلل في منهج الاستدلال، قال الشاطبي: «مخالفة الظني لأصل قطعي يسقط اعتبار الظني على الإطلاق»⁽³⁾.

4- الخطأ في فهم النص قبل تنزيله وذلك بإهمال دلالاته اللغوية والسياقية والشرعية؛ لأن الخطأ في الفهم يستلزم الخطأ في التنزيل. قال ابن تيمية: «ولا بد في تفسير القرآن والحديث من معرفة ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه»⁽⁴⁾. وقال الزركشي: «طريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق»⁽⁵⁾.

5- توظيف النصوص لخدمة توجهات فكرية أو سياسية أو حزبية مما يُفقد النص قدسيته، ويحوّله إلى أداة صراع دنيوي، والأصل أن يكون القصد من تنزيل النص تحقيق مراد الله تعالى وهداية الخلق. قال الشاطبي: «المقصد الأول إذا تحرّاه المكلف

1- التحرير والتنوير: 41/1.

2- إعلام الموقعين عن رب العالمين: 2 / 165.

3- الموافقات في أصول الشريعة: 3 / 188.

4- مجموع الفتاوى: 7 / 116.

5- البرهان في علوم القرآن: 2 / 172.

يتضمن القصد إلى كل ما قصده الشارع من حصول مصلحة أو درء مفسدة، ... لا يشوبه غرض ولا حظ»⁽¹⁾.

القسم الثاني: المحظورات المنهجية والعلمية

1- التسرع في تنزيل النصوص على النوازل دون استكمال أدوات الاجتهاد وذلك بإهمال الجمع بين فقه النص وفقه الواقع، إذ الاجتهاد الصحيح يقوم على مسارين متكاملين: فهم النص واستنباط حكمه، ثم تنزيله على الواقع في ضوء المعطيات المؤثرة.

2- تعميم الأحكام الخاصة أو المقيدة بأحوال معينة مما يؤدي إلى فساد في الفهم والتطبيق، وقد نبه ابن رشد إلى أن الألفاظ الخاصة تُحمل على خصوصها، كما تُحمل ألفاظ العموم على عمومها إلى أن يدل دليل التخصيص أو التعميم⁽²⁾.

3- إغفال فقه المآلات وعدم تقدير نتائج التنزيل فيُستعمل النص في موضع يترتب عليه مفسدة أعظم، مع أن النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ شرعاً، قال الشاطبي: الأعمال أسباب لمسببات هي مقصودة للشارع، فاعتبار المآلات في جريان الأسباب مطلوب⁽³⁾.

4- إخراج النص من سياقه اللغوي أو الشرعي العام وذلك بأخذه مبتوراً عن نظائره أو عن النصوص المبيّنة له، مما يؤدي إلى قطيعة بين النص وتنزيله الصحيح؛ إذ إن النصوص يفسر بعضها بعضاً، ويُقيد مطلقها، ويُخصص عامها⁽⁴⁾.

يتضح مما سبق أن تنزيل النصوص على الواقع علمٌ دقيق يجمع بين فقه الشريعة وفقه الحياة، ولا يستقيم إلا بترابط ثلاثة أبعاد: فقه النص، وفقه الواقع، وفقه المآلات. وأن الإخلال بأيٍّ من هذه الأبعاد يُوقع المفسر أو المفتي في محظورات شرعية أو منهجية تُقضي إلى الانفلات الدلالي أو سوء التطبيق، بما يُنافي مقصود الشريعة في الهداية والإصلاح. وقد خلاص هذا المبحث إلى أن التفسير التنزيلي لا

1- الموافقات: 2 / 340.

2- الضروري في أصول الفقه: 117.

3- الموافقات: 5 / 178.

4- طرق الكشف عن مقاصد الشارع: 92.

يُمارَس بمعزل عن الضوابط اللغوية والسياقية والعقدية، وأن تجاوزه لهذه الضوابط يُفضي إلى انحراف في الفهم، أو خلط بين مجالات علمية متميزة. كما تبين أن ضبط العلاقة بين التفسير وتنزيل النص على الواقع يُعد ضرورة منهجية لحماية النص القرآني من التوظيف غير المنضبط، وضمان سلامة الاستدلال به.

المبحث الثاني: أثر التفسير التنزيلي في إبراز فاعلية النص القرآني

يُعنى هذا المبحث ببيان الأثر المعرفي والمنهجي للتفسير التنزيلي في إبراز فاعلية النص القرآني، من خلال الكشف عن دلالاته الوظيفية في سياق نزوله المرحلي، وما يترتب على ذلك من إظهار صلاحية الوحي وقدرته على التفاعل مع الواقع الإنساني في مختلف مراحله، دون الخلط بين بيان الدلالة التفسيرية للنص وبين تنزيله الاجتهادي على الوقائع الجزئية.

ومن خلال تتبع مسار التنزيل، يتضح أن القرآن الكريم لم يأت خطاباً جامداً أو معزولاً عن الواقع، بل نزل منجماً وفق سنن تربوية وتشريعية مقصودة، تُبرز حيويته واستمرارية أثره في توجيه الفرد وبناء المجتمع. وفي هذا الإطار، يتناول هذا المبحث مظاهر هذا الأثر في ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: إبراز خاصية الصلاحية لكل زمان ومكان

يدلّ المنهج التنزيلي على أن القرآن الكريم ليس خطاباً تاريخياً محدوداً بزمان النزول، بل هو خطاب ممتدّ الهداية، يحمل في بنيته التشريعية والتربوية مقومات الديمومة والتجدد. ويظهر ذلك بجلاء من خلال نزوله منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة، بما يعكس مراعاة الوحي لأحوال المخاطبين وتدرجهم في التلقي والبناء. ويُبرز التفسير التنزيلي خاصية الصلاحية الزمانية والمكانية للقرآن من خلال جملة من المعالم، من أبرزها:

1- إظهار التدرج في التشريع إذ يكشف تتبع مراحل التنزيل عن حكمة الوحي في معالجة القضايا بحسب استعداد المجتمع وتكوينه، حيث قُدمت العقيدة والتركيب قبل الأحكام التفصيلية، وهو ما عبّرت عنه عائشة رضي الله عنها بقولها: «إنما نزل أول

ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار...»⁽¹⁾. وهو ما يدل على أن التدرج لم يكن مرحلياً عارضاً، بل سنّة تشريعية وتربوية تكشف مرونة الخطاب القرآني وقدرته على مواكبة التحولات دون إخلال بأصوله⁽²⁾.

2- ربط الخطاب بعلمه ومقاصده فالتفسير التنزيلي لا يقتصر على بيان الحكم في سياقه التاريخي، بل يُظهر علمه ومقاصده التي تجعل تطبيقه ممكناً في نظائر الوقائع المتجددة، دون إخلال بثوابته. وقد سعى العلماء إلى ضبط هذه العلل بأوصاف ظاهرة منضبطة، تحقيقاً للمصالح التي شرعت الأحكام لأجلها، وهو ما يُمكن من امتداد دلالة النص عبر الأزمنة.

3- تجلية الوحدة البنائية للقرآن حيث تتكامل الآيات المكية والمدنية في بناء منظومة عقدية وتشريعية واحدة، تبدأ بتأسيس القواعد الكلية، ثم تُستكمل بالأحكام التفصيلية، كما قرره الشاطبي في بيان تدرج البناء القرآني من الأصول إلى الفروع⁽³⁾.

وعليه فإنّ ما يقرره المنهج التنزيلي من فاعلية النص القرآني يجد تأصيله العميق في نظرية المقاصد الكلية؛ حيث يرى الإمام الشاطبي أن استمرارية صلاحية الشريعة تكمن في كونها جاءت لحفظ مصالح العباد التي لا تتغير بتغير الأزمان، معتبراً أن التدرج في التنزيل يمثل النموذج الأسمى لمراعاة القدرة البشرية⁽⁴⁾.

وهذا ما يؤكد الطاهر بن عاشور في ذهابه إلى أن عالمية القرآن واستدامة هدايته نابعة من كونه خطاباً موجهاً للفطرة البشرية، مما يحرره من قيود اللحظة التاريخية ليصبح نصاً متحركاً مع تطور المجتمعات⁽⁵⁾.

وبذلك، فإن التفسير التنزيلي حين يربط الحكم بعلمه ومقصده، فإنه يُفعّل فيه قوة الاستمرار، محولاً إياه من نص تاريخي إلى منهجية إصلاحية مستمرة.

1- صحيح البخاري، برقم (4993)، (6/ 228).

2- البيان في مباحث من علوم القرآن: 68 - 71؛ تجدد الخطاب القرآني: 303، 313.

3- الموافقات: 3/ 335.

4- الموافقات: 2/ 105.

5- مقاصد الشريعة الإسلامية: 214.

المطلب الثاني: ربط النص القرآني بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي

يتميّز التفسير التنزيلي بكونه لا يفصل بين النص القرآني والواقع الذي نزل فيه، بل يُبرز كيفية تفاعل الخطاب القرآني مع الأحداث والوقائع في مراحل النزول المختلفة، بما يكشف عن دلالاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في سياقها التاريخي، ويظهر وظيفته الإصلاحية في بناء الفرد والمجتمع، وذلك في إطار البيان التفسيري لدلالة النص، لا في مقام تنزيل الأحكام على الوقائع الجزئية. ويتبين من خلال هذا المنهج أن الخطاب القرآني قد واكب الواقع الإنساني في تحولاته الكبرى، فكان يعالج قضايا معالجةً مرحلية تراعي طبيعة المجتمع وأولوياته منها:

1- معالجة الواقع العقدي والاجتماعي في المرحلة المكية: إذ ركزت الآيات

المكية على تصحيح الانحراف العقدي، ومواجهة مظاهر الشرك والظلم والتمييز الطبقي، وترسيخ قيم العدالة والكرامة الإنسانية، دون الخوض في التشريعات التفصيلية. وفي هذا المعنى يقول فضل عباس:

«إن القرآن المكي ظل طوال ثلاث عشرة سنة لا يقرر شيئاً من التشريعات والتنظيمات، وإنما كان التركيز على مسائل العقيدة وحدها»⁽¹⁾.

كما يبين محمد بكر أن القرآن المكي انصرف إلى ترسيخ الأصول الاعتقادية الكبرى التي قامت عليها جميع الرسالات السماوية، مما شكّل الأساس القيمي لبناء المجتمع الإسلامي لاحقاً⁽²⁾.

2- تنظيم الواقع السياسي والاقتصادي في المرحلة المدنية: حيث انتقل الخطاب

القرآني إلى معالجة القضايا العملية المرتبطة ببناء المجتمع والدولة، فأُسّس لمفاهيم الحكم والشورى والحقوق، ونظّم المعاملات المالية، والإنفاق العام، والعلاقات الداخلية والخارجية، بما في ذلك العلاقة مع أهل الكتاب. وقد أشار الزركشي إلى أن القرآن

1- التفسير والمفسرون في العصر الحديث: 2 / 396.

2- دراسات في علوم القرآن: 48.

المدني تميّز بتناول التشريعات التفصيلية والأحكام العملية في مختلف شؤون الحياة، بما يعكس انتقال الأمة من مرحلة التأسيس العقدي إلى مرحلة التنظيم والبناء⁽¹⁾.

3- إبراز تطور الخطاب القرآني في بناء الأمة: ويكشف تتبع مراحل النزول عن تطور منهجي في الخطاب القرآني، من الدعوة الفردية والتربية الإيمانية في المرحلة المكية، إلى إقامة الكيان الاجتماعي والسياسي في المدينة، حيث واجه المجتمع الإسلامي تحديات خارجية تتصل بوجوده وأمنه، وتحديات داخلية تتعلق بتنظيم شؤونه على أسس تحقق الانسجام بين المبادئ العقدية والواقع العملي. وقد عبّرت الآيات المدنية عن هذه القضايا، فنظّمت شؤون الجهاد والمال والحكم والأسرة والعقوبات، ودعت إلى التكافل الاجتماعي بوصفه أساساً للأمن والاستقرار⁽²⁾.

ويُفهم هذا الربط بين النص والواقع في إطار البيان التفسيري لدلالة الخطاب القرآني وسياقه التنزيلي، لا في مقام التنزيل التطبيقي المباشر للأحكام. وبهذا يُعيد التفسير التنزيلي الاعتبار للقرآن بوصفه مصدرًا حيًّا للهداية والإصلاح، ويُبرز قدرته على توجيه الحياة العامة وبناء المجتمعات في مختلف الأزمنة، دون إخلال بثوابته أو تحميله ما لا يحتمله.

المطلب الثالث: إحياء دور القرآن في توجيه الفرد والأمة:

يُسهم التفسير التنزيلي في إحياء الدور التربوي والإصلاحي للقرآن الكريم، من خلال عرضه للخطاب القرآني في سياقه الزمني والتربوي المتدرّج، بما يُبرز منهج الوحي في بناء الفرد والأمة عبر مراحل الدعوة المختلفة. ويكشف هذا المنهج عن كيفية انتقال الخطاب القرآني من غرس أصول الإيمان في المرحلة المكية إلى تنظيم الحياة الجماعية وبناء المجتمع في المرحلة المدنية، مما يجعل من التفسير التنزيلي إطارًا لفهم الوظيفة التربوية للقرآن في مسار التغيير والإصلاح.

ويتجلى أثر هذا المنهج في توجيه الفرد والأمة من خلال جملة من المعالم:

1- البرهان في علوم القرآن: 1/ 177.

2- المدخل إلى علوم القرآن الكريم: 97.

1- ترسيخ معاني التزكية والإيمان وفق سنن التدرج إذ يُبرز التفسير التنزيلي أن بناء الإيمان وتزكية النفوس كان مقدّمًا على سائر التكاليف، وأن مراعاة مراحل النزول تُعين على فهم هذا التدرج التربوي، وتقي من أخطاء في الفهم أو الاستدلال. وفي هذا المعنى يقول عبد الرحمن حبنكة: «إن مراعاة مراحل التنزيل وأزمانه وملاحظتها لدى التدبر تحمي من أخطاء تفسيرية قد يقع فيها بعض المفسرين...»⁽¹⁾. ويُظهر هذا أن التفسير التنزيلي لا يقتصر على بيان المعنى، بل يُسهم في حفظ سلامة الفهم التربوي للخطاب القرآني.

2- تعميق الوعي السُنّني بقوانين النصر والهزيمة والتغيير حيث يكشف تتبع مراحل النزول عن حضور السنن الإلهية في الخطاب القرآني، بوصفها قوانين تحكم حركة الواقع والمجتمع. فالنصر مرتبط بأسباب موضوعية كالوحدة والطاعة والصبر، والهزيمة نتيجة خلل ذاتي، كما قرره القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 165]. كما قرر القرآن أن التغيير يبدأ من الداخل، بإصلاح القيم والسلوك، قبل أن ينعكس على الواقع الخارجي، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]. ويسهم إبراز هذه السنن في قراءة النصوص قراءة واعية، تُبعدها عن التفسيرات القدرية أو العاطفية، وتجعلها أداة لفهم الواقع وتشخيص أزماته.

3- إعادة تفعيل الوظيفة الحضارية للقرآن إذ يُعيد التفسير التنزيلي ربط النص القرآني بواقع الأمة في ضوء مقاصده العليا، فيبرز دوره في تحريك طاقات الأفراد والجماعات نحو الإصلاح والنهضة، ويقدم القرآن بوصفه مصدرًا للهداية العملية، لا مجرد نصٍ يُتلى دون وعي بسياقه ومراحله ووظيفته.⁽²⁾

ويُفهم هذا الدور التربوي والحضاري في إطار البيان التفسيري لدلالة الخطاب القرآني وسياقه التنزيلي، لا في مقام التنزيل التطبيقي المباشر للأحكام. وبهذا يتضح

1- قواعد التدبر الأمثل: 152.

2- دور التفسير الحضاري للقرآن الكريم في بناء الهوية الإسلامية: 615 ، 618؛ الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون: 35-38.

أن التفسير التنزيلي يُسهم في تجديد أثر القرآن في تربية الفرد، وبناء الوعي الجماعي، وإحياء السنن القرآنية الحاكمة لمسيرة التغيير والإعمار. ويُفهم هذا في إطار البيان التفسيري لدلالة الخطاب، لا في مقام التنزيل التطبيقي المباشر. ويخلص هذا المبحث إلى أن التفسير التنزيلي يُسهم إسهامًا واضحًا في إبراز فاعلية النص القرآني، من خلال إعادة قراءة الخطاب القرآني في سياق نزوله المرحلي، بما يُظهر صلاحية الوحي لكل زمان ومكان، وقدرته على مواكبة تطور الواقع الإنساني دون إخلال بثوابته العقيدة والتشريعية.

وقد تبين أن تتبع مراحل التنزيل يكشف عن مرونة الخطاب القرآني في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مع المحافظة على وحدة المقصد وبناء المنظومة القيمية للأمة، وهو ما يبرز الطابع الوظيفي للنص القرآني في توجيه الواقع وبناء المجتمع، في إطار البيان التفسيري لدلالته، لا في مقام التنزيل الاجتهادي المباشر للأحكام. كما أظهر المبحث أن المنهج التنزيلي يُعيد إحياء الدور التربوي والحضاري للقرآن، من خلال إبراز سنن التغيير والنصر والهزيمة، وتقديم القرآن بوصفه مرجعًا هاديًا للفرد والأمة في مسيرة الإصلاح، بما يؤكد أن فاعلية النص القرآني نابعة من عمق بنيته الدلالية وتدرجه التنزيلي، لا من إسقاطات خارجية أو تأويلات غير منضبطة.

المبحث الثالث: نماذج تطبيقية للتفسير التنزيلي

تسير الدراسة في تحليل النماذج التطبيقية وفق خطوات منهجية متدرجة، تبدأ بتحديد سياق النزول وملابساته، ثم بيان الدلالة الأصلية للنص في سياقه التاريخي، فاستنباط القاعدة أو المقصد الممتد، ثم بيان وجه تنزيله على الواقع المعاصر في ضوء الضوابط المنهجية المقررة، مع التنبيه إلى حدود هذا التنزيل ومحاذيره.

المطلب الأول: نموذج تطبيقي في القضايا التعبدية والتشريعية

يُعدّ التدرج في التشريع من أبرز مظاهر مراعاة السياق التنزيلي في القرآن الكريم، وهو من أوضح النماذج التي يُستأنس بها في بيان منهج التفسير التنزيلي المنضبط. ويُعدّ تحريم الخمر مثالًا جليًا لهذا التدرج؛ إذ نزل الحكم فيه على مراحل،

مراعياً حال المجتمع المخاطب، واستعداده النفسي والعملية للامتثال. فقد جاء الخطاب القرآني أولاً ببيان ما في الخمر من إثم مع وجود بعض المنافع، ثم انتقل إلى النهي عن قربان الصلاة حال السكر، إلى أن انتهى الأمر بالتحريم القاطع. ويكشف هذا المسار التنزيلي عن أن الحكم الشرعي لم يُفهم بمعزل عن سياق نزوله، بل ارتبط بمرحلة البيان، ثم مرحلة التهيئة، ثم مرحلة الإلزام. ويظهر هذا النموذج أن التفسير التنزيلي يُسهم في: إبراز حكمة التشريع ومقاصده التربوية، وفهم الخطاب القرآني في سياقه المرحلي، والتمييز بين دلالة النص زمن النزول، ومرحلة اكتمال الحكم واستقراره. غير أن الاستئناس بهذا النموذج في الواقع المعاصر لا يكون بإعادة مراحل التشريع أو تعليق الأحكام القطعية على واقع الناس، بل يكون بفهم المقصد التربوي للتدرج في التعليم والدعوة والتوجيه، مع التسليم بثبات الحكم الشرعي وقطعيته بعد اكتمال نزوله. ويُبرز هذا المثال الفرق المنهجي بين بيان دلالة النص في سياق نزوله - وهو مجال التفسير التنزيلي - وبين تنزيل الأحكام على الوقائع المعاصرة بوصفه مجالاً للاجتهاد الفقهي، وبذلك يظل النص محفوظ الدلالة، ويظل الواقع منضبطاً بضوابط الشرع. وقد اكتُفي في هذا المطلب بنموذج واحد لكونه أوضح في الدلالة على المنهج، ويمكن الرجوع إلى نماذج أخرى في أسباب النزول والتدرج التشريعي مما بُسط في كتب التفسير.

المطلب الثاني: أمثلة تطبيقية في تنزيل التفسير على قضايا اجتماعية

يُبرز التفسير التنزيلي قدرة الخطاب القرآني على معالجة القضايا الاجتماعية معالجةً واقعيةً منضبطة، من خلال نزوله على وقائع محددة، ثم تجاوزه حدود الحادثة الخاصة إلى تقرير قواعد عامة تحفظ توازن المجتمع وتصور الحقوق. وفيما يأتي نماذج تطبيقية تُجلي هذا المنهج.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: 60]. بين الطبري أن الآية جاءت لحصر مصارف الصدقات في الأصناف التي سماها الله

تعالى⁽¹⁾. ويكشف التفسير التنزيلي لهذه الآية أنها نزلت لضبط واقع اجتماعي ومالي شهد اضطراباً في توزيع المال العام، فانتقل الخطاب القرآني من الدعوة إلى الإحسان العام إلى تقنين تشريعي ملزم، يحول دون خضوع الزكاة للأهواء أو الاجتهادات الفردية. وقد أسست الآية مبدأ العدالة الاجتماعية من خلال الحصر المانع لمصارف الزكاة، بما يضمن وصول المال إلى مستحقيه الحقيقيين، ويمنع التعدي على حقوق الفئات الضعيفة. وتبرز هذه الآية كيف يحول القرآن القيم الأخلاقية إلى نظم اجتماعية عملية، حيث لم يكتف بإقرار مبدأ التكافل، بل نظم في إطار تشريعي دقيق يُعيد توزيع الثروة وفق معايير ربانية، تحفظ التوازن الاجتماعي وتضمن كرامة المحتاجين. ويُفهم تنزيل هذه الآية في الواقع المعاصر في إطار البيان التفسيري لدلالاتها، من حيث التأكيد على التزام الأصناف المحددة شرعاً في مصارف الزكاة، دون توسع غير منضبط، مع مراعاة تغير صور الحاجة واتساعها، بما يحقق مقصد العدالة الاجتماعية الذي نزلت الآية لتقريره، دون الخلط بين فهم النص وتنزيله الاجتهادي في السياسات المعاصرة.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ خَوَافُكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1]. نزلت هذه الآية في واقعة خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها، حين شكت إلى النبي ﷺ ما وقع عليها من ظلم زوجها بالظهار⁽²⁾، وهو عرف جاهلي كان يُمارس داخل الأسرة دون حماية تشريعية للمرأة. ويظهر التفسير التنزيلي أن الوحي نزل هنا استجابة لمعاناة اجتماعية واقعية، تتعلق بانتهاك الحقوق الزوجية داخل الأسرة، فجاء الخطاب القرآني ليُبطل عرفاً ظالماً، ويؤسس منظومة تشريعية جديدة تحفظ كرامة المرأة، وتمنع استمرار هذا النوع من الظلم باسم العادة أو التقاليد. ويمثل هذا التنزيل انتقالاً من معالجة حادثة فردية إلى تقرير قاعدة عامة مفادها أن التشريع القرآني ينحاز إلى الحق، ويحمي المستضعف، ويحول الشكوى الفردية إلى إصلاح اجتماعي شامل. كما أبرزت الآية قرب الوحي من

1- جامع البيان: 14 / 305.

2- معالم التنزيل في تفسير القرآن: 5 / 38.

قضايا الناس اليومية، وأن إصلاح البنية الأسرية مقصدٌ حاضر في التشريع، لا يقل أهمية عن سائر مقاصده الكبرى⁽¹⁾. وتُقرأ هذه الآية في ضوء التفسير التنزيلى بوصفها نموذجاً لتدخل القرآن في تقويم الأعراف الاجتماعية المنحرفة، وتحويلها إلى نظم عادلة، دون الاقتصار على خصوصية السبب، بل باعتبارها قاعدة تُستنزل حيثما وُجدت علّتها، في إطار البيان التفسيري لدلالة الخطاب، لا في مقام التنزيل الاجتهادي المباشر. وخلاصة المطلب أن هذه النماذج تُبرز أن التفسير التنزيلى يُمكن من قراءة النص القرآني قراءة اجتماعية واعية، تُظهر كيف نزل الوحي لمعالجة وقائع محددة، ثم تجاوزها إلى بناء قواعد كلية تحفظ توازن المجتمع وتصور الحقوق، مع التزام الضوابط المنهجية التي تميّز بين فهم دلالة النص في سياق نزوله، وبين تنزيل أحكامه على الواقع المعاصر.

المطلب الثالث: أمثلة تطبيقية في تنزيل التفسير على قضايا سياسية

يُبرز التفسير التنزيلى بوضوح كيفية معالجة القرآن الكريم للقضايا السياسية والأمنية في سياقها الواقعي، من خلال توجيه الخطاب الإلهي لمعالجة أوضاع الجماعة المسلمة في مراحل القوة والضعف، وبناء منظومة الانضباط السياسي والأمني للأمة. وفيما يأتي نماذج تطبيقية تُظهر هذا المنهج.

المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]. تُبين الآية واقعاً سياسياً وأمنياً دقيقاً عاشه المجتمع المدني، حيث كان بعض ضعفاء الإيمان أو المنافقين يسارعون إلى إذاعة الأخبار المتعلقة بالأمن والخوف دون تقدير لمآلاتها. وقد أشار المفسرون إلى أن هذا السلوك ناشئ عن مرض القلوب، وجهل بعواقب نشر الأخبار في أوقات السلم والحرب، إذ إن الإرجاف يُضعف الجبهة الداخلية ويهز الثقة الجماعية⁽²⁾. ويكشف التفسير التنزيلى أن الآية تؤسس لمنهج قرآني منضبط في إدارة المعلومات السياسية والأمنية، يقوم على ردّ الأخبار إلى أولي الأمر وأهل الاختصاص

1- التفسير الحديث [مرتّب حسب النزول]: 8/ 411.

2- أيسر التفاسير: 1/ 515.

القادرين على تقدير المصلحة العامة، وتمييز ما يُعلن مما يُكتم. فالخطاب لا يكتفي بالنهي عن الإرجاف، بل يربط معالجة الخبر بمبدأ المرجعية المؤسسية، ويُقرّر أن تقدير المصالح والمفاسد في الشأن العام ليس شأن الأفراد، بل هو من اختصاص القيادة والعلم والخبرة. وتدلّ الدلالة التنزيلية للآية على أن ضبط تداول الأخبار جزءاً من حفظ الأمن الجماعي، وأن الانضباط الإعلامي والسياسي مقصدٌ شرعي لحماية الأمة من الفوضى والاضطراب. ويُفهم هذا التوجيه في إطار البيان التفسيري لمنهج الخطاب، لا في مقام تنزيل السياسات التفصيلية المعاصرة.

المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]. نزلت هذه الآية في سياق بناء القوة العسكرية للمجتمع المسلم بعد مرحلة من الضعف، حيث وجّه القرآن إلى الإعداد الشامل لمواجهة التحديات الخارجية. وقد فسّر النبي ﷺ القوة تفسيراً بيانياً بقوله: «ألا إن القوة الرمي»⁽¹⁾، وهو تفسير يحدّد أحد مظاهر القوة في سياقها الزمني. ويظهر التفسير التنزيلي أن الخطاب القرآني لا يقتصر على بيان وسيلة جزئية، بل يؤسس لقاعدة كلية مفادها وجوب الإعداد المستمر، وفق ما يتحقق به الردع وحماية الأمة في كل عصر. فالعبرة ليست بنوع السلاح ذاته، وإنما بمقصد الإعداد الذي يحفظ السيادة ويمنع العدوان. وتكشف الدلالة التنزيلية للآية أن الإعداد السياسي والأمني مكوّن أصيل في بقاء الجماعة المسلمة، وأن ترك أسباب القوة يُفضي إلى التبعية والضعف. ويُفهم هذا التوجيه في ضوء مقاصده الكلية، من حيث وجوب الاستعداد بما يناسب الزمان والمكان، دون تحميل النص تفصيلات معاصرة خارجة عن دلالاته البيانية.

وخلاصة المطلب أن هذه النماذج تُبرز أن التفسير التنزيلي يُمكن من قراءة النصوص القرآنية السياسية قراءة منهجية واعية، تنتقل من الواقعة الجزئية إلى القاعدة الكلية، ومن السبب الخاص إلى السنن العامة التي تحكم حركة المجتمعات والدول. كما يُظهر أن الخطاب القرآني في الشأن السياسي لا ينفصل عن مقاصد حفظ الأمن، وتحقيق الاستقرار، وبناء القوة الرادعة، ضمن ضوابط شرعية دقيقة.

1- رواه مسلم في صحيحه، باب فضل الرمي والحث عليه...، برقم: (1917).

وخلصا المبحث الثالث

تبيّن من خلال النماذج التطبيقية أن التفسير التنزيلي ليس منهجاً نظرياً مجرداً، بل أداة علمية عملية لإحياء النص القرآني وربطه بالواقع عبر العصور، دون إخلال بثوابته أو تحميله ما لا يحتمل. وقد أظهر هذا المبحث كيف يسهم المنهج التنزيلي في توجيه الفهم القرآني للقضايا التعبدية والاجتماعية والسياسية، من خلال بيان دلالات الخطاب في سياق نزوله، واستنباط مقاصده الكلية وسننه العامة. كما أكد أن فاعلية النص القرآني نابعة من عمق بنيته الدلالية وتدرجه التنزيلي، لا من إسقاطات خارجية أو تأويلات غير منضبطة، وهو ما يجعل القرآن مصدراً دائماً للهداية الفردية والاجتماعية والسياسية في كل زمان ومكان.

الخاتمة:

سعى هذا البحث إلى بيان حقيقة التفسير التنزيلي وضبط منهجه، والكشف عن دوره في إبراز فاعلية النص القرآني وقدرته على مواكبة الواقع الإنساني عبر العصور، من خلال تتبع الخطاب القرآني في سياق نزوله المرحلي، وربطه بمقاصده العقدية والتشريعية والتربوية، دون الخلط بين مقام التفسير ومقام الاجتهاد التطبيقي.

وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج، من أبرزها:

- 1- أن التفسير التنزيلي منهج تفسيري أصيل، قائم على فهم النص القرآني في سياق نزوله الزمني والواقعي، واستحضار مقاصده المرحلية والكلية، وهو مغاير للتفسير الموضوعي أو الاجتماعي من حيث المنطلق والمنهج والغاية.
- 2- أن مراعاة السياق التنزيلي تُعدّ من أهم مفاتيح فهم القرآن الكريم، إذ تُسهم في ضبط الدلالة، وبيان الحكمة من التدرج في التشريع، وكشف مقاصد الخطاب، ومنع إسقاط النصوص على الواقع إسقاطاً متعسفاً أو مجتزأً.
- 3- أن للتفسير التنزيلي ضوابط محكمة، عقدية وشرعية ومنهجية، تضمن سلامة الفهم وصحة التنزيل، وتحول دون الانحرافات الفكرية والحدائثية التي تفصل النص عن مقاصده أو تخضعه لسلطان الواقع المتغيّر.

4- أن المنهج التنزيلي يُبرز فاعلية النص القرآني وصلاحيته لكل زمان ومكان، من خلال إظهار مرونة الخطاب الإلهي في معالجة القضايا العقدية والاجتماعية والسياسية، مع الحفاظ على وحدة المقصد وثبات الأصول.

5- أن النماذج التطبيقية المدروسة تؤكد الطابع العملي للتفسير التنزيلي، إذ تُظهر كيف ينتقل النص من معالجة الواقعة الجزئية إلى تأسيس القاعدة الكلية والسُنن العامة، بما يجعل القرآن مصدرًا دائمًا للتوجيه والإصلاح، لا مجرد نص تاريخي مرتبط بزمان النزول.

6- أن الخلط بين التفسير التنزيلي والتنزيل الاجتهادي للأحكام من أبرز أسباب الانحراف في فهم النص، وأن الفصل المنهجي بين المقامين ضرورة علمية لضمان سلامة التعامل مع الوحي.

وانطلاقًا من هذه النتائج، يوصي البحث بما يأتي:

1- العناية بإدراج التفسير التنزيلي ضمن الدراسات التفسيرية المعاصرة، بوصفه منهجًا ضابطًا للفهم، لا مجرد اتجاه تفسيري جزئي.

2- تعزيز الدراسات التطبيقية في التفسير التنزيلي، خاصة في القضايا الاجتماعية والسياسية والفكرية المعاصرة، مع الالتزام الصارم بالضوابط العقدية والشرعية والمقاصدية.

3- الدعوة إلى التمييز المنهجي الواضح بين التفسير، وفقه التنزيل، والاجتهاد التطبيقي في البحوث الأكاديمية والخطاب الدعوي، منعًا للتوظيف الخاطئ للنصوص.

4- الاستفادة من المنهج التنزيلي في الخطاب التربوي والدعوي؛ لما له من أثر في بناء الوعي السُنني، وترسيخ فقه التدرج، وتعميق فهم سنن التغيير والنصر والهزيمة.

5- تشجيع الباحثين على إعادة قراءة التفسيرات التراثية الكبرى - كابن جرير، وابن تيمية، وابن عاشور، والشاطبي - قراءة تنزيلية تستخرج الأبعاد المنهجية الكامنة فيها، وتفعّلها في الواقع المعاصر.

وقد خلص البحث إلى أن التفسير التنزيلي - عند ضبطه بضوابطه العلمية- يمثل أداة تفسيرية مساعدة تُسهم في وصل دلالة النص القرآني بسياقات الواقع

المتجدد، دون أن يستقل بمنهج تفسيري منفصل عن الأصول المقررة عند المفسرين، كما بين البحث أن الخلل لا يكمن في أصل التنزيل، وإنما في غياب الإطار المنهجي المنضبط الذي يحكم ممارسته، وهو ما سعت هذه الدراسة إلى تعقيده وبيان معالمه.

المصادر والمراجع:

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. إعلام الموقعين عن رب العالمين. دار الكتب العلمية- بيروت، 1991م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى. مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، 1995م.
ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير. دار ابن الجوزي، الدمام، 1988م.
ابن رشد، محمد بن أحمد. الضروري في أصول الفقه. منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983م.
ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، ط2، 2001م.

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر، بيروت، 1994م.
إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، دار المنار، القاهرة، 1997م.
البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، 2002م.
البغوي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل. دار طيبة، الرياض، 1989م.
بور، عبد الكريم بهجت، التفسير التنزيلى: المبادئ والأصول والقواعد والفوائد، دار الطباعة والنشر بمعهد الثقافة والفكر الإسلامي.

الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، 2003م.
جغيم، نعمان، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، دار النفائس- عمان، 2012م.
الخادمي، نور الدين، التفسير المقاصدي للقرآن الكريم. دار ابن كثير - دمشق، 2011م.
دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، دار القلم- الكويت، 1970م.
الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري-السعودية، ط/الأولى 1407هـ.
الريسوني، أحمد، الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده، دار الكلمة- بيروت، 1993م.
الريسوني، قطب، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر (مدخل إلى نقد القراءات وتأسيس علم التدبر القرآني). دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2010م.
الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، 1988م.

- السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، دار الفكر - بيروت، 1996م.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة - بيروت 1997م.
- الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل آي القرآن. دار هجر، القاهرة، 2001م.
- عباس، فضل، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، دار النفائس - الأردن، ط/ الأولى.
- عباس، فضل حسن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، ط/ الثالثة.
- عباس، فضل حسن، المنهل العذب في علوم القرآن، دار الفرقان، ط1، 1425هـ.
- العلواني، طه جابر. الجمع بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون. دار الشروق، 2006
- الغزالي، محمد بن محمد، كيف نتعامل مع القرآن، دار النهضة - مصر، ط/الأول 1416هـ
- القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف - الرياض، 1996م.
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 2002م.
- الميداني، عبد الرحمن حبنكة، قواعد التدبر الأمثل، دار القلم - دمشق، 2005م.
- النبهان، محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار القلم - دمشق، 2004م
- نجيب، أحمد؛ وأوزدمير، بشرى. "دور التفسير الحضاري للقرآن الكريم في بناء الهوية الإسلامية". مجلة دوزجة الإلهيات، المجلد 9 (Düzce İlahiyat Dergisi)، عدد 2 (ديسمبر 2025): 610-640.
- نور الدين، لعموري، وبلخير، طاهري، تجدد الخطاب القرآني - قراءة تدبرية في فاعلية النص القرآني وإعجازه مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 10 - العدد 2، السنة: 2025م، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر

الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير دراسة استقرائية استنباطية

الباحث محمد بن منصور الزياي

باحث دكتوراه بقسم أصول الفقه - كلية الشريعة - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Alziyadi5555@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/8/30 تاريخ قبول البحث 2025/11/5

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.254>

ملخص:

سعى هذا البحث إلى جمع الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير، مع ذكر بعض أعيانهم في المواضع التي لم يصرَّح فيها بذكر أسمائهم. ويهدف لبيان المقصود بالمحققين، وجمع الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير. والبحث قائم على استنباط المقصود بالمحققين، ومعرفة بعض أعيانهم، مع استقراء كتاب التَّحْبِير، وجمع الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين فيه. وخُصَّ البحث إلى جمع ثمانية أقوال نسبها المرداوي إلى المحققين، مع ذكر بعض الأعلام الذين وصفهم المرداوي بالمحققين نصًّا أو ظاهراً، والتَّوصية بجمع الأقوال المنسوبة للمحققين عند بقيَّة العلماء في مختلف الكتب. وقد جاء بعنوان: "الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير - دراسة استقرائية استنباطية".

الكلمات المفتاحية: المرداوي، الأقوال، المحققون، أصول الفقه.

The Usuli Statements Attributed by al-Mardawi to the Verifying Scholars in the Book al-Tahbir: An Inductive and Deductive Study

Mohammed bin Mansur Al-Ziyadi

PhD Researcher in the Department of Usul al-Fiqh – College of Sharia – Islamic University in al-Madinah al-Munawwarah

Abstract:

This research addresses the compilation of the Usuli statements that al-Mardawi attributed to the verifying scholars (muhaqqiqun) in the book al-Tahbir, including identifying some of these scholars in instances where al-Mardawi did not explicitly mention their names. The study aims to clarify the intended meaning of muhaqqiqun and to gather the Usuli statements that al-Mardawi attributed to them in al-Tahbir. The research is based on deducing who the muhaqqiqun are, identifying some of their prominent figures, surveying al-Tahbir, and collecting the Usuli statements attributed to them within it. The study concluded with the collection of eight statements that al-Mardawi attributed to the verifying scholars, along with identifying some prominent figures whom he explicitly or implicitly described as such, and recommending the compilation of similar statements attributed to verifying scholars by other scholars across various works.

Keywords: al-Mardawi, statements, verifying scholars, Usul al-Fiqh

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين؛ سيدنا محمد، وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد؛ فإنَّ المدونات الأصولية تضمُّ العديد من الأقوال في مختلف المسائل الأصولية وجزئياتها، وهذه الأقوال ليست على درجة واحدة من الصِّحة والفساد، والتَّحْرِير والإجمال.

ومن أبرز العوامل في المؤثرة في ذلك: النَّظَر في قائلِي هذه الأقوال؛ فإنَّ أهل النَّحْقِيق والتَّدْقِيق تكون أقوالهم أقرب إلى الصِّحَّة والتَّحْريِر، بخلاف أقوال مَنْ لم يُوصَف بالعلم، أو جمع علمًا ولم يَحْقِّقه، وركن للتَّقليد، ولم يعتنِ بالتَّدْقِيق والتَّفْصِيل في تحرير المسائل؛ فإنَّ هؤلاء يكثر في أقوالهم الإجمال الذي يشتمل على الصَّحيح والفاسد، أو ما هو فاسد في كلّ جزئياته.

ولمَّا كان "المرداوي" من أبرز العلماء المتقنين المحقِّقين لكثير من الفنون، وكان كتابه "التَّحْبِير" من أوسع الكتب الأصوليَّة حكاية للأقوال؛ رغبْتُ في جمع الأقوال التي نُسبت لأهل التَّحْقِيق من هذا العَلَم، في هذا السِّفر المذكور، وقد حاولت الوقوف على بعض مَنْ قصدهم في المواضع التي لم يصرِّح فيها بذكر المحقِّقين المقصودين، وقد وسمته ب: "الأقوال الأصوليَّة التي نسبها المرادويُّ للمحقِّقين في كتاب التَّحْبِير - دراسة استقرائيَّة استنباطيَّة".

أهمية الموضوع:

1. يكثر في المدونات الأصوليَّة نسبة الأقوال للمحقِّقين؛ وهذا يستدعي بيان المقصود بهم.
2. فيه تصريح بذكر بعض العلماء المحقِّقين بحسب ما يراه المرادويُّ.
3. أنَّه متعلِّق بجمع أقوال نُسبت للمحقِّقين؛ وفي الاطلاع عليها فائدة كبيرة بجهد يسير.

4. يَحَقِّق فائدة من فوائد التَّأليف؛ وهو جمع ما تفرَّق.

أسباب اختيار الموضوع:

1. أهمية الموضوع على النَّحو الذي سبق توضيحه.
2. الرغبة بالاطلاع على الأقوال الأصوليَّة التي نسبها المرادويُّ للمحقِّقين في كتاب التَّحْبِير، ومعرفة بعض أعيانهم.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول وجود أقوال أصولية في مسائل متفرقة نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير، دون بيان المقصود بالمحققين، والتَّنْصِص على أعيانهم.

تساؤلات البحث:

1. ما المقصود بالمحققين؟
2. ما الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير؟
3. ومن هم المحققون الذين قصد المرداوي نسبة الأقوال إليهم؟

حدود البحث:

نقتصر هذه الدراسة على الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير، دون التَّطَرُّق للأقوال التي حكى المرداوي عن غيره أنه نسبها للمحققين، وكذلك دون التَّطَرُّق للأقوال التي ليس لها علاقة ظاهرة بأصول الفقه.

أهداف البحث:

1. بيان المقصود بالمحققين.
2. جمع الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير.
3. لفت الأنظار لأهمية الاطلاع على أقوال المحققين.

الدراسات السابقة:

لم أقف دراسة أصولية سابقة اهتمت بجمع الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي أو غيره للمحققين، سواء أكانت في كتاب التَّحْبِير أم في غيره.

خطة البحث:

يتكوّن هذا البحث من مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة. **المقدّمة**، وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وتساؤلاته، وحدوده، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخُطّته، ومنهجه، وإجراءاته.

التَّمهيد: التعريف بالمرداويّ، وبكتاب التَّحبير، وبيان المقصود بالمحقِّقين.
وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالمرداويّ.

المسألة الثَّانية: التعريف بكتاب التَّحبير.

المسألة الثَّالثة: بيان المقصود بالمحقِّقين.

المطلب الأوَّل: الأقوال الأصوليّة التي نسبها المرداويّ للمحقِّقين في كتاب

التَّحبير في باب الحكم، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التَّكليف بالفعل قبل حدوثه.

المسألة الثَّانية: التَّفريق بين الأداء والمودّي، والقضاء والمقضي.

المطلب الثَّاني: الأقوال الأصوليّة التي نسبها المرداويّ للمحقِّقين في كتاب

التَّحبير في باب الأدلّة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إعجاز القرآن الكريم.

المسألة الثَّانية: انحصار التَّواتر في عدد.

المسألة الثَّالثة: إفادة خبر الأحاد للعلم.

المطلب الثَّالث: الأقوال الأصوليّة التي نسبها المرداويّ للمحقِّقين في كتاب

التَّحبير في باب دلالات الألفاظ، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما الذي تُفيده الفاء العاطفة؟

المسألة الثَّانية: التَّدْرُج بالبيان.

المسألة الثَّالثة: حصر المبتدأ في الخبر.

الخاتمة، وفيها: أهمُّ التَّنائج، وأبرز التَّوصيات.

منهج البحث وإجراءاته:

منهج البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي؛ وذلك باستنباط المقصود

بالمحقِّقين ومعرفة بعض أعيانهم، مع استقراء كتاب التَّحبير، وجمع الأقوال الأصوليّة

التي نسبها المرداويّ للمحقِّقين فيه وفق الإجراءات الآتية:

1. ذكر المسألة الأصولية التي حكى المرداوي فيها قولاً للمحققين، مع بيان مختصر لها.
2. ذكر نص المرداوي الذي حكى فيه قول المحققين.
3. عدم التطرق للأقوال التي حكى المرداوي عن غيره أنه نسبها للمحققين، وكذلك الأقوال التي ليس لها علاقة ظاهرة بأصول الفقه؛ لأن المرداوي يذكر - أحياناً - مسائل خارجة عن علم الأصول.
4. بيان المقصود بالمحققين في كلّ مسألة؛ بذكر بعض أعيان، فإذا نص المرداوي على بعض أعيانهم؛ اكتفي بذلك، أمّا إذا لم ينص على بعض أعيانهم - وهو الغالب -؛ استنبط المقصود بما يظهر للباحث.
5. الاكتفاء بترجمة موجزة للمرداوي، مع بيان مختصر لكتاب التَّحْبِير.
6. عزو الآيات، وبيان سورها عقب ذكر الآية مباشرة.
7. عدم ذكر ترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث؛ مراعاة للاختصار، والاكتفاء بذكر سنة الوفاة في أول موضع ذكر فيه العلم.
8. الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يُشكل من الكلمات.

التمهيد: التعريف بالمرداوي، وكتاب التَّحْبِير، وبيان المقصود بالمحققين

ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بالمرداوي.

المسألة الثانية: التعريف بكتاب التَّحْبِير.

المسألة الثالثة: بيان المقصود بالمحققين.

المسألة الأولى: التعريف بالمرداوي:

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد بن محمد المرداوي السَّعْدِي، ثمَّ الصَّالِحِي الحنبلي.

لقب بعدة ألقاب؛ منها: شيخ المذهب، والمنقح؛ لأنه نفّح "المقنع" لابن قدامة (ت 620هـ) في كتابه "التنقيح المشبع".

ولد سنة (817هـ) بمزدا - وهي قرية صغيرة قرب نابلس بفلسطين - ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، واشتغل بطلب العلوم الشرعية على مشايخ بلده، فتعلّم الفقه والعربية والحساب والفرائض والأصول والتفسير وعلوم الحديث، ولازم المشايخ. له مصنّفات عدّة؛ أبرزها:

- "الإنصاف في معرفة الرّاجح من الخلاف"، عمله تصحيحًا وشرحًا لكتاب "المقنع" لابن قدامة.

- "تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول" في أصول الفقه، ذكر فيه مذاهب الأئمة الأربعة، وقدم الصحيح من مذهب الإمام أحمد، وشرحه بشرح سماه "التحبير شرح التحرير"، وهو الكتاب الذي تتعلّق به هذه الدراسة.

قضى المرداوي حياته بين الدّرس والتّدريس، والإفتاء والقضاء، والتّأليف، وتنقّل بين الأمصار الإسلاميّة، وصار قبلّة للحنابلة يقصدونه للاستفتاء والقراءة عليه، وكان عالمًا باللّغة والتّصريف والمنطق والمعاني وغير ذلك. وكان رحمه الله صالحًا دينيًا ورعًا، يقول عنه تلميذه ابن عبد الهادي (ت 909هـ): "له حظّ من العبادة والدّين والورع"، وقال عنه الشّوكاني (ت 1250هـ): "عالم، متقن، محقّق لكثير من الفنون، منصّف منقاد إلى الحقّ، متعفّف، ورع".

توفي رحمه الله بصالحية دمشق، يوم الجمعة سنة (885هـ)، بمنزله بالصالحية، وصليّ عليه بجامع الحنابلة، المعروف بالجامع المظفرّي بعد صلاة الظهر، ودُفن بسفح قاسيون قرب الرّوضة، في أرض اشتراها بماله⁽¹⁾.

(1) انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: 225/5؛ الجواهر المنضد: 99/1؛ شذرات الذهب: 510/9؛ البدر الطالع

بمحاسن من بعد القرن السابع: 1/ 446؛ السحب الوابرة: 739/2؛ المنخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران؛

409؛ مقدمة تحقيق تحرير المنقول: 26-39.

المسألة الثانية: التعريف بكتاب التَّحْبِير:

كتاب "التَّحْبِير شرح التَّحْرِير" هو شرح لمتن في أصول الفقه للمرداوي سَمَّاه "تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول"، وهو كتابٌ مختَصَرٌ في أصول الفقه، جامعٌ لمعظم أحكامه، حاوٍ لقواعده وضوابطه وأقسامه، مشتملٌ على مذاهب الأئمة الأربعة الأعلام وأتباعهم وغيرهم، ولكن على سبيل الإعلام، اجتهد مؤلفه في تحرير نقوله وتهذيب أصوله.

وبعد تصنيفه للمختصر؛ رغب المرداوي في إضافة شرح له؛ لتوضيح ما غمض، وحلِّ ما أشكل، فقال رحمه الله: "ولما رأيت الطلبة قد أقبلوا عليه [أي: المختصر]، واعتنوا به وتوجهوا إليه؛ أحببت أن أعلِّق عليه شرحاً واضحاً، يُرجع إليه عند حلِّ المشكلات، ويُعتمد عليه عند وجود المعضلات، فوضعنا هذا الشرح محيطاً بجُلِّ أطرافه، ومستوعباً لمسائله من أكنافه"⁽¹⁾.

والكتاب يحتوي على اثنين وثلاثين موضوعاً رئيساً، منها ثمانية عشر موضوعاً مندرج تحت مسمًى "باب"، وضمَّن كتابه كثيراً من الفوائد والتَّنبِهاة⁽²⁾.

المسألة الثالثة: بيان المقصود بالمحققين:

المَحَقِّقون في اللغة: جمع مَحَقَّق، وهو اسم فاعل من حَقَّقَ يُحَقِّق، وهو يدلُّ على إحكام الشَّيء وصحَّته، وحَقَّقَ الشَّيء: أثبتَه وأوجبَه، وحَقَّقَت الخبر فأنا أحقُّه: وقفت على حقيقته⁽³⁾.

ولم أقف على مَنْ ذكر تعريفاً للمَحَقِّقِينَ في الاصطلاح، مع كثرة الأقوال المنسوبة إليهم مِنْ جَمْعٍ من الأعلام⁽⁴⁾.

(1) التحبير شرح التحرير : 3/1.

(2) مقدمة تحقيق التحبير شرح التحرير: 106.

(3) انظر: مقاييس اللغة: 15/2؛ أساس البلاغة: 203/1.

(4) انظر: التلخيص للجويني: 1/ 131؛ قواطع الأدلة: 1/ 213؛ الواضح لابن عقيل: 3/ 152.

وأول مَنْ وقفت عليه ناسبًا قولًا أصوليًا إلى المحققين هو الباقلاني (ت 403هـ)؛ حيث قال - في مسألة: هل الأمر يتناول الذكر والأنثى، والحرُّ والعبد؟ -: "ذهب المحققون من الداهيين إلى إثبات صيغة العموم من الفقهاء والمتكلمين إلى وجوب استغراق اللفظ العام لجميع ما يتناوله الاسم"⁽¹⁾. ويمكن أن يُقال في بيان المقصود بالمحققين: هم العلماء الذين لا يركنون للتقليد، ويعتنون بالتدقيق والتفصيل في تحرير المسائل.

المطلب الأول: الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير في باب الحكم

ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: التَّكْلِيف بالفعل قبل حدوثه.

المسألة الثانية: التَّفْرِيق بين الأداء والموَدَّى، والقضاء والمقضي.

المسألة الأولى: التَّكْلِيف بالفعل قبل حدوثه:

ذكر الأصوليون أنَّ (مسألة التَّكْلِيف بالفعل قبل حدوثه) مِنْ أَشْكَلِ مسائل أصول الفقه؛ لِمَا فِيهَا مِنْ اضطراب المنقول، وغموض المعقول، وهي في الحقيقة دَخِيلَةٌ فِيهِ، وإِنَّمَا هي مِنْ عِظَائِمِ مسائل الكلام⁽²⁾، وقال القرافي (ت 684هـ) رحمه الله: "لَعَلَّهَا أَغْمَضُ مسألة في أصول الفقه، والعبارات فيها عسرة النَّفْهَم"⁽³⁾.

وبعد ذكر الأقوال في المسألة قال المرداوي رحمه الله: "قال المحققون: الإجماع على أن أمر الرسول ﷺ يتناولنا، وهو مقدَّم، وهي أوامر؛ فالقول بالإعلام باطل، ولم يفتقر إلى أمر آخر"⁽⁴⁾.

(1) التَّحْبِير والإرشاد - الصغير: 2/ 173.

(2) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج: 421/2؛ الفوائد السنية في شرح الألفية: 177/1؛ الدرر اللوامع: 386/1؛ الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة: 42/1.

(3) شرح تنقيح الفصول: 146.

(4) التَّحْبِير شرح التحرير: 1168/3.

ولعلَّ القرافيَّ مِنْ ضمن مَنْ قصدَهم المرداويُّ؛ حيث إنَّه قد قال: "وقد أجمع المسلمون على أنَّ أوامر رسول الله ﷺ تتناولنا، وهي متقدِّمة علينا، وأنَّها أوامر؛ فالقول بالإعلام باطل، ولأنَّه لا يحتاج لأمر آخر بعده"⁽¹⁾.

المسألة الثانية: التَّفريق بين الأداء والمؤدَّى، والقضاء والمقضي:

ذكر بعضُ الأصوليين أنَّ الأداء والقضاء إنَّما هو للفعل لا المفعول⁽²⁾، قال النَّجاشي (ت 771هـ) رحمه الله: "الأداء فعل بعض - وقيل: كلٌّ - ما دخل وقته قبل خروجه، والمؤدَّى ما فعل.

...، والقضاء فعل كلٌّ - وقيل: بعض - ما خرج وقت أدائه، استدراكًا لما سبق له، مقتضى للفعل مطلقًا، والمقضي المفعول"⁽³⁾.

ونقل المرداويُّ عن بعض المحقِّقين أنَّ هذا التَّفريق لا طائل تحته فقال: "قال بعض المحقِّقين: وهو تحقيق لا طائل تحته؛ فإنَّ القضاء والأداء في عبارة الأصوليين والفقهاء يُراد به المفعول، من إطلاق المصدر على المفعول، واشتهر ذلك في استعمالهم حتى صار حقيقة عرفية.

وأيضًا: فالعبادة قبل إيقاعها ليس لها وجود خارجي يقع الفعل عليه حتى يكون مفعولًا حقيقة، ويقع الفرق فيه بين الفعل والمفعول.

فحينئذٍ إيقاع العبادة ووقوعها وفعلها وذاتها كلُّها واحد، يصحُّ وصف العبادة بالأداء وبالمؤدَّة، وبالقضاء والمقضية"⁽⁴⁾.

ولعلَّ المرداويَّ قد قصد البرماويَّ بعبارته السابقة - بعض المحقِّقين -؛ حيث إنَّه قد قال: "... ولكنَّه تحقيق لا طائل تحته، فإنَّ (الأداء) و(القضاء) في عبارة

(1) شرح تنقيح الفصول: 148.

(2) انظر: تشنيف المسامع: 189/1؛ الفوائد السنية في شرح الألفية: 320/1.

(3) جمع الجوامع: 15.

(4) التحبير شرح التحرير: 868/2.

الأصوليين والفقهاء يُراد بها المفعول، مِنْ إطلاق المَصْدَر على المفعول، واشتهر ذلك في استعمالهم حتى صار حقيقة عُرْفِيَّة.

وأيضًا: فالعبادة قبل إيقاعها ليس لها وجود خارجي يقع الفعل عليه حتى يكون مفعولاً حقيقة ويقع الفرق فيه بين الفعل والمفعول، فحينئذٍ إيقاع العبادة ووقوعها وفعلها وذاتها كله واحد، فَصَحَّ وَصَفُ العبادة بالأداء وبالمؤداة وبالقضاء والمقضية، فأعْلَمَ ذلك⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير في باب الأدلة

ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: إعجاز القرآن الكريم.

المسألة الثانية: انحصار التواتر في عدد.

المسألة الثالثة: إفادة خبر الأحاد للعلم.

المسألة الأولى: إعجاز القرآن الكريم:

اختلف الأصوليون في إعجاز القرآن الكريم: هل هو خاصٌّ بالسُّور الكاملة، أم أنَّه - أيضًا - يكون في الآية أو في جزء منها؛ فذكر القاضي أبو يعلى (ت 458هـ) وغيره: أنَّ الإعجاز يكون في بعض آية⁽²⁾.

وذكر أبو الخطَّاب (ت 510هـ): أنَّه لا إعجاز في بعض آية⁽³⁾.

(1) الفوائد السنية في شرح الألفية: 321/1.

(2) انظر: أصول الفقه لابن مفلح: 308/1؛ الفروع: 177/2؛ شرح مختصر أصول الفقه للجراعي: 515/1؛

المختصر في أصول الفقه: 71.

(3) انظر: التمهيد لأبي الخطَّاب: 371/2.

وذهب الحنفية إلى أنَّ ما دون الآية غير معجز، وكذلك الآية القصيرة⁽¹⁾.

وذهب أكثر العلماء إلى أنَّ أقلَّ ما يعجز عنه من القرآن: السُّورة؛ قصيرة كانت أو طويلة، أو ما كان بقدرها⁽²⁾.

وبعد سرد أقوال العلماء في هذه المسألة قال المرداوي: "قال بعض المحققين: القرآن كُلُّه معجز، لكن منه ما لو انفرد لكان معجزاً بذاته، ومنه ما إعجازه مع الانضمام"⁽³⁾.

ولعلَّ المرداويَّ قد قصد البرماويَّ بعبارته السابقة - بعض المحققين -؛ حيث إنَّه قد قال: "القرآن كُلُّه معجزٌ؛ لكن منه ما لو أُفرد لكان معجزاً بذاته، ومنه ما إعجازه مع الانضمام"⁽⁴⁾.

المسألة الثانية: انحصار التواتر في عدد:

اختلف الأصوليون في العدد الذي يُفيد التواتر؛ فذهب قوم إلى أن خبر التواتر يقع بخمسة؛ ليزيد على أكثر عدد الشهود، وحكي هذا القول عن الجُبَّائي (ت 303هـ)⁽⁵⁾.

وقال قوم: اثنا عشر؛ بعدد النُّقباء⁽⁶⁾.

وقال قوم: عشرون؛ لقوله: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} [سورة الأنفال: 65]، وهذا القول نُقل عن أبي الهذيل (ت 235هـ) وغيره من المعتزلة⁽⁷⁾.

(1) انظر: أصول السرخسي: 280/1؛ التلويح على التوضيح: 47/1.

(2) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: 85؛ البرهان للزركشي: 108/2؛ دراسات أصولية في القرآن الكريم: 111.

(3) التحبير شرح التحرير: 1357/3.

(4) الفوائد السنية في شرح الألفية: 365/1.

(5) انظر: التبصرة للشَّيرازي: 295؛ الواضح لابن عقيل: 355/4؛ المسودة لآل تيمية: 236.

(6) انظر: قواطع الأدلة: 326/1؛ المسودة لآل تيمية: 236؛ أصول الفقه لابن مفلح: 481/2.

(7) انظر: الإحكام للأمدى: 26/2؛ أصول الفقه لابن مفلح: 481/2؛ البحر المحيط للزركشي: 97/6.

وقال قوم: سبعون؛ بعدد أصحاب موسى⁽¹⁾.

وقال قوم: ثلاث مئة وكسر؛ بعدد أصحاب نبينا ﷺ يوم بدر⁽²⁾.

وقيل غير ذلك⁽³⁾.

وذهب الأكثر إلى أنه ليس في التواتر عدد محصور⁽⁴⁾.

ونذكر المرداوي أن قول المحققين أنه لا ينحصر بعدد فقال: "أصحابنا والمحققون: لا ينحصر عدد التواتر في عدد؛ بل ما حصل العلم عنده فيعلم أيضًا حصول العدد، ولا دور"⁽⁵⁾، وهذا هو قول أكثر العلماء؛ منهم: أبو الخطاب، وابن الحاجب (ت 646هـ)⁽⁶⁾.

المسألة الثالثة: إفادة خبر الأحاد للعلم:

اختلف الأصوليون في ما يفيد خبر الواحد العدل؛ هل يفيد العلم أو الظن؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن خبر الواحد يفيد الظن، ولا يفيد العلم مطلقًا، حكي عن أكثر العلماء⁽⁷⁾.

(1) انظر: البحر المحيط للزركشي: 97/6؛ الغيث الهامع: 411.

(2) انظر: الإحكام للآمدي: 26/2؛ الواضح لابن عقيل: 355/4.

(3) انظر: العدة لأبي يعلى: 856/3؛ قواطع الأدلة: 326/1؛ تشنيف المسامع: 948/2.

(4) انظر: التمهيد لأبي الخطاب: 28/3؛ رفع الحاجب: 303/2؛ البحر المحيط للزركشي: 96/6؛ الغيث الهامع: 410.

(5) التحبير شرح التحرير: 1782/4.

(6) انظر: التمهيد لأبي الخطاب: 28/3؛ رفع الحاجب: 303/2؛ البحر المحيط للزركشي: 96/6؛ الغيث الهامع: 410؛ فواتح الرحموت: 144/2.

(7) انظر: المجزي للهاروني: 83/2؛ أصول السرخسي: 321/1؛ قواطع الأدلة: 333/1؛ الإحكام للآمدي: 32/2؛ شرح مختصر الروضة: 103/2.

القول الثاني: أنَّ خبر الواحد يُفيد العلم إذا انَّصل برواية العدول، وهو قول جمهور أهل الظَّاهر، وجماعة من المحدثين، وإحدى الرِّوايتين عن أحمد، وحكاه ابن خويز منداد (ت 390هـ) عن مالك، وغيرهم⁽¹⁾.

القول الثالث: التَّفصيل؛ وهو أنَّ الخبر المحفوف بالقرائن يُفيد العلم، وأنَّ ما لم تحفه القرائن يُفيد الظَّنَّ، وهو قول النُّظام (ت 231هـ)، والآمدي (ت 631هـ)، وابن الحاجب، وغيرهم⁽²⁾.

ونذكر المرداوي أنَّ المحققين يرون أنَّ خبر الواحد قد يُفيد العلم بشروط حيث قال: "وقال المحققون من أصحابنا وغيرهم: لو نقله آحاد الأئمة المنقَّ على عدالتهم ودينهم من طرق متساوية، وتلقَّي بالقبول؛ أفاد العلم"⁽³⁾.

ولعلَّ القاضي أبا يعلى من ضمن من قصد المرداوي بقوله - المحققون من أصحابنا -؛ ففي المسودة: "قال القاضي في مقدِّمة المجرّد: خبر الواحد يوجب العلم إذا صحَّ سنده، ولم تختلف الرواية به، وتلقَّته الأئمة بالقبول"⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: الأقوال الأصولية التي نسبها المرداوي للمحققين في كتاب التَّحْبِير في باب دلالات الألفاظ

ويشتمل على ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: ما الذي تُفيده الفاء العاطفة؟

المسألة الثانية: التَّدْرُج بالبيان.

المسألة الثالثة: حصر المبتدأ في الخبر.

(1) انظر: الإحكام لابن حزم: 108/1؛ شرح مختصر الروضة: 103/2؛ البحر المحيط للزركشي: 134/6؛ المختصر لابن اللّحّام: 83؛ شرح مختصر أصول الفقه للجرّاعي: 175/2.

(2) انظر: المعتمد في أصول الفقه: 92/2؛ قواطع الأدلة: 333/1؛ الإحكام للآمدي: 32/2؛ مختصر ابن الحاجب: 534/1.

(3) التحبير شرح التحرير: 1813/4.

(4) المسودة لآل تيمية: 247.

المسألة الأولى: ما الذي تفيده الفاء العاطفة؟

ذكر الأصوليون وأهل اللغة أنَّ الفاء تفيد التَّرتيب والتَّعقيب⁽¹⁾، والمشهور أنَّ معنى التعقيب: كون الثاني بعد الأول بغير مهلة⁽²⁾.

وذهب قوم - منهم: ابن مالك⁽³⁾ (ت 672هـ) - إلى أنَّ الفاء قد تكون للمهلة بمعنى ثمَّ، وجعل من ذلك قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً} [سورة الحج: 63]⁽⁴⁾. وقد تؤلّت هذه الآية على أنَّ {صم} معطوف على محذوف، تقديره: أنبتنا به، فطال النبت، فتصبح⁽⁵⁾.

ولإيضاح المقصود بالتَّعقيب قال المرداوي رحمه الله: "قال المحقّقون: تعقيب كلّ شيء بحسبه، فيقال: تزوج فلان فولد له، إذا لم يكن بينهما إلا مدّة الحمل، وإن طالت"⁽⁶⁾.

ولعلّ المرداويّ قد قصد البرماويّ بعبارته السَّابقة - بعض المحقّقين -؛ حيث إنّه قد قال: "المعاقبة فيها في كلّ شيء بحسبه؛ فهذا يقال: (تزوج فلان فولد له)، ليس المراد أنّها ولدت عقب التَّزوّج في الزَّمان، بل أنّه لم يكن بينهما مهلة غير مدّة الحمل ولو تطاولت"⁽⁷⁾.

المسألة الثانية: التَّدْرُج بالبيان:

اختلف الأصوليون في جواز التَّدْرُج بالبيان - بأن يبيّن تخصيصاً بعد تخصيص - على أقوال:

(1) انظر: اللُّمع للشيرازي: 65؛ البرهان للجويني: 51/1؛ قطر الندى: 23؛ شرح الأزهريّة: 34.

(2) انظر: التقريب والإرشاد - الصغير: 416/1؛ الواضح لابن عقيل: 115/1.

(3) انظر: شرح التسهيل لابن مالك: 354/3.

(4) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: 62.

(5) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني: 62.

(6) التحبير شرح التحرير: 613/2.

(7) انظر: الفوائد السنية في شرح الألفية: 1089/3.

القول الأول: يجوز ذلك في الثاني، والثالث وما بعدهما كالأول، فيقال - مثلاً -
-: اقتلوا المشركين، ثمَّ يقال: سلخ الأشهر، ثمَّ يقال: الحربيين، ثمَّ يقال: إذا كانوا
رجالاً، وهو قول أكثر العلماء⁽¹⁾.

القول الثاني: يجوز ذلك في المجمل، وأما في العموم فعلى الخلاف في البيان
الأول⁽²⁾.

القول الثالث: يجوز إذا علم المكلف أنَّ فيه بياناً متوقعاً⁽³⁾.

القول الرابع: لا يجوز مطلقاً فيمتنع في الثاني، وما بعده؛ لأنَّ قضية البيان أن
يكمله أولاً⁽⁴⁾.

وعند حكاية القول الأول قال المرداوي: "وهو قول أصحابنا، والمحققين"⁽⁵⁾، وفي
هذا الموضع صرَّح المرداوي ببعض المحققين الذين قصدتهم فقال: "منهم: القاضي أبو
بكر الباقلاني"⁽⁶⁾.

المسألة الثالثة: حصر المبتدأ في الخبر:

اختلف الأصوليون في حصر المبتدأ في الخبر - نحو: صديقي زيد، العالم زيد
- هل يُفيدة نطقاً؟ أو فهماً؟ أو لا يُفيدة؟ على ثلاثة أقوال:
القول الأول: يُفيدة نطقاً، وهو قول القاضي أبي يعلى، وابن قدامة، وجماعة من
الأصوليين⁽⁷⁾.

(1) انظر: المستصفى: 195؛ الإحكام للأمدى: 50/3؛ أصول الفقه لابن مفلح: 1037/3؛ الفوائد السنية في شرح
الألفية: 1774/4.

(2) انظر: الفوائد السنية في شرح الألفية: 1774/4؛ شرح الكوكب المنير: 455/3.

(3) انظر: التلخيص للجويني: 224/2؛ البحر المحيط للزركشي: 118/5؛ الفوائد السنية في شرح الألفية: 1774/4.

(4) انظر: البحر المحيط للزركشي: 118/5؛ الفوائد السنية في شرح الألفية: 1774/4؛ شرح الكوكب المنير:
455/3.

(5) التحبير شرح التحرير: 2833/6.

(6) التحبير شرح التحرير: 2833/6؛ انظر: التلخيص للجويني: 223/2.

(7) انظر: روضة الناظر: 129/2؛ أصول الفقه لابن مفلح: 1108/3؛ رفع الحاجب: 19/4.

القول الثَّاني: يُفِيدُه فهمًا، وهو قول الغزالي، وبعض الفقهاء⁽¹⁾.

القول الثَّالث: لا يُفِيدُ الحصر، وهو قول الحنفيَّة، وجماعة من المتكلمين⁽²⁾.

وقال المرداويُّ عند حكاية القول الأوَّل: "تحريمها التَّكبير وتحليلها التَّسليم، والعالم زيد، وصديقي زيد، ولا قرينة عهد تُفِيدُ الحصر نطقًا، عند القاضي، والموفق، والمجد، والمحقِّقين"⁽³⁾.

والظَّاهر أنَّ المرداويَّ قد قصد الرَّاзи في النَّصِّ السَّابِق؛ حيث إنَّه قال في الشرح: "... إذا عُلِمَ ذلك؛ فالصَّحيح أنَّه يُفِيدُ ذلك نطقًا عند القاضي، والموفق، والمجد، والرَّازي، وأتباعه، وغيرهم"⁽⁴⁾.

خاتمة البحث

الحمد لله على ما يسَّر وأعان، وبلَّغنا الختام، وهذه أبرز النَّتائج، يليها أهمُّ النَّوَصيات:

1. المراد بالمحقِّقين: هم العلماء الذين لا يركنون للتَّقليد، ويعتنون بالتَّدقيق والتَّفصيل في تحرير المسائل.
2. يرى المحقِّقون - وفق وصف المرداويِّ -:
 - أ. أنَّ الإجماع منعقد على أنَّ أمر الرسول ﷺ يتناولنا، وهو متقدِّم علينا.
 - ب. أنَّه لا طائل في التَّفريق بين الأداء والموَدَّى، والقضاء والمقضي.
 - ج. أنَّ القرآن كُلُّه معجز، لكن منه ما لو انفرد لكان معجزًا بذاته، ومنه ما إعجازه مع الانضمام.
 - د. أنَّه لا ينحصر التَّواتر في عدد.

(1) انظر: المستصفي: 271؛ الفوائد السنية في شرح الألفية: 1037/3.

(2) انظر: شرح مختصر الروضة: 750/2؛ تيسير التحرير: 134/1؛ جامع المسائل والقواعد: 316/3.

(3) التعبير شرح التحرير: 2959/6.

(4) انظر: التعبير شرح التحرير: 2961/6؛ انظر: الفوائد السنية في شرح الألفية: 1037/3.

هـ. أن خبر الآحاد قد يُفيد العلم؛ كما لو نقله آحاد الأئمة المتفق على عدالتهم ودينهم من طرق متساوية، وتلقته الأمة بالقبول.

و. أن تعقيب كل شيء بحسبه، وإن طالّت المدّة.

ز. أنه يجوز التدرّج بالبيان؛ بأن يبيّن تخصيصاً بعد تخصيص.

ح. أن إفادة حصر المبتدأ في الخبر هي بالنطق.

3. يعدّ المرداويّ أبا بكر الباقلاني من المحقّقين؛ حيث صرّح بذكره في إحدى المسائل.

4. الظاهر أن كلاً من أبي يعلى، والرّازي، والقرافي، والبرماوي من المحقّقين بحسب ما يراه المرداويّ.

أمّا أهمّ التّوصيات فتتمثّل بجمع الأقوال المنسوبة للمحقّقين عند بقيّة العلماء، وبيان المراد بهم.

المصادر والمراجع:

الأمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، علّق عليه: عبد الرزاق عفيفي، قام بتصحيحه: عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان - علي الحمد الصالحي، ط. مؤسسة النور بالرياض، سنة 1387هـ، ثم أعاد طباعتها: المكتب الإسلامي (دمشق - بيروت) ط2، 1402هـ.

أمير بادشاه، محمد أمين، تيسير التحرير، ط. مصطفى البابي الحلبي - مصر، 1351هـ/1932م. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، التقريب والإرشاد - الصغير، قدم له وحققه وعلق عليه: د. عبد الحميد بن علي أبو زنيد، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط2، 1418هـ/1998م.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، المحقق: السيد أحمد صقر، ط. دار المعارف - مصر، ط5، 1997م.

بدران، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2.

- البرماوي، شمس الدين محمد بن عبد الدائم، الفوائد السنوية في شرح الألفية، المحقق: عبد الله رمضان موسى، مكتبة التوعية الإسلامية للتحقيق والنشر والبحث العلمي، الجيزة - مصر [طبعة خاصة بمكتبة دار النصيحة، المدينة النبوية - السعودية]، ط1، 1436هـ/2015م.
- البصري، محمد بن علي الطيب المعتزلي، المعتمد في أصول الفقه، قدم له وضبطه: خليل الميس (مدير أزهر لبنان)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1403هـ.
- البعلي الحنبلي، أحمد بن عبد الله بن أحمد، الذخر الحرير بشرح مختصر التحرير، المحقق: وائل محمد بكر زهران الشنشوري، تقديم: أحمد منصور آل سبالك، المكتبة العمرية - دار الذخائر، القاهرة - مصر، ط1، 1441هـ/2020م.
- البعلي، علي بن محمد بن عباس، المختصر في أصول الفقه، المحقق: د. محمد مظهر بقا، جامعة الملك عبد العزيز - مكة المكرمة.
- التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، التلويح على التوضيح لمتن التتقيح، ومعه: التوضيح في حل غوامض التتقيح، لصدر الشريعة المحبوبي، ط. مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - مصر.
- الجزاعي، تقي الدين أبو بكر بن زايد المقدسي الحنبلي، شرح مختصر أصول الفقه، دراسة وتحقيق: عبد العزيز القايدي، عبد الرحمن بن علي الحطاب، محمد رواس، أصل التحقيق: رسائل ماجستير بجامعة أم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط. لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الشامية - الكويت، ط1، 1433هـ/2012م.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ/1997م.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله، التلخيص في أصول الفقه، تحقيق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، ط. دار البشائر الإسلامية - بيروت.
- الجباني، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد - د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1410هـ/1990م.
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر، مختصر ابن الحاجب، تحقيق ودراسة: د. نذير حماد، دار ابن حزم، ط1، 1427هـ.
- الحراني، أحمد بن محمد بن أحمد، المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. مطبعة المدني وصورته دار الكتاب العربي.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، الإحكام في أصول الأحكام؛ قوبلت على الطبعة التي حققها: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ د. إحسان عباس، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الحفناوي، محمد إبراهيم، دراسات أصولية في القرآن الكريم، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية - القاهرة، 1422هـ/2002م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، ط. دار الكتبي، ط1، 1414هـ/1994م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، دراسة وتحقيق: د. سيد عبد العزيز - د. عبد الله ربيع، ط. مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث - توزيع المكتبة المكية، ط1، 1418هـ/1998م.

الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ/1998م.

السُّبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، جمع الجوامع، علّق عليه ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، وبأعلى الصفحات: متن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، ط. عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط1، 1999م - 1419هـ.

السبكي، علي بن عبد الكافي، وولده عبد الوهاب، الإبهاج في شرح المنهاج، دراسة وتحقيق: د. أحمد جمال الزمزمي - د. نور الدين عبد الجبار صغيري، أصل التحقيق: رسالة دكتوراه - جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ط. دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1424هـ/2004م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، أصول السرخسي، حقق أصوله: أبو الوفا الأفغاني، رئيس اللجنة العلمية لإحياء المعارف النعمانية، ط. لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد بالهند.

السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، قواطع الأدلة في الأصول، المحقق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/1999م. السيناوني، حسن بن عمر، الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في سلك جمع الجوامع، ط. مطبعة النهضة، تونس، ط1، 1928م.

الشوكانى، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط. دار المعرفة - بيروت. الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي، التبصرة في أصول الفقه، شرحه وحققه: د. محمد حسن هيتو، ط. دار الفكر - دمشق، ط1، 1980هـ.

الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، اللمع، ط. دار الكتب العلمية، ط2، 2003 م - 1424هـ. الصرصري، سليمان بن عبد القوي، شرح مختصر الروضة، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407هـ /1987م.

الظفري، علي بن عقيل، الواضح في أصول الفقه، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1420هـ/1999م.

العراقي، أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: محمد تامر حجازي، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ/2004م.

العكري، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

الغزالي، أبو حامد محمد، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1993م.

ابن فارس، أحمد مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، (1389 - 1392هـ) (1969 - 1972م).

الفراء، أبو يعلى، محمد بن الحسين، العدة في أصول الفقه، حققه وعلق عليه وخرج نصه: د. أحمد بن علي بن سير المبارك، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1410 هـ/1990م.

ابن قدامة الجعافيلي، موفق الدين عبد الله بن أحمد، روضة الناظر وجنة المناظر، قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهد: د. شعبان محمد إسماعيل، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1423هـ/2002م.

القرافي، أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط1، 1393هـ/1973م.

الكلؤداني، محفوظ بن أحمد بن الحسن، التمهيد في أصول الفقه، دراسة وتحقيق: ج1، 2 (د. مفيد محمد أبو عمشة)، ج3، 4 (د. محمد بن علي بن إبراهيم)، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1406هـ/1985م.

الكوراني، شهاب الدين أحمد بن إسماعيل، الدرر اللوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: سعيد بن غالب كامل المجيدي، أصل التحقيق: رسالة دكتوراة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط. الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، 1429هـ/2008م.

اللكنوي، عبد العلي محمد بن نظام الدين، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ضبطه وصححه: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، 1423هـ.

ابن المبرد الحنبلي، يوسف بن الحسن، الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، حققه وقدم له وعلق عليه: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط1، 1407هـ/1987م.

المردادي، بدر الدين حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، المحقق: د. فخر الدين قباوة - أ. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ/1992م.

المرداوي، علي بن سليمان، التحبير شرح التحرير، دراسة وتحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، أصل التحقيق: 3 رسائل دكتوراة - قسم أصول الفقه في كلية الشريعة بالرياض، ط. مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط1، 1421هـ/2000م.

المرداوي، علي بن سليمان، تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول، تحقيق: عبد الله هاشم - د. هشام العربي ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط1، 1434هـ/2013م.

مصيلحي، عبد الفتاح بن محمد، جامع المسائل والقواعد في علم الأصول والمقاصد، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع - المنصورة، مصر، ط1، 1443هـ/2022م.

ابن مفلح المقدسي، شمس الدين محمد، الفروع، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، دار المؤيد - الرياض، ط1، 1424هـ/2003م.

ابن مفلح المقدسي، شمس الدين محمد، أصول الفقه، حققه وعلق عليه وقدم له: د. فهد بن محمد السدحان، ط. مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، ط1، 1420هـ/1999م.

- ابن النجار الحنبلي، محمد بن أحمد بن عبد العزيز، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي -
نزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ/1997م.
- النجدي، محمد بن عبد الله بن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، حققه وقدم له وعلق
عليه: بكر بن عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت -
لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.
- الهاروني، يحيى بن الحسين، المجزي، تحقيق: عبد الكريم جدبان، ط1، 1434هـ/2013م.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف، قطر الندى، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1،
1420هـ/1999م.
- الوقاد، خالد بن عبد الله بن أبي بكر، شرح الأزهرية، ط. المطبعة الكبرى ببولاق، القاهرة.

زيادات زكريا الأنصاري في "لب الأصول" على "جمع الجوامع" للسبكي
"السنة والإجماع" أنموذجاً - جمعاً ودراسة

الباحث عمار صالح علي بلال

دكتوراه في أصول الفقه اليمن

belalamar89@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/2/2 تاريخ قبول البحث 2025/5/2

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.255>

ملخص:

يدرس هذا البحث زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في "لب الأصول" على "جمع الجوامع" واقتصرت فيه على كتابي السنة والإجماع، أنموذجاً جمعاً ودراسة. وهذه الزيادات نص عليها الأنصاري في شرحه المسمى "غاية الوصول شرح لب الأصول".

وتنوعت هذه الزيادات في هذا البحث ما بين ترجيح، وقيد، وزيادة مسألة لم يذكرها التاج السبكي، وإشارة للخلاف، وعدد الزيادات التي نص عليها في مبثني السنة والإجماع ستة عشر زيادة. ويهدف البحث إلى تصوير الزيادات، وحصرها، وبيان نواحيها، ومأخذها.

الكلمات المفتاحية: السبكي، الأنصاري، زيادة، مأخذ، نوع، قيد، ترجيح، إشارة للخلاف.

Zakariyya al-Ansari's Additions in Lubb al-Usul to al-Subki's Jam' al-Jawami': "Sunnah and Ijma'" as a Model – Compilation and Study

Researcher Ammar Saleh Ali Bilal

PhD in Islamic Jurisprudence (Usul al-Fiqh) - Yemen

Abstract:

This study examines the additions made by Shaykh al-Islam Zakariyya al-Ansari in Lubb al-Usul to Jam' al-Jawami', with the scope limited to the sections on Sunnah and Ijma' as a model of compilation and analysis. These additions are explicitly identified by al-Ansari in his commentary, entitled Ghayat al-Wusul Sharh Lubb al-Usul. In this study, the additions vary in form, including preferences (tarjih), qualifying restrictions (qayd), the inclusion of issues not mentioned by Taj al-Din al-Subki, and references to scholarly disagreement. The total number of additions identified in the discussions of Sunnah and Ijma' amounts to sixteen. The study aims to present these additions systematically, to enumerate them, and to clarify their types and underlying methodological bases. The research is structured into three sections: an introductory section and two main sections addressing Sunnah and Ijma' respectively. The introductory section provides brief biographical sketches of Taj al-Din al-Subki and Shaykh al-Islam Zakariyya al-Ansari, along with concise descriptions of Jam' al-Jawami' and Lubb al-Usul. The second section examines al-Ansari's additions in the chapter on Sunnah, while the third section analyzes his additions in the chapter on Ijma'.

Keywords: al-Subki; al-Ansari; addition; source; type; restriction; preference; reference to disagreement

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن علم أصول الفقه من أجل علوم الشريعة الغراء، فهو الطريق إلى معرفة الحلال والحرام، والأساس الذي يبنى عليه الفقه، الأمر ما جعل الشريعة الغراء صالحة لكل زمان ومكان، وقد اهتم العلماء به اهتماماً كبيراً، وأكثروا من التأليف فيه، على اختلاف مدارسهم الأصولية. وإن من أدق كتب أصول الفقه، جمع الجوامع للإمام تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت: 771هـ) الذي قال عنه: إنه اختاره من زهاء مائة مصنف⁽¹⁾. وقد عني بكتاب جمع الجوامع كثير من العلماء شرحاً واختصاراً ونظماً، وممن خدمه الإمام زكريا الأنصاري، فقد اختصره في كتابه "لب الأصول"، وزاد عليه زيادات حسنة، وشرح لب الأصول في كتابه "غاية الوصول شرح لب الأصول"، وكان في شرحه هذا ينص على الزيادات التي زادها على الإمام التاج السبكي⁽²⁾. ولما كانت الزيادات التي زادها الإمام زكريا الأنصاري بحاجة إلى دراسة وتأمل أحببت أن يكون بحثي بعنوان: زيادات زكريا الأنصاري في "لب الأصول" على "جمع الجوامع" للسبكي، مبحثي (السنة والإجماع) جمعاً ودراسة، التي نص عليها في غاية الوصول.

أهمية الموضوع: يمكن إيجاز أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

1- حاجة من يدرس كتاب جمع الجوامع لمعرفة هذه الزيادات كونها مكمله لموضوعه.

2- يقدم البحث صورة لبشرية الإنسان، وأنه مهما تقدم في العلم لا بد أن يعتريه النقص.

أسباب اختيار الموضوع: من أسباب اختيار الموضوع الآتية:

(1) انظر: جمع الجوامع في الأصلين والجدل والتصوف، وتنشيف المسامح: 97/1.

(2) انظر: غاية الوصول شرح لب الأصول: 103.

- 1- ما تقدم ذكره في أهمية الموضوع.
- 2- عدم وجود دراسة علمية - بحسب الاطلاع - تتناول زيادات لب الأصول على جمع الجوامع في مبثي السنة والإجماع.
- 3- أهمية موضوع البحث التي تستهوي الباحثين لمعرفة هذه الزيادات، والوقوف عليها، ومعرفة نوعها ومآخذها.

أهداف البحث: تبرز أهداف البحث في النقاط الآتية:

- 1- التعريف بزيادات زكريا الأنصاري في كتابه لب الأصول على جمع الجوامع في مبثي السنة والإجماع.
- 2- بيان أنواع زيادات زكريا الأنصاري في كتابه لب الأصول على جمع الجوامع في مبثي السنة والإجماع.
- 3- إظهار مورد زيادات زكريا الأنصاري في كتابه لب الأصول على جمع الجوامع في مبثي السنة والإجماع، وإيضاح مآخذها وتصوير مسألة الزيادة.

مشكلة البحث:

تتضح مشكلة البحث من خلال السؤال الآتي:
ما الزيادات التي زادها زكريا الأنصاري في لب الأصول على جمع الجوامع للسبكي في مبثي السنة والإجماع، وما أنواعها؟

حدود البحث:

زيادات زكريا الأنصاري في "لب الأصول" على جمع الجوامع للسبكي، في مبثي السنة والإجماع جمعاً ودراسة.

الدراسات السابقة:

وقفت على ما يقرب من هذا البحث -وهو نواة لهذا البحث- وهو بحث محكم للدكتور/ ثامر بن عبد الرحمن بن عمر نصيف، نُشر بمجلة الجامعة الإسلامية العدد (198)، صفر سنة 1443هـ، حيث درس الزيادات المذكورة في مبثي المقدمات

فقط، فيشترك مع بحثي كونهما في زيادات "لب الأصول" على "جمع الجوامع"، ويفترقان في كون بحثه خاصاً بالمقدمات، وبحثي خاص بالسنة والإجماع.

منهج البحث: اتبعت المنهج الوصفي الاستقرائي، من خلال تتبع زيادات زكريا الأنصاري في لب الأصول على جمع الجوامع للسبكي وبيانها، وفقاً والمنهجية الآتية:

منهجية الباحث:

- 1- جعل عنوان لكل مسألة فيها زيادة أو أكثر.
 - 2- ذكر نص التاج السبكي من جمع الجوامع، فذكر نص زكريا الأنصاري في المسألة المزيدة عليها من لب الأصول، ثم ذكر نص الأنصاري من الغاية على أن هذه من زيادته.
 - 3- شرح المسألة.
 - 4- بيان نوع الزيادة ومأخذها.
 - 5- رتبت البحث بما يتناسب مع ترتيب لب الأصول.
 - 6- كتابة الزيادة بخط غامق ووضع خط تحت الزيادة هكذا ———.
 - 7- توثيق المرجع كاملاً في قائمة المصادر والمراجع.
 - 8- وضع خاتمة، وفيها: أهم النتائج، والتوصيات.
- خطة البحث:** اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة ومبحثين وخاتمة كما يأتي:

المقدمة: وفيها أهمية موضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومشكلة البحث وحدوده، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع والمنهجية، وخطة البحث.

المبحث الأول: زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في دليل السنة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في الخبر والعمل به.

المطلب الثاني: زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في الجرح والتعديل ومراتب التحمل.

المبحث الثاني: زيادات زكريا الأنصاري في كتاب الإجماع.
وفيه مطلبان.

المطلب الأول: زيادات زكريا الأنصاري في حد الإجماع.
المطلب الثاني: زيادات زكريا الأنصاري في الإجماع السكوتي وانقسام الأمة إلى قسمين، كل قسم مخطئ في مسألة.

المبحث الأول: زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في دليل السنة
المطلب الأول: زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في الخبر والعمل به.
المسألة الأولى: الكلام النفسي.

- الكلام النفسي: معنى في النفس أي: قام بها، يعبر عنه باللسان أي: بما صدقاته⁽¹⁾.

أو هو الفكرة التي يدبرها الإنسان في نفسه قبل أن يعبر عنها باللسان، وهو الذي أشار إليه عمر-رضي الله عنه- إذ قال: "وكننت زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر⁽²⁾،⁽³⁾".

- قال في الجمع: "والكلام: ما تضمن من الكلم إسنادًا مفيدًا مقصودًا لذاته، وقالت المعتزلة: إنه حقيقة في اللساني، وقال الأشعري مرةً: في النفساني: هو المختار ومرة: مشترك⁽⁴⁾".

- وقال في اللب: "والكلام اللساني: لفظ تضمن إسنادًا مفيدًا مقصودًا لذاته، والنفساني: معنى في النفس يعبر عنه باللساني، والأصح عندنا: أنه مشترك⁽⁵⁾".

(1) انظر: غاية الوصول: 516.

(2) صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ح 6830، ج 8/ 168.

(3) انظر: سفر السعادة وسفير الإفاضة: 741/2، تشنيف المسامع: 921/2.

(4) جمع الجوامع: 95.

(5) لب الأصول: 516.

- وقال في الغاية: "والكلام النفساني: معنى في النفس أي: قام بها، يعبر عنه باللساني أي: بما صدقاته، وهذا من زيادتي"⁽¹⁾.
- **شرح الزيادة:** الكلام اللساني: لفظ تضمن إسنادًا مفيدًا مقصودًا لذاته، فخرج الخط والرمز والعقد والإشارة والنصب، والمفرد كزيد، وغير المفيد كالنار حارة، وتكلم رجل، ورجل يتكلم، وغير المقصود: كالصادر من نائم، والمقصود لغيره: كصلة الموصول نحو: جاء الذي قام أبوه، فإنها مفيدة بالضم إليه مع ما معه، مقصودة لإيضاح معناه.
- والأصح عند الأشاعرة: أن الكلام مشترك بين اللساني والنفساني؛ لأن الأصل في الإطلاق الحقيقة، قال الإمام الرازي: وعليه المحققون منا.
- وقيل: إنه حقيقة في النفساني مجاز في اللساني ورجحه تاج الدين السبكي.
- وقالت المعتزلة: إنه حقيقة في اللساني لتبادره إلى الأذهان، دون النفساني الذي أثبتته الأشاعرة دون المعتزلة⁽²⁾.
- **نوع الزيادة:** زيادة حد، حيث حد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الكلام النفساني.
- **مأخذ الزيادة:** أن الإمام تاج الدين السبكي ذكر حدًا يصدق على الكلام اللساني، ولا يصدق على الكلام النفساني⁽³⁾.
- المسألة الثانية: مما يدل على صدق المخبر: عدد التواتر.**
- قال في الجمع: "وأن المخبر بحضرة قوم لم يكذبوه، ولا حامل على سكوتهم، صادق"⁽⁴⁾.

(1) غاية الوصول: 516.

(2) انظر: تشنيف المسامع: 28/3، وتيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول: 312/1، وغاية الوصول: 516.

(3) انظر: جمع الجوامع: 97.

(4) جمع الجوامع: 98.

- وقال في اللب: "وأن المخبر بحضرة عدد التواتر ولم يكذبه ولا حامل على سكوتهم ... صادق"⁽¹⁾.

- وقال في الغاية: "والتصريح بعدد التواتر من زيادتي"⁽²⁾.

- شرح الزيادة: إذا أخبر واحد بحضرة جمع يبلغ عدد التواتر، بحيث لا يخفى على مثلهم عادة، وسكتوا عن تكذيبه، ولا حامل لهم على سكوتهم من خوف أو طمع، فذهب الجمهور إلى أنه يدل على صدقه قطعاً⁽³⁾.

- نوع الزيادة: زيادة قيد.

- مأخذ الزيادة: أن الإمام تاج الدين السبكي نص على أن المخبر بحضر قوم...، ولفظ قوم: اسم جمع يدل على العموم، ويصدق بأقل الجمع، وهو ثلاثة، وأقل الجمع لا يبلغ عدد التواتر⁽⁴⁾.

المسألة الثالثة: وجوب العمل بخبر الواحد.

- قال في الجمع: "يجب العمل به في الفتوى والشهادة إجماعاً وكذا سائر الأمور الدينية الظنية، قيل: سمعاً، وقيل: عقلاً..."⁽⁵⁾.

- وقال في اللب: "يجب العمل به في الفتوى والشهادة إجماعاً وفي باقي الأمور الدينية والدنيوية في الأصح سمعاً، قيل: وعقلاً"⁽⁶⁾.

- وقال في الغاية: "وترجيح الأول من زيادتي"⁽⁷⁾.

(1) لب الأصول: 533.

(2) غاية الوصول: 534.

(3) انظر: تشنيف المسامع: 956/2.

(4) انظر: تشنيف المسامع: 956/2، شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: 514/1.

(5) جمع الجوامع: 99.

(6) لب الأصول: 538.

(7) غاية الوصول: 539.

- **شرح المسألة:** يجب العمل بخبر الواحد في الفتوى والشهادة، وفي معنى الفتوى الحكم إجماعاً، وفي باقي الأمور الدينية والدنيوية في الأصح، وإن عارضه قياس، كالإخبار بدخول وقت الصلاة أو بتنجس الماء، وكإخبار طبيب أو غيره بمضرة شيء أو نفعه. وقيل: يمتنع العمل به مطلقاً، لأنه إنما يفيد الظن.

وعلى القول الأول فيجب العمل به سمعاً، وقيل: عقلاً⁽¹⁾.

- **نوع الزيادة:** زيادة ترجيح، حيث رجح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنه يجب العمل بخبر الواحد سمعاً، لا عقلاً.

- **مأخذ الزيادة:**

أن الإمام تاج الدين السبكي ذكر الأقوال ولم يرجح منها قولاً، حيث قال: يجب العمل به أي: -خبر الواحد- في الفتوى والشهادة إجماعاً، وكذا سائر الأمور الدينية الظنية، قيل: سمعاً، وقيل: عقلاً، وقالت الظاهرية: لا يجب مطلقاً.

ومأخذ آخر للزيادة أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يبعث الأحاد إلى القبائل والنواحي لتبليغ الأحكام، فلولا أنه يجب العمل بخبرهم لم يكن لبعثهم فائدة⁽²⁾.

- وممن قال بهذه الزيادة الإمام تاج الدين السبكي نفسه في الإبهاج، حيث قال بوجوب العمل بخبر الواحد وأنه دل عليه السمع⁽³⁾.

المطلب الثاني: زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في الجرح والتعديل ومراتب التحمل.

المسألة الأولى: الكبيرة.

- قال في الجمع: "وقد اضطرب في الكبيرة، فقيل: ما تُؤد عليه بخصوصه، وقيل: ما فيه حد، وقيل: ما نص الكتاب على تحريمه وأوجب في جنسه حد ...

(1) انظر المسألة: في: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول: 264، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول: 301/4، غاية الوصول: 538، خبر الواحد وحجتيته: 260.

(2) انظر: نهاية السؤل: 265، تشنيف المسامح: 961/2، غاية الوصول: 538.

(3) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج: 299/2.

والمختار: -وفقاً لإمام الحرمين- كل جريمة تؤذن بقلة اكرثا مرتكبها بالدين، ورقة الديانة⁽¹⁾.

- وقال في اللب: "والمختار: أن الكبيرة ما تُؤدّ عليه بخصوصه غالبًا"⁽²⁾.

- وقال في الغاية: "وقد أخرجتها⁽³⁾ بزيادتي غالبًا⁽⁴⁾"⁽⁵⁾.

- شرح المسألة:

في حد الكبيرة أوجه:

أحدها: وهو ما اختاره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أن الكبيرة ما توعّد عليه بنحو: غضب أو لعن بخصوصه في الكتاب أو السنة غالبًا.
الثاني: المعصية الموجبة للحد.

الثالث: أن الكبيرة كل ذنب، بناء على أنه لا صغيرة في الذنوب.

الرابع: -هو ما اختاره تاج الدين السبكي- كل جريمة تؤذن بقلة اكرثا مرتكبها بالدين ورقة الديانة⁽⁶⁾.

ورجح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: أن الكبيرة ما تُؤدّ عليه بخصوصه، وهذا القول ذكره الإمام تاج الدين السبكي بصيغة التمریض، وزاد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري قيّدًا بقوله: غالبًا؛ لأنه أوفق بما ذكره في تفصيل الكبائر؛ ولأنهم نصوا على كبائر كثيرة ولا حد فيها؛ كآكل الربا ومال اليتيم والعقوق وقطع الرحم والسحر والنميمة وشهادة الزور وغيرها، وبهذا يعلم أن هذا الحد أصح⁽⁷⁾.

(1) جمع الجوامع: 102.

(2) لب الأصول: 551.

(3) طريقة الحصول على غاية الوصول: 318.

(4) احتراز عما ورد فيه وعيد بالخصوص وليس بكبيرة كالغيبة. انظر: طريقة الحصول: 318.

(5) غاية الوصول: 555.

(6) انظر: تشنيف المسامح: 1002/2، غاية الوصول: 551.

(7) انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين: 222/11، غاية الوصول: 552، الزواجر عن اقتراف الكبائر: 8/1.

ورجح الإمام تاج الدين السبكي أن الكبيرة: كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة، ولم يختاره شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وعلل ذلك بقوله: وإنما لم أختره؛ لأنه يتناول صغائر الخسة مع أن الإمام -أي: إمام الحرمين- إنما ضبط به ما يبطل العدالة من المعاصي مطلقاً، لا الكبيرة التي الكلام فيها(1).

- نوع الزيادة: زيادة قيد، وهو قوله "غالبًا".
- مأخذ الزيادة: قيد الكبيرة بما تُؤدّ عليه بخصوصه غالباً؛ حتى يخرج الغيبة من الكبائر؛ لأن التعريف يشملها بدون هذا القيد(2).
- المسألة الثانية: الفرق بين الرواية والشهادة.
- الرواية: الإخبار عن عام لا ترفع فيه.
- الشهادة: أن يتضمن الخبر إثبات حق لغيره على غيره.
- الإقرار: أن يتضمن الخبر إثبات حق على المخبر.
- الدعوى: أن يتضمن الخبر إثبات حق للمخبر على غيره(3).
- قال في الجمع: "الإخبار عن عام لا ترفع فيه الرواية، وخلافه الشهادة"(4).
- وقال في اللب: "الإخبار بعام رواية، وبخاص عند حاكم شهادة، إن كان حقاً لغير المخبر على غيره"(5).

- وقال في الغاية: "والإخبار بخاص عند حاكم شهادة، بقيد زدته بقولي: (إن كان حقاً لغير المخبر على غيره)"(6).

(1) انظر: غاية الوصول: 552.

(2) انظر: غاية الوصول: 551.

(3) انظر: الأشباه والنظائر: 162/2، التعريفات: 129؛ تصنيف المسامع: 1025/2، نشر البنود على مراقبي السعود: 58/2.

(4) جمع الجوامع: 103.

(5) لب الأصول: 565.

(6) غاية الوصول: 565.

- **شرح المسألة:** الفرق بين الرواية والشهادة مما تشتد الحاجة إلى معرفته في الفقه وأصوله لافتراقهما في بعض الأحكام.

فالشهادة: هي الإخبار عن خاص ببعض الناس يمكن الترافع فيه إلى حكام الشريعة، كقول الشاهد: أشهد بكذا.

والرواية: الإخبار عن عام، أو عن خاص لا يمكن الترافع في كل منهما إلى حكام الشريعة.

مثال الأول -الإخبار عن عام- حديث: «إنما الأعمال بالنيات⁽¹⁾»
ومثال الثاني-الإخبار عن خاص- كقوله -صلى الله عليه وسلم- «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة⁽²⁾»، وقوله -صلى الله عليه وسلم- لأبي بردة: «ولن تجزئ عن أحد بعدك⁽³⁾»، يعني العناق ومن ذلك الأحاديث المثبتة لخصائصه -صلى الله عليه وسلم- وكذلك الإخبار عن زيد مثلاً بأنه فعل كذا أو حاله كذا رواية؛ لأنه إخبار عن خاص لا يمكن الترافع فيه⁽⁴⁾.

- **نوع الزيادة:** زيادة قيد.

- **مأخذ الزيادة:** حتى يخرج الدعوى والإقرار، فالإخبار بخاص عند حاكم، إن كان للمخبر على غيره فدعوى، أو لغيره عليه وإن لم يكن عند حاكم فإقرار⁽⁵⁾.

المسألة الثالثة: صيغ العقود والحلول إنشاءً.

- **الحلول لغة:** من حل يَحْلُ حُلُولًا: نقيض الارتحال، وحللت العقدة فانحلت، والحلُّ والحلال والحلال والحليل: نقيض الحرام⁽⁶⁾

(1) صحيح البخاري: كتاب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ح 1، ج 6/1.

(2) صحيح البخاري: كتاب: الحج، باب: هدم الكعبة، ح 1596، ج 149/2.

(3) صحيح البخاري: كتاب: الصلاة، باب: الخطبة بعد العيد، ح 965، ج 19/2.

(4) انظر: حاشية الطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: 57/2.

(5) انظر: غاية الوصول: 565.

(6) انظر: تهذيب اللغة: 280/3، المحيط في اللغة: 314/2، لسان العرب: 167/11.

اصطلاحًا: يقصد بالحلول الألفاظ الدالة على انتهاء العقود والفسخ لا الإبرام، كطلقت واعتقت⁽¹⁾.

- قال في الجمع: "وصيغ العقود كبعت إنشاء"⁽²⁾.
- وقال في اللب: "وأن صيغ العقود والحلول كبعت وأعتقت إنشاء"⁽³⁾.
- وقال في الغاية: "وذكر صيغ الحلول مع مثالها من زيادتي"⁽⁴⁾.
- شرح المسألة: صيغ العقود والحلول كبعت واشترت وأعتقت إنشاء؛ لوجود مضمونها في الخارج بها، وقال أبو حنيفة: إنها إخبار على أصلها بأن يقدر وجود مضمونها في الخارج قبيل التلفظ بها، والقول بأن صيغ العقود والحلول إخبار، حكي عن الحنفية وفي حكاية الإمام تاج الدين السبكي ذلك عن أبي حنيفة نظر، فإنه لا يعلم له فيه نص⁽⁵⁾.
- وقد أنكره القاضي شمس الدين السروجي وقال: لا أعرفه لأصحابنا، والمعروف عندهم أنه إنشاء⁽⁶⁾.
- نوع الزيادة: زيادة مسألة مع مثالها، حيث نص شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أن صيغ الحلول إنشاء.

(1) نزهة العقول شرح لب الأصول: 240.

(2) جمع الجوامع: 103.

(3) لب الأصول: 566.

(4) غاية الوصول: 567.

(5) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج: 290/1، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل: 309/2، غاية الوصول: 567.

(6) انظر: البحر المحيط: 39/3، تشنيف المسامع: 1028/2، الغيث الهامع: 454، وقال عبد الفتاح أبو غدة: الصواب أن الحنفية لا يقولون في صيغ العقود: إنها خبر، بل هي إنشاء، انظر: تحقيقه على كتاب الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام: 73.

- **مأخذ الزيادة:** أن الإمام تاج الدين السبكي ذكر أن صيغ العقود إنشاء ومثل لها، ولم يتعرض لذكر صيغ الحلول والتمثيل لها، فزادها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري تكميلاً لتصوير الشيء وضده.

وممن قال بهذه الزيادة الإمام تاج الدين السبكي في الإبهاج، وابن أمير حاج، وأمير بادشاه الحنفي (1).

المسألة الرابعة: بم يثبت الجرح والتعديل في الرواية؟

- **الجرح:** لغة: يطلق على معنيين أحدهما الكسب، والثاني شق الجلد، وجرح فلاناً سبه وشتمه، وشاهدًا: أسقط عدالته (2).

واصطلاحًا: وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله، وبطل العمل به (3).

- **والتعديل لغة:** مأخوذ من العدل: وهو ضد الجور، وما قام في النفوس أنه مستقيم، والتعديل: ضد التفسيق (4).

واصطلاحًا: وصف متى التحق بالراوي والشاهد اعتُبر قولهما وأُخذَ به (5).

- **وعلم الجرح والتعديل:** هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وعن مراتب تلك الألفاظ (6).

(1) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج: 290/1؛ التقرير والتحبير: 228/2؛ تيسير التحرير: 26/3.

(2) انظر: معجم مقاييس اللغة: 451/1؛ القاموس المحيط: 215.

(3) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول: 126/1.

(4) انظر: مختار الصحاح: 202؛ لسان العرب: 432/11؛ القاموس المحيط: 918؛ - 1030.

(5) انظر: جامع الأصول: 126/1.

(6) انظر: فتح المغيب بشرح ألفية الحديث للعراقي: 112/2 - 224؛ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:

- قال في الجمع: "وقال القاضي: يثبت الجرح والتعديل بواحد، وقيل: في الرواية فقط، وقيل: لا فيهما"⁽¹⁾. وقال في اللب: "وأنه يثبت الجرح والتعديل بواحد في الرواية فقط"⁽²⁾. وقال في الغاية: "والترجيح من زيادتي"⁽³⁾.

- **شرح المسألة:** اختلف في اشتراط العدد في الجرح والتعديل على مذاهب: أحدها: أنه يكفي فيهما بواحد سواء أكان في الرواية أو الشهادة، وهو اختيار القاضي أبي بكر. الثاني: أنه لا يقبل فيهما إلا اثنان، حكاه القاضي أبو بكر عن أكثر الفقهاء من أهل المدينة وغيرهم.

الثالث: الفرق بينهما فيكفي في الرواية واحد ويشترط في الشهادة اثنان، حكاه الآمدي وابن الحاجب عن الأكثرين ورجحه الرازي والآمدي وأتباعهما. ورجح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنه يثبت الجرح والتعديل بواحد في الرواية فقط، بخلاف الشهادة لا يثبتان فيها إلا بعدد، فإن الواحد يقبل في الرواية دون الشهادة⁽⁴⁾.

- **نوع الزيادة:** زيادة ترجيح، حيث رجح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ثبوت الجرح والتعديل بواحد في الرواية فقط دون الشهادة.

- **مأخذ الزيادة:** أن الإمام تاج الدين السبكي ذكر الأقوال، ولم يرجح. **المسألة الخامسة: المرسل.**

- **المرسل لغة:** يجمع على: مراسيل، ومراسل، مأخوذ من الإرسال، وهو: الإطلاق كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّمُ أَرْأُسِهِمْ﴾ [مريم: 83]، فكان المرسل أطلق الإسناد، ولم يقيده بجميع الرواة⁽⁵⁾.

(1) جمع الجوامع: 103.

(2) لب الأصول: 567.

(3) غاية الوصول: 567.

(4) انظر: المحصول: 408/4؛ الإحكام في أصول الأحكام: 85/2؛ الغيث الهامع: 454؛ غاية الوصول: 567.

(5) انظر: لسان العرب: 10/229؛ القاموس المحيط: 1006؛ جامع التحصيل في أحكام المراسيل: 194/1.

- الحديث المرسل عند المحدثين: هو الذي يرويه المحدث بأسانيد متصلة إلى التابعي فيقول التابعي: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾، وعند الأصوليين والفقهاء ما سيذكره صاحب الجمع.

- قال في الجمع: "المرسل: قول غير الصحابي: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، واحتج به أبو حنيفة ومالك والآمدي مطلقاً، وقوم: إن كان المرسل من أئمة النقل، ثم هو أضعف من المسند خلافاً لقوم، والصحيح رده، وعليه الأكثر منهم: الشافعي، والقاضي، قال مسلم: وأهل العلم بالأخبار: فإن كان لا يروي إلا عن عدل كابن المسيب- فُبل، وهو مسند، فإن عضد مرسل كبار التابعين ضعيفٌ يُرَجَّح كقول صحابي، أو فعله، أو الأكثر، أو إسناد أو إرسال، أو قياس، أو انتشار أو عمل العصر - كان المجموع حجة، وفاقاً للشافعي لا مجرد المرسل ولا المنضم، فإن تجرد ولا دليل سواه، فالأظهر الانكفاف لأجله"⁽²⁾.

- وقال في اللب: "المرسل مرفوع غير صحابيٍّ إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، والأصح: أنه لا يقبل إلا إن كان مرسله من كبار التابعين، وعضده كون مرسله لا يروي إلا عن عدل، وهو مسند، أو عضده قول صحابي، أو فعله، أو قول الأكثر، أو مسند، أو مرسل، أو انتشار، أو قياس، أو عمل العصر، أو نحوها، والمجموع حجة إن لم يُحتج بالعاخذ، وإلا فدليلان، وأنه باعتضاده بضعيف أضعف من المسند، فإن تجرد ولا دليل سواه فالأصح الانكفاف لأجله"⁽³⁾.

(1) انظر: معرفة علوم الحديث: 25؛ معرفة أنواع علوم الحديث: 51؛ غاية الوصول: 575.

(2) جمع الجوامع: 105.

(3) لب الأصول: 575.

- قال في الغاية: "والتقييد ب: كبار التابعين في العاضد الأول مع قلبي: "إن لم يحتج بالعاقد وإلا فدليلان من زيادتي"،... (و) الأصح (أنه) أي المرسل بقيد زده بقلبي (باعترضه) أي: مع اعتضاده (بضعيف أضعف من المسند) المحتج به⁽¹⁾.

- شرح المسألة: سبق تعريف المرسل لغة واصطلاحاً عند المحدثين والأصوليين.

أما حكم المرسل فقد اختلف العلماء في قبوله على مذاهب: أحدها: أنه حجة مطلقاً وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد في أشهر الروايتين عنه، واختاره الأمدى.

الثاني: التفصيل بين أن يكون المرسل من أئمة النقل- وقيده شيخ الإسلام زكريا الأنصاري بكبار التابعين- فهو حجة، أو غيرهم فلا، وبه قال عيسى بن أبان⁽²⁾، واختاره ابن الحاجب وذكر تاج الدين السبكي تفريراً على القول بأنه حجة أنه أضعف من المسند -وقيده شيخ الإسلام زكريا الأنصاري- أنه مع اعتضاده بضعيف أضعف من المسند المحتج به، بحيث لو تعارضاً قُدم المسند عليه خلافاً لقوم من الحنفية قالوا: إنه أقوى من المسند.

الثالث: رده، وأنه ليس بحجة إلا إن كان لا يروي إلا عن عدل كابن المسيب وغيره من العدول، فيقبل وله حكم المسند، وبه قال الشافعي. ويستثنى من رد المرسل مطلقاً، ما إذا كان المرسل من كبار التابعين، وهو من أكثر رواياته عن الصحابة، أو اعتضد بأمر ضعيف لا يقوى للاحتجاج به على انفراده، كأن يعتضد بقول صحابي أو فعله، أو يوافق قول أكثر أهل العلم أو يروي مثله مسنداً من جهة أخرى، أو يروي

(1) غاية الوصول: 575.

(2) هو: عيسى بن أبان بن صدقة بن موسى. أحد الأئمة الأعلام، تفقه على محمد بن الحسن، وصحبه، وولي قضاء البصرة، ووصف بالذكاء، والسخاء، وسعة العلم. صنّف كتاب: الحجة الكبير، وخبر الواحد وغيرهما، توفي سنة 221هـ. انظر: تاج التراجم: 226.

مثله مرسلًا من طريق آخر، أو يوافق قياسًا، أو ينتشر من غير نكير أو ينضم إليه عمل أهل العصر به، فيقبل.

وأما إذا تجرد المرسل ولم ينضم إليه شيء مما تقدم ففيه أقوال:

أحدها: أنه لا يحتج به، حكاه البيهقي عن الشافعي.

الثاني: أنه يحتج به إذا لم يكن في الباب سواه، حكاه الماوردي عن الشافعي أيضًا.

الثالث - وهو الذي رجحه الإمام تاج الدين السبكي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري: - الانكفاف لأجله، أي: التوقف في تلك المسألة⁽¹⁾.

هنا زيادتان:

- **الزيادة الأولى:** نوع الزيادة: زيادة قيد.

- **مأخذ الزيادة:**

- أن الإمام تاج الدين السبكي قيده بأئمة النقل، فيدخل فيه الصحابة والتابعون وتابعو التابعين، ومن بعدهم من أئمة النقل، بينما قيد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري المرسل ب: بكونه: من كبار التابعين...⁽²⁾.

- **الزيادة الثانية:** نوع الزيادة: زيادة قيد أيضًا، وهو أن المرسل ضعيف ولو اعتضد بضعيف.

- **مأخذ الزيادة:** أن الإمام تاج الدين السبكي أطلق بأن المرسل أضعف من المسند مطلقًا، سواء اعتضد أم لم يعتضد. أما إذا اعتضد بصحيح، فلا يكون أضعف من مسند يعارضه، بل هو أقوى منه⁽³⁾.

(1) انظر: الفصول في الأصول: 146/3؛ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: 761/1؛ تشنيف المسامع: 1046/2.

(2) انظر المسألة في: الإحكام في أصول الأحكام: 123/2؛ نفائس الأصول في شرح المحصول: 3033/7؛ الفائت في أصول الفقه: 204/2؛ تشنيف المسامع: 1048/2.

(3) انظر: تشنيف المسامع: 1048/2؛ غاية الوصول: 575.

المسألة السادسة: مراتب التحمل.

- مراتب التحمل: هي هيئات أخذ الحديث، وتلقيه عن الشيخ(1).
- قال في الجمع: "مستند غير الصحابي: قراءة الشيخ إملاءً وتحديثاً، فقراءته عليه، فسماعه، فالمناولة مع الإجازة، فالإجازة لخاص في خاص، فخاص في عام، فعام في خاص، فعام في عام، ففلان ومن يوجد من نسله، فالمناولة، فالإعلام، فالوصية، فالوجادة..."(2).
- وقال في اللب: "مستند غير الصحابي قراءة الشيخ إملاءً، في: تحديثاً، فقراءته عليه، فسماعه، فمناولة أو مكاتبة مع إجازة، فإجازة لخاص في خاص، فخاص في عام، فعام في خاص، ففي عام ففلان ومن يوجد من نسله، فمناولة أو مكاتبة، فإعلام، فوصية، فوجادة، والمختار جواز الرواية بالمذكورات، لا إجازة من يوجد من نسل فلان..."(3).
- وقال في الغاية: "والمختار جواز الرواية بالمذكورات، التصريح بهذا من زيادتي"(4).
- وقال في الغاية أيضاً: وقولي: أو "مكاتبة" في الموضوعين مع إفادة تأخر الحديث عن الإملاء من زيادتي"(5).
- **شرح المسألة:** في هذه المسألة ذكر مراتب التحمل، وهي:

(1) انظر: شرح علل الترمذي: 501/1؛ تيسير مصطلح الحديث: 196.

(2) جمع الجوامع: 106.

(3) لب الأصول: 582.

(4) غاية الوصول: 583.

(5) المصدر السابق: 585.

- 1- قراءة الشيخ على الطالب إملاءً وتحديثاً من غير إملاء، فهما سواء عند تاج الدين السبكي، وعند شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، القراءة مرتبة مقدمة على التحديث.
- 2- فقراءة الطالب على الشيخ.
- 3- فسماعه بقراءة غيره على الشيخ.
- 4- فالمناولة مع الإجازة: كأن يدفع له الشيخ أصل سماعه أو فرعاً مقابلاً به، ويقول له: أجزت لك روايته عني، وزاد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: فالمناولة أو مكاتبة مع الإجازة، كأن: يكتب شيئاً من حديثه لحاضر عنده أو غائب عنه، ويقول له: أجزت لك روايته عني.
- 5- الإجازة من غير مناولة، -وزاد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: ولا مكاتبة- لخاص في خاص نحو: أجزت لك رواية البخاري.
- 6- فخاص في عام نحو: أجزت لك رواية جميع مسموعاتي.
- 7- فعام في خاص نحو: أجزت لمن أدركني رواية مسلم.
- 8- فعام في عام: نحو أجزت لمن عاصرني رواية جميع مروياتي.
- 9- ففلان ومن يوجد من نسله تبعاً له.
- 10- فالمناولة -وزاد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: فمناولة أو مكاتبة-: من غير إجازة؛ إن قال معها: هذا من سماعي.
- 11- فالإعلام بلا إجازة: كأن يقول: هذا الكتاب من مسموعاتي على فلان من غير أن يأذن في روايته عنه.
- 12- فالوصية: كأن يوصي بكتاب إلى غيره ليرويّه عنه عند سفره، أو موته.
- 13- فالوفاة: كأن يجد كتاباً أو حديثاً بخط شيخ معروف يثق به سواء عاصره أم لا⁽¹⁾.

(1) انظر: شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: 207/2؛ غاية الوصول: 583.

- هنا ثلاث زيادات:

- **الزيادة الأولى:** زيادة ترجيح.

حيث قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: قراءة الشيخ إملاء ف: تحديثاً، فعطف بالفاء التي تدل على الترتيب مع التعقيب، فجعل قراءة الشيخ على الطالب إملاءً هي المرتبة الأولى من مراتب التحمل، والمرتبة الثانية: تحديث الشيخ للطالب.

- **مأخذ الزيادة:**

أن الإمام تاج الدين السبكي جعل قراءة الشيخ إملاءً وتحديثاً مرتبة واحدة، حيث عطف مرتبة التحديث على الإملاء بحرف الواو، الذي يفيد مطلق الجمع لا الترتيب⁽¹⁾.

- **الزيادة الثانية:** زيادة مسألة.

وهي أن من مراتب التحمل: المكاتبة، فذكرها في موضعين مع المناولة ومع المكاتبة.

- **مأخذ الزيادة:** أن الإمام تاج الدين السبكي أهمل مرتبة المكاتبة⁽²⁾.

وممن قال بأن المكاتبة من طرق التحمل الإمام تاج الدين السبكي نفسه في الإبهاج، وذكرها غيره من الأصوليين والمحدثين⁽³⁾.

- **الزيادة الثالثة:** زيادة ترجيح حيث اختار شيخ الإسلام زكريا الأنصاري جواز الرواية بالمذكورات إلا إجازة من يوجد من نسل فلان.

- **مأخذ الزيادة:** أن الإمام تاج الدين السبكي لم يذكر ترجيحاً له في هذه المذكورات من مراتب التحمل⁽⁴⁾.

(1) انظر: تشنيف المسامع: 1061/2.

(2) انظر: الغيث الهامع: 483.

(3) انظر: مقدمة ابن الصلاح: 173؛ الإبهاج في شرح المنهاج: 333/2؛ إجابة السائل شرح بغية الأمل: 135.

(4) انظر: جمع الجوامع: 106؛ لب الأصول: 582.

المبحث الرابع: زيادات زكريا الأنصاري في كتاب الإجماع.

المطلب الأول: زيادات زكريا الأنصاري في حد الإجماع.

الإجماع لغة: يحتمل معنيين أحدهما: الإجماع على الشيء، والثاني: العزم على الأمر والقطع به من قولهم: أجمعت على الشيء إذا عزمت عليه. ويأتي بمعنى: أن تجمع الشيء المتفرق جميعاً، ويأتي بمعنى: الإعداد والعزيمة على الأمر⁽¹⁾.

اصطلاحاً: "وهو اتفاق مجتهدى الأمة بالقول أو الفعل أو التقرير، بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر على أي أمر كان من ديني وديني وعقلي ولغوي"⁽²⁾. وعرفه التاج السبكي في الإبهاج بتعريف قريب من هذا: حيث قال هو: "اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- على أمر من الأمور"⁽³⁾.

فتعريف الأنصاري أشمل وأدق، لما فيه من المحترزات والقيود الآتية: اتفاق: جنس والمراد به الاشتراك في الاعتقاد أو القول أو الفعل أو في الكل. مجتهدى: فصل يخرج منه من ليس كذلك كالعوام؛ إذ لا عبرة بوافقهم ولا خلافهم ويخرج أيضاً اتفاق بعض المجتهدين.

الأمة: أي أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- احتراز عن اتفاق المجتهدين من الأمم السالفة.

بعد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم: خرج به اتفاق المجتهدين في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإنه لا يسمى إجماعاً؛ لأنه إن وافقهم فالحجة في قوله وإلا فلا اعتبار بقولهم دونه.

(1) انظر: تهذيب اللغة: 1/253-254؛ اللع في أصول الفقه: 87؛ لسان العرب: 8/58؛ الإبهاج في شرح المنهاج: 349/2.

(2) غاية الوصول شرح لب الأصول: 587.

(3) الإبهاج في شرح المنهاج: 349/2.

في عصر: أي: في أي زمان من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يشترط عصر الصحابة فلا يختص الإجماع بالصحابة لصدق مجتهدي الأمة في عصر بغيرهم.

على أي أمر كان من ديني ودنيوي وعقلي ولغوي: يشمل الدينية: كالأحكام الشرعية، من حل النكاح وحرمة قتل النفس بغير حق، والدنيوية: كالآراء والحروب وتدبير أمور الرعية، والعقليات: كحدث العالم، وإثبات النبوة واللغوية: ككون إلقاء للتعقيب⁽¹⁾.

المسألة الأولى: هل اتفاق المجتهدين على أحد القولين بعد استقرار الخلاف جائز؟
قال في الجمع: "وأن اتفاقهم على أحد القولين قبل استقرار الخلاف جائز، ولو من الحادث بعدهم، وأما بعده منهم، فمنعه الإمام، وجوزه الآمدي مطلقاً، وقيل: إلا أن يكون مستندهم قاطعاً، وأما من غيرهم فالأصح يمتنع إن طال الزمان"⁽²⁾.
قال في اللب: إن "اتفاقهم على أحد قولين قبل استقرار الخلاف جائز، ولو من الحادث بعد ذوي القولين، وكذا اتفاق هؤلاء، لا من بعدهم بعده في الأصح"⁽³⁾.
قال في الغاية: "والترجيح من زيادتي"⁽⁴⁾.

شرح المسألة: إذا اختلف أهل العصر على قولين، ثم اتفقوا فلهم حالتان: الحالة الأولى: أن يكون الاتفاق قبل استقرار الخلاف، بأن قصر الزمان بين الاختلاف والاتفاق، فالجمهور على جوازه وجزم به التاج السبكي والأنصاري؛ كأجماع الصحابة على دفنه صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة بعد اختلافهم الذي لم يستقر، ولرجوع الصحابة إلى قول أبي بكر الصديق في قتال مانعي الزكاة بعد سبق الخلاف بينه وبينهم.

(1) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج: 349/2؛ غاية الوصول: 594/2.

(2) جمع الجوامع: 109.

(3) لب الأصول: 591.

(4) غاية الوصول شرح لب الأصول: 593.

الحالة الثانية: أن يستقر الخلاف بينهم ويمضي كل فريق عليه مدة، ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: إذا اختلف أهل العصر على قولين فهل يجوز لأهل ذلك العصر بعينهم بعد استقرار الخلاف الاتفاق على أحد القولين، والمنع من المصير إلى القول الآخر؟

فيه خلاف مبني على القول باشتراط انقراض العصر، فعلى شرط انقراض العصر جاز الاتفاق على أحد القولين قطعاً؛ لأن الاجماع لم ينعقد أصلاً إلا بانقراضهم.

وعلى القول بعدم اشتراط انقراض العصر -وهو الصحيح- ففيه مذاهب.

الأول: لا يجوز مطلقاً، وهو اختيار الإمام الرازي.

الثاني: يجوز مطلقاً وهو اختيار الآمدي.

والثالث: يجوز إن كان مستند اتفاقهم على الخلاف دليل ظني كالقياس والاجتهاد، ولا يجوز إن كان مستندهم دليل قاطع.

المسألة الثانية: إذا اختلفوا على قولين، ومضوا على ذلك، فهل يتصور انعقاد إجماع العصر الثاني بعدهم على أحدهما، حتى يمتنع المصير إلى القول الآخر؟ فذهب الجمهور إلى امتناعه، منهم الأشعري، وأحمد بن حنبل، وإمام الحرمين والغزالي، وذهب جماعة إلى الجواز إن طال الزمان⁽¹⁾.

نوع الزيادة: زيادة ترجيح.

مأخذ الزيادة: هنا الخلاف مبني على القول الصحيح بعدم اشتراط انقراض العصر، فالإمام التاج السبكي ذكر الأقوال في مسألة اتفاق المجتهدين على أحد القولين بعد استقرار الخلاف ولم يرجح، فزاد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ترجيحه، وهو جواز اتفاق ذي القولين بعد استقرار الخلاف بينهم على أحد القولين، لا اتفاق من

(1) انظر: للمع في أصول الفقه: 92؛ الواضح في أصول الفقه: 165/5؛ نهاية الوصول في دراية الأصول:

2540/6؛ شرح مختصر الروضة: 97/3؛ تشنيف المسامح: 118/3.

جاء بعدهم في الأصح؛ لأنه لو انقذ وجه في سقوط الخلاف بين الفريقين المجمعين؛ لظهر لهم من قبل ظهوره غيرهم⁽¹⁾.

المسألة الثانية: أنواع الإجماع: ديني وديني وعقلي ولغوي

قال في الجمع: "وأنه قد يكون في ديني وديني وعقلي لا تتوقف صحته عليه"⁽²⁾. وقال في اللب: "وأنه يكون في ديني وديني وعقلي لا تتوقف صحته عليه، ولغوي"⁽³⁾. وقال في الغاية: "وعلم أنه أي: الإجماع قد يكون في ديني: كالصلاة والزكاة...، وديني: كتدبير الجيوش وأمور الرعية، وعقلي: لا تتوقف صحته عليه كحدوث العالم ووحدة الصانع،... ولغوي: من زيادتي: ككون الفاء للتعقيب"⁽⁴⁾.
شرح المسألة: أن الإجماع ليس محصوراً في الجانب الديني؛ بل يشمل الجوانب الدنيوية، والعقلية واللغوية، وهنا جانب لغوي.

نوع الزيادة: زيادة مسألة.

مأخذ الزيادة: أن التاج السبكي نص أن الإجماع قد يكون في: ديني، وديني، وعقلي، ولم يذكر اللغوي، فزاد الأنصاري: أن الإجماع أيضاً: قد يكون لغوياً أيضاً، ومثل له: ككون الفاء للتعقيب⁽⁵⁾. وممن نص على هذه الزيادة التاج السبكي نفسه في الإبهاج فقال: "يشمل الأحكام الشرعية كحل النكاح وحرمة قتل النفس بغير حق واللغوية ككون إلقاء للتعقيب ولا نزاع في هذين"⁽⁶⁾، والإسنوي⁽⁷⁾، وابن إمام الكاملية⁽⁸⁾.

(1) غاية الوصول شرح لب الأصول: 593.

(2) جمع الجوامع: 110.

(3) لب الأصول: 594.

(4) غاية الوصول شرح لب الأصول: 594.

(5) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: 437 / 40؛ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 871؛ تيسير الوصول إلى منهاج الأصول: 41/5؛ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي: 209/2.

(6) الإبهاج في شرح المنهاج: 2 / 349.

(7) انظر: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول: 282.

(8) انظر: تيسير الوصول إلى منهاج الأصول: 41/5.

المطلب الثاني: زيادات زكريا الأنصاري في الإجماع السكوتي وانقسام الأمة إلى قسمين، كل قسم مخطئ في مسألة.

المسألة الأولى: الإجماع السكوتي

قال في الجمع: "أما السكوتي: فثالثها حجة لا إجماع، ورابعها: بشرط الانقراض، وقال ابن أبي هريرة: إن كان فتياً، وأبو إسحاق المروزي عكسه، وقوم: إن وقع فيما يفوت استدراكه، وقوم: في عصر الصحابة، وقوم: إن كان الساكتون أقل، والصحيح حجة، وفي تسميته إجماعاً خُلف لفظي، وفي كونه إجماعاً حقيقة تردد، مثاره أن السكوت المجرد عن أمانة رضا وسخط، مع بلوغ الكل، ومضى مهلة النظر عادة عن مسألة اجتهادية تكليفية، وهي صورة السكوت، هل يغلب ظن الموافقة؟ وكذا الخلاف فيما لم ينتشر⁽¹⁾

وقال في اللب: "أما السكوتي بأن يأتي بعضهم بحكم ويسكت الباقي عنه وقد علموا به، وكان السكوت مجرد عن أمانة رضا وسخط، والحكم اجتهادي تكليفي، ومضى مهلة النظر عادة، **فإجماع وحجة في الأصح**"⁽²⁾.

وقال في الغاية: "فإجماع وحجة في الأصح؛ لأن سكوت العلماء في مثل ذلك يظن منه الموافقة عادة"⁽³⁾. وقال في الغاية أيضاً: وخرج بما ذكر⁽⁴⁾ ما لو لم يعلم الساكتون بالحكم، فليس من محل الإجماع السكوتي، وليس بحجة؛ لاحتمال أن لا يكون خاضوا في الخلاف.

(1) انظر: جمع الجوامع: 110.

(2) انظر: لب الأصول: 594.

(3) غاية الوصول شرح لب الأصول: 596.

(4) أي: من القيود وهي قوله: "وقد علموا به، وكان السكوت مجرد عن أمانة رضا وسخط، والحكم اجتهادي تكليفي ومضى مهلة النظر عادة"، انظر: رياضة العقول في إيضاح غاية الوصول: 274/3-275.

وترجيح عدم حجيته من زيادتي، وهو ما عليه الأكثر، وإن اقتضى كلام الأصل ترجيح حجته⁽¹⁾⁽²⁾.

شرح المسألة: الإجماع السكوتي هو أن يأتي بعض المجتهدين بحكم، ويسكت الباقي عنه وقد علموا به، وكان السكوت مجرداً عن أمانة رضاء وسخط، والحكم اجتهادي تكليفي ومضى مهلة النظر عادة⁽³⁾. أو هو: أن يقول بعض أهل الاجتهاد بقل وينتشر في المجتهدين من أهل ذلك العصر فيسكتون، ولا يظهر منهم اعتراف، ولا إنكار⁽⁴⁾. وفيه ثلاثة عشر مذهباً⁽⁵⁾.

فرجح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنه إجماع وحجة في الأصح؛ لأن سكوت العلماء في مثل ذلك يظن منه الموافقة عادة. وقيل: ليس بإجماع ولا حجة؛ لاحتمال السكوت لغير الموافقة كالخوف والمهابة والتردد في الحكم.

وقيل: ليس بإجماع، بل حجة.

وقيل: حجة بشرط الانقراض.

وقيل: حجة إن كان فتياً لا حكماً؛ لأن الفتيا يبحث فيها عادة فالسكوت عنها رضاء بخلاف الحكم.

وقيل: عكسه لصدور الحكم عادة بعد البحث مع العلماء واتفاقهم بخلاف الفتيا.

وقيل: حجة إن كان الساكتون أقل من القائلين⁽⁶⁾.

(1) لقول السبكي: "وكذا الخلاف فيما لم ينتشر"، فإن مقتضاه ترجيح الحجة هنا؛ لأن إطلاق الخلاف فيه مع تشبيهه بما تقدم - المرجح فيه الحجة دال على رجحان الحجة هنا أيضاً، وهو بعيد. انظر: رياضة العقول في إيضاح غاية الوصول: 274/3-275.

(2) غاية الوصول شرح لب الأصول: 596.

(3) انظر: الأحكام في أصول الأحكام: 252/1؛ الإبهاج في شرح المنهاج: 379/2؛ غاية الوصول: 594/2.

(4) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: 223/1.

(5) انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: 6/456؛ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، 224/1.

(6) غاية الوصول شرح لب الأصول: 594.

- نوع الزيادة: زيادة قيد.

- **مأخذ الزيادة:** أن التاج السبكي يرى أن الإجماع السكوتي حجة، وتردد في كونه إجماعاً، وهو حجة بالقيود التي ذكرها.

وزاد شيخ الإسلام زكريا الأنصاري قيماً آخر ونص عليه، وهو ما لو لم يعلم الساكتون بالحكم، - وهذا القيد يشمل حالتين:

الحالة الأولى: أن يغلب على الظن أنه بلغهم لانتشاره وشهرته، فهذا داخل في الإجماع السكوتي، وقال الشيرازي: إنه إجماع على المذهب، وجعله درجة دون الأول⁽¹⁾.

الحالة الثانية: -وهي التي زادها شيخ الإسلام زكريا الأنصاري- أن لا يغلب على الظن انتشاره، ولم يبلغهم، فهذه ليست من صورة الإجماع السكوتي؛ ولم يتعرض لها تاج الدين السبكي، فلذلك أخرجها بقوله: وخرج بما ذكر ما لو لم يعلم الساكتون بالحكم، فليس من محل الإجماع السكوتي وليس بحجة؛ لاحتمال أن لا يكون خاضوا في الخلاف أصلاً⁽²⁾.

وخلاصة ما ظهر للباحث في مسألة الإجماع السكوتي هل هو حجة وإجماع؟ ما يأتي:

1- اتفاق تاج الدين السبكي وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري على أن الإجماع حجة، واختلفوا هل هو إجماع أيضاً.

فتاج الدين السبكي تردد في ذلك، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري الأصح عنده أنه إجماع.

2- إذا لم يعلم الساكتون بالحكم، فعند شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ليس من محل الإجماع السكوتي وليس بحجة؛ لاحتمال أن لا يكون خاضوا في الخلاف

(1) انظر: للمع في أصول الفقه: 90.

(2) انظر: للمع في أصول الفقه: 90؛ غاية الوصول شرح لب الأصول: 596؛ رياضة العقول في إيضاح غاية

الوصول: 274/3-275.

أصلاً، وظاهر عبارة تاج الدين السبكي أنه داخل في الإجماع السكوتي فهو لم يتعرض لحال عدم علم الساكتين.

المسألة الثانية: هل يجوز انقسام الأمة إلى قسمين، كل قسم مخطئ في

مسألة أخرى غير مسألة صاحبه؟

قال في الجمع: "وفي انقسامها فرقتين كل مخطئ في مسألة تردد، مثاره هل أخطأت؟"⁽¹⁾. وقال في اللب: "... ولا انقسامها فرقتين كل يُخطئ في مسألة... وهو

الأصح"⁽²⁾. وقال في الغاية: "والتصحيح في هذه من زيادتي... وهو الأصح"⁽³⁾.

شرح المسألة: هل يجوز انقسام الأمة فرقتين، كل فرقة مخطئة في مسألة، مخالفة للأخرى؟ كاتفاق شطر الأمة على أن الترتيب في الوضوء واجب، وفي الصلوات الفائتة غير واجب، والفرقة الأخرى على عكس ذلك في الصورتين.

ذهب الأكثرون إلى المنع؛ لأن خطأهم في المسألتين لا يخرجهم عن أن يكونوا قد اتفقوا على الخطأ، ولو في المسألتين، وهو منفي عنهم، وجوزه المتأخرون؛ لأن المخطئ في كل مسألة بعض الأمة، ومثار الخلاف أن المخطئين في المسألتين معا كل الأمة أو بعضهم⁽⁴⁾.

نوع الزيادة: زيادة ترجيح، حيث رجح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أنه لا يمتنع انقسام الأمة فرقتين كل يُخطئ في مسألة؛ لأنه لم يخطئ إلا بعض الأمة بالنظر إلى كل مسألة على حدها، ووقوع الخطأ من بعض الأمة وارد لا عصمة منه، وإنما العصمة في اجتماع الأمة كلها على الخطأ⁽⁵⁾.

(1) جمع الجوامع: 110.

(2) لب الأصول: 601.

(3) غاية الوصول شرح لب الأصول: 601.

(4) انظر: الغيث الهامع: 510؛ غاية الوصول: 115؛ شرح الكوكب المنير: 284/2؛ الأصل الجامع لإيضاح الدرر

المنظومة في سلك جمع الجوامع: 2/ 106.

(5) انظر: الأحكام في أصول الأحكام: 271/1.

مأخذ الزيادة: أن التاج السبكي ذكر تردد في مسألة انقسام الأمة فرقتين، كل مخطئ في مسألة، ولم يرجح⁽¹⁾.

الخاتمة:

الحمد لله على تمام هذا البحث، الذي تمخض عنه مجموعة نتائج، وجملة توصيات:

أولاً: النتائج:

- 1- أن زيادات شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على جمع الجوامع في الإجماع (16) زيادة، وهي متعددة الأنواع، وهي ما بين قيد، وترجيح، وزيادة مسألة.
- 2- تكمن أهمية هذه الزيادات في كونها تدقيق وتحرير وترجيح للمسائل التي زادها على التاج السبكي.
- 3- أن الأنصاري لم ينفرد بهذه الزيادات، بل تابع شراح جمع الجوامع، وغالبًا شيخه المحلي، وربما السبكي نفسه نص عليها في كتبه الأخرى كمنع الموانع والإبهاج وغيرهما مع زيادة ضبط لها هنا.

ثانيًا: التوصيات

- 1- العناية بهذه الزيادات شرحًا، وبيانًا لمآخذها ومن وافق شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ومن خالفه.
- 2- الكتاب يحتوي على زيادات لم ينص عليها الأنصاري، ولا يمكن الوقوف عليها إلا بدراسة الكتابين ومقابلتهما مسألة مسألة.

المصادر والمراجع

- الأزهري، محمد بن أحمد (ت:370)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م.
- الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن (ت:772)، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان ط1، 1420هـ - 1999م.

(1) انظر: تشنيف المسامع: 143/3؛ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: 237/2.

- إمام الكاملية، محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت:874)، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول من المنقول والمعقول «المختصر»، دراسة وتحقيق: د. عبد الفتاح أحمد قطب الدخيمسي، طنطا، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر - القاهرة، ط1، 1423-2002م.
- الأمدي، سيد الدين علي بن أبي علي (ت:631)، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، لبنان.
- الأنصاري، زكريا بن محمد الأنصاري (ت:926)، غاية الوصول شرح لب الأصول، تحقيق: د. مصطفى بن حامد بن سميط، دار الضياء-بيروت، ط1، 1438هـ.
- الأنصاري، زكريا بن محمد الأنصاري (ت:926)، لب الأصول مع غاية الوصول، تحقيق: د. مصطفى بن حامد بن سميط، دار الضياء-بيروت، ط1، 1438هـ.
- تغري، يوسف بن تغري بردي، (ت:874)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت:1067)، سلم الوصول إلى طبقات، تحقيق: محمود عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة إرسىكا، إستانبول - تركيا، 2010م.
- حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت:852)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد/ الهند، ط2، 1392هـ-1972م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت:626)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ط1، 1995.
- الرهوني، يحيى بن موسى الرهوني (ت:773هـ)، تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل، تحقيق: د. الهادي بن الحسين شبيلي، ود/ يوسف الأخضر القيم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي، الإمارات، ط1، 1422هـ-2002م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت:794)، تشنيف المسامع بجمع الجوامع، دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز - د عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط1، 1418هـ-1998م.
- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت:771)، معجم الشيوخ، تحقيق: بشار عواد، ورائد يوسف العنبيكي، ومصطفى إسماعيل الأعظمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2004م.
- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين (ت:771)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي. د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين علي السبكي، جمع الجوامع في الأصول والجدل والتصوف،
عناية وتصحيح: عبد الله شرف الدين الداغستاني، دار طبية الخضراء، ط2، 1444هـ -
2023م.

السبكي، علي بن عبد الكافي وولده تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب، الإبهاج في شرح المنهاج
(ت:785)، دار الكتب العلمية- بيروت، 1416هـ-1995م.

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت:902)، الجواهر والدرر في ترجمة تحقيق: إبراهيم باجس عبد
المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ-1999م.
السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت:902)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة
الحياة - بيروت.

السيناوي، حسن بن عمر بن عبد الله (ت:1347)، الأصل الجامع لإيضاح الدرر المنظومة في
سلك جمع الجوامع، مطبعة النهضة، تونس، ط1، 1928م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911)، نظم العقيان في أعيان الأعيان، تحقيق: فيليب
حتي، المكتبة العلمية - بيروت.

الشوكاني، محمد بن علي (ت:1250)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق:
أحمد عزو عناية، دمشق- كفر بطنا، دار الكتاب العربي، ط1، 1419-1999م
الشوكاني، محمد بن علي (ت:1250)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة-
بيروت.

الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت:476)، اللمع في أصول الفقه، دار الكتب العلمية،
الطبعة: ط2، 1424هـ-2003م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت:764)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: د. علي
أبو زيد، وآخرون دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط1،
1418هـ - 1998م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت:764)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد
الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ-2000م.

العراقي، أحمد بن عبد الرحيم (ت:826)، الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، تحقيق: محمد تامر
حجازي، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ - 2004م.

العطار، حسن بن محمد بن محمود (ت:1250)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي دار
الكتب العلمية.

عقيل، علي بن عقيل الظفري، (ت:513)، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1420-1999م.

الغزي، نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت:1061هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1418هـ-1997م.

قاضى شهبه، أبو بكر بن أحمد الشهبي الدمشقي (ت:851)، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار عالم الكتب - بيروت، ط1، 1407هـ.

المحلي، محمد بن أحمد المحلي الشافعي، البدر الطالع شرح جمع الجوامع، تحقيق: أبي الفداء مرتضى علي بن محمد المحمدي الداغستاني، مؤسسة ناشرون، ط1، 1426-2005م.

المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، (ت:1205)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، دار الهداية.

منظور، محمد بن مكرم، (ت:711)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.

النجار، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي (ت:972)، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ-1997م.

هشام، عبد الله بن يوسف (ت:761)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر - دمشق، ط6، 1985م.

صيغة العقد في المتجر الإلكتروني (دراسة تأصيلية فقهية)

د. عدنان رويشان محمد سويدان

رئيس قسم الفقه وأصوله بجامعة أهل الحديث بسيئون اليمن

adnanswedan77@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/5/20 تاريخ قبول البحث 2025/5/27

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.256>

ملخص:

هذا بحث، بعنوان (صيغة العقد في المتجر الإلكتروني دراسة تأصيلية فقهية) بحث فيه حقيقة الصيغة التي يتم بها العقد في المتجر الإلكتروني، وطرق التعبير بها، ومجلس العقد، والموانع التي تمنع لزوم العقد في المتجر الإلكتروني. وقد اعتمدت في البحث المنهج الاستقرائي، والوصفي، والتحليلي، فقامت بتصوير المسألة المراد بحثها، وبيانها في ضوء واقع التعامل بها، ثم تخريجها على ما يناسبها إن كان لها أصل ترجع إليه أو نظير فقهي يمكن أن تلحق به. وقد توصلت إلى أن عرض السلعة من قبل المتجر الإلكتروني للجمهور يخضع لشروط المتجر نفسه؛ فإن تضمنت هذه الشروط احتفاظ المتجر بحق رفض إتمام التعاقد حتى بعد صدور القبول من الطرف الآخر، فإن العرض يُعتبر في حكم الإعلان أو الدعوة إلى التعاقد، ولا يُعد إيجاباً بالمعنى الفقهي الملزم. أما إذا لم يشترط المتجر لنفسه هذا الحق، وكان ملزماً بإتمام العقد عند صدور القبول، فإن عرضه يُعد إيجاباً ملزماً تترتب عليه الآثار العقدية عند تمام القبول، كما أوصي أن توضّح المتاجر الإلكترونية في عقودها الوقت الذي يلزم فيه العقد من عدمه .

الكلمات المفتاحية: صيغة - عقد - متاجر - إلكتروني.

The Form of Contract in Electronic Stores: A Foundational Jurisprudential Study

Dr. Adnan Ruwaishan Mohammed Suwaidan

Head of the Department of Jurisprudence and its Principles at Ahl al-Hadith
University in Seiyun, Yemen

Abstract:

This research, entitled "The Form of Contract in Electronic Stores: A Foundational Jurisprudential Study," investigates the legal form by which contracts are concluded in electronic stores, the methods of expressing this form, the concept of the contract assembly (majlis al-'aqd), and the factors that may prevent the contract from becoming binding in the context of e-commerce. The study adopts inductive, descriptive, and analytical methodologies. It begins by outlining the issue under examination, analyzing it in light of actual practices in electronic transactions, and then grounding it within relevant jurisprudential principles or analogies where applicable. The study concludes that the display of goods by electronic stores to the public is subject to the store's terms and conditions. If the store retains the right to reject the contract even after acceptance by the other party, such a display constitutes an invitation to negotiate, rather than a binding offer in the jurisprudential sense. However, if the store does not reserve this right and is obligated to finalize the contract upon acceptance, the display constitutes a binding offer with full contractual consequences upon acceptance. The study recommends that electronic stores clearly specify in their contracts the point at which the agreement becomes binding.

Keywords: form, contract, electronic stores.

مقدمة:

الحمد لله الهادي إلى سبيل الرشاد، الموفق من يختاره للفقہ في الدين من العباد،
والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين،
وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إنَّ الحياة الدنيوية بطبيعتها التغيُّر والتبدُّل، فقد ساهم التطور التكنولوجي في تغيير حياة الناس بشكل عام، وتغيير كثير من التعاملات المالية بشكل خاص، وظهور طرق جديدة للكسب؛ لذا فإن مما عمت به البلوى اليوم في زمننا المعاصر تصاعد شعبية البيع والشراء عبر الأنترنت في العالم بشكل كبير⁽¹⁾؛ لذا يُعد هذا " أضخم انقلاب في مجال بيع التجزئة منذ ظهور بيع التجزئة"⁽²⁾، وكانت لهذه الضخامة صداها عند أرباب التجارة، فظهرت الكثير من المتاجرة الإلكترونية لبيع العديد من السلع والخدمات، حيث يمكن للفرد عبر هذه المتاجر شراء ما يريد عبر استخدام أجهزة الحاسوب، أو الهاتف المحمول، مع توفر طرق الدفع المختلفة، سواء نقدًا عند الاستلام⁽³⁾، أو عن طريق بوابات الدفع المختلفة⁽⁴⁾، لذا نحن بحاجة لفهم موقف الشرع الحنيف من هذا النوع من المتاجرة، ومدى موافقتها لضوابط وشروط صحة المعاملات التي وردت في نصوص الشرع، والتي بحثها الفقهاء في مصنفاتهم، لذا جاء هذا البحث ليجلي لنا كيف يتمُّ العقد في هذه المتاجر، وقد عنونت له بـ(صيغة العقد في المتجر الإلكتروني دراسة تأصيلية فقهية).

(1) تأتي السعودية والإمارات ومصر على رأس الدول العربية التي تشهد نمواً في التسوق عبر الإنترنت، حيث تشكل هذه الدول الثلاث 80% من سوق التجارة الإلكترونية في المنطقة، كما تعد السعودية من بين أعلى 10 دول نمواً في مجال التجارة الإلكترونية بنسبة نمو تتجاوز 32% سنوياً. ينظر: الدليل الإرشادي للمتاجر الإلكترونية وفقاً لنظام التجارة الإلكترونية السعودي 2019م (ص4)، راجع مقالة بعنوان: قائمة أفضل المتاجر الإلكترونية العربية 2024م، في موقع <https://blog.zid.com>، تاريخ الرجوع 23/جمادى الأول 1445هـ.

(2) ينظر: أحكام التجارة الإلكترونية: 26.

(3) ومن أهم المتاجر العربية والأجنبية التي تدعم نظام الدفع عند الاستلام، متجر أمازون (Amazon)، متجر سوق كوم (souq. Com)، متجر نون (Noon)، متجر جوميا (jumia)، وغيرها من المتاجر، راجع مقالة بعنوان: ما معنى الدفع عند الاستلام؟ وكيف تستعمله في متجرك الإلكتروني، في موقع: <https://www.nutajr.com/blog/cod>، تاريخ الرجوع 19/ رجب/ 1445هـ.

(4) أشهر بوابات الدفع الإلكتروني حول العالم، باي بال (Paypal)، سترايب (stripe)، سكريل (skrill)، وغيرها من بوابات الدفع الإلكتروني. راجع مقالة بعنوان: أشهر بوابات الدفع الإلكتروني يمكن استعمالها في المتاجر الإلكترونية، في موقع: <https://www.nutajr.com/blog/payment-gateways>، تاريخ الرجوع 19/ رجب/ 1445هـ.

أهمية البحث:

1. شيوع التعامل بالبيع والشراء عبر المتاجر الإلكترونية لدى فئة كبيرة من الناس؛ مما يستدعي بحثاً علمياً يجلي أحكام صيغة العقد فيها
2. سهولة إجراءات الدخول في مثل هذا النوع من التجارة، مما يحتاج إلى بيان كيفية التعاقد معها، وإيضاح ضوابطها؛ لئلا يقع المتعاملون في المحذور.

أسباب اختيار البحث:

1. لم أجد دراسة مفصلة لأحكام صيغة العقد في المتاجر الإلكترونية المتعامل بها حسب علمي.
2. إنَّ إبراز صيغة العقد في المتاجر الإلكترونية، ودراسة حكمها الشرعي، إسهامٌ وبيانٌ لأحكام المسائل الفقهية المعاصرة في واقع المجتمع، وحلٌ لمشكلاته.
3. إثراء ملكتي الفقهية في فهم مسائل المعاملات المالية المعاصرة، من خلال الكشف عن الحكم الفقهي لصيغة الإيجاب والقبول في المتاجر الإلكترونية.

أهداف البحث:

1. إبراز مسألة صيغة العقد في المتاجر الإلكترونية ضمن بحث تأصيلي لمسائله.
2. إظهار الإشكالات الواردة على صيغة العقد في المتاجر الإلكترونية، مع بيان بدائلها إن وجدت.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في الموضوع لم أجد دراسة مفصلة لأحكام صيغة العقد في المتاجر الإلكترونية المتعامل بها اليوم، وما وجدته من دراسات، إنَّما تبحث في صيغة العقد الإلكتروني بشكل عام، منها:

- 1- صيغة العقد الإلكتروني دراسة مقارنة بالفقه الإسلامي، للباحث عبدالعال محمد أنور عبد العزيز، بحث ترقية في مجلة كلية الشريعة والقانون بأسبوط الإسلامية، العدد (20)، مجلد (8)، (2008م).

- 2- القبول الإلكتروني: صور التعبير عنه وشروطه، للباحث عزوز غلام، بحث

ترقية في مجلة آفاق العلوم بجامعة زيان عاشور بالجزائر، العدد (9)، (2017م).

فارق بحثي هذه البحوث السابقة، أنّ الأبحاث في صيغة العقد الإلكتروني تتكلم بشكل عام عن العقد الإلكتروني، وطريقة انعقاده، وشروطه، وتوثيقه، وآثاره، فشابه بحثي هذه الأبحاث من حيث الكلام عن الإيجاب والقبول العقد في الإلكتروني، لكن كان الفارق المهم في تفصيل الكلام على الإيجاب والقبول في المتاجر الإلكترونية، وكيفية حدوثها، ووقت لزومها، والإشكالات الواردة عليها، الفارق الذي لا يوجد في هذه الأبحاث، ولا في بحث قبلها.

مشكلة البحث:

تتلخّص مشكلة البحث في بيان أحكام صيغة العقد في المتاجر الإلكترونية، وطرق التعبير عنها، مع بيان الحكم الشرعي لها. ويسعى البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

- 1- ما هي طرق التعبير عن الإيجاب والقبول في المتاجر الإلكترونية؟
- 2- ما أبرز الإشكالات التي تواجه صيغة العقد في المتاجر الإلكترونية؟

المنهج المتبع:

اقتضت طبيعة البحث أن أجمع بين المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي.

أولاً: المنهج الاستقرائي: حيث جمعت المادة العلمية -مما استطعت الاطلاع عليه- من كتب الفقه المعتمدة في المذاهب، وكتب النوازل، والبحوث والرسائل العلمية.

ثانياً: المنهج الوصفي: بتصوير المسألة المراد بحثها، وبيانها في وضوء واقع التعامل بها.

ثالثاً: المنهج التحليلي: بتخريج المسألة على ما يناسبها إن كان له أصل ترجع إليه، أو نظير فقهي يمكن أن تلحق به.

منهجية البحث: تقوم منهجية البحث وفق المنهج العلمي الآتي:

- 1- تصوير المسألة التي يراد بحثها قبل الحكم عليها تصويراً وافياً؛ ليظهر المقصود

منها.

2- إذا كانت المسألة محل اتفاق بين العلماء؛ فإنني أذكر حكمها بدليله، مع توثيق الاتفاق من مظانه المعتبرة.

3- إذا كانت المسألة من مسائل الخلاف؛ فاسلك الآتي:

أ- تحرير محل النزاع، إذا كان بعض صور المسألة فيها خلاف، وبعضها محل اتفاق.

ب- ذكر الأقوال في المسألة مع بيان من قال بها من أهل العلم، مقتصرًا على المذاهب الفقهية المعتبرة، مع العناية بذكر ما تيسر الوقوف عليه من أقوال السلف، أو لباحثين معاصرين، أو لمؤسسات اجتهاد جماعي.

ت- ذكر أدلة الأقوال مع بيان وجه الدلالة، مُتَّبِعًا كل دليل ما يرد عليه من مناقشات إن وُجِدَ، مع الجواب عنها، وأن يذكر ذلك بعد الدليل مباشرة.

ث- الترجيح مع ذكر سببه، وثمره الخلاف إن وجدت.

4- الاعتماد على أمات المصادر الأصلية في توثيق الأقوال والأدلة، وتخريج صور المسائل.

5- كتابة الآيات بالرسم العثماني؛ بالاعتماد على مصحف المدينة النبوية، مع توثيقها بذكر اسم السورة، ورقم الآية بين معقوفتين داخل نص الرسالة.

6- شرح الكلمات الغريبة من كتب المعاجم المعتمدة، وبيان المصطلحات العلمية من كتب المصطلحات المعتمدة.

7- تخريج الأحاديث، والآثار بعزوها إلى مصادرها بذكر الكتاب، والباب، ورقم الجزء، والصفحة، ورقم الحديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بالعزو إليهما، أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما فيعزى إلى كتب السنة بحسب القوة والشهرة في الجملة، فتقدم الكتب الستة، ثم الصحاح، ثم السنن، ثم المسانيد، ثم الجوامع والموطآت، ثم الأجزاء.

8- العناية بقواعد اللغة والإملاء، وعلامات الترقيم.

خطة البحث: يتكوّن البحث من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على أهميّة البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة،

ومشكلة البحث، والمنهج المتّبع، ومنهجية البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: الإيجاب والقبول في المتجر الإلكتروني.

المبحث الثاني: التعبير عن الإيجاب والقبول في المتجر الإلكتروني، وفيه مطالبان:

المطلب الأول: صيغة الإيجاب في المتجر الإلكتروني.

المطلب الثاني: صيغة القبول في المتجر الإلكتروني.

المبحث الثالث: مجلس العقد في البيع عبر المتجر الإلكتروني.

المبحث الرابع: موانع الإيجاب والقبول في المتجر الإلكتروني:

المطلب الأول: رجوع الموجب عن الإيجاب.

المطلب الثاني: صدور ما يدل على الإعراض من العاقدین أو أحدهما.

المطلب الثالث: وفاة البائع أو المشتري أو فقد أهليته قبل القبول.

المطلب الرابع: هلاك المعقود عليه أو تغييره قبل تمام البيع.

الخاتمة: فيها أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: الصيغة:

ركن الصيغة من الأركان المتفق عليها بين أرباب المذاهب الأربعة، بل يذكرها

الفقهاء عند الحديث عن أركان العقد أولاً⁽¹⁾، لكن بدأت بالحديث عن العاقدین لتقدمهما

زماناً عن الصيغة⁽²⁾؛ إذ لا يتصور صيغة من غير عاقدین.

الصيغة في لغة: من الصوغ، مصدر صاغ الشيء يصوغه صوغاً، وصياغة أي:

أحسن عمله، وصيغة الأمر كذا وكذا، أي: هيئته التي بنى عليها، وصيغة الكلمة:

(1) قال في مغني المحتاج معقّباً على النووي لا بدّائه في منهاج الطالبين بالكلام عن الصيغة: " وكان الأولى للمصنف

أن يقدم الكلام على العاقد. ثم المعقود عليه ثم الصيغة، لكنه بدأ بها كما قال الشارح؛ لأنها أهم للخلاف فيها، وأولى من

ذلك أن يقال: لأن العاقد والمعقود عليه لا يتحقق إلا بها". 2/ 323.

(2) قال ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج في ذكر سبب تقديم النووي في منهاج الصيغة: " ولقوة الخلاف فيها بدأ

بها، وإن تقدما عليها طبعاً "، قال الشرواني في حاشيته على التحفة: " (قوله: طبعاً) الأولى زماناً". 4/ 215.

هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها، وحركاتها، والجمع: صِيْعٌ، قالوا: اختلفت صيغ الكلام، أي: تراكيبه وعباراته⁽¹⁾.

واصطلاحاً: يُفهم من التعريف اللغوي، ومن كلام بعض الفقهاء، أن الصيغة هي الألفاظ، والأفعال التي تفصح عن قصد المتعاقدين، ونوع تصرفهما⁽²⁾. يشهد لهذا التعريف قول ابن القيم: "إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفاً، ودلالة على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمراده، وما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الإرادات، والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل، أو قول... فإذا اجتمع القصد، والدلالة القولية، أو الفعلية ترتب الحكم، هذه قاعدة الشريعة"⁽³⁾.

المبحث الأول: الإيجاب والقبول في المتجر الإلكتروني.

الإيجاب لغة: من وجب الشيء يجب وجوباً إذا ثبت، ولزم، يقال: وجب البيع يجب وجوباً أي: لزم وثبت⁽⁴⁾.

القبول لغة: قَبِلَ الشيء قبُولاً: أخذه عن طيب خاطر، يقال: قَبِلَ الهدية ونحوها، ويقال: قَبِلَ الله دعاء فلان استجاب، وقَبِلَ العمل رضىه، ويقال: قَبِلَ الخبر صدَّقه⁽⁵⁾.

اصطلاحاً: اختلف الفقهاء في تعريفهما:

القول الأول: هو ما صدر أولاً من أحد العاقلين بصيغة صالحة لإفادة العقد، بصرف النظر هل صدر ذلك عن البائع، أو عن المشتري، والقبول: ما صدر ثانياً موافقاً ومطابقاً لما صدر أولاً. وهو قول الحنفية⁽⁶⁾.

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة: 3/ 321؛ لسان العرب: 8/ 442، مادة (صوغ).

(2) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب: 2/ 3؛ مواهب الجليل: 3/ 419؛ كشاف القناع عن متن الإقناع: 3/ 146.

(3) ينظر: إعلام الموقعين: 3/ 86.

(4) ينظر: لسان العرب: 1/ 793، مادة (وجب)؛ تاج العروس من جواهر القاموس: 4/ 333، مادة (وجب).

(5) ينظر: المصباح المنير: 2/ 488، مادة (قَبِلَ)؛ المعجم الوسيط: 2/ 712، مادة (قَبِلَ).

(6) ينظر: فتح القدير: 6/ 248؛ تبیین الحقائق: 4/ 3.

القول الثاني: ما يصدر من البائع الذي يكون منه تملك السلعة دالاً على الرضا، والقبول: ما يصدر من المشتري الذي يبذل الثمن كذلك.

وهو قول المالكية⁽¹⁾، والشافعية⁽²⁾، والحنابلة⁽³⁾.

سبب الخلاف: لفظي ليس له كبير أثر؛ لأن الكل متفق على جواز تقديم لفظ المشتري⁽⁴⁾ على لفظ البائع؛ وذلك لحصول المقصود⁽⁵⁾؛ ولأنَّ الكل متفق أنَّ البيع لا ينعقد إلا بوجود محل العقد والعاقدين وتبادل الإيجاب بينهما⁽⁶⁾. وعلى هذا لا يختلف الإيجاب والقبول الإلكتروني عمّا سبق إلا من حيث الوسيلة التي تعبر عنه، فالأول تعبير عن إرادة الموجب، والثاني تعبير عن إرادة القابل لكن بوسيلة إلكترونية⁽⁷⁾. فإذا تبين هذا عرفت أن البيوع الإلكترونية لا تختلف عن البيوع التقليدية من حيث الشروط والآثار، إلا أنه ومع هذا التشابه، فقد وجد الاختلاف في ثلاثة أمور⁽⁸⁾:

الأول: أن العاقدين لا يضمهما مجلس واحد، وهذا سنأتي لتفصيله في فرع مستقل في هذا المطلب.

الثاني: عند إبداء الرغبة في الشراء في البيوع الإلكترونية، فإن السلعة لا تكون حاضرة حضوراً ملموساً، بل هي سلعة موصوفة، غير معينة⁽⁹⁾.

(1) ينظر: مواهب الجليل: 228/4؛ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني: 2/ 139.

(2) ينظر: أسنى المطالب: 3/2؛ نهاية المحتاج: 3/ 375-377.

(3) ينظر: شرح منتهى الإرادات: 2/ 6؛ كشف القناع: 3/ 146.

(4) إلا أن الحنابلة يخالفون المالكية والشافعية في عقد النكاح، فلا يجوز عندهم تقدم الإيجاب على القبول فيه قالوا: لأن القبول إنما يكون للإيجاب، فمتى وجد قبله لم يكن قبولا لعدم معناه، بخلاف البيع، ولأن الاحتياط في باب النكاح أشد من الاحتياط في باب البيع؛ ولأن البيع لا يتعين فيه لفظ، بل يصح بأي لفظ كان مما يؤدي المعنى خلافاً للنكاح ينظر: المغني: 9/ 463؛

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: 8/ 50؛ كشف القناع عن متن الإقناع: 5/ 40.

(5) ينظر: مواهب الجليل: 4/ 231؛ حاشية الدسوقي: 3/3؛ كنز الراغبين: 2/ 192؛ حاشية الشربيني على الغرر

البهية: 2/ 394؛ الكافي في فقه الإمام أحمد: 2/ 3؛ الشرح الكبير على المقنع: 11/9.

(6) ينظر: فقه البيوع على المذاهب الأربعة: 1/28.

(7) ينظر: الإيجاب والقبول في العقود الإلكترونية: 93؛ العقود الإلكترونية دراسة فقهية تحليلية: 9؛ ضوابط عقد البيع

الإلكتروني: 145.

(8) ينظر: أحكام التجارة الإلكترونية في الفقه الإسلامي: 242.

(9) ينظر: تأجيل البديلين في البيوع الإلكترونية: 297.

الثالث: لا توجد مساومة - في الغالب- بحيث يرى المشتري السلعة معلناً عبر الشاشة وسعرها مكتوب أمامها، فهل هذا يعتبر إيجاباً من صاحب المتجر، هذا ما سنعرفه في الفرع الثاني، عند ذكر الوسائل التي تستخدم عند أصحاب المتاجر لإبرام العقود الإلكترونية.

المبحث الثاني: التعبير عن الإيجاب والقبول في المتجر الإلكتروني.

اتفق الفقهاء أن البيع ينعقد بكل ما يدل على الرضا بين المتعاقدين⁽¹⁾، ومنها البيوع التي تم عبر المتاجر الإلكترونية؛ إذ لا يختلف الإيجاب والقبول الإلكتروني إلا من حيث الوسيلة التي يتم بها، فكيف يتم التعبير عن الإيجاب والقبول في البيوع المبرمة عبر المتاجر الإلكترونية؟

المطلب الأول: صيغة الإيجاب في المتجر الإلكتروني:

أن يرى العميل السلعة في واجهة المتجر الإلكتروني، ويطلع على سعرها المكتوب أمامها، وبقية المواصفات التي يحتاج العميل معرفتها قبل إبرام العقد، ثم بعد ذلك إذا رغب الشراء أكمل إجراءات تسجيل بياناته الشخصية، وبيانات الشحن، والدفع الإلكتروني، ثم يضغط على أيقونة تأكيد الشراء؛ ليتم بعد ذلك تأكيد الطلب من المتجر؛ ليقوم بعد ذلك بترتيب إجراءات التسليم للسلعة.

هذه الطريقة في التعاقد تحتاج إلى دقة في النظر لمعرفة الوقت الذي تم فيه الإيجاب والقبول في المتاجر الإلكترونية، فهل يكون هذا العرض⁽²⁾ للسلع في واجهة المتجر الإلكتروني إيجاباً عاماً موجَّهاً من المتجر الإلكتروني للجمهور، ويخضع لقاعدة الأسبقية في القبول، أم يكون مجرد دعوة للتفاوض فقط؟

(1) ينظر: العناية شرح الهداية: 251/6؛ فتح القدير: 248/6؛ التاج والإكليل: 12/6؛ مواهب الجليل: 228/4؛ المجموع: 162/9؛ الغرر البهية في شرح البهجة الوردية: 389/2؛ الإنصاف: 260/4؛ كشاف القناع: 146/3.

(2) العرض -بفتح العين وسكون الراء- له معاني في اللغة، منها ما نحن بصدد، فعرضت له الشيء، أي أظهرته له وأبرزته إليه، ومنه قوله تعالى: (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً)؛ قال الفراء: أبرزناها حتى نظر إليها الكفار. ينظر: الصحاح: 1082/3، مادة(عرض)؛ لسان العرب: 165/7، مادة (عرض).

أولاً لابد أن نعرف أنَّ الإيجاب لا يشترط أن يكون موجَّهاً إلى شخص بعينه، بل يصح الإيجاب، ولو كان موجَّهاً للجمهور من غير تعيين؛ وذلك أنَّ الموجب لا يهْمُهُ إلا بيع سلعته لأي شخص يتقدم لشرائها بالنِشْن الذي حدَّده⁽¹⁾، لكن اختلفوا في عرض السلع على الجمهور هل يُعَدُّ إيجاباً باتاً أم دعوة للتفاوض؟

القول الأول: إنَّ عرض السلعة للجمهور يُعَدُّ إيجاباً باتاً.

نضال سليمان برهم⁽²⁾، بشار مومني⁽³⁾، أحمد العجلوني⁽⁴⁾.

أدلة القول الأول:

- 1- لأنَّ عرض السلع مصحوبة بمواصفاتها، وكميتها، وطرق تسليمها، وأسعارها وكل ماله علاقة بالعقد الذي لا ينقصه إلا القبول من المشتري الذي يتم بطريقة إلكترونية مخصصة - وهي الضغط على زر القبول- فهذه الأسباب يتضح قصد المتجر الإلكتروني أنه أراد الإيجاب، وعليه تسليم السلعة لمن طلبها أولاً بأول⁽⁵⁾.
- 2- لعلهم انتكأوا على بعض نصوص الفقهاء في ذلك، قال الدسوقي⁽⁶⁾ في حاشيته: "عرض رجل سلعته للبيع، وقال: من أتاني بعشرة فهي له، فأتاه رجل بذلك إن سمع كلامه، أو بلغه، فالبيع لازم، وليس للبائع منعه، وإن لم يسمعه، ولا بلغه فلا شيء له"⁽⁷⁾.
- 3- ويمكن أن يستدل لهم أيضاً أنها وجدت في الفقه عقود موجهة للجمهور جعلها الفقهاء إيجاباً، وذلك كعقد الجعالة إذا قال: "من ردَّ لي بعيري فله كذا" فهذا

(1) ينظر: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة: 301/1.

(2) ينظر: أحكام عقود التجارة الإلكترونية: 39.

(3) ينظر: مشكلات التعاقد عبر الأنترنت: 59.

(4) ينظر: التعاقد عن طريق الأنترنت: 67.

(5) ينظر: الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية: 256/1؛ المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي:

313؛ صور التعبير عن الإرادة عبر الشبكات الإلكترونية: 162؛ العقد الإلكتروني في الفقه الإسلامي والقانون: 58.

(6) هو: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، شمس الدين أبو عبد الله، محقق عصره، ووحيد دهره، عالم بالعربية،

توفي سنة (1230هـ)، من مصنفاته: (حاشية على الشرح الكبير على مختصر خليل)، (حاشية على مغني اللبيب)،

(الحدود الفقهية). ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 520/1؛ الأعلام: 17/6.

(7) ينظر: حاشية الدسوقي: 5/3.

إيجاب للجميع⁽¹⁾، فمن ردّ البعير استحق الجُعْل، ومن دفع الثمن استحق السلعة. 4- وكذلك استخدام المتاجر الإلكترونية الرد الفوري (بالأجهزة المؤتمتة⁽²⁾) فهي تعقد العقد تلقائياً دون الحاجة لتدخل بشري؛ مما يدل أن المتجر أراد بهذا العرض اللزوم⁽³⁾.

لكن يُشكّل على هذا القول أن المتجر الإلكتروني قد يتسلّم آلاف الرسائل الإلكترونية بالموافقة على طلب الشراء دون أن تكون لديه الكمية المطلوبة، أو تكون لديه بأسعار أزيد ما كانت عليه وقت الإعلان؛ نتيجة لازدياد الطلب على السلعة، أو لارتفاع الأسعار⁽⁴⁾.

يجاب عن الإشكال: أن هذا التحفّظ من المتجر الإلكتروني يكون بمثابة شرط يعلّق عليه الإيجاب بحيث إذا ورد القبول بعد نفاذ الكمية كأن الإيجاب لم يكن، فالمتجر ملزم بإيجابه في حدود توقُّر البضاعة، وعدم نفاذها من المخزون، وهذا ما جاء في شروط بعض المتاجر الإلكترونية كمتجر Apple Store (أبل ستور)⁽⁵⁾، لكن الحقيقة أن هذا يختلف من متجر إلى آخر، فالمتاجر التي تمتلك مخازن لسلعها وهي المتاجر الكبيرة التي لها سمعة كبيرة بين عملائها كمتجر نون مثلاً، فإنه عند صورة أي سلعة يظهر أمامك كم بقي في المخزن من هذا النوع من السلع، فإذا نفذت لا يقبل المتجر أي طلب على هذه السلعة تلقائياً، فمثل هذه المتاجر لا يرد عليها هذا الإشكال.

القول الثاني: إن العرض الموجّه للجمهور لا يُعدّ إيجاباً، وإنما هو دعوة للتفاوض ما لم يقصد مقدم العرض الالتزام به في حالة القبول.

(1) ينظر: أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك: 4/ 82؛ منح الجليل: 8/ 68؛ روضة الطالبين وعمدة المفتين: 5/ 268؛ مغني المحتاج: 3/ 617؛ الإقناع: 2/ 395؛ كشاف القناع: 4/ 203.

(2) هي قيام الأجهزة والآلات للمهام التي كان يؤديها البشر. ينظر: تطبيقات إنترنت الأشياء: 82.

(3) ينظر: التراضي في العقود الإلكترونية عبر شبكة الأنترنت: 154.

(4) ينظر: نظرية العقد في القوانين المدنية العربية: 141؛ التراضي في تكوين عقود التجارة الإلكترونية: 78؛ التراضي في العقود الإلكترونية عبر شبكة الأنترنت: 153.

(5) ينظر: خصوصية التعاقد عبر الأنترنت: 952؛ المجلس الإلكتروني: 91.

قال به قانون الأونسيترال للتعاقد الإلكتروني⁽¹⁾.

أدلة القول الثاني:

1- لأنّ هذا ما يتفق مع طبيعة العقود الإلكترونية، فإنّه عند متابعة الشراء ونقل البضاعة إلى سلة المبيعات في المتجر الإلكتروني؛ فإنّ هناك خطوات لا بد من المرور بها حتى تكتمل الصفقة (كتسجيل البيانات الشخصية، وبيانات الشحن، واختيار طرق الدفع المتوفرة في المتجر وغيرها بحسب طبيعة كل متجر وما يحتاج إليه من بيانات)، فعلى هذا لو كان إيجاباً باتّاً لم احتجنا لكل تلك الخطوات لتكتمل الصفقة.

نوقش: مثل هذه الخطوات لا تسلب الإيجاب خصائصه، فهو ملزم بشرط استكمال الخطوات الأخرى، فهو كالإيجاب المعلق على شرط⁽²⁾.

2- بالنظر لواقع البيع داخل المتاجر الإلكترونية، فإنه عند طلب العميل لسلعة ما ودفع ثمنها، فإنّ الطلب يبقى معلقاً حتى يؤكد المتجر الإلكتروني، وهذا دليل أنّ ما قبل ذلك مجرد إعلان ودعوة للتفاوض فقط، وإنّما الإيجاب والقبول الملزمان يحصلان بعد دفع العميل ثمن السلعة، وضغطه على تأكيد الشراء، والإيجاب يكون بعد تأكيد الطلب من المتجر والانتقال لإجراءات شحنها.

الراجع: الذي يظهر - والله أعلم- أنّه يُرَجَّعُ لكل متجر بحسبه، فإن كان يشترط لنفسه الحق في رفض التعاقد ولو قبل الطرف الآخر، فإن هذه العرض يكون إعلاناً، أو دعوة للتعاقد، ولا يُعدُّ إيجاباً؛ لأنّ من شرط الإيجاب أن يكون

(1) نص في مادته (التاسعة): " أي رسالة بيانات تتضمن عرضاً لإبرام عقد، ولا تكون موجهة إلى شخص، أو أشخاص معينين، بل تكون عامة في متناول الأشخاص الذين يستخدمون نظم المعلومات، مثل عرض سلع، أو خدمات من خلال موقع شبكة الأنترنت، تعتبر مجرد دعوة إلى تقديم عروض، ما لم يتبين اتجاه قصد مقدم العرض إلى الالتزام به في حالة قبوله ". ينظر: لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي، الدورة السادسة والثلاثون: 34.

(2) ينظر: عقود التجارة الإلكترونية في القانون الاتحادي لدولة الإمارات: 172.

جازماً⁽¹⁾، فيحتاج لتجديد الإيجاب والقبول، أمّا إذا لم يكن له الحق في رفض التعاقد في حال قبول الطرف الآخر، فهو إيجابٌ ملزم.

المطلب الثاني: صيغة القبول في المتجر الإلكتروني:

من الصيغ الحديثة التي تدل على الرضا بين المتعاقدين وتحل محل القبول، فيتم إعدادها مسبقاً بواسطة أوامر برمجية تتم من خلال الضغط على أيقونة القبول، فهل تكون كافية في التعبير عن القبول مع أنّه تكتنفها مخاطر متوقعة كأن يكون الضغط على الأيقونة بالخطأ، أو يكون الشخص الذي ضغط على الأيقونة غير الشخص المراد التعاقد معه، لذا كان على المتاجر الإلكترونية إيجاد حلول لمثل هذه المخاطر المتوقعة؛ وذلك بأن تجعل القبول النهائي بالضغط مرة أخرى على تأكيد القبول؛ لتفادي من يضغط بغير قصد، قال في المعايير الشرعية: "يعتبر الضغط على مفتاح (أيقونة) القبول عند إبرام العقد عبر الموقع على الشبكة قبولاً صحيحاً شرعاً إذا كان نظام الموقع لا يشترط تأكيد القبول، فإن كان يشترط التأكيد بأي طريقة يحددها الموقع، فإن القبول لا يقع إلا بصدور ذلك التأكيد"⁽²⁾، أو تستخدم تقنيات أخرى -كما تفعله بعض المتاجر- عن طرق وثيقة أمر بالشراء يقوم العميل بتحريرها على الشاشة، أو يكون تأكيد الأمر بالشراء يرجع للبائع نفسه عن طريق إرسال رسالة تأكيد عبر البريد الإلكتروني للعميل، بحيث يمكن للعميل استدراك الخطأ في هذه الحالة قبل قبول البائع، فعلى هذا ينبغي للمتاجر الإلكترونية أن تبين لعملائها الأمر الذي يحصل به القبول النهائي حتى لا يحدث نزاع⁽³⁾. لكن أشير إلا أنّه عند اكتمال خطوات تسجيل البيانات اللازمة من العميل، يأتي على أيقونة تأكيد القبول سؤال - بعض المتاجر الإلكترونية- هل أنت راغبٌ في السلعة؟، أو هل تريد تأكيد عملية

(1) ينظر: المبسوط: 108 / 12؛ بدائع الصنائع: 5 / 133؛ شرح الخرشي على مختصر خليل: 6 / 5؛ حاشية الصاوي: 15 / 3؛ أسنى المطالب: 2 / 3؛ نهاية المحتاج: 3 / 376؛ المبدع في شرح المقنع: 4 / 4؛ مطالب أولي النهى: 5 / 3.

(2) ينظر: معيار التعاملات المالية بالإنترنت (رقم 38): 964.

(3) ينظر: أحكام عقود التجارة الإلكترونية: 46؛ التراصي في العقود الإلكترونية عبر شبكة الأنترنت: 165.

الشراء؟ وهذا يُعد الخطوة الأخيرة في القبول من المتجر، فإذا قام المشتري بالضغط على زر الموافقة يُعدُّ قبولاً منه.

وهذا فيه إشكالٌ جليٌّ لمن تأمل هذه الآلية في التعاقد، فإنَّ الصيغة الصادرة تكون بطريق الاستفهام، والتعبير عن الصيغة بالاستفهام لا ينعقد به البيع عند جمهور العلماء⁽¹⁾؛ لأنَّ الاستفهام سؤال للإيجاب والقبول، وليس إيجاباً وقبولاً بنفسه، ففقد البيع أحد أركانه⁽²⁾، قال ابن قدامة: "وإن أتى بلفظ الاستفهام، فقال: أبعثني ثوبك، فقال: بعتك، لم يصح متقدماً ولا متأخراً -يعني تقدم القبول أو تأخر- لأنه ليس بقبول ولا استدعاء"⁽³⁾. وخالف في ذلك المالكية وقالوا: إنَّ البيع بلفظ الاستفهام صحيح منعقد⁽⁴⁾. والصحيح في ذلك أنَّ العرف الغالب في البيع في المتاجر الإلكترونية يقضي بصحة تلك الصيغة، لأنَّه مجرد سؤال عن مدى جدية المشتري في إكمال الصفقة، لوجود القرينة الدالة على العزم على إتمام العقد، وإلا لما أكمل المشتري كل تلك الإجراءات الدالة على جدِّيته في الشراء؛ ولأنَّ الشارع لم يحدِّ ألفاظاً معينة عند التبايع، وما لم يحدِّه الشرع فمرده إلى العرف⁽⁵⁾، فكل ما يدل على البيع، وتراضيا عليه، فإنه ينعقد به البيع، فيدخل فيه هذه الصيغة؛ لأنَّ للعرف وغلبة الاستعمال أثر

(1) ينظر: بدائع الصنائع: 133/5؛ حاشية على تبين الحقائق: 4/4؛ المجموع: 169/9؛ روضة الطالبين: 339/3؛ المغني: 7/6؛ مطالب أولي النهى: 6/3.

(2) ينظر: بدائع الصنائع: 134/5.

(3) ينظر: الكافي: 3/2.

(4) ينظر: مواهب الجليل: 230/4؛ شرح مختصر خليل للخرشي: 6/71. يمكن أن يستدل للملكية بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاحق بي وتحتي ناضح لي قد أعيا ولا يكاد يسير، قال: فقال لي: ما لبعيرك؟ قال: قلت: عليل، قال: فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزجره ودعا له، فما زال بين يدي الإبل قدامها يسير، قال: فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قال: قلت: بخير، قد أصابته بركتك، قال: أفتبعنيه؟ فاستحييت، ولم يكن لنا ناضح غيره، قال: فقلت: نعم، فبعته إياه على أن لي فقار ظهره حتى أبلغ المدينة). أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب البيوع، باب بيع البعير واستثناء ركوبه، (715/51) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، مرفوعاً. وجه الدلالة: أن الصيغة التي تلفظ بها النبي صلى الله عليه وسلم صيغة استفهام - وكان المشتري - ومع ذلك لم يعد العقد، فدل على صحة العقد بصيغة الاستفهام.

(5) والعرف جارٍ في البيوع الإلكترونية أنَّ هذه صيغة عقد معتبرة.

بارز في صراحة الصيغ، وكنائتها، فهو الموجب لثبوت الصراحة، لا سيما في العقود، قال في الفروق: " فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه... وعلى هذه القاعدة تتخرج أيمان الطلاق، والعقاق، وصيغ الصرائح، والكنائيات، فقد يصير الصريح كناية يفتقر إلى النية، وقد تصير الكناية صريحا مستغنية عن النية ⁽¹⁾ فالثابت بالعرف كالثابت بالنص ⁽²⁾، قال ابن قدامة: " ولنا، أن الله أحلَّ البيع، ولم يبيِّن كيفيته، فوجب الرجوع فيه إلى العرف ⁽³⁾، وقال ابن تيمية: " والاكتفاء في العقود المطلقة بما يعرفه الناس، وأن ما عده الناس بيعًا فهو بيع ⁽⁴⁾."

المبحث الثالث: مجلس العقد في البيع عبر المتجر الإلكتروني.

لا شك أن التعاقد بين شخصين لا يجمعهما مكان واحد عبر الأنترنت هو تعاقدٌ بين غائبين لا يكون بينهما حضور زمني متعاصر لحظة تبادل الإيجاب والقبول، وقد صدر بذلك قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي ⁽⁵⁾، وندوة البركة للاقتصاد الإسلامي ⁽⁶⁾، وهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية ⁽⁷⁾، ومنه ما يحصل من تعاقد عبر المتاجر الإلكترونية، فإذا تقرّر ذلك فإن تحديد بداية ونهاية مجلس العقد بالنسبة للغائبين من الأهمية بمكان؛ إذ يترتب على هذا التحديد آثار كثيرة كلزوم العقد،

(1) ينظر: الفروق: 1/ 176-177.

(2) ينظر: قواعد الفقه: 74؛ مؤسوعة القواعد الفقهية: 2/ 537.

(3) ينظر: المغني: 6/ 8.

(4) مجموع الفتاوى: 20/ 230.

(5) إذا تم التعاقد بين غائبين لا يجمعهما مكان واحد، ولا يرى أحدهما الآخر معاينة، ولا يسمع كلامه، وكانت وسيلة الاتصال بينهما الكتابة، أو الرسالة، أو السفارة (الرسول)، وينطبق ذلك على البرق، والتلص، والفاكس، وشاشات الحاسب الآلي (الحاسوب)، ففي هذه الحالة ينعقد العقد عند وصول الإيجاب إلى الموجه إليه وقبوله ينظر: مجلة المجمع، العدد (6)، (785/6).

(6) إن الصيغة الشرعية للتعاقد بين شخصين لا يجمعهما مكان واحد عبر الأنترنت (الشبكة الإلكترونية) أنه تعاقد بين غائبين عن طريق هذه الوسيلة إذا كان لا يسمع أحدهما كلام الآخر، فيتخرج على التعاقد عن طريق الرسالة. ينظر: قرارات وتوصيات ندوات البركة للاقتصاد الإسلامي (جمع وتنسيق: عبد الستار أبو غدة، وعز الدين محمد خوجة)، القرار الخامس الصادر عن ندوة البركة التاسعة عشر في مكة من 6-7 رمضان عام 1420هـ.

(7) "إبرام العقد باستخدام المحادثة الكتابية، أو بالبريد الإلكتروني، أو عبر الموقع على الشبكة يأخذ أحكام التعاقد بين غائبين، مثل: التعاقد عن طريق الرسالة". ينظر: معيار رقم (38)، التعاملات المالية بالأنترنت: 963.

والنماء والضمان وغيرها⁽¹⁾، والذي يظهر من نصوص الفقهاء الحنفية، والشافعية⁽²⁾ أن مجلس العقد يبدأ من لحظة بلوغ الإيجاب إلى من وجه له الكتاب، أو أرسل إليه الرسول، وإليك شيئاً من نصوصهم:

قال في شرح غرر الأحكام: " والكتاب، والرسالة كالخطاب: يعني إذا كتب أما بعد: فقد بعثك عبيد فلانا بكذا، أو قال لرسوله: بعث هذا من فلان الغائب بكذا، فاذهب وأخبره، فوصل الكتاب إلى المكتوب إليه، وأخبر الرسول المرسل إليه، فقال في مجلس بلوغ الكتاب، أو الرسالة: اشتريته به، أو قبلته تم البيع بينهما؛ لأن الكتاب من الغائب كالخطاب من الحاضر، والرسول مُعَبَّرٌ وسفيرٌ، فكلامه ككلام المرسل؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبلغ تارة بالخطاب، وتارة بالكتاب"⁽³⁾ قال في فتح الوهاب: " ولو كتب إلى غائب ببيع، أو غيره صحَّ، ويشترط قبول المكتوب إليه عند وقوفه على الكتاب⁽⁴⁾، ويمتد خيار مجلسه ما دام في مجلس القبول⁽⁵⁾، ويمتد خيار الكاتب إلى انقطاع خيار المكتوب إليه⁽⁶⁾"⁽⁷⁾، فإذا عرفنا بداية المجلس يبقى معنا تحديد لحظة

(1) ينظر: المعاملات المالية أصالة ومعاصرة: 1/ 449؛ صيغ العقود في الفقه الإسلامي: 227؛ العقد بالكتابة والإشارة وآلات الاتصال الحديثة: 25.

(2) لم أقف على نص صريح للملكية والحنابلة في هذا الشأن، ولا أظنهم يخرجون عن هذا القول؛ لأن المتأمل في وصول الإيجاب بالكتابة إلى مجلس القابل، فإنه لا يختلف عن وصوله له حساً، والكتاب كالخطاب كما يقول الفقهاء. ينظر: صيغ العقود في الفقه الإسلامي: 228.

(3) ينظر: درر الحكام شرح غرر الأحكام: 2/ 144.

(4) أي: فوراً، فلو تكلم بكلام أجنبي ضرراً، وهذا على قاعدة مذهب الشافعية في اشتراط الفورية في القبول.

(5) وهذا ما لم يختار لزومه وإلا انقطع خياره؛ إذ خيار المجلس ينقطع بالمفارقة، أو الإلزام.

(6) قال البجيرمي: " تقتضي هذه العبارة شيئين: الأول: أن الكاتب لو فارق مجلسه الذي كان فيه عند قبول المكتوب إليه، أو ألزم البيع لم ينقطع خياره، وليس كذلك بل ينقطع، والثاني: أن المكتوب إليه لو ألزم العقد، أو فارق مجلسه والكاتب باق في مجلسه الذي كان فيه عند قبول المكتوب إليه انقطع خيار الكاتب. والمعتمد فيهما عدم الانقطاع بل لا ينقطع خيار كل منهما إلا بإلزامه العقد، أو مفارقتها مجلس نفسه، ومجلس المكتوب إليه هو الذي قبل فيه، ومجلس الكاتب هو الذي كان فيه عند قبول المكتوب إليه، وأوله من حين قبول المكتوب إليه؛ لأن البيع لا يوجد إلا حينئذ".

ينظر: حاشية البجيرمي على شرح المنهج: 2/ 169.

(7) ينظر: فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب: 1/ 186.

انتهاء مجلس العقد بين الغائبين، وهذه المسألة مبنية على مسألة التفريق الذي يلزم به البيع، هل هو بالأبدان، أم بالأقوال؟

القول الأول: ينتهي المجلس بالتفريق بالأبدان. وبه قال الشافعية⁽¹⁾، والحنابلة⁽²⁾.

دليل القول الأول: قياس التعاقد بين الغائبين على التعاقد بين الحاضرين، فإذا كان مجلس العقد ينتهي في التعاقد بين الحاضرين بانفضاض المجلس، فكذلك بين الغائبين⁽³⁾.

القول الثاني: ينتهي المجلس بالتفريق بالأقوال. وبه قال الحنفية⁽⁴⁾، والمالكية⁽⁵⁾.

دليل القول الثاني: قياس التعاقد بين الغائبين على التعاقد بين الحاضرين، فإذا كان مجلس العقد ينتهي في التعاقد بين الحاضرين بإصدار القبول في مجلس بلوغ الكتاب، فكذلك بين الغائبين ينتهي بوقت إصدار القبول⁽⁶⁾.

القول الثالث: ينتهي المجلس عند علم الموجب بالقبول. وبه قال بعض المعاصرين⁽⁷⁾.
دليل القول الثالث: قياس التعاقد بين الغائبين على التعاقد بين الحاضرين، فإذا كان مجلس العقد ينتهي في التعاقد بين الحاضرين بسماع كلاً من المتعاقدين عبارة الآخر، فكذلك يجب السماع عن التعاقد بين الغائبين⁽⁸⁾.

نوقش: أن وجوب سماع كلاً من المتعاقدين كلام الآخر، إنما هو في حالة التعاقد باللفظ دون التعاقد بالطرق الأخرى⁽⁹⁾.

(1) ينظر: المجموع: 9/ 184؛ نهاية المحتاج: 4/ 8.

(2) ينظر: الكافي: 2/ 26؛ المبدع في شرح المقنع: 4/ 64.

(3) ينظر: صيغ العقود في الفقه الإسلامي: 231.

(4) ينظر: الاختيار لتعليل المختار: 2/ 5؛ مجمع الأنهر: 2/ 7.

(5) ينظر: الفواكه الدواني: 2/ 109؛ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني: 2/ 190.

(6) ينظر: صيغ العقود في الفقه الإسلامي: 233.

(7) ينظر: مصادر الحق في الفقه الإسلامي: 55/2-56؛ العقد في الفقه الإسلامي: 128-129.

(8) ينظر: مصادر الحق في الفقه الإسلامي: 56/2؛ العقد في الفقه الإسلامي: 127-128.

(9) ينظر: صيغ العقود في الفقه الإسلامي: 232.

الراجح: الذي يظهر أنَّ القول الأول وسط بين من يشترط الفورية في القبول، وبين حاجة القابل للتروي والتأمل، فكان ضبط الأمر بالتفريق من المجلس جامع لتلك المتفرقات.

المبحث الرابع: موانع الإيجاب والقبول في البيع عبر المتجر الإلكتروني.

من شرط اتصال الإيجاب بالقبول أن يكون الموجب باقياً على إيجابه إلى أن يتصل به القبول في المجلس، فلا يرجع عن الإيجاب قبل اتصال القبول به، ولا يصدر عنه، أو ممن وجه إليه الإيجاب ما يدل على الإعراض، ولا يحصل هلاك للعقد، أو المعقود عليه قبل حصول القبول، إذا فالموانع أربعة، وهي كالآتي:

المطلب الأول: رجوع الموجب عن الإيجاب.

يتصور رجوع الموجب عن إيجابه في المتاجر الإلكترونية إذا تمَّ إلغاء الطلب من العميل حتى ولو بعد الدفع، وذلك قبل تأكيد المتجر الإلكتروني بإتمام البيعة عبر إرسال رسالة نصية، أو عبر البريد الإلكتروني بأن الطلب قيد التنفيذ، أو تحت المراجعة، فهل يجوز له ذلك؟

اختلف العلماء في المسألة على قولين مشهورين:

القول الأول: أنَّ الإيجاب ليس بملزم، فللموجب الرجوع عن الإيجاب قبل قبول الطرف الآخر. وهذا مذهب جمهور الفقهاء من الحنفية⁽¹⁾، والشافعية⁽²⁾، والحنابلة⁽³⁾. ويستدلون على صحة ذلك بأنه لو لم يكن له الرجوع لكان مجبراً على العقد، وهذا ينافي الرضا⁽⁴⁾.

(1) ينظر: البحر الرائق: 4/ 527؛ حاشية ابن عابدين: 5/ 294.

(2) ينظر: المجموع: 9/ 169؛ مغني المحتاج: 2/ 330.

(3) الحنابلة يقولون: بخيار المجلس كالشافعية، وهو يقتضي صحة رجوع الموجب عن إيجابه حتى بعد صدور القبول من الطرف الآخر، فمن باب أولى أن يصح الرجوع قبل أن يتصل القبول به. ينظر: الإقناع: 3/ 168؛ كشاف القناع: 147-148/3.

(4) ينظر: بدائع الصنائع: 5/ 134.

القول الثاني: رجوع الموجب عن الإيجاب لا يبطل الإيجاب، بل يبقى إلى أن يقبله الطرف الآخر فيتصل به القبول، وينعقد العقد، أو يردّه فلا ينعقد. وهو مذهب المالكية⁽¹⁾. وذلك أن الموجب قد ألزم نفسه بالإيجاب وأوجبه عليها، فلا يحق له الرجوع عنه⁽²⁾.

القول الثالث: إذا حدد الموجب إيجاباً محدد المدة يكون ملزماً بالبقاء على إيجابه خلال تلك المدة، وليس له الرجوع عنه، ورجّحه مجمع الفقه الإسلامي⁽³⁾، وهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية⁽⁴⁾.

الراجح: القول الثالث وسط بين الأقوال، فإذا كان الإيجاب محدد بمدة، فلا يحق للموجب الرجوع؛ لأنه جعل حق القبول والرفض للطرف الآخر، وعليه لا يعد رجوع الموجب مبطلاً للإيجاب، أما إذا لم يحدد مدة للإيجاب، فله الرجوع في ذلك؛ لأن الالتزام لم ينشأ بعد، لكن عند التأمل في هذا القول تبين أنه ليس بقول مستقل، بل هو من باب الشروط في البيع، فالموجب اشترط على نفسه البقاء على إيجابه طوال هذه المدة، فكل من ألزم نفسه شرطاً لا يخالف الشرع، ولا ينافي مقتضى العقد، وله فيه مصلحة، فيجب الوفاء به⁽⁵⁾.

الإيجاب في مزادات المتاجر الإلكترونية:

في حال إبرام عقد المزايدة في المتاجر الإلكترونية، ومن أشهر تلك المتاجر وأقدمها متجر إيباي (eBay) فإنه لا يحق لمن زاد في ثمن السلعة الرجوع عن إيجابه حتى

(1) ينظر: مواهب الجليل: 4/ 241؛ حاشية العدوي على شرح الخرشي: 7/ 5.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 3/ 357.

(3) الذي نصّ على: " إذا صدر العارض بهذه الوسائل إيجاباً محدد المدة، يكون ملزماً بالبقاء على إيجابه خلال تلك المدة، وليس له الرجوع عنه". ينظر: قرار مجمع الفقه الإسلامي الذي صدر برقم: 52(6/3).

(4) ينظر: المعايير الشرعية، معيار التعاملات المالية بالإنترنت (38): 963، وقد أخذت به كثير من القوانين المدنية، ويسمونه الإيجاب المؤقت. ينظر: المادة 98 من القانون المدني الأردني، والمادة 93 من القانون المدني السوري.

(5) هذا الرجوع يتحقق في المتجر الإلكتروني بالضغط على أيقونة إلغاء الطلب قبل تأكيد القبول، كما في متجر نون (noon).

ينتهي مجلس المزايدة، نصّ على ذلك المالكية⁽¹⁾، قال في البيان والتحصيل: " والحكم فيه أن كل من زاد في السلعة لزمته بما زاد فيها إن أراد صاحبها أن يمضيها له بما أعطى فيها ما لم يسترد سلعته، فيبيع بعدها أخرى، أو يمسكها حتى ينقضي مجلس المناذاة، وهو مخير في أن يمضيها لمن شاء ممّن أعطى فيها ثمنًا، وإن كان غيره قد زاد عليه"⁽²⁾، وبه صدر قرار هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية⁽³⁾.

المطلب الثاني: صدور ما يدل على الإعراض من العاقلين، أو أحدهما.

يتصوّر الإعراض عن البيع في المتاجر الإلكترونية بترك الجهاز أو إغلاقه، أو الانتقال إلى معاملة أخرى، أو متجرًا آخر ليشترى منه قبل إتمام البيعة⁽⁴⁾. وقد اشترط العلماء للزوم العقد أن لا يصدر من كل من الموجب والقابل ما يدل على الإعراض عن العقد، فإذا أوجب البائع، وطال الفصل، أو انشغلا بكلام أجنبي عن العقد، فإن العقد غير سائغ إذا قبل المشتري بعدها، بلا نزاع بين العلماء⁽⁵⁾، ولكنهم بين مشدّد فيه، ومعتدل، ومرجع ذلك كله إلى العرف، فما عدّه العرف إعراضًا فهو إعراض يبطل به الإيجاب والقبول، بأن لا يحدث فاصلًا، بحيث لا يكون كلام المشتري جوابًا للكلام السابق عرفًا⁽⁶⁾، أو بأن لا يتشاعلا بما يقطع الإيجاب، والقبول عرفًا⁽⁷⁾.

(1) ينظر: مواهب الجليل: 4 / 239؛ حاشية الدسوقي: 3 / 5؛ حاشية الصاوي: 17/3.

(2) ينظر: البيان والتحصيل: 8 / 476-475.

(3) ينظر: المعايير الشرعية، معيار التعاملات المالية بالإنترنت (رقم 38): 963.

(4) ينظر: مجلس العقد الإلكتروني: 97-98؛ العقد الإلكتروني في الفقه الإسلامي والقانون: 81.

(5) ينظر: مجموع الفتاوى: 13 / 411؛ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي: 117/2-119.

خالف في هذه المسألة: ابن العربي من المالكية، فقال بجواز تأخير القبول عن الإيجاب حتى وإن طالت المدة، ودليله على هذا الرأي: أن الأدلة جاءت مطلقة من غير تحديد مدة بين القبول والإيجاب، فما دام أنهما وقعا، على أي صفة كان، فالعقد تام وصحيح. ينظر: القبس: 2 / 777.

(6) ينظر: مواهب الجليل: 4 / 241؛ شرح الزرقاني على مختصر خليل: 5 / 10.

(7) ينظر: المبدع في شرح المقنع: 4 / 5؛ مطالب أولي النهى: 3 / 9.

فالعرف هو الضابط في ذلك، حتى قال الفقهاء: كل ما ليس له حد لا في اللغة، ولا في الشرع، فيرجع في حده إلى عادة الناس، وعرفهم⁽¹⁾.

المطلب الثالث: وفاة البائع، أو المشتري، أو فقد أهليته قبل القبول.

بعد دفع العميل لمبلغ السلعة والضغط على أيقونة الشراء، فإن الطلب ينتقل للمتجر الإلكتروني، ويبقى معلّقاً حتى يؤكد المتجر الإلكتروني الطلب ويحوّله إلى قيد التنفيذ، وهذا كله لا يحصل تلقائياً، بل يكون يدوياً، مما يحتاج إلى مدة بحسب اطلاع المتجر الإلكتروني على طلبات عملائه، فإذا حصلت وفاة للعميل، أو صاحب المتجر الإلكتروني في هذه المدة، هل يبقى العقد صحيحاً، أو يبطل؟

اختلف أهل العلم على قولين:

القول الأول: يبطل البيع إذا مات البائع، أو المشتري قبل القبول. وهو مذهب الجمهور من الحنفية⁽²⁾، والشافعية⁽³⁾، والحنابلة⁽⁴⁾.

أدلة القول الأول:

1- لأن البيع يبطل بالتفرق من المجلس، والتفرق بالموت أعظم⁽⁵⁾.

2- وقياساً على العقود الجائزة التي تبطل بالموت؛ بجامع عدم اللزوم في الكل⁽⁶⁾.

القول الثاني: أنّ الإيجاب لا يبطل بموت البائع، أو المشتري قبل قبوله، بل يرث حق القبول ورثته. وهو مذهب المالكية⁽⁷⁾، ووجهه عند الشافعية⁽⁸⁾.

(1) ينظر: القواعد النورانية: 162؛ القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة: 1/ 314.

(2) ينظر: البحر الرائق: 6/ 12؛ حاشية ابن عابدين: 4/ 573.

(3) ينظر: الغرر البهية: 2/ 391؛ مغني المحتاج: 2/ 330.

(4) ينظر: شرح منتهى الإرادات: 2/ 432؛ كشف القناع: 4/ 303.

(5) ينظر: المغني: 6/ 14.

(6) ينظر: كشف القناع: 5/ 565.

(7) ينظر: الفروق: 3/ 277؛ الذخيرة: 5/ 36. وهذا عندهم في العقود التي تلزم بدون قبض، أما العقود التي لا تلزم إلا بالقبض فإن الإيجاب يبطل بوفاة أحد العاقدین بعد الإيجاب وقبل القبول، وعلى هذا يحمل قول ابن القاسم: "وكل صدقة أو حبس أو نحلة أو عمرى أو عطية أو هبة لغير ثواب في الصحة يموت المعطي أو يفسد أو يمرض قبل حوز ذلك، فهي باطلة". ينظر: الجامع لمسائل المدونة: 19/ 565.

(8) واختاره الدارمي. ينظر: المجموع: 9/ 169.

أدلة القول الثاني:

- 1- لأن الوارث كالميت ولهذا يقوم مقامه في خيار المجلس⁽¹⁾.
- 2- وقياسًا على موت الموصى له بعد موت الموصي وقبل أن يقبل؛ فلوارثه القبول⁽²⁾.

الراجع: يترجّح - والله أعلم - القول الأول؛ لأنَّ العقد ارتباط الإيجاب بالقبول، فإذا خرج الموجب عن الأهلية بالموت وغيره صار الإيجاب كأن لم يكن، فلا اعتبار بالقبول بعد ذلك.

المطلب الرابع: هلاك المعقود عليه أو تغييره قبل تمام البيع.

نصَّ الحنفية على اشتراط عدم هلاك المعقود عليه قبل تمام البيع لصحة البيع، قال في الفتاوى الهندية: " فلو باع عصيرا فلم يقبل المشتري حتى تخمر، ثم تخلل، ثم قبل المشتري لم يجز، وكذا لو ولدت الجارية، ثم قبل المشتري، وكذلك لو باع عبيدين فلم يقبل المشتري حتى قتل أحدهما، فقبض البائع الدية، ثم قبل المشتري "⁽³⁾ والذي يظهر من مذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة البطلان كذلك؛ لأنهم يرون انفساخ العقد إذا تلف المبيع بأفة سماوية قبل قبض المشتري وبعد القبول، فبطلانه بالهلاك قبل القبول من باب أولى⁽⁴⁾. وقد نقل في مجموع الفتاوى الاتفاق على بطلان العقد: " فالبيع باطل بالاتفاق إذا تلف المبيع وقت العقد "⁽⁵⁾.

الخاتمة:

أحمد الله سبحانه أن يسّر لي الانتهاء من هذا البحث الذي خَلَصْتُ فيه إلى نتائج من أبرزها:

(1) ينظر: المجموع: 169 / 9.

(2) ينظر: المقدمات المهمات: 120 / 3؛ شرح الرُّقَّاني على مختصر خليل: 313 / 8.

(3) ينظر: الفتاوى الهندية: 8/3.

(4) ينظر: الجامع لمسائل المنونة: 459 / 18؛ منح الجليل: 244 / 5؛ المهذب: 70 / 2؛ أسنى المطالب: 78 / 2؛ دليل الطالب: 113؛ شرح منتهى الإرادات: 58 / 2.

(5) ينظر: مجموع الفتاوى: 404 / 29.

1- لا يختلف الإيجاب والقبول الإلكتروني عما يذكره الفقهاء إلا من حيث الوسيلة التي تعبر عنه، فإذا عرفنا هذا تبين أن البيوع عبر المتاجر الإلكترونية لا تختلف عن البيوع التقليدية من حيث الشروط والآثار، إلا أنه ومع هذا التشابه فقد وُجد الاختلاف في ثلاثة أمور: الأول: العاقدان لا يضمهما مجلس واحد، الثاني: عند إبداء الرغبة في الشراء لا تكون السلعة حاضرة حضوراً ملموساً، بل هي سلعة موصوفة في الغالب غير معينة، الثالث: لا توجد مساومة في الغالب حيث يرى العميل السلعة معلناً عنها عبر الشاشة وسعرها مكتوب أمامها.

2- عرّض المتجر الإلكتروني سلعة على الجمهور يرجع فيه لشروط المتجر؛ فإن كان يشترط لنفسه الحق في رفض التعاقد ولو قبل الطرف الآخر، فإنّ هذا العرض يكون إعلاناً ودعوة للتعاقد ولا يُعدّ إيجاباً، أمّا إذا لم يكن له الحق في رفض التعاقد في حال قبول الطرف الآخر، فهو إيجاب ملزم.

3- يُعدّ الضغط على أيقونة الشراء في المتاجر الإلكترونية رضا بالعقد سواء كان التخرّيج الفقهي على البيع بالكتابة، أو المعاطاة، فالرضا متحقق والعقد صحيح.

4- يتصور رجوع الموجب عن إيجابه في المتاجر الإلكترونية إذا تمّ إلغاء الطلب من العميل حتى ولو بعد الدفع، وذلك قبل تأكيد المتجر الإلكتروني بإتمام البيعة عبر إرسال رسالة نصية، أو عبر البريد الإلكتروني بأن الطلب قيد التنفيذ، أو تحت المراجعة، وليس له الرجوع إذا كان الإيجاب مؤقت بمدة، أو كان في مزاد.

التوصيات:

1- أن تبين المتاجر الإلكترونية في عقودها وقت لزوم العقد من عدمه، وهل عرض السلع للجمهور يُعدّ إيجاباً أم دعوة للتفاوض.

2- دعوة مؤسسات الاجتهاد الجماعي بما فيها المجامع الفقهية بدراسة ما يستجد من نوازل المتاجر الإلكترونية.

3- دراسة ما يتعلّق بـ(بوابات الدفع الإلكتروني) للمتاجر الإلكترونية، ببحث مستقل.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، خالد ممدوح، عقود التجارة الإلكترونية في القانون الاتحادي لدولة الإمارات، دار الفكر الجامعي، 2020م.
- الأبنودي، محمد رمضان، تطبيقات إنترنت الأشياء، كتاب رقمي، 2023م.
- أفندي، عبد الرحمن بن محمد، مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، دار إحياء التراث العربي.
- أمانج، رحيم أحمد، التراضي في العقود الإلكترونية عبر شبكة الأنترنت، رسالة ماجستير بجامعة السليمانية، دار وائل - الأردن، ط1، 2006م.
- الأمين، عائشة محمد، ضوابط عقد البيع الإلكتروني، مجلة القلزم للدراسات السياسية والقانونية، العدد(3)، 2021م.
- الأنصاري، زكريا بن محمد، أسنى المطالب في شرح روض الطالب، دار الكتاب الإسلامي.
- الأنصاري، زكريا بن محمد، الغرر البهية في شرح بهجة الوردية، المطبعة الميمنية.
- الأنصاري، زكريا بن محمد، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، دار الفكر، 1414هـ.
- البابرتي، محمد بن محمد، العناية شرح الهداية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1970م.
- البجيرمي، سليمان بن محمد، حاشية البجيرمي على شرح المنهج، مطبعة الحلبي، 1950م.
- البركتي، محمد عميم، قواعد الفقه، الصدف ببلشرز - كراتشي، ط1، 1986م.
- برهم، نضال إسماعيل، أحكام عقود التجارة الإلكترونية، دار الثقافة، ط1، 2005م.
- بكر، عصمت عبد المجيد، نظرية العقد في القوانين المدنية العربية، دار الكتب العلمية، 2015م.
- البهوتي، منصور بن يونس، شرح منتهى الإرادات، عالم الكتب، ط1، 1993م.
- البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية.
- بورنو، محمد صدقي، مؤسوعة القواعد الفقهية، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط1، 2003م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، القواعد النورانية الفقهية، حققه وخرج أحاديثه: د أحمد بن محمد الخليل، دار ابن الجوزي، ط1، 1422هـ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد - المدينة النبوية، 1416هـ.

الجهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407 هـ - 1987 م.

حجاوي، موسى بن أحمد، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة - بيروت.

ابن الخطاب، شمس الدين، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، ط3، 1992م. الحواجرة، وليد خليل، العقد الإلكتروني في الفقه الإسلامي والقانون: دراسة مقارنة، رسالة دكتوراة بالجامعة الأردنية.

الخرشي، أبو عبد الله، شرح الخرشي على مختصر خليل، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر، ط2، 1317هـ.

خسرو، محمد بن فرامرز، درر الحكام شرح غرر الأحكام، دار إحياء الكتب العربية. الديان، ديبان بن محمد، المعاملات المالية أصالة ومعاصرة، ط2، 1432 هـ. الدردير، أحمد بن محمد، أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، دار المعارف. الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر. دناي، نور الدين، الإيجاب والقبول في العقود الإلكترونية، مجلة معالم للدراسات القانونية والسياسية، العدد(2)، 2017م.

الرحياني، مصطفى بن سعد، مطالب أولي النهى، المكتب الإسلامي، ط2، 1994م. ابن رشد، أبو الوليد، البيان والتحصيل، حققه: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط2، 1408 هـ.

ابن رشد، محمد بن أحمد، المقدمات الممهدات، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1408 هـ.

الرملي، شمس الدين، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر، بيروت. الرميح، عبد الرحمن بن محمد، تأجيل البدلين في البيوع الإلكترونية، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، العدد (202)، مجلد (56)، 2022م.

الزحيلي، محمد مصطفى، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر - دمشق، ط1، 2006 م.

الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي، دار القلم - دمشق، ط1، 1420هـ.

الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف، شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422 هـ.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم، ط15، 2002م.
الزهراني، عدنان بن جمعان، أحكام التجارة الإلكترونية في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى، دار القلم، 2016م.

أبو زهرة، محمد، الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، مطبعة فتح الله إلياس.
الزيلعي، عثمان بن علي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ط1، د.ت.

السبر، سعد بن عبد الله، العقد بالكتابة والإشارة وآلات الاتصال الحديثة.
السرخسي، محمد بن أحمد، المبسوط، مطبعة السعادة - مصر.
سلهب، لما عبد الله، مجلس العقد الإلكتروني، رسالة ماجستير بجامعة النجاح الوطنية بفلسطين، 2008م.

السنهوري، عبدالرزاق، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، معهد البحوث والدراسات العربية، 1967م.

الشربيني، حاشية الشربيني على الغرر البهية، المطبعة الميمنية.
الشربيني، شمس الدين، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

الشَّلبِي، شهاب الدين، حاشية على تبين الحقائق، المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، ط1، 1313 هـ.

الشيرازي، أبو إسحاق، المذهب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية.
الصاوي، أبو العباس، حاشية الصاوي على الشرح الصغير، دار المعارف.
الصقلي، أبو بكر بن محمد، الجامع لمسائل المدونة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى، ط1، 1434 هـ.

ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار المشهور (بحاشية ابن عابدين)، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1386هـ.

عارف، عارف علي، وآخرون، العقود الإلكترونية دراسة فقهية تحليلية، مجلة الإسلام في آسيا، العدد (2)، مجلد (10)، 2013م.

عباس حسني، العقد في الفقه الإسلامي، بحث منشور على موقع الألوكة.
عبد المبدي، جهاد محمود، التراضي في تكوين عقود التجارة الإلكترونية، ط1، مكتبة القانون والاقتصاد، (1438هـ).

العثماني، محمد تقي، فقه البيوع على المذاهب الأربعة، مكتبة معارف القرآن - كراتشي - باكستان، 1436هـ.

العجلوني، أحمد خالد، التعاقد عن طريق الأنترنت، الدار العلمية - الأردن، ط1، 2002م.
العدوي، أبو الحسن علي بن أحمد، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر - بيروت، 1994م.

ابن العربي، أبو بكر، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، تحقيق: الدكتور محمد عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992 م.

عليش، محمد بن أحمد، منح الجليل شرح مختصر خليل، دار الفكر - بيروت، 1989م.
الغليقة، صالح بن عبدالعزيز، صيغ العقود في الفقه الإسلامي، دار كنوز إشبيليا، ط1، 1427هـ.
ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

الفتاوى الهندية، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البخاري، دار الفكر، ط2، 1310 هـ.
الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت.
قارة مولود، صور التعبير عن الإرادة عبر الشبكات الإلكترونية، مجلة الباحث القانوني، العدد (2)، مجلد (1)، مارس، 2022م.

القانون المدني الأردني.

القانون المدني السوري.

ابن قدامة، شمس الدين أبو الفرج، الشرح الكبير على المقنع، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - د عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط1، 1995م.

ابن قدامة، موفق الدين، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، ط1، 1994 م.
ابن قدامة، موفق الدين، المغني، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب - الرياض - المملكة العربية السعودية، ط3، 1997م.
قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

قرارات وتوصيات ندوات البركة للاقتصاد الإسلامي.
القرافي، أبو العباس، أنوار البروق في أنواء الفروق، عالم الكتب.
القرافي، شهاب الدين، الذخيرة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1994 م.
القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ.
ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1991م.
الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر، ومطبعة الجمالية بمصر اشتركا في طباعة الأجزاء، ط1، 1328 هـ.
الكرمي، مرعي بن يوسف، دليل الطالب لنيل المطالب، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة - الرياض، ط1، 1425هـ.

لجنة الأمم المتحدة للقانون التجاري الدولي (الأونسيترال).
مجاهد، أسامة أبو الحسن، خصوصية التعاقد عبر الأنترنت، في المؤتمر العلمي الثالث لكلية الحقوق، جامعة حلون، القاهرة، 2004م.

مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.
المحلي، جلال الدين، كنز الراغبين، دار الفكر - بيروت، 1995م.
ابن مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية - لبنان، ط1، 1424هـ.

- مرتضى الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- المرداوي، علاء الدين، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، ط2، دار إحياء التراث العربي.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية (1-58) التي تم اعتمادها حتى صفر 1439 هـ.
- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، المبدع في شرح المقنع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، د.ت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ.
- المواق، محمد بن يوسف، التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.
- موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، رسائل علمية من جامعة الملك سعود، دار الفضيلة- الرياض، ط1، 1433 - 1443 هـ.
- الموصللي، عبد الله بن محمود، الاختيار لتعليل المختار، مطبعة الحلبي - القاهرة، 1356 هـ.
- مومني، بشار طلال، مشكلات التعاقد عبر الأنترنت دراسة مقارنة، عالم الكتب الحديث، 2004م.
- ابن نجيم، زين الدين، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، ط2، د.ت.
- النفراوي، أحمد بن غانم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، 1415 هـ.
- النووي، أبو زكريا، المجموع شرح المذهب، إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة، 1347 هـ.
- النووي، أبو زكريا، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1991م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الجيل - بيروت.
- الهام، كمال الدين، فتح القدير، دار الفكر.
- الهيتمي، أحمد بن حجر، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1983م.

منهج مكي بن أبي طالب في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات القرآنية
من خلال كتابه "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"

الباحث: أحمد صالح عبده الأقطل.

طالب دكتوراه في قسم علوم القرآن- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة إب اليمن

ahmedaqtal@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/7/14 تاريخ قبول البحث 2025/8/27

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.257>

ملخص:

هذا البحث يحمل عنوان: منهج مكي بن أبي طالب في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات القرآنية من خلال كتابه الكشف، ويهدف البحث إلى التعريف بمكي بن أبي طالب ، وكتابه الكشف، وبيان مفهوم الإجماع، وإبراز أهمية إجماع القراء في توجيه القراءات القرآنية، وتوضيح منهج أبي طالب المكي في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات القرآنية، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث، والمنهج الوصفي، وذلك بضم النظر إلى نظيره، وخلص الباحث إلى نتائج من أهمها، أن الرجوع إلى مخزون أبي طالب العلمي في توجيه القراءات في غاية الأهمية، لاسيما كتابه الكشف، وأن إجماع القراء حجة معتبرة، يحتاجها الناظر في علم توجيه القراءات، وأن مسالك العلماء في الاستدلال يحتاجها الناظر في كل فن.

الكلمات المفتاحية: القراءات، التوجيه، الإجماع، المنهج، مكي بن أبي طالب.

Makki ibn Abi Talib's Methodology in Using Consensus (Ijma') as Evidence in Interpreting Qur'anic Readings: A Study Based on His Book Kashf 'an Wujuh al-Qira'at al-Sab' wa 'Ilaliha wa Hujajiha

Ahmed Saleh Abdu Al-Aqtal

PhD Student in the Department of Islamic Studies, Faculty of Arts
and Humanities, University of Ibb, Yemen

Abstract:

This research, titled "Makki ibn Abi Talib's Methodology in Using Consensus (Ijma') as Evidence in Interpreting Qur'anic Readings through His Book Al-Kashf," aims to introduce Makki ibn Abi Talib and his book Al-Kashf, clarify the concept of consensus (ijma'), highlight the importance of the consensus of Qur'anic readers (qurra') in the interpretation of Qur'anic readings, and explain Makki's methodology in using consensus as a basis for interpreting various readings. The researcher employed the inductive method to collect relevant scholarly material related to the topic, in addition to the descriptive method by linking related concepts and opinions. The study concludes with several key findings, most notably: the necessity of referring to Makki's scholarly contributions—especially his book Al-Kashf—in the field of Qur'anic readings; the recognition of the consensus of Qur'anic readers as a valid and authoritative source in the interpretation of readings; and the value of understanding scholars' methodological approaches to evidence, as they are essential across various fields of Islamic knowledge.

Keywords: Qur'anic readings, interpretation, consensus, methodology, Makki ibn Abi Talib.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على محمد المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، أما بعد:

من مزايا هذه الأمة أن الله تعالى تكفل لها بحفظ كتابه، فقال: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر:9]، فانطلق العلماء يكتبون، ويحررون كل ما يتعلق بكتاب الله، من ضبط حروفه، وبيان معانيه، فتعددت التخصصات التي تعنى بحفظ القرآن. ومن تلك العلوم التي لها حظ كبير، ونصيب وفير في صيانة القرآن وقراءاته: علم توجيه القراءات القرآنية، فهو من العلوم التي ظهرت نواتها في الصدر الأول في أوساط الصحابة - رضي الله عنهم -، واستمر في التكامل على مر العصور، ولا تزال الحاجة إليه باقية ملحة إلى الآن، فهو كاشف لوجوه إعجاز القرآن بقراءته المختلفة، داحض لما يمكن أن يعتبره الطاعنون في كتاب الله مؤثراً، ومن عيون المصنفات التي صنفت في توجيه القراءات، كتاب (الكشف عن وجوه القراءات)، لمكي بن أبي طالب - رحمه الله -، وقد كان لرسوخ مكي بن أبي طالب في علوم الشريعة عامة، وعلوم القرآن خاصة، أثرٌ في جودة الكتاب، وحسن صياغته، وأهمية مادته، والكتاب قبلة للمتخصصين في القديم والحديث، محيط بأصول هذا العلم إحاطةً شاملة؛ لهذا اختار الباحث أن يكون هذا البحث عن منهج مكي بن أبي طالب في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات القرآنية؛ إذ الإجماع إحدى ركائز هذا الفن، وتدور عليه مسائل كثيرة في توجيه القراءات، فمعرفة مكانته في هذا الفن، وطرق استعماله، وتعامل العلماء في الاستدلال به، من أهم ما يهم القارئ في هذا الفن، وهذا ما ناقشه هذا البحث.

مشكلة البحث:

تظهر مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس وهو: ما منهج مكي بن أبي طالب في الاستدلال بالإجماع من خلال كتابه الكشف؟، ويشق من هذا التساؤل ثلاثة أسئلة فرعية، وهي كالاتي:

- 1- ما منزلة مكي بن أبي طالب المكي وكتابه (الكشف) في علم توجيه القراءات؟
 - 2- ماهي منزلة الإجماع في علم توجيه القراءات؟
 - 3- كيف تعامل العلماء في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات؟، وكيف مثلاً مكي بن أبي طالب هذا الدور؟
- أهداف البحث:** تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

- 1- التعريف بمكي بن أبي طالب، وكتابه الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها.
- 2- مفهوم الإجماع وأهمية إجماع القراء في توجيه القراءات القرآنية.
- 3- بيان منهج مكي بن أبي طالب، وقواعده في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والاطلاع اتضح للباحث أنه لا توجد دراسة تناولت منهج أبي طالب المكي في الاستدلال بالإجماع في توجيه القراءات القرآنية، نعم هناك أبحاث درست جوانب علمية لمكي، ولن أتعرض لها، لكثرتها، ولكونها إنما تتفق مع هذا البحث إلا في الكلام على المؤلف، وأحياناً تتحدث عن كتاب الكشف، والكلام عن الكاتب، والكتاب ليس مقصوداً لذاته في هذا البحث، وإنما المقصود الحديث عن دور الإجماع في توجيه القراءات القرآنية، وكيف كانت طريقة مكي في الاستدلال به؛ ليقنفي الباحثون أثره، وهذا ما سيدرسه هذا البحث، والأبحاث التي تقرب منه.

- 1- اختيارات مكي في كتابه الكشف، لإسلام أبو صقر، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بغزة، 1434-3013م.
- 2- قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، ليحيي جلال، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، آيار، 2006م.
- 3- علل إجماع القراء: دراسة نظرية تطبيقية، لعبد الله القرشي، مجلة العلوم الشرعية، واللغة العربي، جامعة سطاتم بن عبد العزيز، (1م/ع2)، (2011م سبتمبر).

وهذه الدراسات تجتمع مع هذا البحث في جزئيات لا تؤثر على سير البحث، وبيان ذلك في الآتي: أما البحث الأول: اختيارات مكي تناول فيه كاتبه اختيارات مكي في القراءة، فالباحث درس فيه اختيارات مكي بشكل عام، والكتاب مكون من فصلين: الأول، وفيه مبحثان، والفصل الثاني: وفيه عشرة مباحث، المبحث الأول: ذكر فيه أن من أسباب اختياراته: الإجماع، وذكر نماذج من الكلمات، ولم يلتفت فيها إلى منهج مكي في الاستدلال بالإجماع، في توجيه القراءات القرآنية، بينما تناول هذا البحث منهج مكي وقواعده في ذلك. وأما البحث الثاني: قواعد الاختيار والترجيح، فهو في فصلين: الفصل الأول مكون من مبحثين: تحدث فيهما عن التوجيه، والاختيار، والفصل الثاني مكون من خمسة مباحث: المبحث الأول تحته مطلبان: المطلب الأول: قراءة الأكثر ذكر فيه أمثلة لاختيارات مكي المبنية على الإجماع، ولم يتعرض لمنهجه في ذلك، بخلاف هذا البحث الذي وضع سير مكي في الاستدلال بالإجماع، مما يعطي القارئ دربة في ذلك. وأما البحث الثالث: علل القراء، فباحثه خصص دراسته في التعليل للمواطن التي أجمع عليها القراء، فالموضوع مجانب لموضوع هذا البحث؛ إذ موضوع هذا البحث يدرس الاستدلال بالإجماع في علم التوجيه، ومنهج مكي بن أبي طالب في ذلك. فتبين من هذا العرض أن هذا البحث يدرس المنهج، والقواعد التي سار عليها مكي في الاستدلال بالإجماع، في توجيه القراءات القرآنية، بخلاف بقية البحوث، فلم تتطرق لهذا.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة،

وهي على النحو الآتي:

المقدمة: تشمل مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدوده، ومنهجه.

المبحث الأول: التعريف بمكي بن أبي طالب، وكتابه الكشف.

المبحث الثاني: مفهوم الإجماع، وأهميته في توجيه القراءات.

المبحث الثالث: منهج مكي بن أبي طالب في الاستدلال بالإجماع في كتابه الكشف.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمد الباحث في الدراسة على المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء ما يتعلق بالبحث، كما استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بتمييز المسائل المتعلقة بالإجماع.

المبحث الأول: التعريف بمكي بن أبي طالب، وكتابه الكشف، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بمكي بن أبي طالب المكي.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب الكشف عن وجوه القراءات، وعللها وحججها.

المطلب الأول: التعريف بمكي، وما تميز به في توجيه القراءات، والاستدلال

بالإجماع:

أولاً: اسمه ونسبه: هو أبو محمد مكي بن أبي طالب بن حمّوش القيسي: نسبة إلى قيس عيلان، وينسب إلى القيروان؛ لأنه نشأ بها⁽¹⁾.

ثانياً: مولده ونشأته: ولد بمدينة القيروان، لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، ونشأ، وترعرع فيها⁽²⁾.

ثالثاً: شيوخه، ورحلاته: أخذ العلم عن جماعة كثيرة منهم: القابسي، وأبو محمد بن أبي زيد، الأدفوي، وأبو جعفر النّحاس، وابن غلبون، وهو الذي يرجع إليه الفضل في ضبط مكي للقراءة⁽³⁾، رحل لتلقي العلم إلى مصر، ثم إلى مكة، وانصرف إلى القيروان، ودخل قرطبة أيام ابن أبي عامر⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: 220؛ النهاية في طبقات القراء: 2/ 309.

(2) يُنظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: 220؛ النهاية في طبقات القراء: 2/ 309.

(3) يُنظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 8/ 13.

(4) يُنظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك: 8/ 13؛ سير أعلام النبلاء: 17/ 591.

رابعاً: تلاميذه: تلقى عنه تلامذة كثير، وأبرزهم: أبو عمر المقرئ، الكلاعي القرطبي، وابنه محمد، وقد روى عن أبيه أكثر ما عنده، وغيرهم.

خامساً: مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة قال ابن بشكوال: "له ثمانون مصنفاً"⁽¹⁾ في علوم القرآن منها سبعة وستين كتاباً أبرزها:

- 1- التبصرة في القراءات، وهو من أشهر كتبه.
- 2- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، وهو شرح على التبصرة، وهو كتاب أطبق العلماء على جلالته، والأخذ منه.
- سادساً: **ثناء العلماء عليه:** قال الذهبي رحمه الله: "وكان من أوعية العلم مع الدين والسكينة والفهم"⁽²⁾، وقال ابن الجزري رحمه الله: "إمام علامة محقق عارف أستاذ القراء والمجودين"⁽³⁾.

سابعاً: وفاته: توفي يوم السبت، ودفن ضحى الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وقد ناهز الثانية والثمانين⁽⁴⁾.

ثامناً: عوامل إبداع مكي في القراءات القرآنية، وتوجيهها:

برز مكي في القراءات، وتوجيهها، ويمكن تلخيص عوامل إبداعه، فيما يلي:

- 1- سعة الرواية وكثرتها:
- 2- الضبط التام: وهذه من المزايا التي تجعل الثقة في أعلى درجاتها بعلومه، وتقاريراته.

3- الدقة العالية: فهو دقيق الملاحظة، بديع التحرير⁽⁵⁾.

(1) الصلة: 2 / 633.

(2) سير أعلام النبلاء: 17 / 591.

(3) غاية النهاية في طبقات القراء: 2 / 309.

(4) انظر: لترجمة مكي بن أبي طالب المصادر الآتية: جذوة المقتبس: 329 رقم: 1367؛ ترتيب المدارك: 8 / 13؛ نزهة الألباء: 238؛ الصلة: 631؛ إنباه الرواة: 3 / 313؛ وفيات الأعيان: 5 / 274؛ معرفة القراء الكبار: 1 / 316؛ سير أعلام النبلاء: 17 / 591؛ بغية الوعاة: 2 / 298؛ مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن.

(5) مجلة اللغة التوظيفية: صليحة رقوق، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر: ع1/10/196.

فمكي بن أبي طالب: يعد واحداً من أهم العلماء الذين كتبوا في حجج القراءات وعللها⁽¹⁾.

ثامناً: مميزات مكي عن غيره من علماء القراءة من حيث الاستدلال بالإجماع:

1- إكثاره من الاستدلال به والتتظير لقواعده، وقد قال: "قال أبو محمد: فإن سأل سائل فقال: فما اختيارك في التسمية بين كل سورتين وتركها؟ فالجواب أن الذي أختاره لنفسي أن أفصل بين كل سورتين بالتسمية اتباعاً لخط المصحف، ولقول عائشة: «اقرأوا ما في المصحف، وإجماع أهل الحرمين وعاصم على ذلك، فإجماعهم على القراءة حجة أعتمد عليها في أكثر هذا الكتاب»⁽²⁾. وقد بلغ ذكره للإجماع بألفاظه المختلفة، خمسمائة وستة عشر موضعاً، بما في ذلك المكرر.

2- لقي استدلال مكي بالإجماع حفاوة كبيرة عند علماء القراءة كما يظهر ذلك جلياً فقد أثر اهتمام مكي بالإجماع في عصره وبعده على توجيه القراءات، فتناقل العلماء ما حرره مكي في كتابه من الإجماعات، فعلى سبيل المثال للحصر تجد هؤلاء العلماء أشاروا إلى هذا في كتبهم: الأبياري⁽³⁾، السخاوي⁽⁴⁾، والطيب⁽⁵⁾، والسمين⁽⁶⁾، والنويري⁽⁷⁾، والشنقيطي⁽⁸⁾، وابن عاشور⁽⁹⁾، وعبد الفتاح المرصفي⁽¹⁰⁾.
المطلب الثاني: التعريف بكتاب الكشف عن وجوه القراءات، وعللها وحججها.

(1) ينظر: صليحة رقوع، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر: ع1/10/195.

(2) الكشف: 1/ 21.

(3) ينظر: التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه: 2/ 779.

(4) ينظر: فتح الصيد في شرح القصيد: 1/ 331.

(5) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف): 10/ 553.

(6) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 5/ 35.

(7) ينظر: شرح طيبة النشر: 1/ 125.

(8) ينظر: نشر البنود على مراقي السعود: 1/ 82؛ وقال: "قال أبو طالب مكي وكان من أهل الفقه والقراءة والحديث".

(9) ينظر: التحرير والتنوير: 1/ 78.

(10) ينظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: 1/ 266.

أولاً: عنوانه:

وأما عنوان كتاب الكشف، فهو "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها" فلا خلاف فيه. فمكي سماه هكذا في الكتاب نفسه، وفي كتابيه "التبصرة" و"الهداية إلى بلوغ النهاية"⁽¹⁾.

ثانياً: سبب تأليفه:

يقول مكي بن أبي طالب: " كنت قد ألفت بالمشرق كتاباً مختصراً في القراءات السبع، سميته كتاب التبصرة، وهو فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلباً؛ للتسهيل ووعدت في صدره أنني سأؤلف كتاباً في علل القراءات ... ثم تطاولت الأيام، وترادفت الأشغال عن تأليفه، وتبينه، ونظمه، فرأيت أن العمر قد تناهى، والزوال من الدنيا قد تدانى، فقويت النية في تأليفه، وإتمامه؛ خوف فجأة الموت، وحدثت الفوت، وطمعا أن ينتفع به أهل العلم من أهل القرآن، وأهل العلم من طلبة القراءات"⁽²⁾.

تأثير الكتاب على من جاء بعده:

أقبل العلماء على الكتاب بالمدارسة، والاطلاع، والاقتباس، ومن هؤلاء العلماء السخاوي⁽³⁾، وأبو شامة⁽⁴⁾، والقرطبي⁽⁵⁾، والمالقي⁽⁶⁾، والطبري⁽⁷⁾، والسمين⁽⁸⁾، وابن الجزري⁽⁹⁾ وآخرون كثير.

(1)الكشف:1/ 4؛ الإبانة عن معاني القراءات: 30؛ الهداية الى بلوغ النهاية:1/ 105؛ وكل هذه الكتب لمكي بن أبي طالب.

(2) يُنظر: الكشف: 1/ 3.

(3) يُنظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز:1/ 150.

(4) يُنظر: فتح الوصيد في شرح القصيد:1/ 321.

(5) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن:7/ 91.

(6) يُنظر: الدر النثير والعذب النмир:1/ 45.

(7) يُنظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب (حاشية الطبري على الكشف):12/ 268.

(8) يُنظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:10/ 65.

(9) يُنظر: النشر في القراءات العشر: 1/ 13.

وهذا يعطي الكتاب مكانة مرموقة عند العلماء العارفين بمكان مكي - رحمه الله، فكتابه هذا كان في مرحلة نضوجه الكامل، وابتعاده عن عجل الشباب، ومظاهر التعالي.

ثالثاً: منهجية مكي في كتابه (الكشف):

مكي مكن في كتابة الكتب، دقيق في منهجه في تأليفها، وها هو قد وضع خطة لكتابه الكشف ذكرها في مقدمته فقال: "وها أنا ذا حين أبدأ بذلك:

- 1- أذكر علل ما في أبواب الأصول دون أن أعيد ذكر ما في كل باب من الاختلاف؛ إذ ذاك منصوص في الكتاب الذي هذا شرحه.
- 2- أرتب الكلام في علل الأصول على السؤال والجواب.
- 3- إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف، ومن قرأ به وعلته، وحجة كل فريق.

4- أذكر اختياري في كل حرف، وأنبه على علة اختياري لذلك كما فعل من تقدمنا من أئمة المقرئين⁽¹⁾.

5- لم يذكر أسماء القراء ورواتهم، وأسانيدهم، وجمالاً من أخبارهم، وأسمائهم، وتاريخ موتهم، وطبقاتهم، وإسنادي إليهم، وأسانيدهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -⁽²⁾.

6- يجب لمن كتب هذا الكتاب أن يجعل جزءاً في آخره، فيه تتم الفائدة⁽³⁾.

7- اختصر الكلام في العلل غاية ما قدر من غير أن يكون قد أخل بعله أو ترك حجة مشهورة، وأوجز العلل؛ خوف التطويل.

8- اختصر ذكر قراءة التابعين ومن وافقهم؛ لئلا يطول الكتاب فيعجز عن نسخه ويحدث الملل في قراءته⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: الكشف: 1/ 5؛ تعدد التوجيه الإعرابي عند مكي في الكشف: 184- 185.

(2) الكشف: 1/ 6.

(3) والمراد بالجزء كتاب الإبانة عن معاني القراءات. الكشف: 1/ 5.

(4) الكشف: 2/ 393.

فهذا مختصر منهجيته من خلال ما دونه في مقدمة كتابه، وخاتمته، فانظر إلى إبداعه في التأليف، ومنهجيته الواضحة التي ذكرها من تنظيم للمادة، وحصراً للمتشابهات، والنظائر، وتبويباً لموضوعات البحث والمسائل، واجتناباً للاستطراد، وربطه ما يأتي به بما جاء عن الأئمة المقرئين قبله، طريقة في الكتابة تمنح القارئ الثقة بالكتاب والكاتب.

رابعاً: مصادره: سمي مكي جماعة أخذ عنهم، واستفاد من كتبهم ك: أبي عبيد القاسم بن سلام، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأبي حاتم سهل ابن محمد، وأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وأبي بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد⁽¹⁾.

خامساً: عدد ألفاظ الإجماع في الكشف، وعبارات مكي فيها:

أكثر مكي من ذكر الإجماع في كتابه، فقد ورد التعليل بالإجماع أربعمائة وثمانية وعشرين مرة، فهو أكثر العلل في الترجيح والاختيارات عند مكي، وسواء كان إجماع القراء المطلق، أو الأكثر، أو الحرمين فقط⁽²⁾.

ورد فيها لفظ إجماع منكراً ومعرفاً في سبعة وثمانين مرة⁽³⁾، وورد مضافاً في واحدٍ وأربعين مرة⁽⁴⁾، وعلل اختياراته في ثمانية وعشرين موضعاً بالإجماع⁽⁵⁾، وورد بلفظ أجمعوا في ثلاثة وخمسين موضعاً⁽⁶⁾، ووردت لفظ إجماعاً بالنصب في ثلاثة مواضع⁽⁷⁾، ذكر الإجماع بلفظ قراءة العامة في ثمانية مواضع⁽⁸⁾، وذكر الإجماع لفظ جماعة القراء في سبعة عشر موضعاً⁽⁹⁾، وذكره بلفظ الاتفاق في خمسة مواضع⁽¹⁰⁾.

(1) يُنظر : الكشف: 32 / 1؛ 395 / 1؛ 116 / 1؛ 501 / 1.

(2) اختيارات مكي في كتابه الكشف: 30.

(3) ينظر : الكشف: 364 / 1؛ 430 / 1؛ 432 / 1؛ 406 / 1.

(4) ينظر : المصدر نفسه: 21 / 1؛ 25 / 1؛ 81 / 1؛ 239 / 1.

(5) ينظر : المصدر نفسه: 81 / 1؛ 269 / 1؛ 293 / 1؛ 361 / 1.

(6) ينظر : المصدر نفسه: 342 / 1؛ 397 / 1؛ 85 / 2؛ 103 / 2.

(7) ينظر : المصدر نفسه: 281 / 1؛ 523 / 1؛ 122 / 2.

(8) ينظر : المصدر نفسه: 232 / 1؛ 264 / 1؛ 267 / 1.

(9) ينظر : المصدر نفسه: 264 / 1؛ 291 / 1؛ 462 / 1؛ 349 / 1.

(10) ينظر : المصدر نفسه: 227 / 1؛ 294 / 1؛ 414 / 1؛ 389 / 2.

وورد بلفظ أكثر القراء في تسعة وستين موضعاً⁽¹⁾، وورد بلفظ الأكثر عليه في تسعة وثمانين موضعاً⁽²⁾، وورد بلفظ كل القراء في عشرة مواضع⁽³⁾، وورد بلفظ الجماعة عليه في مائة موضع، منها ستة وسبعون موضعاً أوردها مورد التعليل بقوله؛ لأن الجماعة عليها⁽⁴⁾، وورد بلفظ ذكر الحرمين وغيرهم، في ستة عشر موضعاً⁽⁵⁾، ومجموع هذه العبارات خمسمائة وستة عشر موضعاً، بما في ذلك المكرر.

المبحث الثاني: مفهوم الإجماع وأهميته في توجيه القراءات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإجماع، وأقسامه، وحجته، ومرتبته.
المطلب الثاني: إجماع القراء، وأهميته، والقراءات المجمع عليها، وعناية كتب التوجيه بالإجماع.

المطلب الأول: تعريف الإجماع، وأقسامه، وحجته، ومرتبته.

أولاً: تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً:

الإجماع لغة: العزم والاتفاق مأخوذاً من أجمع الأمر إذا عزم عليه، واجتمعوا على كذا اتفقوا عليه، قال تعالى: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ} [يونس: الآية 71]، يقال: أجمعوا على الأمر اتفقوا عليه⁽⁶⁾، قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة": "جمع، الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال: جمعت الشيء جمعاً"⁽⁷⁾.

والإجماع اصطلاحاً: "اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- في عصرٍ على أي أمرٍ كان"⁽⁸⁾، وهو تعريف مأخوذ من تعريف الإمام ابن السبكي -

(1) ينظر: الكشف: 29/1؛ 40/1؛ 442/1؛ 40/2.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 298/1؛ 311/1؛ 16/2؛ 19/2.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 376/1؛ 220/1؛ 376/1؛ 150/2.

(4) ينظر: المصدر نفسه: 505/1؛ 505/1؛ 145/2؛ 509/2.

(5) ينظر: المصدر نفسه: 270/1؛ 355/1؛ 43/2؛ 216/2.

(6) يُنظر: مختار الصحاح: 110؛ المصباح المنير: 42؛ لسان العرب: 8/ 57.

(7) يُنظر: معجم مقاييس اللغة: 479/1.

(8) ينظر: جمع الجوامع: 2/ 209 مع "شرح الجلال وحاشية العطار".

رحمه الله -في "جمع الجوامع" إلا أنه أضيف إليه تقييد الأمر المجمع عليه بالديني، وبهذا يكون سالما من الاعتراضات الواردة عليه.

فقوله: اتفاق يعني: تطابق آراء العلماء، سواء كان عن طريق الأقوال؛ أو الأفعال؛ أو السكوت مع كلام البعض الآخر.

وقوله: مجتهد: المجتهد هو: من جمع شروط الاجتهاد، وآلة المعرفة في فنه، فلا اعتبار بغير أهل العلم من العوام وطلاب العلم الذين لم يستكملوا شروط الاجتهاد.

وقوله: العصر: أي ذلك العصر الذي وقعت فيه تلك الحادثة، ولو خالف عالم بعد ذلك فلا عبرة بخلافه؛ لأنه خالف الإجماع.

وقوله: من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم: قَيِّدُ يُخْرَجُ المجتهدين من أتباع الأمم الأخرى كالمستشرقين من اليهود والنصارى، فلا يُعْتَدُ بخلافهم أو إجماعهم، ولو وصلوا إلى رتبة الاجتهاد في الشريعة الإسلامية.

وقوله: بعد وفاته صلى الله عليه وسلم: قيد يُخْرَجُ الإجماع في عصر النبوة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لو أقر الإجماع كان إقراره هو الحجة، ولو أنكر الإجماع كان إنكاره هو الحجة أيضاً، فدعوى الإجماع في حياته غير متصورة.

وقوله: على أمر من أمور الدين: قيد يُخْرَجُ الإجماع في الأمور غير الشرعية؛ كاللغة والحساب والفلك وغير ذلك من أمور الدنيا، فالإجماع في الشرع هو ما كان في أمور الدين فقط، وإن كان لإجماع العلوم الأخرى اعتباراً عند أربابها، لكنه لا يترتب عليه حل أو حرمة في المخالفة غالباً⁽¹⁾.

ثانياً: أقسام الإجماع:

له أقسام باعتبارات مختلفة أشهرها:

1. الإجماع القولي، وهو: أن يقول أهل الفن العارفين به قولاً لا يخالفهم فيه أحد، وهو حجة قولاً واحداً، ودلالته قطعية.

(1) يُنْظَرُ: البحر المحيط: 6/ 478؛ الفصول في الأصول: 3/ 304؛ المستصفى من علم الأصول: 149؛ كشف الأسرار: 3/ 273؛ العدة في أصول الفقه: 4/ 1095؛ الوصول إلى الأصول: 2/ 97؛ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي: 1/ 27.

2. الإجماع السكوتي، وهو: أن يقول بعض أهل الفن قولاً، أو يفعل فعلاً، وينتشر، ولا يعلم من خالف هذا مع اشتهاؤه، وهذا إن وردت قرينة تدل على موافقة البقية، أو ردهم عمل بها، وإلا فدلالته على الإجماع ظنية⁽¹⁾.

ثالثاً: حجية الاستدلال بالإجماع:

الإجماع حجة معتبرة، فإنه لا ينعقد إلا على دليل، فاختلاف الآراء، أو الهمم يمنع من الاتفاق على شيء إلا عن سبب يوجب ذلك، وهذا مثل اتفاق الناس على أكلهم عند الجوع، وشربهم عند العطش وليسهم عند العرى، كان عن سبب وهذه أمور طبيعية كانت عن سبب طبيعي وكذلك الأمور الدينية لا تكون إلا عن سبب ديني، فإذا تحقق الإجماع علم، أن هناك دليلاً جمعهم سواء عقلياً كان أم نقلياً، عُرف أم لم يعرف⁽²⁾.

رابعاً: مرتبة الإجماع في الأدلة:

والأصل في الإجماع أنه مبني على نص، فهو تابع للكتاب والسنة، واتباعه واجب، قال ابن القطان رحمه الله: "والذي يقتضيه إجماع المحققين تقديم الإجماع في الرتبة على الكتاب والسنة، وإن كانت أصول الإجماع، فإنما يقطع بهما إذا كانا نصوصاً لا تقبل التأويل، ولا تحتمله أصلاً، فأما إذا كانت ظواهرهما في مقاصدهما لا تبلغ مبلغ النصوص، فالإجماع أحق بالنقد في ترتيب الحجاج، فإن الإجماع لا مجال لطرق التأويل فيه"⁽³⁾.

وقال الطوفي رحمه الله: "الإجماع مقدم على باقي أدلة الشرع؛ القطعية، وعصمته، وأمنه من نسخ أو تأويل"⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: إجماع القراء، وأهميته، والقراءات المجمع عليها، وعناية كتب التوجيه بالإجماع.

(1) يُنظر: البحر المحيط: 478 / 6؛ الاستدلال في التفسير: 253.

(2) يُنظر: اللمع في أصول الفقه: 88؛ قواطع الأدلة في الأصول: 1 / 473؛ المستصفى: 138.

(3) الإقناع في مسائل الإجماع: 1 / 68.

(4) شرح مختصر الروضة: 3 / 763.

أولاً: أهمية إجماع القراء عند العلماء :

لإجماع القراء أهمية خاصة تتجلى في المحاور التالية:

الأول: أن القراءة المعتبرة هي التي أجمعت عليها الخاصة والعامة، قال ابن مجاهد رحمه الله: "والقراءة التي عليها الناس بالمدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، هي القراءة التي تلقوها عن أولهم تلقياً، وقام بها في كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة، والعامة على قراءته، وسلوكها فيها طريقة، وتمسكوا بمذهبه"⁽¹⁾.

الثاني: أن العلماء يردون ما أجمع القراء على خلافه ولا يستسيغونه، ولهذا يردون ما وقع على خلاف إجماع القراء، فالواحد مثلاً يقول: "وقوله: جاء في التفسير أن اسم المدينة: ليكة؛ لم أر هذا في تفسير، وكيف يجوز ذلك مع إجماع القراء على الهمز في قوله: {وإن كان أصحاب الأيكة} [الحجر: 78]، والأيكة التي ذكرت هناك هي التي ذكرت هاهنا؟"⁽²⁾. ولما عاتب ابن المنير الزمخشري في مسألة قال: "وقام إجماع القراء حجة عليه... فليراجع له ويعرض عليه إعراض القراء السبعة عن هذه الرواية، مع أنها هي الأولى في العربية، لولا ما ذكرناه، أيجوز في حكمه حينئذ الإجماع على خلاف الأولى لفظاً ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا؟ وهو المخير فيما يحكم به، فإلى الله ترجع الأمور"⁽³⁾.

الثالث: اعتبار إجماع القراء دليلاً معتبراً، قال الرازي في معرض احتجابه في مسألة: "والدليل عليه إجماع القراء والعرب"⁽⁴⁾.

الرابع: أن إجماع القراء حاكم على اللغة حتى أن إجماع النحويين لا ينعقد دون إجماع القراء معهم⁽⁵⁾ بل لا يجوز القراءة بما جاز عربية ما دام أن القراء قد أجمعوا

(1) السبعة في القراءات: 49.

(2) التفسير البسيط: 117 / 17.

(3) الكشف ومعه الانتصاف ومشاهد الإنصاف والكافي الشاف: 4 / 441.

(4) مفاتيح الغيب: 81/31.

(5) يُنظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 4 / 42.

على خلافه، قال أبو حيان: "والقراء على نصب أحب لأنه خبر كان، وكان الحجاج بن يوسف يقرأ: أحب بالرفع، ولحنه يحيى بن يعمر، وتلحينه إياه ليس من جهة العربية، وإنما هو لمخالفة إجماع القراء النقلة، وإلا فهو جائز في علم العربية"⁽¹⁾.

الخامس: إعلال بعض الآثار عن الصحابة لمخالفتها الإجماع المحقق، ومن ذلك ما ذكره مكي في الهداية، فقال: "روي أن عثمان وعائشة رضي الله عنهما قالاً: إن في الكتاب غلطاً ستقيمه العرب بألسنتها، وعنهما: إن في الكتاب لحناً ستقيمه العرب بألسنتها، وهذا القول قد طعن فيه؛ لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد أجمعوا على صحة ما بين اللوحين، فلا يمكن أن يجتمعوا على غلط"⁽²⁾.

السادس: أن إجماع القراء يترتب على مخالفته الخروج من الإسلام - والعياذ بالله - فمن أنكر حرفاً من القرآن أجمع القراء على إثبات، فإنه يكفر⁽³⁾.

ثانياً: أنواع المجمع عليه من القراءات:

المجمع عليه من القراءات ثلاثة أنواع:

1. مجمع عليه، وليس له نظير مختلف فيه.
2. مجمع عليه، وله مثل مختلف فيه، والمثل الكلمة الواحدة المتعددة المعاني.
3. مجمع عليه، وله نظير مختلف فيه، والمقصود بالنظير: المشابه في السياق، وليس في اللفظ، مثل قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ

(1) البحر المحيط في التفسير: 5 / 392.

(2) الهداية الى بلوغ النهاية: 7 / 4663.

(3) المصدر نفسه: 7 / 4663.

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة:6]، فأيدىكم الأولى غير الثانية، فالنصب في سياق الوضوء، والخفض في سياق التيمم (1).

ثالثاً: عناية كتب التوجيه بإجماع القراء :

كتب توجيه القراءات وتعرضها لإجماع القراء تنقسم إلى قسمين:

1. كتب لم تلتفت إليه، وهي الأعم الأغلب؛ وذلك لأنهم اعتنوا بمواضع الخلاف؛ إذ الأصل الاتفاق.

2. كتب لها اهتمام بالإجماع اهتمام متفرق، وأهم تلك الكتب كتاب الكشف لأبي طالب، وهو موضع الدراسة (2).

المبحث الثالث: استدلال مكي بالإجماع في توجيه القراءات، وقواعده في ذلك، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مراد مكي بالإجماع، واحتجابه به.

المطلب الثاني: منهج مكي في تقوية القراءات بالإجماع.

المطلب الثالث: منهج مكي في القراءة المخالفة لإجماع القراء.

المطلب الرابع: القياس والإجماع.

المطلب الأول: مراد مكي بالإجماع، واحتجابه به.

أولاً: إطلاق الإجماع عند مكي.

من خلال النظر في إطلاق مكي - رحمه الله - للفظ الإجماع في كتابه يجد الناظر أنه أراد بالإجماع أحد أمرين:

1- الإجماع المطلق، والذي يراد به إجماع جميع القراء، وهذا لا إشكال في الاحتجاج به، وعده حجة قاطعة يستدل بها، ويرد ما خالفها.

وقد قرر هذا الحكم في حديثه عن البسملة، هل آية من كل سورة؟ أم لا؟ فقال: "ولم يقل بذلك أحد من الصحابة ولا من التابعين، فالإجماع قد حصل على ترك عدها

(1) يُنظر: علل القراء دراسة نظرية تطبيقية: 29- 30.

(2) يُنظر: المصدر نفسه: 3.

آية من كل سورة، فما حدث بعد الإجماع من الصحابة والتابعين من قول منفرد محدث فقول مرفوض غير مقبول⁽¹⁾.

2- الإجماع المقيد، بالقراء السبعة، ففي قوله: **{وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا}** [الأنعام:96] قال: "قرأ الكوفيون: **{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ}** [الأنعام:97] وقوله: **{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ}** [سورة الأنعام:99]، كذلك ما بعده، فحمل أول الكلام على آخره في "فعل"، لتكرر ذلك، ويقوي ذلك إجماعهم على نصب "الشمس" وما بعده، على إضمار "فعل"، ولم يحملوه على فاعل، فيخفضوه، فأجري ما قبله عليه، للمشاكلة لما بعده، وقرأ الباقيون "جاعل" على العطف على "فاعل"، الذي قبله، وخفض "الليل" فشاكلوا بينه وبين ما قبله في اللفظ، كما شاكل من قرأ "جعل" بينه وبين ما بعده في المعنى، ويقوي ذلك أن حكم الأسماء أن تعطف عليها أسماء مثلها، فكان عطف "فاعل" على "فاعل" أولى من عطف "فعل" على اسم، والقراءتان بمعنى واحد، فجاء على تقوية ما قبله، و "جعل" يقويه ما بعده، فاقراً بأيهما شئت⁽²⁾.

فالمراد بالإجماع هنا القراء السبعة، وقد نص على هذا القرطبي فقال في قول مكي:- " يقوي ذلك إجماعهم على نصب الشمس والقمر على إضمار فعل، ولم يحملوه على فاعل فيخفضوه"- : قاله مكي رحمه الله، وقال النحاس: وقد قرأ يزيد بن قطيب السكوني " جاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا" بالخفض عطفاً على اللفظ. قلت: فيريد مكي والمهدوي وغيرهما إجماع القراء السبعة، والله أعلم " (3).

وما قرره القرطبي هو ظاهر في صنيع مكي، فهو يختار قراءة متواترة؛ لكون إجماع القراء عليها، ويرجح قراءة على أخرى للإجماع⁽⁴⁾.

وربما أطلق الإجماع ويريد به أكثر القراء السبعة ففي مسألة إدغام الفاء في الباء قال: " فأما إدغام الفاء في الباء فموضع واحد قوله تعالى: **{إِنْ نَشَأْ نُخِصِفْ بِهِمُ}**

(1) الكشف: 22 / 1 ؛ 225 / 1 ؛ 239 / 1 ؛ 397.

(2) المصدر نفسه: 442 / 1.

(3) يُنظر الجامع لأحكام القرآن: 7 / 45.

(4) ينظر : الكشف: 1 / 338، 303، 297، 281، 253، 47، 43؛ 496 / 1.

الأرضُ {سبأ:9}، أدغمه الكسائي وحده، وعلة إدغامه أن الفاء والباء اشتركا في المخرج من الشفة، واشتركا في منع إدغام لام التعريف فيهما... وقد كره الإدغام البصريون، وأجازوه الكوفيون، والإظهار في ذلك أحسن لأنه الأصل... وأيضا فإن القراء غير الكسائي أجمعوا على الإظهار وإجماعهم حجة⁽¹⁾.

ثانياً: احتجاجه بإجماع القراء.

وقد صرح مكي باحتجائه بالإجماع في كتابه، فقال: " قال أبو محمد: فإن سأل سائل فقال: فما اختيارك في التسمية بين كل سورتين وتركها؟ فالجواب أن الذي أختاره لنفسه أن أفصل بين كل سورتين بالتسمية اتباعاً لخط المصحف... ولإجماع أهل الحرمين وعاصم على ذلك، فإجماعهم على القراءة حجة أعتمد عليها في أكثر هذا الكتاب"⁽²⁾.

ويبين مكي مكانة إجماع القراء في الاحتجاج، فيقول: "وأما كون البسمة آية في الفاتحة، فأقوى الحجج المثبتة له: الكتابة الرسمية، ثم إجماع القراء على قراءتها في أول الفاتحة"⁽³⁾.

ويقول في سياق تقريره أن البسمة ليست آية من كل سورة: "وأيضاً فقد أجمع أهل العدد من أهل الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام على ترك عدها آية في أول كل سورة، فهذه حجة قاطعة وإجماع ظاهر"⁽⁴⁾.

ومكي بن أبي طالب سالك سبيل العلماء في القديم من الحديث يحتج بالإجماع، ويعتد به فما هو يقول: "ويقوي التذكير إجماع القراء على تذكير الفعل مع ملاصقته للمؤنث، فإذا جاء التذكير بغير حائل فهو مع الحائل أجود وأقوى، والاختيار: الياء؛ لما ذكرنا من العلة؛ ولأن به قرأ أكثر القراء، وذلك حجة"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الكشف: 1/ 156؛ 1/ 208.

(2) المصدر نفسه: 1/ 21.

(3) يُنظر: تفسير المنار: 1/ 70.

(4) الكشف: 1/ 23.

(5) يُنظر: المصدر نفسه: 1/ 239.

ويؤكد مكي على إجماع أكثر القراء، وأثره على الترجيح، فيقول: "وفي إجماع أكثر القراء على حذف التسمية بين كل سورتين، وقبول قرن بعد قرن لذلك، وروايته ذلك عنهم دليل على أنها ليست بآية من كل سورة، فما كان الله ليجمع أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على إسقاط مائة آية وثلاث عشرة آية من كتابه منذ ثلاثمائة سنة إلى أن تقوم الساعة، لا يرد ذلك أحد ولا ينكره، بل ينقله خلف عن سلف، ويروونه ويستعملونه في محاريبهم، ويعلمونه الولدان، ولا أحد يعرف أنه أنكر ذلك"⁽¹⁾.

وقد تواترت النصوص الدالة على حجية الإجماع، وقام على مدلول هذه النصوص الإجماع، ونص العلماء على أن الإجماع في الحقيقة إنما يبنى على نص، ولكن قد يدركه مدرّك، ويخفى على آخر⁽²⁾.

والقراء والمفسرون ساروا على الاحتجاج بالإجماع، والاحتجاج له قال ابن جرير: "وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين: أحدهما: اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها، وانفراد المخالف لهم في ذلك، وشذوذه عما هم عليه مجمعون، وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءة شاهدة على خطئها"⁽³⁾.

وبناء على القول بحجية الإجماع ردت الأقوال المخالفة لإجماع القراء، فقد رد القول المخالف للإجماع، ومنع القراءة التي تخالف الإجماع، وهو ما سيوثق لاحقاً. ثانياً: توقف ثبوت القرآن على إجماع القراء.

ولكون القرآن حجة معلومة، فقد قصر مكي ثبوت القرآن عليه، وجعل مالم يجمع عليه غير مقطوع بقرآنيته، فلما تحدث عن البسطة، هل هي آية؟ أم ليست آية؟ قال: "لكننا نقول في هذا إن الزيادة في القرآن لا تثبت بالاختلاف وإنما تثبت بالإجماع، ولا

(1) يُنظر الكشف: 1 / 17؛ الإبانة عن معاني القراءات: 98.

(2) يُنظر المحصول: 4 / 35؛ روضة الناظر وجنة المناظر: 1 / 379؛ بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: 1 / 532.

(3) جامع البيان: 269/1.

إجماع في ذلك...؛ لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد التي لا يقطع على غيبها. إنما يثبت القرآن بالإجماع والأخبار المتواترة المقطوع على غيبها، ولا تواتر ولا إجماع⁽¹⁾.

المطلب الثاني: منهج مكي في تقوية القراءات بالإجماع.

أولاً: تقويته قراءةً مختلف فيها بقراءة مجمع عليها.

اعتمد مكي على تقوية جانب القراءات المختلف فيها على ما أجمع عليه القراء، فجعل منه مستنداً لاختياراته، وتقويته لبعض القراءات، وذلك منهج حسن، وطريقة حكيمة، ونماذج هذه التقوية، في النماذج الآتية:

- ومن ذلك أنه أورد القراءات في قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة:4]، فقال: "قرأ عاصم والكسائي بألف، وروي عن الكسائي أنه خير في ذلك، وقرأ الباقر «ملك» بغير ألف، وحجة من قرأه بألف إجماعهم على قوله: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ} [آل عمران:26].

- وأورد القراءات في سورة الكهف عند قوله تعالى: {فَاتَّبِعْ سَبَبًا} [الكهف:85]، وقوله: {ثُمَّ اتَّبِعْ سَبَبًا} [الكهف:89، 92]، فقال: "قرأ ذلك الكوفيون وابن عامر بقطع الألف، وإسكان التاء، مخففاً في الثلاثة، وقرأ الباقر بوصل الألف والتشديد، وحجة من شدد أنه بناه على «افتلعل» مطاوع فعل «تبع»، فهو يتعدى إلى مفعول واحد كـ «تبع» وقد أجمعوا على ذلك في قوله: {وَاتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا} [هود:116]، وقوله: {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ} [البقرة:102]، وحجة من همز وخفف أنه بناه على «أفعل» منقول من «فعل» جعله يتعدى إلى مفعولين، زاد مفعولاً لدخول الهمزة، كما قال الله جلّ ذكره: {وَاتَّبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً} [القصص:42]. وقد أجمعوا على: {فَاتَّبِعْهُ شَهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر:18] بالهمز، والتقدير: فأتبعه شهاب مبين الإحراق أو المنع للاستراق. والقراءتان متعادلتان⁽²⁾.

(1) الكشف: 23 / 1.

(2) الكشف: 72 - 73.

- وقال في قوله: {وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ} [الحجر: 78]: "أجمع القراء في هذه السورة وفي قاف على الخفض، وإدخال الألف واللام، واختلفوا في الشعراء وصاد، فقرأ الحرميان وابن عامر فيهما «ليكة» بلام مفتوحة والنصب، على وزن «فعلة»، وقرأ الباقر بالخفض وإدخال الألف واللام، كالتي في الحجر وقاف... وحكى أبو عبيد أن «ليكة» على «فعلة» اسم للقرية التي كانوا فيها، وأن «الأيكة» بالألف واللام وهمزة اسم للبلد كله،...، واختار أبو عبيد «ليكة» على وزن «فعلة» بغير صرف في الشعراء وصاد، فجعلها اسماً للقرية و «الأيكة» اسم البلد، لأنها كذلك في المصاحف، وتعقب عليه ابن قتيبة فاختر «الأيكة» بالألف واللام والخفض في الشعراء والصاد، وقال: إنما كتبنا بغير ألف، على تخفيف الهمزة، وقال: قد أجمع الناس على الألف واللام والخفض في الحجر وقاف، فوجب أن تلحق الشعراء وصاد بما أجمع عليه، فما أجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه⁽¹⁾.

ففي القراءات السابقة تلاحظ أن مكي يقوي القراءة المختلف فيها بما أجمعوا عليها، بل أورد في القراءة الأخيرة كلام ابن قتيبة الذي يوجب إلحاق المختلف فيها بالمجمع عليها، ولم يتعقبه، بل هو مقرّر له.

ثانياً: تقوية القراءة بالإجماع على نظير لها في موطن آخر.

وهذا الموضوع يختلف عن السابق، فالكلمة التي تقرأ هنا ليست مثل الكلمة الأولى، ولكن تشبهها، فمكي يقوي الشبيه بالشبيه، فلما أورد القراءات في قول الله تعالى: {تَمَسُّوهُنَّ} قال: "قرأه حمزة والكسائي بضمّ التاء، وبألف بعد الميم، ويمدّان، وقرأ الباقر بفتح التاء، وبغير ألف، حيث وقع، وحجة من قرأ بألف أنه جعل الفعل لاتين، لأن كل واحد من الزوجين يمسّ الآخر بالوطء أو بالمباشرة، فبابه المفاعلة، ويجوز أن يكون «فاعل» ك «فعل» في هذا فتكون القراءتان بمعنى، والتمسّ من الزوج خاصة، لأنه الواطيء والمباشر، كما قالوا: داويت العليل وعاقبت اللص، ويدلّ على

قوة القراءة بالآلف أنهم أجمعوا على قوله تعالى: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا} [المجادلة: 3] فوقع الفعل لهما كذلك، هذا لما كان من كل واحد من الزوجين مماسة للآخر عند الوطء، حمل على باب المفاعلة، وحجة من قرأ بغير ألف أن المس هنا يراد به الوطء، أو المباشرة، والواطيء الرجل دون المرأة، فهو فعل واحد، فبابه «فعل» لا «فاعل». وأيضا فقد أجمعوا على ترك الآلف، في قوله تعالى مخبرا عن قول مريم رضي الله عنها: {وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ} [آل عمران: 47]، ولم يقل: يماسني، فدل ذلك على أن الفعل للزوج وحده الواطيء، وهو الاختيار، لأن الأكثر عليه من القراء، ولأنه أصح في المعنى المقصود إليه⁽¹⁾.

المطلب الثالث: منهج مكي في القراءة المخالفة لأجماع القراء.

قد سبق القول بجية الإجماع، وأن الصوص قد تظاهرت بجيته، ومن فروع هذا القول القول برد ما خالف إجماع القراء وذلك كما يلي:

أولاً: رد القول المخالف لأجماع القراء.

قال مكي: "بعض العلماء قد قال: إنها- البسملة - آية من أول كل سورة إلا «براءة» وهو أحد قولي الشافعي، وبه قال ابن المبارك، وهو قول شاذ، لأنهم زادوا في القرآن مائة آية وثلاث عشرة آية، والقرآن لا تثبت فيه الزيادة إلا بالإجماع الذي يقطع على غيبه، ولا إجماع في هذا، بل الإجماع قد سبق في الصدر الأول من الصحابة، وفي الصدر الثاني من التابعين على ترك القول بهذا"⁽²⁾.

وقال في الحديث عن المسألة ذاتها: "فالإجماع قد حصل على ترك عدها آية من كل سورة، فما حدث بعد الإجماع من الصحابة والتابعين من قول منفرد محدث فقول مرفوض غير مقبول"⁽³⁾.

(1) الكشف: 1/ 298.

(2) المصدر نفسه: 1/ 15.

(3) المصدر نفسه: 1/ 22.

فمكي عندما ناقش مذاهب القراء كنافع، والفقهاء في مسألة هل البسمة آية من كل سورة أنكر أن تكون آية، معتمداً على الإجماع السابق في ذلك، فمن خلال النصين عن مكي يتضح أن مكياً يرد القول المخالف لإجماع القراء، ويصفه بأنه قول محدث مرفوض غير مقبول.

ثانياً: منعه القراءة التي أجمع القراء على خلافها.

ففي قول الله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة:4] ذكر كسر الكاف من غير ياء، وضم دال نعبد من غير واو ثم أخبر أن العلة التي أوجبت ذكره لكسر الكاف من "ملك" دون ياء، ولضم الدال من "نعبد" دون واو: "الإجماع من القراء والرواة عن ورش على خلافها لشذوذها، ولأنها إنما هي لغة تجوز في الشعر للضرورة، وحمل كتاب الله على ذلك لا يحسن ولا يجوز" (1).

فمن الفروع المتعلقة بالقول بحجية إجماع القراء، رد القراءة التي جاءت مخالفة لما أجمع عليه القراء، وهذا ما قرره مكي عندما تحدث عن القراءات في كلمة "ملك"، و"نعبد" ردها، وحكم بشذوذها لمخالفتها للإجماع.

ثالثاً: مراعاته عدم الخروج عن إجماع القراء.

عند حديث مكي عن القراءات الواردة في قول الله تعالى: { وَرِثْيَا } [مريم:74]، قال: "يجوز أن يكون مما لا أصل له في الهمز، ففي همزه بيان أن أصله الهمز،... وحجة من خفف الهمزة أنه استثقلها محققة فخففها... وحجة من ترك همز فاء الفعل خاصة، وهو ورش، أن فاء الفعل حكمها أن يكون في أول الكلام، لأنها أول الوزن، فحقها أن تكون مخففة أبداً، إلا أن يدخل عليها زائد، فتصير ثانية، أو زائدان فتصير ثالثة، وربما كانت الهمزة رابعة بدخول ثلاثة زوائد عليها، فتثقل فتخفف حينئذ، فذلك خفف فاء الفعل، لأنها ثانية أو ثالثة أو رابعة، وذلك نحو: «يؤمن، وسيؤمن واستأمن»

فلما بعدت الهمزة من أول الكلام ثقلت فخففت، وحجة من همز عين الفعل ولامه إجماعهم على ذلك، فهمز للإجماع، لئلا يخرج عن الإجماع⁽¹⁾.
فمراعاة عدم الخروج عما أجمعوا عليه من القواعد التي راعاها مكي في توجيه القراءات، ويراعيها علماء التوجيه.

المطلب الثالث: الترجيح بين الإجماع، وغيره من الأدلة.

أولاً: تقديمه إجماع القراء على ظاهر النص.

يقول مكي - رحمه الله - في قوله: "فإن قيل: فإن ظاهر النص أن يتعوذ القارئ بعد القراءة؛ لأنه قال: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ} [النحل: 98]، والفاء بعد ما قبلها تتبعه، هو أصلها، فالجواب أن المعنى على خلاف الظاهر، معناه: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، ودل على ذلك الإجماع أن الاستعاذة قبل القراءة"⁽²⁾.

ومكي بهذا التحرير جارٍ على أصول العلماء، فمتى تعارضت دلالة الإجماع، والظاهر فالمقدم الإجماع عند أهل العلم؛ لأن دلالاته قطعية، بخلاف الظاهر، فدلالته ظنية، يقول السرخسي عندما تحدث عن حكم السعي بين الصفا والمروة قال في قول الله تعالى: {فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: 158] "ومثل هذا اللفظ للإباحة لا للإيجاب، فيقتضي ظاهر الآية أن لا يكون واجباً، ولكننا تركنا هذا الظاهر في حكم الإيجاب بدليل الإجماع فبقي ما وراءه على ظاهره، وإنما ذكر هذا اللفظ، - والله أعلم -، لأصحابه؛ لأنهم كانوا يتحرزون عن الطواف بهما لمكان الصنمين عليهما في الجاهلية إساف ونائلة"⁽³⁾.

(1) الكشف: 1 / 81.

(2) المصدر نفسه: 1 / 9؛ تفسير القرآن العظيم: 1 / 12؛ الجامع لأحكام القرآن: 1 / 86؛ النشر في القراءات العشر: 254.

(3) المبسوط: 4 / 50.

كما هو شائع أيضاً في كتب التفسير فقد قال أبو حيان: "والظاهر من قوله تعالى: **{فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا}** [المائدة:38]، أنه يقطع من السارق الثنتان، لكن الإجماع على خلاف هذا الظاهر، وإنما يقطع من السارق يمينه، ومن السارقة يمينها"⁽¹⁾.

ثانياً: تقديمه إجماع القراء على خبر الواحد.

عند كلامه على البسمة هل هي آية من كل سورة؟ أم لا؟، يقول: "وأيضاً فقد أجمع أهل العدد من أهل الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، والشام، على ترك عدها آية في أول كل سورة، فهذه حجة قاطعة وإجماع ظاهر، وإنما اختلفوا في عدها وتركه في سورة «الحمد» لا غير، فعدها آية الكوفي والمكي، ولم يعدها آية البصري، ولا الشامي، ولا المدني، والمشهور من قول الشافعي أن التسمية آية في «الحمد» لا غير، وهذا مما اختلف فيه الصدر الأول.

وقال جماعة منهم بذلك، فهو اختلاف غير منكر، لكننا نقول في هذا: إن الزيادة في القرآن لا تثبت بالاختلاف وإنما تثبت بالإجماع، ولا إجماع في ذلك، وقد روى الشافعي وأصحابه في ذلك أحاديث، وروى من خالفهم في ترك عدها آية من «الحمد» أحاديث، فتوازن الأمران، وبقي انتقاد صحة الأحاديث، والكلام في ذلك يطول، ويخرجنا عما قصدنا إليه، لكننا نقول: لو ثبتت أحاديثهم، وصحت لم يكن لهم فيها حجة في إثبات قرآن؛ لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد التي لا يقطع على غيبها، إنما يثبت القرآن بالإجماع والأخبار المتواترة المقطوع على غيبها، ولا تواتر ولا إجماع"⁽²⁾.

قد سبقت الإشارة إلى قطعية دلالة الإجماع، وأنها تقضي على ما سواها من الدلالات الظنية، ومن ذلك خبر الآحاد، وهذا ما حرره مكي في هذه المسألة، ونص غيره على هذا التحقيق، فقد قال أبو الوفاء ابن عقيل: "فلا يجوز أن يقدم المظنون على المقطوع، كما لا يقضى بخبر الواحد على الإجماع"⁽³⁾.

(1) البحر المحيط في التفسير: 4 / 254.

(2) الكشف: 1 / 23.

(3) الواضح في أصول الفقه: 3 / 383.

ثالثاً: تقديمه إجماع القراء على الأقوى في الإعراب والمعنى.

يقول مكي بن أبي طالب عندما تكلم على القراءات في قول الله تعالى: {وَالْكَافَّارُ أُولِيَاءُ} [المائدة:57]: "ولولا اتفاق الجماعة على النصب لاخترت الخفض؛ لقوته في الإعراب، وفي المعنى والتفسير، والقرب من المعطوف عليه"⁽¹⁾.

إن اختلاف النحاة والقراء في علل القراءة وتوجيهها، جعل بعض النحاة يحكمون على القراءة بالضعف، وربما تجرأ بعضهم فرد القراءة⁽²⁾ ولكن الطريقة المثلى في هذا الباب أن القراءة سنة متبعة، فلا ترد لضعف وجهها النحوي، فورودها كافٍ في إثبات جوازها، بل إنهم يتوقعون عن قبول القراءة التي تتفق مع الوجه الأقوى، والمعنى الأظهر، لمخالفتها إجماع القراء. وهذا المعنى قرره ابن جرير في تفسيره فقال: "والصواب من القول في ذلك عندنا، القول بإجازة جر (غير) في {غَيْرَ نَاطِرِينَ} [سورة الأحزاب:53] في الكلام، لا في القراءة لما ذكرنا من الأبيات التي حكيناها، فأما في القراءة فغير جائز في (غير) غير النصب، لإجماع الحجة من القراء على نصبها"⁽³⁾.

المطلب الرابع: القياس والأجماع.

العلاقة بين القياس والإجماع في القراءات القرآنية يوضحها مكي بن أبي طالب في كتاب التبصرة، كما نقل ذلك ابن الجزري رحمه الله، وعزز كلام مكي بكلام حسن فقال: "ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه، أما إذا كان القياس على إجماع انعقد، أو عن أصل يعتمد، فيصير إليه عند عدم النص، وغموض وجه الأداء، فإنه مما يسوغ قبوله، ولا ينبغي رده، لا سيما فيما تدعو إليه الضرورة، وتمس الحاجة مما يقوي وجه الترجيح، ويعين على قوة التصحيح، بل قد لا يسمى ما كان كذلك قياساً على الوجه الاصطلاحي، إذ هو في الحقيقة نسبة جزئي إلى كلي كمثّل ما اختير في

(1) الكشف: 1/ 414.

(2) يُنظر مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع: 110.

(3) جامع البيان: 308/20.

تخفيف بعض الهمزات لأهل الأداء، وهذا الذي عناه مكي في التبصرة؛ إذ قال: فجميع ما ذكرناه في هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام: قسم قرأت به ونقلته وهو منصوص في الكتب موجود، وقسم قرأت به وأخذته لفظاً أو سماعاً وهو غير موجود في الكتب، وقسم لم أقرأ به ولا وجدته في الكتب ولكن قسته على ما قرأت به، إذ لا يمكن فيه إلا ذلك عند عدم الرواية في النقل والنص وهو الأقل⁽¹⁾، ومن ضروب القياس التي انتهجها مكي في توجيه القراءات القرآنية ما يلي:

أولاً: حملة ما أجمعوا عليه أولى من الحمل على ما اختلفوا فيه.

يقول مكي: "ذكر أبو عبيد عن ابن مسعود أنه قال: ذكروا القرآن، وإذا اختلفتم في النياء والتاء فاجعلوها ياء، فإنه أكثر ما جاء في القرآن من هذا النوع أتى مذكراً بإجماع من القراء، قال الله جل ذكره: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ} [سورة آل عمران: 13]، وقال: {قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ} [الأعراف: 73]، وهو كثير، أتى على التذكير إجماع، فكان حمل هذا على ما أجمعوا عليه أولى⁽²⁾. فمكي يقرر بهذا قاعدة من قواعد التوجيه التي تعتمد على القياس يمكن صياغتها كالاتي: الحمل ما أجمعوا عليه أولى من الحمل على غيره.

ثانياً: جعله إجماع القراء شاهداً على ما اختلفوا فيه.

يقول مكي بن أبي طالب في قوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ} [الحجر: 78] "أجمع القراء في هذه السورة، وفي قاف على الخفض، وإدخال الألف واللام، واختلفوا في الشعراء، وصاد... فوجب أن تلحق الشعراء، وصاد بما أجمع عليه، فما أجمعوا عليه شاهد لما اختلفوا فيه"⁽³⁾، فعلماء التوجيه يحرزون من مواطن إجماع القراء فوائد كثيرة، ومن ذلك أنهم يقوون جانب الاختلاف، بما أجمع عليه، وهو مسلك حسن.

(1) النشر في القراءات العشر: 1/ 18.

(2) الكشف: 1/ 238.

(3) الكشف: 2/ 32-33.

ثالثاً: استدلال مكي على جواز الطول في مد البدل عند ورش بالإجماع.

فلما تحدث عن علة ورش في مده: {آمن، وآدم، ويستهزؤون، ومتكئين، وأوتي، وآتيناً}، ذكر عللاً لمده.... قياساً على إجماعهم للمد، إذا كانت الهمزة بعد حرف المد واللين⁽¹⁾.

رابعاً: تقويته القراءة قياساً على ما أجمعوا على جوازه.

ففي قول الله تعالى: { وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } [البقرة:197] تحدث عن إثبات الياء بعد النون، فذكر أن أبا عمرو يثبتها في الوصل خاصة، ثم علل لمن حذفها في الوقف، بأنه اتبع الرسم، واتباع الأصل في وصله، فجمع بين الوجهين، وجاز ذلك في الياء؛ لأن حروف المد واللين تحذف من الخط، في أكثر المصاحف، وتقرأ بالإثبات في الوصل والوقف إجماع، نحو «إبراهيم، وإسماعيل وإسحق» وأكثر الألفات كالقراءة بالألف في الوصل والوقف، والخط بغير ألف، وهو كثير في القرآن فأجرى الياء مجرى الألف، فأثبتها في الوصل والوقف، وإن كانت محذوفة في الخط قياساً على الألف التي تقرأ وهي محذوفة⁽²⁾.

خامساً: قياسه على ما جاء له أصل صحيح في العربية.

لما ناقش موضوع الفتح والإمالة، واحتج لهما، كان من حججه لهما، أن كليهما قد جاء على أصل أجمع عليه العرب، والقراء، فالإمالة إنما جيء بها؛ لتدلّ على أصل الحرف الممال؛ لتقرّبه من كسرة قبله أو بعده، وقد أجمعوا على ترك الدلالة على الأصل في مواطن منها: ميقات وميزان، موقن وموسر.

إبدال الهمزة التي هي فاء الفعل في «آدم وآزر» وشبههما بألف، من غير إشارة، ولا دليل على الأصل، والأصل الهمز.

إبدال الواو في: قال، وكال، بألف وعلى إبدال الياء في: كال، ومال، بألف من غير إشارة إلى الواو، ولا إلى الياء في أشباه لهذا كثير.

(1) الكشف: 48 / 1.

(2) الكشف: 333 / 1.

قالوا فيجب أن تترك الإشارة إلى الأصل في «رمى، وهدى، وترى، واشترى» وشبهه، وأن تترك الألف على حالها ولفظها، وفتح ما قبلها، ولا تغير بإشارة إلى أصلها، قياساً على ذكرنا، ممّا أجمعوا على ترك الإشارة فيه إلى الأصل⁽¹⁾.

واحتج للإمالة بالإجماع على إبقاء ما يدل على الأصل في كثير من كلامها، ومن ذلك أنهم: أدغموا النون الساكنة والتتوين في الميم والنون، وأبقوا الغنة تدلّ على الأصل، وأدغموا الطاء الساكنة في التاء فأبقوا لفظ الإطباق، ليدلّ على الأصل، إجماعاً منهم في نحو قال تعالى: {أَحَاطُ} [النمل:22]، وقال تعالى: {فَرَطْتُ} [الزمر:56]، وأدغموا القاف الساكنة في الكاف، وأبقوا لفظ الإطباق، ليدلّ على الأصل في نحو قوله: قال تعالى: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ} [المرسلات:20]، وهذا في كلامهم أكثر ممّا أصف به، يرغبون في أن يبقى في الكلام المغير ما يدلّ على الأصل.

ثم ختم استدلاله بقوله: "فهما لغتان فاشيتان قويتان في الاستعمال والقياس، والفتح الأصل لما ذكرنا، والإمالة فرع جار على الأصول، قويّ في القياس، فصيح في لسان العرب، غير مدفوع"⁽²⁾.

خاتمة البحث: توصل الباحث إلى نتائج وتوصيات:

أما النتائج فيمكن القول بأن أهم نتائجها الآتي:

1. أن مكي بن أبي طالب وكتابه الكشف يعدان من أقطاب علم توجيه القراءات؛ لهذا كان لهما أثر كبير في كتابات العلماء بعدهما.
2. أن إجماع القراء ذو أهمية كبيرة في علم توجيه القراءات، وأنه ينتظم فروعاً كثيرة.
3. أن علم توجيه القراءات يستند إلى أدلة وبراهين، ومن أبرز تلك الأدلة إجماع القراء.
4. أن الإمام مكي بن أبي طالب يقدم الإجماع على ظاهر النص.

(1) يُنظر الكشف: 2/ 379.

(2) يُنظر: المصدر نفسه: 2/ 379.

5. عُلم من خلال تتبع الإمام مكي بن أبي طالب أنه قسم الإجماع إلى قسمين: الأول: الإجماع المطلق، ويراد به إجماع جميع القراء وعده حجة قاطعة يستدل به، ويرد ما خالفه، والثاني: الإجماع المقيد، ويراد به أكثر القراء السبعة، أربعة، أو خمسة، أو ستة.

6. تبين أن مكي بن أبي طالب في كتابه الكشف يختار القراءة، ويرجحها بالإجماع المقيد.

7. كما اتضح أن الإمام مكي بن أبي طالب يقدم الإجماع على ظاهر النص.

8. واتضح أيضاً أن الإمام مكي بن أبي طالب يقدم الإجماع على خبر الواحد.

9. وتقرر أن الإمام مكي بن أبي طالب يقدم الإجماع على الأقوى في الإعراب واللغة.

10. ثبت في البحث أن الإمام مكي بن أبي طالب يجعل إجماع القراء شاهداً لما اختلفوا فيه.

11. كما أثبت البحث أن الإمام مكي بن أبي طالب يجعل القراءة المختلف فيها تقاس على ما أجمعوا عليها.

وأما التوصيات: فيمكن تلخيصها في الآتي:

1- جمع قواعد علم توجيه القراءات من كتب التفسير، واللغة، وكتب التوجيه المفردة، بحيث يجتمع ما تفرق من هذا العلم في مكان واحد.

2- دراسة مناهج العلماء في توجيه القراءات فه لا تزال بحاجة شديدة إلى دراسات كثيرة، تكشف مسالك العلماء مع قواعد هذا الفن، فمثلاً من الممكن دراسة منهج ابن جني في توجيه القراءات القرآنية، في المحتسب، وهكذا غيره.

المصادر والمراجع:

الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن (أبي القاسم) (ت 749 هـ)، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، تحقيق: محمد مظهر بقاء، دار المدني، السعودية، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، (ت 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق، إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ط3، 1405 هـ - 1985 م.

الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف، (ت 754هـ)، البحر المحيط (في التفسير) تحقيق: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر - بيروت، 1420 هـ - 2000 م.

البخاري، علاء الدين، عبد العزيز بن أحمد (ت 730 هـ)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، شركة الصحافة العثمانية، إسطنبول، مطبعة سنده، ط1، 1308 هـ - 1890 م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني [ت 1376 هـ]، مكتبة الخانجي، ط2، 1374 هـ - 1955 م.

البغدادى، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، (ت 324هـ) السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط2، 1400هـ.

البغدادى، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل الظفري، (ت 513 هـ)، الواضح في أصول الفقه، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1420 هـ - 1999م.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى، 833 هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى، 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1351هـ.

ابن الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر (ت 370هـ)، الفصول في الأصول، الناشر، وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1414هـ - 1994م.

الجماعيلي، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة (541 - 620 هـ)، تحريم النظر في كتب الكلام، تحقيق، عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، الناشر، عالم الكتب - السعودية - الرياض، ط1، 1410هـ - 1990م.

الجماعيلي، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة (541 - 620 هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الدكتور شعبان محمد إسماعيل (ت 1443 هـ) مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1423 هـ - 2002م.

ابن حجر، أحمد بن علي (773 - 852 هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب [ت 1389 هـ]، الناشر، المكتبة السلفية - مصر، ط1، 1380 - 1390 هـ.

- الحميدي، محمد بن فتوح (ت 488 هـ)، جذوة المقتبس في ذكر وفاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر - القاهرة، 1966 م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681 هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى، 748 هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط1، 1417 هـ - 1997م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، 748 هـ)، سير أعلام النبلاء تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط، مؤسسة الرسالة.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت، 748 هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط1، 1417 هـ - 1997م
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (ت 666 هـ)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط5، 1420 هـ / 1999م.
- رضا، محمد رشيد بن علي (ت 1354 هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت 794 هـ)، البحر المحيط في أصول الفقه ، دار الكتبي، ط1، 1414 هـ - 1994 م.
- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد (ت 538 هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، ط3، 1407 هـ - 1987 م.
- الزهراني، نايف بن سعيد بن جمعان، الاستدلال في التفسير، دراسة في منهج ابن جرير الطبري في الاستدلال على المعاني في التفسير، أطروحة دكتوراه، قسم الكتاب والسنة، بكلية أصول الدين، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، 1434 هـ.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت 483 هـ)، المبسوط، تحقيق: جمع من أفاضل العلماء، مطبعة السعادة - مصر.
- السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت 489 هـ)، قواطع الأدلة في الأصول، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ / 1999م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت 911 هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ت 1401 هـ)، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
- الشمري أحمد، "تعدد التوجيه الإعرابي عند مكي في الكشف" مجلة كلية اللغة العربية، علمية محكمة (3/3)، (ص: 184-185)، عام (1432-2011).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، (1325 - 1393 هـ)، منكرة أصول الفقه على روضة الناظر، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط5، 1441 هـ - 2019 م.
- صقر، إسلام، اختيارات مكي في كتابه الكشف، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بغزة، (1434-3013م).
- صلاح، شعبان، مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع، دار غريب للطباعة والنشر، 2004م - 1425هـ.
- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (224 - 310 هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار التربية والتراث - مكة المكرمة، ط، بدون.
- الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى ، 716 هـ)، شرح مختصر الروضة، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1407 هـ / 1987 م.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت 1421 هـ)، القول المفيد شرح كتاب التوحيد، الناشر، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط2.
- عضيمة، محمد عبد الخالق (ت 1404 هـ)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير، محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط، بدون.
- ابن العطار، حسن بن محمد بن محمود الشافعي (ت 1250 هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، ط، بدون.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت 505 هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط 1، 1413 هـ - 1993م.
- بن فارس، أحمد (ت 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.

الفاسي، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري، (ت 628 هـ)، الإقناع في مسائل الإجماع، تحقيق: حسن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 1424 هـ - 2004 م.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، (ت 606هـ)، المحصول، دراسة وتحقيق، الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر، مؤسسة الرسالة، ط3، 1418 هـ - 1997 م.

فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، (ت 606هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ.

الفراء، محمد بن الحسين البغدادي الحنبلي (380 - 458 هـ)، العدة في أصول الفقه، تحقيق: د أحمد بن علي بن سير المباركي، ط2، 1410 هـ - 1990 م.

فرحات، أحمد حسن، مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، دار عمار، 1418 هـ - 1997 م.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت نحو 770 هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت.

القرشي عبد الله، علل القراء دراسة نظرية تطبيقية: مجلة العلوم الشرعية، واللغة العربية، جامعة سطات بن عبد العزيز، ل: العدد (1ج/ع2)، (29-30) تاريخ النشر: سبتمبر 2016م.

القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (700 - 774 هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط2، 1420 هـ - 1999 م.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964 م.

القفطي، جمال الدين، علي بن يوسف (ت 624 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت 1401 هـ]، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط1، 1406 هـ - 1982 م.

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (355 - 437 هـ)، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (355 - 437 هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، (وهو شرح كتاب التبصرة في القراءات)، تحقيق: د محيي الدين رمضان، الناشر، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2، 1401 هـ - 1981 م.

القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (355 - 437 هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د، الشاهد البوشيخي، الناشر، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت 711هـ)، لسان العرب، الحواشي، لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ.
موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، رسائل علمية من جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، دار الفضيلة للنشر والتوزيع بالرياض، المملكة العربية السعودية.
النملة، عبد الكريم بن علي بن محمد (ت 1435 هـ)، المذهب في علم أصول الفقه المقارن، دار النشر، مكتبة الرشد - الرياض، ط1، 1420 هـ - 1999 م.
الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت 468 هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430 هـ.

اليحصي، القاضي عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: ابن تاووت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي، ومحمد بن شريفة، وسعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة - المحمدية، الغرب، ط1، 1965 م - 1983 م.
يحي، جلال، قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، آيار، 2006م.

وصف الشخصيات في شعر أحمد شوقي الشخصيات التاريخية أنموذجاً - دراسة وصفية

أ.م.د. ليلي عثمان عبد الله محمد.

جامعة السليمانية. العراق / كلية العلوم الإسلامية/ قسم الشريعة

laila.abdalla@univsul.edu.iq

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/9/19 تاريخ قبول البحث 2025/9/30

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.258>

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى تقديم دراسة فنية وأدبية لكيفية تصوير أحمد شوقي للشخصيات التاريخية في أعماله الشعرية والمسرحية، ويركز البحث على تحليل الطرق والأساليب التي استخدمها شوقي في رسم الشخصيات الدينية والسياسية والاجتماعية، مع إبراز الأبعاد الفنية التي جعلت شوقي متميزاً في تقديم الشخصيات التاريخية في شكل حيوي ومؤثر. ويكشف عن شخصيات تاريخية أمثال صلاح الدين الأيوبي ونماذج مختارة من قادة التاريخ الإسلامي، ويبين البحث كيف استطاع شوقي أن يمزج بين الحقائق التاريخية والخيال الشعري، مقدماً صورة أدبية نابضة لهذه الشخصيات، كما يناقش البحث الأدوات اللغوية والبلاغية التي استخدمها شوقي في وصف الشخصيات، مثل التشبيه والاستعارة، ويوضح كيف أسهمت هذه الأدوات في إبراز أبعاد الشخصية النفسية والاجتماعية والفكرية. ويخلص البحث إلى أن أحمد شوقي كان مبدعاً في رسم الشخصيات التاريخية، مستنداً إلى ثقافة واسعة وخيال شعري متميز، مما جعل هذه الشخصيات تتجاوز كونها شخصيات تاريخية جامدة لتصبح رموزاً إنسانية خالدة في الأدب العربي.

الكلمات المفتاحية: أحمد شوقي، الشخصيات التاريخية، الشخصيات الدينية، الشخصيات الأسطورية، الرمز التاريخي.

Characterization in Ahmed Shawqi's Poetry: Historical Figures as a Model – A Descriptive Study

Asst. Prof. Dr. Laila Othman Abdullah Muhammad

University of Sulaymaniyah – Iraq / College of Islamic Sciences,
Department of Sharia

Abstract:

This research presents an artistic and literary study of how Ahmed Shawqi portrayed historical figures in his poetic and theatrical works. The research focuses on analyzing the methods Shawqi used to depict religious, political, and social figures, highlighting the artistic dimensions that distinguished Shawqi in presenting historical figures in a lively and influential manner. The research reveals historical figures such as Saladin and selected examples of leaders from Islamic history, and demonstrates how Shawqi was able to blend historical facts with poetic imagination, presenting a vibrant literary portrayal of these figures. The research also discusses the linguistic and rhetorical tools Shawqi used to describe characters, such as similes and metaphors, and explains how these tools contributed to highlighting the psychological, social, and intellectual dimensions of the characters. The research concludes that Ahmed Shawqi demonstrated creativity in depicting historical figures, relying on his broad culture and distinguished poetic imagination, which transformed these characters from static historical figures into timeless human symbols in Arabic literature .

Keywords: Ahmed Shawqi, historical figures, religious figures, legendary figures, historical symbols.

مقدمة:

يعدّ أحمد شوقي، أمير الشعراء، أحد أبرز أعلام الشعر العربي الحديث، وقد تميز شعره بالغزارة الفنية والتنوع الموضوعي، إذ جمع بين المديح والرثاء، والسياسة والاجتماع، والدين والتاريخ. ومن أهم الظواهر الفنية في شعره ميله الواضح إلى توظيف الشخصيات التاريخية بوصفها رموزاً للأصالة والبطولة، واستدعاءً للماضي

المجيد في سبيل النهوض بواقع أمته المتعثر. لقد تناول شوقي في شعره عدداً كبيراً من الشخصيات التاريخية، سواء من العصر الإسلامي مثل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم. والخلفاء الراشدين وصلاح الدين الأيوبي، أو من التاريخ الفرعوني والروماني ككليوباترا وقيصر، أو من أعلام الفروسية العربية كعنترة بن شداد. ولم يكن وصفه لتلك الشخصيات مجرد تسجيل تاريخي، بل كان رؤية شعرية تهدف إلى إبراز القيم الأخلاقية والبطولية التي تمثلها هذه الشخصيات، وتقديمها كنماذج تحتذى بها الأجيال. كما تجلّى في وصفه لتلك الشخصيات براعة فنية عالية، حيث جمع بين الدقة التاريخية والأسلوب البلاغي، فجاءت شخصياته حية نابضة، تحمل في طياتها رسالة فكرية ووطنية وروحية، تدعو إلى العودة للجذور، واستلهام العزة من صفحات التاريخ. ومن هنا يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على أبرز الشخصيات التاريخية التي وصفها أحمد شوقي، وتحليل أسلوبه في تقديمها، والكشف عن الأبعاد الفنية والفكرية التي تميز بها شعره في هذا المجال.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في أنّ شعر أحمد شوقي زاخر بتوظيف الشخصيات التاريخية من عصور مختلفة، سواء كانت عربية أو إسلامية أو عالمية، وهو توظيف لم يأت اعتباطاً بل ارتبط برؤية فكرية وفنية أراد من خلالها الشاعر أن يربط الماضي بالحاضر، ويستثمر الرموز التاريخية لتأكيد قضايا النهضة والحرية والهوية. غير أنّ هذا التوظيف يثير تساؤلات حول طبيعة اختيار شوقي لهذه الشخصيات، والكيفية التي أعاد من خلالها تشكيلها شعرياً، ومدى انسجامها مع موافقة القومية والفكرية، فضلاً عن أثرها في بناء نصوصه الشعرية على المستويين الفني والدلالي.

أسئلة البحث:

. ما طبيعة الشخصيات التاريخية التي وظفها أحمد شوقي في شعره؟ وهل غلب عليها الطابع الإسلامي أم تجاوز ذلك إلى شخصيات إنسانية عامة؟
- ما الدوافع الفكرية والجمالية التي حدت بالشاعر إلى استدعاء هذه الشخصيات في سياق تجربته الشعرية؟

. كيف وظّف شوقي الشخصيات التاريخية داخل نصه الشعري؟ وهل التزم بالوقائع التاريخية أم منحها بعداً رمزياً وفنياً جديداً؟

- ما الوظائف التي أدتها هذه الشخصيات في قصائده: هل اقتصر على التمثيل الرمزي أم تجاوزت إلى الإقناع والتوجيه والتأثير؟
- ما أثر توظيف هذه الشخصيات في بناء الدلالة الشعرية وتكريس ملامح الاتجاه القومي والنهضوي في شعر شوقي؟
- أهمية البحث:** تتبع أهمية البحث من عدة جوانب، أهمها:
 - أنه يسلط الضوء على جانب مهم من تجربة أحمد شوقي الشعرية، وهو توظيفه للشخصيات التاريخية، وهو موضوع لم يحظَ بدراسة وافية مقارنة بغيره من القضايا الفنية في شعره.
 - يسهم البحث في الكشف عن العلاقة بين الشعر والتاريخ، وكيف استطاع شوقي أن يحوّل الشخصيات التاريخية إلى رموز موحية تعبّر عن قضايا عصره.
 - يساعد على فهم البعد القومي والنهضوي في شعر شوقي، بوصفه أحد أبرز شعراء النهضة العربية في العصر الحديث.
 - يثري الدراسات الأدبية والنقدية من خلال تقديم أنموذج تطبيقي يبرز تداخل البعدين الفني والتاريخي في بناء النص الشعري.
- أهداف البحث:**
 - كشف طبيعة الشخصيات التاريخية التي وظّفها أحمد شوقي في شعره، وتحديد مجالاتها الحضارية والفكرية.
 - بيان الدوافع الفكرية والجمالية الكامنة وراء استدعاء هذه الشخصيات، وربطها بالظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر.
 - توضيح الكيفية التي أعاد شوقي من خلالها تشكيل الشخصيات التاريخية، ورصد مدى التزامه بالمعطى التاريخي أو تجاوزه إلى البعد الرمزي والإبداعي.
 - إبراز الوظائف المتعددة التي أدتها الشخصيات التاريخية في نصوصه الشعرية، سواء كانت رمزية، تربوية، إقناعية، أو جمالية.
 - الإسهام في تعميق الفهم النقدي لعلاقة الشعر بالتاريخ، من خلال دراسة أنموذج بارز هو أحمد شوقي.
- فرضيات البحث :ينطلق البحث من مجموعة فرضيات رئيسة، منها:

أَنَّ توظيف شوقي للشخصيات التاريخية لم يكن مجرد زينة فنية، بل ليعكس موقفه الفكري والنهضوي.

أَنَّ اختيار هذه الشخصيات خضع لاعتبارات قومية وحضارية، تتصل بمحاولة إحياء الأمجاد العربية والإسلامية وربطها بالحاضر.

- أَنَّ شوقي لم يلتزم دائماً بالنص التاريخي، بل أعاد تشكيل الشخصيات بما يخدم الرؤية الشعرية والدلالة الرمزية.

أَنَّ استدعاء الشخصيات التاريخية ساهم في ترسيخ شعر شوقي كأداة للوعي القومي ومشروع النهضة الفكرية.

منهج البحث: يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه الأنسب لدراسة الظواهر الأدبية والفنية في النصوص الشعرية. فهو يقوم على تتبع الشخصيات التاريخية في شعر أحمد شوقي، ثم تحليل طرائق توظيفها ودلالاتها الجمالية والفكرية. كما يستعين البحث بالمنهج الأسلوبي لرصد الأبعاد الفنية والرمزية التي أضفاها الشاعر على هذه الشخصيات، وبالمناهج التاريخية عند الضرورة لبيان الخلفيات الحضارية والسياسية التي أسهمت في تشكيل اختيارات شوقي.

المبحث الأول / أنواع الشخصيات التاريخية في شعر أحمد شوقي:

الشخصية لغة: وردت لفظة الشخصية في المعاجم اللغوية المختلفة بمعان تتشابه أحياناً، وتختلف أحياناً أخرى. فقد ذكر الفراهيدي (ت 175 هـ): "أنَّ الشخص: سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وجمعه الشخوص أو الأشخاص، والشخوص: السير من بلد إلى بلد، وقد شخخص يشخص، وشخص ببصره إلى السماء ارتفع". (الفراهيدي، 1982، جزء 4، ص 165)، و(ابن دريد، 1344 هـ، جزء 2، ص 273)، و(الأزهري، د.ت، جزء 7، ص 71 - 72 مادة شخص).

وذكر ابن فارس (ت 395 هـ)، أن "الشين والصاد والخاء أصل واحد، يدل على ارتفاع في شيء، وأشخص الرامي إذا جاز سهمه الغرض من أعلاه هو سهم شاخص". (ابن فارس، د.ت، جزء 3، ص 254)، و(الفيروز آبادي، د.ت، جزء 2، ص 306) أما ابن منظور (ت 711 هـ)، فقد جمع المعاني السابقة، فقال: "الشخص: جماعة شخص الإنسان وغيره، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور، والمراد به

إثبات الذات فاستعير لها لفظ الشخص". (ابن منظور، 1994، جزء 7، ص 45 - 46 مادة شخص)

الشخصية اصطلاحاً: تدخل جملة من العوامل في تحديد مصطلح الشخصية؛ وصولاً إلى تحديده في نصّ ابداعي، وذلك لوجود أسباب اجتماعية، وزمانية، ومكانية، وتقاليدي سلوكية، وخبرات بيئية مكتسبة. فالشخص عند المتقدمين: عبارة عن الماهية مع القيد والتفصيل، وهو في عرف العلماء: الفرد المشخص المعين، والشخصية هي القضية المخصوصة. (سعيد، محمد وجنيدي، بلال، 1981، ص 54) إنّ أيّ تعريف ينبغي أن يرسم حدوداً معرفية لمفهوم الشخصية، يعتمد في الأساس نظرية معينة يؤمن بها صاحب التعريف.

تتفق جميع الدراسات على أن كلمة شخصية مشتقة من الأصل اللاتيني بمعنى القناع الذي يرتديه الممثل في العصور القديمة؛ ليمثل دوره على خشبة المسرح، أمام الجمهور، لتخفي عنهم شخصيته الحقيقية تبعاً للدور النمط إلى تمثيله. (الحبابي، عزيز، 1986، ص 20-21) وظلت المحاولات تتوالى لتحديد مفهوم الشخصية، فاهتمت تعريفات بالشكل الخارجي، وركزت على السلوك المميز للفرد، وملاحظة نشاطاته المختلفة ملاحظة خارجية، يجعل الفرد فعالاً أو مؤثراً في الآخرين.

وهكذا نرى المعاني الاصطلاحية ذات الدلالات المعرفية الخاصة، تضع مفهوم الشخصية في أطر متعددة، يمكن من خلالها تناولها وتحليلها، بحيث يكون ثمة فرق شاسع بينها وبين أصل الكلمة لغوياً.

وإن الشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي انتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالاتها الشمولية الباقية. (زايد، علي عشري، 1997، ص 120) ودلالات الشخصيات يمكن أن تتغير عند الاستدعاء، فدلالاتها غير ثابتة، ويدل على هذا إمكان استدعاء مبدع واحد لشخصية تراثية معينة، في سياقات مختلفة، للدلالة على معانٍ متعددة. (مجاهد، أحمد، 1998، ص 191) واستدعاء الشخصيات هو أحد عناصر التراث، ومعطى من معطياته، وتقنية استدعاء الشخصيات التراثية، تعد إحدى الوسائل التعبيرية التي يلجأ إليها الشاعر المعاصر؛ لتحديث بنية القصيدة العربية قصد الوصول إلى تشكيل رؤاه للعالم وللكون والتعبير عما يحس به من معاناة أمته العربية وأزماتها، الأمر الذي يدل على مأزق الإنسان

العربي في العالم المعاصر. (حمدان، عبد الرحيم، 2007، ص3) كما وأن استدعاء الشخصيات بالنسبة للشاعر، ليس مجرد ذكر للشخصية أو الإخبار عنها فحسب، بل المعرفة الواعية بملامح تلك الشخصيات وأبعادها الدلالية، ومن ثم المقابلة بين تلك الملامح والقضايا، التي يعيشها الشاعر في واقعه، ثم التعبير عن هذا الواقع من خلال الشخصية المستدعاة بطرق تعبيرية مختلفة.

تبتعد كثيرا عن مجرد ذكر الشخصية، أو سرد أحداثها، كما وردت في كتب التاريخ والتراث. (السويكت، 2008، ص 3) فإن توظيف التراث عند الشعراء يتخذ أشكالا متعددة، فمنهم من يوظفه بدواعي المناسبات التي لها صلة بقضايا الوطن؛ وذلك لشحذ الهمم على التمرّد؛ لتغيير هذا الواقع الأليم. ولكي يؤكدوا روح السيادة والحرية في ضمير أبناء وطنهم، راحوا يذكرونهم بأجدادهم كيف حكموا، وكيف قدّموا للحضارة أفضل مقوماتها، وكيف كانوا سادة الدنيا وقادتها. ومنهم من استلهم التراث ووظفه في شعره للتكسب والتقرب إلى الشخصيات المهمة، وبلوغ المراتب الرفيعة، يضاف إلى ذلك تَعَوُّد الشعراء استلهام التراث تلبية للذوق السائد، أو حباً للتقليد. (مكنّا، محمد عيسى، 2002، ص128) كما ويقصد الشاعر باستدعاء الشخصيات التراثية واستخدامها، تعبيراً لحمل بعد من أبعاد تجربة الشاعر المعاصر، أو تصبح وسيلة تعبير وإحياء في يد الشاعر، يعبر من خلالها أدبها عن رؤياه المعاصر. (زايد، علي عشري، 1997، ص15)

المطلب الأول: الشخصيات الدينية:

استخدم أحمد شوقي الشخصيات الدينية في شعره بوصفها؛ لاستكشاف القيم الروحية، والأخلاقية، ولتعزيز الهوية الثقافية والدينية. وكان لشوقي تأثير كبير على الشعر العربي الحديث، وقد عرف بتوظيفه الشخصيات التاريخية والدينية بأسلوب مميز. ففي هذا السياق، سنستعرض بعض الشخصيات الدينية في شعره، ونحلل دورها وتأثيرها. فمن هذه الشخصيات:

أولاً/ وصف الأنبياء والرسل: إنّ تصوير الموضوعات التاريخية، والشخصيات، من الظواهر التي قد تبدو فيها نوع من الجدة والحداثة في الشعر العربي الحديث، وأنّ تصوير الشعراء المحدثين لهذه الشخصيات، نتج بلا شك من إعجابهم بها، حيث سجل لهم التاريخ أفضالهم العظيمة.

1. النبي محمد - صلى الله عليه وسلم: كتب شوقي قصائد عديدة، تتغنى بخصال النبي محمد - صلى الله عليه وسلم.، مثل: قصيدته الشهيرة "نهج البردة"، حيث خصّ الشاعر أحمد شوقي صاحب الدعوة " محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي "صلى الله عليه وسلم"، بمزيد من عنايته والتفاته فيمن تحدث عنهم من زعماء الإسلام. (ماهر، حسن فهمي، 1953، ص102) وليس شوقي أول من طرق أبواب المدائح النبوية، فقد سبقه في هذا الميدان كثيرون من الشعراء، فمن أقدم المدائح النبوية: قصيدة كعب بن زهير، التي قالها حين أهدر الرسول - صلى الله عليه وسلم - دمه، والتي يقول فيها:

"أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُورٌ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَصَارِمٌ مَنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ " (الحتي، حنا نصر، 2004، ص37) وإذا كان بعض الشعراء الذين مدحوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حياته، كالأعشى، وكعب بن زهير، فقد دفعوا إلى ذلك بدوافع شخصية، وإذا كان بعض الذين مدحوه بعد مماته، كانوا مدفوعين إلى ذلك بتأييد مذهب سياسي معين تأييد آل البيت، أو تحقيق أهداف بلاغية، فإن البوصيري، وشوقي من أبرز الشعراء الذين مدحوا الرسول - صلى الله عليه وسلم -.. إذ أن مدائحه النبوية يعبر عن حبه نحو الرسول - صلى الله عليه وسلم -.. فقد كان لشوقي هدف أبعد مدى، فهو يصور صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلك التي كانت له أكبر عون على تحقيق دعوته، والتي مكنته من أن يحول أمة جاهلة متفرقة إلى دولة إسلامية عزيزة الجانب، يصورها لنا حتى تكون مثلاً أعلى يقتدي به المسلمون في حاضرهم. (مبارك، زكي عبدالسلام، 1968، ص191) و(ابن القتيبة، 1966، ص61) ولشوقي ثلاث قصائد في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -.. هي: " نهج البردة " و" الهزمية النبوية " و" ذكرى المولد ". وقد عارض أحمد شوقي في قصيدته نهج البردة، البوصيري في قصيدته البردة، وقد رأينا أن نوازن بين القصيدتين، لنقف على مبلغ البوصيري وشوقي من العلم بأسرار الإسلام. (مبارك، زكي عبدالسلام، 1968، ص171) فيقول البوصيري في قصيدته:

"فِي كُلِّ طَرَقَةٍ عَيْنٌ يَطْرُقُونَ بِهَا
أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ أَوْ يَذْرُوا
مِلءَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مَعَ جَبَلٍ
وَالْفَرَشِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَمَا حَصَرُوا

ما أعدم الله موجودا وأوجد معدوما صلاة دَوَامًا لَيْسَ تَتَخَصَّرُ
تَسْتَغْرِقُ الْعَدَّ مَعَ جَمْعِ الدَّهْوَرِ كَمَا تُحِيطُ بِالْحَدِّ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ " (البوصيري،
1973، 256) وهذا النمط من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لم يكن
معروفاً في صدر الإسلام، وإنما هو تصرف من غلاة الصوفية، و(البردة)، بعد هذا
كله مشهورة في جميع الأقطار الإسلامية، وقد كانت جزءاً من الهدية التي قدمها " ابن
خلدون " إلى " تيمور لنك "، ولهذه الهدية قيمتها في تقدير الحياة العقلية عند
المتقدمين. (مبارك، زكي عبد السلام، 1968، ص 179) أما " نهج البردة " فقسيمة
وضعها شوقي تذكراً لحج الخديوي السابق سنة (1227 هـ)، وقدمها إليه بكلمة
صغيرة، ثم شرحها المرحوم الشيخ سليم البشري وجيزاً ببناءً. (مبارك، زكي عبد السلام،
1968، ص 179) و(ضيف، شوقي، د.ت، ص 28) فيقول شوقي في قصيدته:

"أَتَيْتِ النَّاسَ فَوْضَى لَا تَمَرُّ بِهِمْ إِلَّا عَلَى صَنِمٍ، قَدْ هَامَ فِي صَنِمٍ
وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْرًا، مُسَخَّرَةٌ لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الْخَلْقِ مُحْتَكِمٌ
أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا، إِذْ مَلَأَتْكَ وَالرَّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمٍ
صَلَى وَرَاءَكَ مِنْهُمْ كُلِّ ذِي خَطَرٍ وَمَنْ يُقَرُّ بِحَبِيبِ اللَّهِ يَأْتِمِرْ " (شوقي، أحمد،
2005، جزء 1، ص 159) ففي هذه الأبيات والقصيدة بكامله، نجد أنَّ الشاعر يمدح
الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكر كيف أنه صلى الله عليه وسلم تمكن من
النهوض بأمة جاهلة، تضرب الفوضى أطنابها فيها، فاستطاع أن يحيى أجيالا من
الرمح، ويشير إلى جهاده في سبيل سؤدد الإسلام، ثم يدعو الله أن يقل المسلمين من
عثرتهم ويشفع بالرسول صلى الله عليه وسلم عند الله. (فهيم، ماهر حسن، 1953،
ص 177) وهذا يعني أن شوقي استخدم صورة النبي صلى الله عليه وسلم لتجسيد
القيم المثلى في الرحمة والعدل والتسامح، ومن خلال وصفه للنبي، يعبر شوقي عن
حب الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديرها لتعاليمه، مما يعكس الروح الوطنية
والدينية. وفي " الهمزية النبوية "، يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ويشيد بصفاته،
وأخلاقه الكريمة، ويذكر كيف استطاع هو والمستضعفون أن ينسفوا الضلال، ثم ينوب
عن المسلمين في التوسل به إلى الله، لتحقيق وحدة المسلمين وتبنيهم في غفلتهم.
(فهيم، ماهر حسن، 1953، 1 ص 177) فيقول شوقي:

"فَإِذَا سَخَوْتُ بَلَّغْتَ بِالْجُودِ الْمَدَى وَفَعَلْتَ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَاءُ

وإذا عَفَوْتَ فَقَادِرًا، وَمَقْدَرًا
فَدَعَاءٌ، قَلْبِي فِي الْقِبَائِلِ عُصْبَةٌ
نَسَفُوا بِنَاءَ الشَّرْكِ، فَهُوَ خَرَابٌ
أَدْعُوكَ عَنْ قَوْمِي الضَّعَافُ لِأَزْمَةٍ
أَدْرِ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّ نَفُوسَهُمْ
أَحْمَدُ، 2005، جزء 1، ص 29 - 30) تعد هذه القصيدة واحدة من أهم القصائد التي
كتبها الشاعر في مدح النبي _ صلى الله عليه وسلم .. إذ تحمل القصيدة طابعاً شعرياً
رفيعاً، وتعكس مشاعر الحب والإجلال للنبي صلى الله عليه وسلم، كما تتضمن
رسائل روحية وأخلاقية عميقة. وتتناول القصيدة هذه الثناء على النبي محمد . صلى
الله عليه وسلم .، حيث يبرز الشاعر صفاته النبيلة، مثل الرحمة، والشجاعة، والحكمة.
ويظهر مكانته الرفيعة في قلوب المسلمين وكيف أنه يمثل نموذجاً يحتذى به في
الأخلاق والسلوك. وتعتمد القصيدة على التصوير الفني الجذاب، حيث يصور الشاعر
النبي سبباً للرجاء في الأزمان، وهو ما يمنح القصيدة بعداً إنسانياً ودعواً واضحاً،
ويستخدم صوراً بصرية تعبر عن عظمة رسالته، وتحمل طابعاً روحياً قوياً، حيث تعبر
عن الارتباط العميق بين الشاعر والنبي، مما يجعل القارئ يشعر بالخضوع والتقدير.
وتدعو القصيدة المسلمين إلى الاقتداء بالنبي وتطبيق تعاليمه في حياتهم، مما يعكس
الحاجة إلى القيم النبوية في العالم المعاصر. وفي قصيدته ذكرى المولد، يمدح نبي
البر ويذكر المسلمين بتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف نهينا إلى طريق
المجد، وهو الإقدام، ثم يسأل الله أن يزيل الضر عن المسلمين، ويتوسل إلى الله
برسوله صلى الله عليه وسلم، أن يحقق هذا الأمل. (فهمي، ماهر حسن، 1953،
ص178) ويقول:

"نَبِيُّ الْبَرِّ بَيِّنُهُ سَبِيلًا
وَشَانِي النَّفْسِ مِنْ نَزَعَاتِ شَرٍّ
وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى
وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ
وَسَنِّ خِلَالَهُ وَهَدَى الشَّعَابَا
كُشَافٍ مِنْ طِبَائِعِهَا الذَّنَابَا
أَخَذْنَا إِمْرَةً الْأَرْضِ اغْتِصَابَا
إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا
فَأَنْ تَكُنْ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَائِي دِينِي

وما للمسلمين سواك حصنٌ إذا ما الضرُّ مسَّهم ونابا " (شوقي، أحمد، 2005، ص 57 - 58) فقد استخدم شوقي هنا لغة شعرية مفعمة بالعواطف والمدح والتعبيرات البلاغية حيث تعكس جماليات الشعر العربي، وتبرز قدرة الشاعر على التعبير عن مشاعره. كما وتعتمد القصيدة على الصور الشعرية، حيث تم تصوير النبي . صلى الله عليه وسلم . كرمز للرحمة والهداية، مما يعزز من قيمة الرسالة التي حملها. إذ يعكس دور النبي . صلى الله عليه وسلم . في إرشاد الناس إلى الطريق الصحيح، وحمايتهم من الفتن والأزمات. كما ويظهر كيف أن النبي . صلى الله عليه وسلم . هو مصدر الهداية والرحمة، وكيف أن تعاليمه تعد بمثابة الدواء للعلاج من المشاكل النفسية والروحية. وتعكس الألفاظ المستخدمة في هذه الأبيات، صورة النبي كمصدر للأمان والهداية، حيث يتجلى في العبارات كيف أن النبي . صلى الله عليه وسلم . هو رمز للخير وسط الشرور.

2. وفضلا عما ذكرناه من قصائد شوقي في المدائح النبوية للرسول . صلى الله عليه وسلم .، فنجد قصائد أخرى يمدح فيها الأنبياء الآخرين ولاسيما النبي موسى عليه السلام، الذي تحدث الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز عنه، فقال: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } . (سورة الإسراء، الآية: 101) ومن معجزات النبي موسى . عليه السلام .، كلما أوصل يده إلى جيبه درعه أخرجها تضيء كقطعة قمر يتلأل إضاءة، ودعاه على قوم فرعون حين كذبوه، فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، آيات المفصلات وفي قصة أو معجزات النبي موسى . عليه السلام .، قيل: كل من عبد العجل أماتهم، ثم أحياهم الله تعالى. (القرشي، ابن كثير، جزء 6، 2003، ص 231) وقد مدحه شوقي بقصيدته الهمزية، فيقول:

نالها الخوف واستبأها الرجاء

"رب هذي عقولنا في صباها

جهل لم يخطنا إليك اهتداء

ووصلنا السرى، فلولا ظلام الـ

جاء موسى انتهت لك الأسماء

واتخذنا الأسماء شتى، فلما

مصر إن كان نسبة وانتماء

مصر موسى عند انتماء، موسى

هز بالسيد الكليم اللواء " (شوقي، أحمد،

فيه فخرها المؤيد، مهما

2005، ص 22 - 23) والشاعر شوقي في هذه القصيدة الهمزية، يشير إلى مجيء

موسى - عليه السلام .، وكان بينه وبين فرعون من محاولة للتسوية، واستتكار

لمعارضة رسالة النبوة والتطاول عليه، بلغة لا تخلو الاضطراب، ويتوجه أولاً مخاطباً رب العالمين. (عطوات، محمد عبد الله، 2004، ص65)

3. وإذا تجاوزنا مدح الشاعر للنبي موسى . عليه السلام .، فإننا نرى في ديوانه قصائد كثيرة في مدح النبي عيسى . عليه السلام .، الذي ذكره الله تعالى في محكم كتابه العزيز: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ١٦ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ١٨ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا }.(سورة مريم، الآيات: 16-17-18-19) وقد تقدم أن مريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس على طلب زكريا . عليه السلام .، وأن الله قد أرسل ملائكة إلى زكريا . عليه السلام .، بأنه سيهب لها ولدا يكون نبيا كريما طاهرا مكرما مؤيدا، إذ بعث الله إليها جبريل . عليه السلام . وقد مدح الشاعر النبي عيسى . عليه السلام . بقوله :

والمروءات، والهدى والحياء

"وُلِدَ الرَّفَقُ يَوْمَ مَوْلِدِ عَيْسَى

بسناه من الثرى الأرجاء

وازدهى الكون بالوليد وضاءت

وسرت أية المسيح، كما يسري من الفجر في الوجود الضياء " (شوقي، أحمد، الشوقيات، 2005، ص23) يحدثنا شوقي الشاعر في هذه القصيدة الهمزية عن نبي من أنبياء الله سبحانه وتعالى، وهو عيسى عليه السلام، الذي دعا إلى المحبة والرحمة والمروءات، ومن معجزاته العجيبة والذي داوى الأكمة والأبرص وأحيا الأموات بإذن الله سبحانه وتعالى. (عطوات، محمد عبد الله، 2004، ص66)

ثانياً/ وصف الخلفاء والقادة: ذكر في وصف الخلفاء والقادة القصائد التي كتبها الشاعر عن الخلفاء الراشدين والقادة، وارتأينا أن نلتزم التسلسل للشخصيات التاريخية، فبدأنا بالأنبياء والرسل، والآن نبدأ بذكر القصائد التي قالها الشاعر عن الخلفاء، فنذكر القصائد للخلفاء وفق التسلسل الزمني بخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وننتهي بالخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفضلاً عن ذلك سوف نتناول القادة الإسلاميين الذين كان لهم دور في نشر الدين الإسلامي، كما سنتناول أيضاً الخلفاء العباسيين الذين ذكرهم شوقي في قصائده.

فنجد شوقي يمدح الخلفاء وقادة الإسلام، وهم طائفة يعتز بهم التاريخ الإسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين حتى عصر الحديث، ويتحدث عن عبقرياتهم، وما بذلوه في

سبيل رفعة الإسلام والمسلمين من جهد وتضحية. (عوض الله، الشيخ الأمين، 1990، ص15)

1. وأول من مدحه شوقي من الخلفاء، هو أبو بكر الصديق، أبو بكر عبدالله بن أبو قحافة، ويلتقي نسبه مع نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - (السيوطي، 1952، ص27) و(القرشي، جزء4، 2003، ص253) فقد نظم شوقي قصيدة، باسم خلافة أبي بكر الصديق، فيقول:

"سبحان من يُنعم كيف شاء	ساس الورى من كان يرى الشاء
من أيد الحق به تأيّد	وعاش أو مات كريما سيّد
لما أهاب بالرسول الداعي	وأذن الجثمان بالتداعي
ولّى أبا بكرٍ على الصلاة	وتلك عليا رُتّب الولاة
فبايع الطائع والأبيّ	طوبى لمن بايعه النبيّ
وكان ما لم يك منه بدّ	أفضية الرحمن لا تردّ
أصابته الفتنة والحبائل	ونكست بعد الهدى القبائل

تتبأ فلقيا نجاحا واتّبع طائفة ساجا " (شوقي، أحمد، الشوقيات، 2005، ص32) ومدحه، أيضا، في قصيدة " نهج البردة"، ذاكرة بلاءه في سبيل الإسلام، وكيف استطاع بحزمه القوي، وعزمه الصادق، أن ينقذ الدين مما أحاطه من محن ذهبت برشد الألباء، لأن الخليفة أبا بكر الصديق . رضي الله عنه .، كان رجلاً قوياً، فهو متشوق لنشر الدين وانسياح الكنائس الإسلامية، ترفع معها علم الإسلام خفاقاً على البلاد المفتوحة، هذا الرجل القوي عند الشدائد، إنه كان غنيا في الصدقات، وفي الخير والشر، وإنه ترك الدنيا فقيراً لم يتزود لآخرته إلا بالخير. (السيوطي، 1952، ص20) و(اليقوبي، 2، 2002، جزء2، ص86) فيقول شوقي:

"وما بلاء أبي بكر بمتهم	بعدّ الجلائل في الأفعال والخدم
بالحزم والعزم حاط الدين في محن	أضلت الحلم من كهل ومحتلم
وحذّن بالراشد الفاروق عند رشد	في الموت، وهو يقبئ غير منبهم
يجادل القوم مستلاً مهتده	في أعظم الرسل قدراً كيف لم يدم
لا تعذّلوه إذا طاف الدهول به	مات الحبيب، فضل الصب عن رغم

(شوقي، أحمد، 2005، ص167) ركز شوقي خلال الأبيات على شخصية أبي بكر،

التي تجمع بين اللين والحزم، كما أشار إلى جهوده في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي . صلى الله عليه وسلم .، خاصة في حروب الردة.

2. ومدح شوقي ثاني الخلفاء الراشدين، عمر بن الخطاب (40 ق هـ - 23 هـ)، إذ قيل أنه أراد أن يقتل النبي . صلى الله عليه وسلم .، فلما رآه هاب ذلك، ثم سمع شيئاً من القرآن فلان قلبه ودخل في الإسلام. (الزركلي، جزء 5، 1969، ص 203) و(السيوطي، 1952، ص 108) و(علي، سيد أمير، 1990، ص 34) وقد نظم شوقي قصيدة باسم (خلافة عمر بن الخطاب)، فيقول فيها :

"مضى أبوبكر، وولّاها عمرُ
ما مالَ حائطُ الهدى حتى اعتدلْ
والركنُ إن سدّ من الركنِ بدلْ
بزاهدٍ قامَ مكانَ الزّاهدِ
والشمسُ لا تُخلفُ إلّا بالقمرِ
إسلامُهُ للدينِ كان عزّاً
والركنُ إن سدّ من الركنِ بدلْ
مجاهدٍ نابٍ عن المجاهدِ
رتّجَ عطفَ المصطفى وهزرا

صُلّي في الكعبة لَمّا آمنا
وطاف بالبيت الطريدُ آمناً" (شوقي، أحمد، دول العرب وعظماء الإسلام، ص 36) يرثي شوقي في هذه الأبيات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ويعرض خصاله ومكانته بعد أن خلف أبا بكر الصديق في الخلافة. ففي المستوى الدلالي أي من ناحية المضمون والمعنى، نجد أنّ النص يبدأ بتصوير الانتقال بين أبي بكر وعمر، فيقول: "مضى أبو بكر وولّاها عمر"، وفي هذا التركيب إشارة إلى الاستمرارية الطبيعية بين الخليفين، فكأنّها ولاية متواصلة لا انقطاع فيها. ثم يصف الشاعر مكانة عمر: "ما مال حائط الهدى حتى اعتدل"، أي أنّ الدين لم يختل ولم يضعف بل استقام بعهد عمر، وهنا استعارة تجعل الإسلام كحائط قائم يشرف على السقوط، فجاء عمر فدعّمه وأقامه. ويواصل: "بزاهد قام مكان الزاهد"، ليؤكد أن عمر كان امتداداً لأبي بكر في الزهد والورع. ثم يركز على ثنائية الزهد والجهاد: "مجاهد ناب عن المجاهد"، إذ اجتمع في عمر صفات الزهد والقتال، مما يجسد صورة الخليفة المثالي الجامع بين الدين والدنيا. وفي البيت: "الشمس لا تُخلف إلّا بالقمر"، تشبيهه بليغ بالغ الدقة، يصور عمر بالقمر وأبا بكر بالشمس، وكلاهما مصدر للضياء والهداية. كما يُبرز عاطفة عمر ورقته مع شدته: "رتّج عطف المصطفى وهزراً"، أي أنه جمع بين الحزم والعطف. وفي المستوى الفني، أي الصور البلاغية والأسلوب، نجد أنّ النص يعتمد على المقابلات: (زاهد - زاهد، مجاهد -

مجاهد) لتأكيد الاستمرارية والتكامل. واعتمد على الاستعارة: (حائط الهدى، الركن، الشمس والقمر)، مما يضيفي بعداً تصويرياً واضحاً. واعتمد الشاعر أيضاً على التكرار في بنية "بزاهد... بمجاهد..." وهو أسلوب تأكيد يبرز المعنى. ثم نجد أنّ الجمل الخبرية تسود النص، بما يعكس الطابع التوثيقي والاحتقائي في رثاء الخلفاء. أما في المستوى الإيقاعي، أي الموسيقى الشعرية، فنجد أنّ البحر الذي نظم عليه شوقي هو بحر الكامل غالباً، بما فيه من حركة قوية تناسب مدح الجهاد والبطولة. وتكرار الأصوات ذات الجرس الفخم مثل (اعتدل - الزاهد - المجاهد) يعطي وقعاً إيقاعياً متماسكاً. وفي المستوى النقدي (التقويم)، يتجلى في النص نزوع شوقي إلى المزوجة بين التاريخ والشعر، فهو يعيد تصوير شخصية عمر بن الخطاب لا بروح المؤرخ فحسب، بل بخيال الشاعر. ويعكس النص نظرة شوقي إلى الخلفاء الراشدين كرموز للقيادة الرشيدة، فهم يجمعون بين الورع والزهد والعدل والجهاد. فتميز شوقي هنا بقدرته على تحويل القيم الدينية إلى صور شعرية حسية (الشمس، القمر، الحائط)، مما يقرب المعنى من وجدان المتلقي. ويمكن القول إنّ النص يشي بروح المدرسة الإحيائية التي ينتمي إليها شوقي، إذ تستحضر التراث الإسلامي العظيم لتأكيد قيم النهضة.

ونستنتج، أنّ هذه الأبيات تمثل لوحة شعرية متكاملة ترسم شخصية عمر بن الخطاب كخليفة عادل، زاهد، مجاهد، امتداد طبيعي للصديق، ورمز من رموز استمرار الهداية في الأمة. وقد مزج شوقي بين التاريخ والتصوير الشعري بأسلوب رفيع يقوم على الاستعارة والمقابلة والموسيقى الداخلية، مما يجعل النص نصاً كلاسيكياً يرسخ القيم الدينية في قالب فني مؤثر.

ولمّا توفي الرسول . صلى الله عليه وسلم .، واختلف المسلمون فيما بينهم، حسم عمر الخلافة بتقديم أبي بكر للخلافة وبمبايعته، ولمّا حضرت الوفاة أبا بكر لعمر بالخلافة فبايعه المسلمون، وكان عمر حازماً، حتى سمّي بـ (الفروق) الذي يفرق بين الحق والباطل، وفي أيام عمر قامت الفتوحات، أي فتوحات العرب للعراق وبلاد فارس والشام ومصر، وهو الذي أقام الدولة في الإسلام على أسسها الصحيحة، وأنشأ (الديوان) و(وزارة المال). (فروخ، عمر، جزء 1، ص 280) ويقول شوقي في وصف فتوحات عمر:

"فتوحه للحق فضلُ الباري
أسكندرُ الخيلِ وإن لم يركبِ
أقام في مركزه بيثرباً
تعهدوا الفتحَ بالإختطاطِ
أهدى على الدهرِ إلى الإسلامِ
أرضُ أصابت من ندى السماءِ
ما ضيَعَ الدينَ ولا اللسانا
ولا يدُ الفاروقِ والإحسانا " (شوقي، أحمد،
دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 38 - 39)
القيم الجمالية في النص:

يتميز النص بأسلوبه الأدبي الرفيع، ويعتمد على الصور البلاغية القوية، مثل: " أسكندر الخيل " و "شرق القنا وغرب"، حيث استخدم الشاعر التصوير لإبراز القوة والعظمة من خلال ذكر (أسكندر الخيل، شرق القنا). واستعار معاني الطبيعة بوصفها رمزاً للبركة والخير، مثل: (ندى السماء، خير النبات). ومن الناحية التاريخية والدينية يتحدث النص عن حقبة الفتوحات الإسلامية وكيفية انتشار الإسلام في مختلف أرجاء العالم، مع التركيز على فضل الله في هذه الفتوحات. كما ويعكس أهمية الإسلام كرسالة حضارية ودينية، ويظهر كيف أسهمت الفتوحات في نقل الإسلام إلى شعوب أخرى. ووصف شوقي الخليفة عمر رضي الله عنه، بأنه رمز للعدالة والقوة. وأشار إلى إنجازاته الإدارية والتنظيمية، مثل تأسيس الدواوين، وتوسيع الدولة الإسلامية، وحرصه الشديد على مصلحة الرعية.

عاش الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الخلافة عشر سنين، ثم قتله أبو لؤلؤة الفارسي. (الزركلي، 1969، جزء 5، ص 204) ويقول شوقي في قصيدته التي يتحدث فيها عن مقتل عمر:

"شكا إلى الخليفة ابن شُعبه
فلم يجدْه عمرٌ مظلوماً
وكان بالصنعة ذا إمام
فبات للفاروق يُضمِرُ الإحن
لُكِّفَ يَزْعُمُهُنَّ صُعبه
ولا رأى سيِّده مَْلوماً
وحسبُه شهادةُ الإمام
بما أصاب قومه من المِحن
وَأغمدَها في هيكل الجلال
وشامها في كرمِ الخلال

فرحمة الله عليك يا عمر غامرة كعدلك الذي غَمَر " (شوقي، أحمد، دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص43)

فالأبيات هنا، تستعرض حالة بين الخليفة عمر بن الخطاب وأحد الأشخاص الذي يدعى "ابن شعبة". حيث أن القصيدة مليئة بالمعاني الأدبية والبلاغية التي تتناول عدل الخليفة وحكمته، وفي نفس الوقت تشير إلى موقف يشوبه الامتناع من أحد الأطراف. والأسلوب بسيط ومباشر، يعتمد على السرد والتصوير للوصول إلى الهدف، وهو بيان عدل الخليفة عمر بن الخطاب ومناقشة أثر أحكامه على الآخرين. وفيها يعكس أيضاً، قيم العدل والإنصاف التي اشتهر بها عمر بن الخطاب، حتى لو أدى ذلك إلى اتخاذ قرارات قد لا ترضي جميع الأطراف. ويبرز النص أيضاً، الجانب الإنساني في ردود أفعال الأشخاص الذين قد يسيئون فهم العدل، أو يحملون في قلوبهم الضغينة بسبب الأحكام النزيهة .

3. ومن الشخصيات التاريخية الأخرى التي تحدث عنها شوقي الشاعر، (عثمان بن عفان) (47 ق هـ - 35 هـ)، وهو عثمان بن عفان بن العاص بن أمية، وأمه أروى بنت كريب القرشي وأسلم بدعوة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، الملقب ذو النورين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، بعد هجرة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الحبشة فراراً بدينه وكانت معه زوجته رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كما هاجر إلى المدينة، واشترك مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كل الغزوات. (الزركلي، جزء 4، ص371) و(السيوطي، ص147) و(علي، سيد أمير، 1990، ص52) ويقول شوقي في وصفه:

"مَنْ لَقِيتُ بِالسَّفَا مُكَفَّنٍ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يُدْفَنِ

تَعْرِضُهُ نَوَادِباً أَرَامُلُهُ وَيَشْفُقُ النَعَشُ وَيَأْبَى حَامِلُهُ

قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَابْنِ آدَمَا وَنَوَزَعَتْ دَارُ الْبَقَاءِ قَادِمَا

مُثَلٍّ بِالْمُهَاجِرِ الْمُتَنِي عَلَى غُلُوِّ شَأْنِهِ وَالسَّنْ

تَنْبُو الْعَيُونُ الْيَوْمَ عَنْ جِيفَةٍ وَأَمْسٍ كَانَ نُورَهَا خَلِيفَهُ " (شوقي، أحمد،

دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص44) فنجد أن هذه الأبيات، قد تتناول مشهداً درامياً، يعكس مأساة إنسانية ووجودية، حيث يتجلى فيه الشعور بالأسى، مع إبراز ثنائية الحياة والموت، وعظمة شأن الراحل، الذي هو عثمان بن عفان - رضي

الله عنه .. فالشاعر ينقل إلينا صورة حزينة وعميقة لمشهد موت غير مكتمل، حيث يتقاطع العجز البشري مع السمو الإنساني. فإذن النص ملئ بعاطفة الحزن والأسى، مع شعور بالتأمل الفلسفي حول مصير الإنسان. أي يثير التأمل في مسؤوليات الأحياء تجاه الموتى، ويؤكد أن عظمة الإنسان لا تزول بموته، بل تظل محفوظة في ذكراه وسيرته. وهذا يعني أن النص يقدم صورة مأساوية ومؤثرة عن مواجهة الموت والانتقال من الحياة الدنيا إلى دار الخلود، ويتميز بالبلاغة، والصور المجازية العميقة، التي تعكس مشاعر الفقد والعجز الإنساني، مع إشادة ضمنية بعظمة الإنسان الذي يخلد ذكراه في الدنيا رغم موته.

ويصور الشاعر في هذه القصيدة، كيف أن الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - جمع القرآن، فحفظه للمسلمين من الضياع، ونظمه عقدا لا انفصام له على الزمن، إذ يقول في شعره:

"أو كابن عفان والقرآن في يده
يجمع الآي ترتيباً وينظمها
يحنو عليه كما تحنو على الفُطُم
عقداً بجيد الليالي غير منفصم" (شوقي،
أحمد، الشوقيات، 2005، جزء 1، ص 199)

يشير الشاعر في قصيدته إلى الفتوحات التي قام بها الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - منها: فتح البحر الأسود، وأفريقيا، وطرابلس، وبرقة، فضلاً عن فتح قبرص في البحر الأبيض المتوسط. (السيوطي، 1952، ص 147) إذ يقول في شعره:

"قد فتحوا قبرص للإمام
فأصبح القاضي من البر اقترب
بالسفن المزجاة كالغمام
وصار بحر الروم لجة العرب
وخفت كتاب الإسلام
في البحر أعلاماً على إعلام
فخرٌ لذي النورين أي فخر
وهمةٌ تذكرُ لابن صخر " (شوقي، أحمد،

دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 46) هذه الأبيات تحثني بفتح قبرص، بوصفه إنجازاً تاريخياً عظيماً، في عهد الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وتشيد بدور الإسلام وعظمة الفتوحات البحرية التي سجلت صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي. "والسفن المزجاة كالغمام" تصوير بلاغي بديع يشبه السفن بالسحب التي تتحرك بخفة ورقة، مما يعكس عظمة التحرك الإسلامي نحو هذا الفتح. و "القاضي" قد يشير إلى حكم الله الذي اقترب من قبرص من خلال الفتح. و "بحر الروم لجة

العرب" تعبير عن سيطرة العرب والمسلمين على البحر الأبيض المتوسط، الذي كان يعرف ببحر الروم. ثم يصف رفرفة أعلام الإسلام فوق السفن والكتائب، مما يعكس النصر والقوة. و"أعلام على أعلام" يدل على عظمة المشهد والانتصار المتكرر للإسلام. و"فخر لذي النورين" إشادة بعثمان بن عفان، الذي لقب بذي النورين، واعتبار هذا الفتح مفخرة عظيمة له ولعصره. و"وهمة تذكر لابن صخر" إشارة إلى معاوية بن أبي سفيان، المعروف بابن صخر، الذي لعب دوراً هاماً في الفتوحات البحرية، وخاصة فتح قبرص.

ويعد هذا الأسلوب أسلوب احتفائي يمزج بين الوصف والإشادة، مع تركيز على عظمة الفتح وقوة المسلمين في تلك الحقبة، إذ يدعو النص إلى الفخر بالماضي الإسلامي الزاخر بالإنجازات، ويبرز أهمية الوحدة والقوة لتحقيق الانتصارات.

4. وأيضاً من الخلفاء الذين مدحهم شوقي، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم -، وصهره علي بن أبي طالب بن عبد المطلب (23 ق هـ - 40 هـ)، الذي آمن ودخل الإسلام، وضحّى تضحيات في سبيل الدعوة الإسلامية. (الزركلي، جزء 5، ص 107) و(فروخ، عمر، 1984، جزء 1، ص 307) ونظم قصيدته باسم (أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب):

أما الإمام فالأغر الهادي	حامي عرين الحق والجهاد
العمران يأخذان عنه	والقمران نسختان منه
أصل النبي المجتبي وفرعهُ	ودينهُ من بعده وشرعهُ
وأزهّد الناس وفي الدنيا يدُهُ	واخشعُ العالم وهو سيده
بحرُ الهوى والقوم رُكْبُ السفن	كم من شراعٍ دونَ عبريه فني (شوقي، أحمد،
دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 49).	

يبدأ الشاعر هنا بتقديم الإمام بوصفه الأغر، وهو وصف يدل على البهاء والوضوح. ويعكس دوره القيادي في توجيه الأمة، ويبرز مسؤوليته في حماية القيم الإسلامية، سواء في السلم أو في الحرب. والعمران، أي الأرض والحضارة يشيران إلى أثر الإمام في بناء الحضارة واستقرارها. والقمران استعارة للقدوة والنور المستمد من الإمام، وكأن السماوات والأرض تستضيء بمكانته. نسختان منه يظهر الإمام، كأنه انعكاس للنموذج النبوي أو إرثه. والإمام هو امتداد للنبي محمد . صلى الله عليه وسلم .، سواء

في النسب أو في حمل الرسالة الدينية. والأبيات تؤكد دوره في الحفاظ على الدين والشريعة بعد النبي . صلى الله عليه وسلم .، مما يبرز استمرارية الرسالة. ويقدم الشاعر الإمام كنموذج للزهد، حيث يعيش متحرراً من متاع الدنيا رغم قدرته على التمتع بها. ويعبر عن تواضعه وخشوعه أمام الله رغم مكانته العالية. وهذا يعني أن النص قد يعد قصيدة مديحية، تعظم شخصية الإمام علي بوصفه قائداً دينياً، وزعيماً روحياً، يجمع بين الزهد والخشوع والعدل. كما ويحمل النص نغمة احتفالية وبلاغة عالية، لكنه يميل إلى المبالغة والرمزية الشديدة التي قد تقلل من واقعيته، وذلك لأن تركيزه المفرط على المثالية قد يضعف تأثيره الواقعي ويجعله أشبه بنصوص الأساطير. ويرى الشاعر في نظرته للإمام علي، إنه هو الذي كان يجمع القلوب على الإضاءة، ويؤلف بين الأفئدة، ويزيل الشحناء، ولا يرى جمعا يتشاحنون إلا وفض جمعهم بعد أن يغسلوا الأحقاد والضغائن بعبرات الحب والصفاء، وهو إلى جانب تقواه بحر في العلم، وصاحب مروءة، إذا استتصره أحد لباه وأسرع إلى نصرته.(علي، سيد أمير، 1990، ص 78) ويقول الشاعر في وصفه:

" وصفحتاه مقبلاً ومُدبراً
وفي الوغا وحين يرقى المنبرا
يدنو إلى ينبوعه بيانا
ويلتقي بحراهما أحيانا
الحجر الأول في البناء
وأقرب الصبح بلا استثناء " (شوقي، أحمد،

دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 49) هنا نجد أن الشاعر يعتمد على التوازن بين الوصف الحسي والرمزي، مما يمنحه عمقا بلاغيا. والصور البلاغية المستخدمة تضفي جمالا، وإيحاء غنيا، خاصة في التعبير عن الفصاحة(الينبوع) والقوة (الوغا). وإن النص قد يبدو مبالغا في تصوير الكمال، حيث يصعب تصديق الكمال المطلق في الشخصية الموصوفة، و(بلا استثناء) تعبير قد يضعف النص لأنه يجعل الوصف مطلقا دون مراعاة التنوع في الشخصيات.

إننا نجد أن الأبيات تحتفي بشخصية استثنائية، تجمع بين القوة العملية والفكرية، مع تركيز على البلاغة والمكانة الاجتماعية. وتتميز بالصور البلاغية العميقة، والنغمة المليئة بالإجلال، ولكنه يعاني أحيانا من المبالغة والغموض في بعض جوانبه. فالأبيات مثالية للاحتفال بالرموز القيادية التي تجمع بين الفعل والكلمة. إذن وصف الشاعر الخليفة علي، أنه فارس الإسلام، وأبرز رموز الحكمة، والشجاعة، مع إشارة

إلى براعته في الفقه، والبلاغة، ودوره الكبير في الدفاع عن الإسلام خلال الفتن الداخلية. وخلال تناول الشاعر وصف الخلفاء، يتبين لنا، أن وصفه لم يكن مجرد سرد تاريخي، بل كان استلهاما لعبور ودروس يمكن تطبيقها في العصر الحديث. إذ كان يرى فيهم نموذجا للتكامل بين الدين والدولة، ويبرز في شعره الإعجاب بإنجازاتهم وصمودهم أمام الأزمات. وكان غايته من تناول الشخصيات الدينية، تعزيز القيم الإسلامية في النفوس، والإشارة إلى أهمية القيادة العادلة، وتوجيه رسائل للأمة الإسلامية للعودة إلى جذورها واستلهام تاريخها.

ثالثاً/ وصف القادة:

1. ومن الشخصيات الأخرى التي يخبرنا شوقي عنها في شعره إلى جانب الخلفاء، القادة، أمثال: (معاوية بن أبي سفيان 20 ق هـ - 60 هـ)، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، وهو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، وشهد حنيناً، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان أحد كتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم). (الزركلي، جزء 8، 1969، ص 172) و(فروخ، عمر، جزء 1، 1984، ص 405) يقول الشاعر في وصفه:

في الدهر لم تضع قيون الهند	ولم يسُلَّ الشرق كابن هند
العبريَّ الملك الخليفة	السعد كان أبداً حليفه
مازال بالحبال والعصي	من سحره ففاز بالوصي
أرسل في حب الأمور الرّسنا	وفي هوى الدولة جافى الوسنا
حتى نعى علياً النّعاة	فانقلبت ملوكا الرعاة
ورافت الدنيا ورقّت الدين	وانفجر التمصير والتمدين
وصبر البيت سليب الحق	والأل من سبادة لرق
قد نصب الجلم لهم حبالا	وربّ جلم جمع الغوائل
وراض من شكائم الأباة	بهيبة الملوك وبالهبات
فزالت الأخلاق والنيات	وبذلت واديها الحيات " (شوقي، أحمد،

دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 55) إن هذا النص يعالج أحداثاً سياسية واجتماعية مهمة في التاريخ الإسلامي، مع الإشارة إلى شخصية تاريخية بارزة، غالباً معاوية بن أبي سفيان، وما تبع وفاته الإمام علي بن أبي طالب من تحولات في

السلطة والدولة. ويتسم النص بأسلوب مديحي يحمل نغمة الفخر بإنجازات الممدوح، ولكنه يحمل أيضاً تأملاً نقدياً للتغيرات التي طرأت بعد ذلك. إذ يبدأ النص بالإشادة بشخصية الممدوح ابن هند، والذي يوصف بالعبقرية والدهاء السياسي. وقيون الهند والشرق: تمثل رمزا للقوة والقيادة الحكيمة التي لم تفقد السيطرة. ويصفه بأنه يجمع بين صفات الملك والخليفة، وأن النجاح والبركة كانا رفيقيه في الحكم. واستخدم الشاعر هنا، استعارة، تشير إلى دهاء الممدوح في استخدام السياسة والدبلوماسية (الحبال والعصي) لتحقيق غايته. ففاز بالوصي، قد تكون إشارة إلى تفوقه أو تغلبه على التحديات السياسية، في مواجهة الإمام علي أو بعد وفاته. ثم يعبر الشاعر عن حنكة الممدوح في قيادة الدولة، وإدارة شؤونها، مع اجتهاده وحرصه، الذي جعله يتجاوز الراحة أو الكسل، ثم أشار الشاعر بعد ذلك إلى وفاة الإمام علي وما تبعها من تحولات، حيث أصبحت السلطة بيد من كانوا أقل حكمة أو قدرة على القيادة، (ملوكا كانوا في الأصل رعاة)، ثم بين الشاعر لنا تصويراً لحالة التغير التي طرأت على المجتمع بعد تلك الأحداث، حيث ضعف الدين أمام صعود مظاهر الحضارة المادية والتمدن. وفي البيت الأخير، أشار الشاعر إلى أهل البيت الذين صبروا على فقدان حقهم في الحكم، والذي هو تعبير عن استخدام التسامح كوسيلة للتغلب على الأزمات. فإذن النص يقدم توازناً بين الإشادة والانتقاد، حيث يبرز عظمة الممدوح لكنه لا يغفل عن التغيرات السلبية التي حدثت بعد وفاته. واستخدام الصور البلاغية يمنح النص حيوية وعمقا، مع لمسة من الغموض التي تدفع القارئ للتفكير، والمبالغة في تصوير الممدوح كعبقري مطلق قد تفقد النص بعض الواقعية، والتركيز على الأحداث السياسية دون الإشارة إلى الجانب الإنساني قد يجعل النص أقل تأثيراً على المستوى العاطفي.

ويحدثنا الشاعر، شوقي، في قصيدة أخرى عن القائد معاوية بن أبي سفيان، مشيراً إلى عبقريته، والذي كان الحظ دائماً حليفاً له، والذي عزَّ على الشرق أن يجد بمثله. (فاخوري، حنا، 2003، ص 448) ويقول فيه:

واعجب له كيف تلافى ورتق
بجابر الوهي ولا سدّاد
واجتمع الأمر له بأسره

"لا تعجب من عظيم ما فتق
ما كل ذي حربٍ وذي لداد
جوّ الولاياتِ خلا لنسره

ورفق رُبانيّة بالفلّك

فلا تسلّ عن انبساطِ الملّك

والغربُ يقضي ليلاً بسهده

الشرقُ تحته كخيرِ عهدِه

فالعفو منك والرضى إليك " (شوقي، أحمد،

ربّ أعفُ جرأته عليك

دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 55 - 56) أشار شوقي خلال هذه الأبيات، إلى أن معاوية كان يتمتع بفتنة سياسية، وقدرة على إدارة شؤون الدولة بحنكة. يظهر ذلك في إدارته للخلافة، وتأسيسه لنظام الحكم الوراثي، الذي استمر في الدولة الأموية. ووصفه بأنه قائد استطاع المزج بين الحزم في المواقف الحرجة، والحلم في التعامل مع الخصوم، وهو ما جعله أحد أكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ الإسلامي. ورغم أن فترة حكم معاوية شهدت خلافات وفتن، إلا أن شوقي أبرز دوره في توحيد الأمة بعد الفتنة الكبرى، واستتباب الأمن والاستقرار تحت حكم الدولة الأموية. وأشاد شوقي ببلاغة معاوية وذكائه الخطابي، حيث عرف بأنه من أفصح العرب، وأقدرهم على الإقناع، وإدارة النقاشات السياسية. ورغم إعجابه بجوانب معاوية القيادية، لم يغفل شوقي الإشارة الضمنية إلى التغير الكبير الذي حدث في نظام الحكم الإسلامي بعد عهد الخلفاء الراشدين، إذ تم الانتقال من الشورى إلى الحكم الوراثي. ورغم ذلك، لم يظهر شوقي نقداً حاداً أو صريحاً تجاه معاوية، بل حاول التركيز على الإنجازات الإدارية والسياسية. وكان غاية شوقي من تناول شخصية معاوية إبراز دوره التاريخي في تأسيس الدولة الأموية، وتقديم نموذج للقائد الذكي الذي يدير الأمور بحنكة ودراية، وتسليط الضوء على فترة تاريخية حاسمة في تطور نظام الحكم الإسلامي.

2. ومن الشخصيات الأخرى التي نجدها في شعر شوقي، عمرو بن العاص بن وائل السهمي (50 ق هـ - 43 هـ)، أبو عبدالله، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولى الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشدّاد على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية، وولاه النبي صلى الله عليه وسلم إمرة جيش ذات السلاسل، وأمره بأبي بكر وعمر. (الزركلي، 1969، جزء 5، ص 248).

هَبْ على مصباحِ القصاءِ

"ما بالُ قصرِ الشمعِ لا يُضاء؟

ولا غوانيهم على مروجِه

لا فتيةَ الرومانِ في بُروجِه

وفوقه وتحتَه أعراسُ

ولا الليالي حوله أعراسُ

لم يبق من ذلك إلاّ مسجدٌ عالٍ على باع الخطوب مُنجدٌ
كالكعبة الرفيعة الدعام
العرب وعظماء الإسلام، (1981، ص57) وهنا نجد أن الأبيات في مجملها، تعكس حالة من التأمل في الزمان والمكان، وتصور إنهيار أو زوال الرفاهية والفرح، وتحول الحياة إلى شيء آخر، حيث تبقى القيم الروحية هي التي تبقى في النهاية. فالشاعر، هنا يستخدم الرموز والمفردات الشعرية، ليوصل فكرة أن كل شيء زائل في النهاية، ولا يبقى سوى ما هو ثابت كالإيمان. إذن تعبر الأبيات عن فلسفة الزوال، وهي فكرة متكررة في الأدب العربي والإسلامي، والشاعر يعبر عن أن كل شيء زائل مهما بلغ من عظمة ورفاهية، ويبرز التناقض بين الماضي المزدهر للحياة في القصر، وبين حاله المهجور الحالي، ذاك القصر الذي كان يعج بالحياة أصبح فارغاً إلا من المسجد. فاستخدم الشاعر التساؤل في البداية ليشد انتباه القارئ، واستعمل صوراً حسية مؤثرة، مثل: "فتية الرمان" و"غوانيهم على مروجه"، لتصوير الحياة النابضة التي كانت موجودة، واختصر الزمن في صورة المسجد الذي بقي شاهداً على تقلبات الدهر. ونفهم من الأبيات أنها تدعو للتفكير في حقيقة الدنيا، فهي دار زوال لا ثبات فيها، وأيضاً تنبيهه إلى أهمية الإيمان والعمل الصالح، إذ بقي المسجد رمزاً للدين بعد اندثار كل المظاهر الدنيوية. ويتحدث الشاعر في قصيدة أخرى، تتألف من مقطعين، عن فتح (مصر)، مُصوراً مآثره وعزيمته، وما شاهده من فتوحات، وانتصارات، أعزّ بها الإسلام. (فهمي، ماهر حسن، 1953، ص116). فيقول في المقطع الأول:

"مَنْ كَعَمِرُو الْبِلَادِ وَالضَّادُ مِمَّا شَادَ فِيهَا وَالْمِلَّةُ الْغَرَاءُ؟

شَادَ لِلْمُسْلِمِينَ رُكْنًا جَسَامًا ضَافِي الظِّلِّ، دَابُّهُ الْإِيوَاءُ

طالما قامتِ الخلافةُ فيه فاطمأنتُ، وقامتِ الخلفاءُ" (شوقي،

الشوقيات، 2005، جزء 1، ص25) فالنص، يعكس افتخار الشاعر بالخلافة، كرمز للوحدة والقوة والعطاء للمسلمين. ويظهر كيف أن الخلافة لم تكن فقط كياناً سياسياً، بل مؤسسة جمعت بين الدين والدنيا في إطار حضاري. والإشارة إلى الملة الغراء، تؤكد على أن الإنجازات المادية والمعمارية كانت مستمدة من العقيدة الإسلامية، مما يمنحها عمقاً روحياً ومعنوياً. وهذا يعني أن النص يدمج بين الفخر التاريخي والديني، مع تصوير حضاري مميز للخلافة الإسلامية، إذ يعتمد على صور بلاغية قوية،

تعكس فخامة الموضوع، مع رسالة واضحة عن أهمية الوحدة والقوة الدينية التي جسدتها الخلافة. ويعبر النص أيضاً، عن رؤية مثالية للخلافة، مما يجعله نموذجاً للأدب الإسلامي الذي يربط بين الدين والدنيا.

وفي المقطع الثاني يطيل الوقوف عند ذلك الفتح الخالد، ويذكر كيف استطاع أن يستولي على (مصر) بجيش قليل، عدده كثير بدينه الجديد وعزيمته الفنية.(فهمني، ماهر حسن، 1953، ص 117).

"عمرو القنا والرأي والجدود رمى به الفاروق في الحدود
كتيبة قليلة العديد
وعظماء الإسلام، 1981، ص 58) يصف هذان البيتان جانباً من شخصية الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب . رضي الله عنه .، وهو مظهر من مظاهر حسن قيادته وقوة بأسه في نصرته الإسلام، حيث يبدأ الشاعر بذكر عمر، في سياق مرتبط بالقوة والبأس (القنا، وهو الرماح)، ثم يربط ذلك بالحكمة (الرأي) والأصول النبيلة (الجدود). وهنا يبرز التوازن بين القوة الجسدية والعقلية، كما يشير إلى أن عمر امتلك مقومات القيادة، التي تشمل الحكمة والمجد. كما واعتمد الشاعر على الجمع بين السمات المختلفة ليظهر شمولية شخصية عمر، مما يعكس احترامه العميق له. ثم يشير الشاعر إلى قدرة عمر على حماية حدود الدولة الإسلامية، والدفاع عنها بحزم. وتصوير عمر بالرمي يوحى بالقوة والحسم، وكأن الفاروق بنفسه قوة مدافعة ومهاجمة في آن واحد. واستخدام فعل "رماه" يضفي حركة وديناميكية على الصورة، مما يعكس نشاطه المستمر في نصرته الإسلام. ثم يصف الشاعر الجيش الإسلامي بقيادة عمر، الذي على الرغم من قلة عدده، كان ينتصر بقوة إيمانه بالدين الجديد، ويظهر هنا الاعتماد على القيم الروحية والدينية، كعوامل تتفوق على القوة المادية، إذ هناك التقابل بين قليلة العديد و كثيرة بدينها، مما يعكس المفارقة بين قلة العدد، ووفرة الإيمان، والقوة الروحية. إذن يصور هذين البيتين عظمة عمر بن الخطاب كقائد فذ، ويوضح كيف أن قوة الإيمان والإرادة تتفوق على العقبات المادية، ويجمع بين الإشادة بشخصيته وبيان أثر الإسلام في تشكيل مجتمع قوي ومنتصر.

3. وفي قصيدة أخرى يتناول الشاعر قائداً تاريخياً بارزاً هو خالد بن الوليد، سيف الله المسلول، أو أسد الإسلام، كما يسميه الشاعر، شوقي، "أرضعته الجاهلية جرأة

وإقداماً، فكان كسبا للإسلام كبيراً، غزا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان الفرس المظفر، ثم حارب بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكفى المسلمين شر الردّة. أما حروبه مع الفرس، فقد سطرت في سجل الخالدين من الأبطال، وأما قطعه لبادية السماوة لما وقع الخيار في حروب الشام، فقد أنسي الدنيا هانيبال القائد القرطاجني وتسلفه جبال الألب بجيوشه، ثم هناك بعد ذلك لخالد صور البطولة الرائعة والانتصارات الخالدة على الأيام". (فهمي، ماهر حسن، 1953، ص 115-116).

ويقول شوقي في قصيدته الجميلة، التي يمدح فيها خالد بن الوليد:

"خُلِقْتُ لَا أَعْظُمُ السُّيُوفَا	إِلَّا الشَّرِيفَ الْعَالِيَّ الْعِيُوفَا
وَالنَّاصِرُ الْحَقَّ عَلَى الْمُقَاتِلِ	وَالضَّارِبُ الْبَاطِلَ فِي الْمُقَاتِلِ
كَابِنِ الْوَلِيدِ مَوَّلِ الْأَعْلَامِ	سَيْفِ الْإِلَهِ أَسَدِ الْإِسْلَامِ
نَفْسٌ غَذَّتْهَا الْجَاهِلِيَّةُ الدِّمَا	وَأَضَعَتْهَا جِرَاءً وَمَقْدَمًا
فَكَانَ مِنْ عَنَاءِ السَّلَامِ	بِهِ اكْتَسَابُ أَدَبِ الْإِسْلَامِ
إِذَا غَزَا عَنِ النَّبِيِّ أَوْ سَفَرُ	اقْتَرَحَ النَّجْحُ عَلَيْهِ وَالظَّفَرُ
فَمَا مَضَى فِي مَوْطِنٍ أَوْهَمًا	إِلَّا وَكَانَ اسْمًا عَلَى مُسَمًّى
أَلَيْسَ كَافِي الْإِمَامِ الشَّدَّةُ	وَقَامِعِ الْفِتْنَةِ يَوْمَ الرَّدَّةِ؟
أَيَّامُهُ مَشْهُورَةٌ فِي فَارَسِ	مَسْطُورَةٌ فِي صُحُفِ الْفُؤَارِسِ
وَاحْتَاجَتِ الشَّامُ إِلَى هَمَامِ	أُرْوَعَ يَحْمِي عَسْكَرَ الْإِمَامِ
فَلَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ الْخَيْرَةُ	إِنَّ الرِّجَالَ أَفْضَلُ الذَّخِيرَةِ
فَكَانَ فِي السَّمَاءِ الرَّتْبَالَا	لَا تَذْكُرُ الْأَلْبَ وَأَنْبِيَالَا
أَقْبَلَ سَيْفُ اللَّهِ يَزْجِي خَيْلَهُ	وَيْلَ هِرْقَلٍ مِنْهُ ثُمَّ وَيْلَهُ
يَوْمَ كَبِدٍ فِي الْفَتْوحِ مَنْزِلَهُ	أَمْسَى هِرْقَلُ بَعْدَهُ لَا عَزْلَهُ " (شوقي، أحمد، دول

العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 63-64-65).

يصور أحمد شوقي خالد بن الوليد في قصيدته بطلاً أسطورياً جمع بين قوة الإيمان وصلابة العزم وحنكة القائد. وتتميز القصيدة أولاً بقدرتها على الجمع بين البعد التاريخي والطابع الإنساني؛ فشوقي لا يكتفي بذكر البطولات الحربية والفتوحات، بل يسعى إلى إعادة إنتاج صورة خالد بوصفه رمزاً يتجاوز حدود المعارك إلى معاني

الإيمان والثبات والإرادة. إذ يظهره قائداً لا تزعزعه الصعاب، بل تجعله أكثر التصاقاً برسالة الحق التي حملها.

وعلى المستوى الفني، تعتمد القصيدة على الإيقاع الكلاسيكي الموزون والقافية الرنانة، بما ينسجم مع موضوع الفخر والمديح. ويكتف شوقي استخدام الصور البلاغية التي تمنح شخصية خالد بعداً أسطورياً؛ فهو يشبّهه بالأسد في شجاعته، وبالسيف في مضائه، فيشير إلى أن أعظم السيوف لا تصنع إلا من معدن نفيس وشريف. وهنا يشبه خالدًا بالسيف النادر، عالي الشأن، الذي يترفع عن الدنيا، إذ يمثل استعارة رائعة تبرز شرف خالد وعلو مكانته، مما يدل أن الشخصية البطولية تستمد عظمتها من أخلاقها وأفعالها. فيغدو الجمع بين الحيوان المفترس وأداة القتال صورة متكاملة تجسد الجسارة والحسم. ومن الناحية الدلالية، تحمل القصيدة نزعة قومية ودينية، إذ إن شوقي يوظف شخصية خالد كمرآة لهوية الأمة، فيذكر بانتصارات الماضي ليقوّي عزيمة الحاضر. ولعل في ذلك إشارة غير مباشرة إلى واقع زمانه، حيث كان العالم العربي يرنح تحت الاستعمار، فكانت استعادة صورة الفاتحين وسيلة لإحياء الروح الجمعية وبعث الأمل. أما على الصعيد الإنساني، فإن شوقي لا يغفل عن إبراز البعد الروحي لخالد، فهو ليس مجرد قائد عسكري، بل إن قوته نابعة من يقين ديني ورؤية تتجاوز ذاته الفردية. هذا ما يجعل القصيدة أشبه برسالة أخلاقية موجهة للأجيال، تؤكد أن البطولة ليست قوة بدنية فحسب، بل التزام بالقيم العظمى.

ويصف الشاعر خالدًا أنه ينصر الحق في ميادين القتال ويضرب الباطل في مقتل، مما يبرز حسه العادل وبراعته العسكرية. وهنا نجد فن الطباق بين الحق والباطل، مما يعزز التناقض بين أهداف خالد النبيلة وأعدائه، مما يعني التزام خالد بن الوليد بالقيم الإسلامية. ثم يصفه، أنه ملاذ الشجاعة والقوة، ولقب بسيف الله؛ لأنه كان مصدر انتصار الإسلام في المعارك، مما تعكس عظمة خالد وتؤكد أدواره البطولية، ويشير إلى اعتراف النبي صلى الله عليه وسلم بخالد، عندما لقبه بسيف الله. ثم يشير الشاعر إلى حياة خالد قبل الإسلام، حيث كان فارساً شجاعاً يحب القتال، وهذا ما يظهر التحول من حياة الجاهلية إلى الإسلام، وكيف أسهم الإسلام في صقل شخصية خالد وإبراز أخلاقه السامية، وبعد دخوله الإسلام، تحولت قوته العسكرية إلى أداة لنصرة الدين، وأصبح رمزاً للأخلاق النبيلة. فالشاعر يبرز التناقض بين الجاهلية والإسلام

بأسلوب سلس، ويظهر أثر الإسلام في تهذيب النفوس. ثم يذكر الشاعر بدور خالد الحاسم في القضاء على الفتنة أثناء حروب الردة، حيث أظهر شجاعة نادرة، وصوره كرمز خالد في التاريخ من خلال ذكر صف الفوارس. كما ووصفه، أنه قاد جيوش الإسلام في الشام بقوة وشجاعة، مما أوقع الرعب في قلب هرقل وجيشه. فتكرار كلمة ويل يبرز مدى تأثير خالد في نفس الأعداء، وتاريخيا يشير إلى معارك خالد في الشام، التي هزت أركان الإمبراطورية البيزنطية.

فإن القصيدة تخلد ذكرى خالد بن الوليد، كرمز للقوة والشجاعة والإيمان، بأسلوب بلاغي رائع، إذ نجح الشاعر في إظهار التحول العظيم الذي أحدثه الإسلام في حياة خالد، وجعل من بطولاته أمثلة تحتذى. فإن القصيدة تمزج بين الفخر بالدين والاحتراف بالأبطال الذين ساهموا في رفع رايته.

4. ويتناول شوقي شخصية تاريخية أخرى، تعد من أعظم الخلفاء ودُعاتهم، تلك هي شخصية عبد الملك بن مروان (26 هـ - 86 هـ)، نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، عاقلا لبيباً، وعالماً أديباً، شديد الهيبة، حسن السياسة، وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وكانت أم عبد الملك عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص. (الزركلي، 1969، جزء 4، ص 312) و(فروخ، عمر، 1984، جزء 1، ص 510). ويقول شوقي في قصيدته (دولة بني أمية):

"علمتُ أن السيفَ بناءَ الدولِ
مازالَ في الممالكِ الأساسا
فلا تقولَنَّ بغتُ مروانُ
كذاك قبلَ كانتِ الممالكُ
وركنُها في الآخرينَ والأولِ
به بناها من بني وساسا
ووطناً الملك لها الغدوانُ
وبعدَ لم تختلفِ المسالكُ

في الشرق والغربِ بنَّتْ أميَّةُ
سلطنةٌ ليس لها سميَّةُ " (شوقي، أحمد،
دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 66) فالأبيات تشير إلى وظيفة القوة، ممثلة بالسيف في بناء الدول واستمرارها عبر العصور، ويؤكد الشاعر أن السيف كان الأساس في تحقيق الاستقرار والقوة منذ البداية وحتى الأزمنة اللاحقة، ويشدد على أن القوة (السيف) كانت ومازالت العامل الأساسي في إنشاء الممالك وإرساء دعائمها، كما ويشير إلى أن الحكام استخدموا القوة كأساس لتأسيس حكمهم وإدارته، ويرد على الاتهامات التي قد توجه إلى بني مروان (الخلافة الأموية) بالاستبداد أو استخدام

القوة، مشيراً إلى أن ذلك كان تقليداً عالمياً في تأسيس الممالك. ويظهر الدفاع عن بني أمية ضد الاتهامات بأنهم استخدموا القوة لتعزيز حكمهم، ويوضح أن استخدام القوة لبناء الممالك لم يكن مقصوراً على بني أمية فقط، بل كان نمطاً شائعاً عبر التاريخ في الشرق والغرب، ما يشير إلى استمرارية هذا النمط قبل بني أمية وبعدهم. ويثني على بني أمية، ويشير إلى أنهم أسسوا إمبراطورية عظيمة، امتدت في الشرق والغرب، ولم يكن لها مثل أو نظير في زمانها؛ لأنه يظهر إعجاباً بعظمة إنجازاتهم وقوتهم في توحيد العالم الإسلامي وإدارته.

نتيجة لذلك نجد أن النص يعكس الفخر بدور بني أمية في التاريخ الإسلامي، حيث يبرز إنجازاتهم العسكرية والسياسية. ويشير أيضاً إلى أن استخدام القوة كان جزءاً أساسياً من سياسة الحكم آنذاك؛ وهو ما يعتبر جزءاً من طبيعة السياسة العالمية في تلك الفترة. ويدعو إلى تفهم طبيعة الحكم في التاريخ وعدم انتقاد بني أمية بمعزل عن سياقهم التاريخي، كما يظهر أن بناء الدول يحتاج إلى مزيج من القوة والحكمة، وأن هذا النمط كان سائداً في التاريخ .

5. ومن الشخصيات الأخرى التي وردت في شعر شوقي (أبو جعفر المنصور) ، الذي يعدّ المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، وهو عبدالله بن محمد بن عبد المطلب الهاشمي، وكنيته (أبو جعفر) ، درس النحو و التاريخ والأدب شعراً ونثراً وغير ذلك، وكان كثير الأسفار والتنقل، ولما تولى الخلافة واجه بحزم، واقتداد العديد من المشاكل حتى نجح في السيطرة والقضاء على القائلين بها. (السيوطي، 1952، ص259) و(علي، سيد أمير، 1990، ص199) و(اليقوبي، 2002، ص259) و(قباني، محمد، 2006، ص22)، ويقول شوقي في وصفه:

إنّ اختيار المرء من حصّاته

"استخلف المنصور في وصّاته

الخلفاء لمحات زيتيه

ابن أبيه وسراج بيته

قطب رحي الحرب، مدار السّلم

صبر بني العباس، بحر العلم

واشغل القريب بالقریب

قد فرغ. الأهل من الغريب

يُلاق نَجحاً أو يُلاق هُلكاً" (شوقي،

ومن يحاول دولة وملكا

أحمد، دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص87) هذا النص يعبر عن رؤية الحكمة والسياسة لدى الخليفة المنصور، ثاني خلفاء بني العباس، ويظهر عمق

فلسفته في الحكم والإدارة. والنص مليء بالدلالات التاريخية والأدبية، ويدعو للتأمل في شؤون السياسة والاختيار، فضلاً عن تبيان طبيعة الحكم وأثره على الناس. ففي البيت الأول، يشير الشاعر إلى حكمة الخليفة المنصور، في اختيار من يخلفه بناء على العقل والتفكير العميق (الحصاة كناية عن العقل والحكمة). ويوضح أن القيادة تتطلب الاختيار المدروس الذي يعتمد على الفطنة والحنكة. ونجد في البيت الثاني، إشارة إلى الخليفة الذي يتم اختياره بعناية، حيث يكون ابن أبيه في الصفات والقيم. وفيه كناية عن أنه النور الذي يضيء البيت (الدولة)، وهو استمرار لإرث الخلفاء السابقين. ولمحات زيته، تعني الإشارة إلى أن الخلفاء يتوارثون الحكمة والتوجيه، كما يضاء المصباح بالزيت. وفي البيت الثالث، يشير إلى ميزتين أساسيتين لدى بني العباس: الصبر، الذي يظهر قدرتهم على تحمل التحديات، والعلم، الذي يمثل حجر الأساس لحكمهم. ويبرز أيضاً قدرتهم على إدارة الحرب والسلام بحنكة ودراية و(قطب الرحي)، كناية عن المركز الذي يدور حوله كل شيء. أما في البيت الرابع، فيشير إلى أن بني العباس استقروا في الحكم، حيث تجاوزوا التحديات الخارجية بلفظ (الغريب)، وبدأوا بتعزيز الاستقرار الداخلي بين أفراد الأسرة والدولة، مما يعكس اهتمام المنصور بتقوية الروابط بين أفراد البيت العباسي لضمان استقرار الحكم. وفي البيت الخامس، يبرز الشاعر طبيعة السياسة والحكم كصراع دائم: النجاح أو الهلاك. وفيه إشارة إلى أن السعي وراء الملك يحمل مخاطر عظيمة، ولكنه أيضاً سبيل لتحقيق المجد. ونفهم أن النص يعكس عمق رؤية الخليفة المنصور في الحكم، حيث يدعو إلى اختيار القادة بحكمة، ويركز على أهمية العلم والصبر في إدارة الدولة. كما يبرز أن الملك طريق محفوف بالمخاطر، ويستلزم التوازن بين القوة والعقل لتحقيق النجاح. والشاعر شوقي، يتحدث عن (أبي جعفر المنصور)، الذي قدّم الدعم للخلافة وشهدت الخلافة في عصره الرقي وال عمران، فازداد دخل البلاد، ولكنه خشي الله في مال المسلمين فلم يتخذ وسيلة للهو، وبذلك تمكن من النهوض بالدولة. (السيوطي، 1952، ص 261) ويقول شوقي أيضاً في وصفه:

وعصره الزاهي أبو العصور

فما وقاها الهيج إلا شدته

يقذه بالحرير والحديد

"الخلفاء ولد المنصور

إن استهلّ بالدماء مدته

ومن يقم بملكه الجديد

انظرُ إلى أيامهِ النواضرِ وظلّها الوارف في الحواضرِ

خلافةً ثبَّتْها قواعدا
ثم ترقى بالبناء صاعدا " (شوقي، أحمد، دول
العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 89 - 90) فالنص، يشير بوضوح إلى أن
ال خليفة كان حازماً في مواجهة التحديات، وربما يشير إلى مرحلة تأسيسية، أو انتقالية،
تطلبت منه استخدام القوة لتثبيت الحكم. والشاعر يعبر عن ذكاء الخليفة السياسي في
استخدامه أدوات مختلفة حسب الموقف، مما يعكس براعة في إدارة الحكم. ويصف
النص أيضاً، أن هذا الخليفة رغم الصعوبات التي واجهها في البداية، نجح في جعل
عصره من العصور المزدهرة التي تركت أثراً في تاريخ الدولة. ونفهم من ذلك أن
النص يسلط الضوء على أهمية الحزم والقوة في المراحل الانتقالية للدول، ولكنه يشيد
في الوقت ذاته بضرورة الجمع بين العدل واللين لضمان ازدهار المجتمع.

رابعاً/ وصف شخصيات أخرى: إنّ ما ذكرناه من مدائح شوقي للأنبياء والرسل
والخلفاء والقادة، ربّما كان فيه نوع من التقليد في السير على نهج الشعراء القدامى في
المدائح، إلّا أننا نرى في هذا المطلب شيئاً من الحداثة في الموضوع، ألا وهي وصف
ومدح شخصيات أخرى، كان لها الأثر الواضح في التاريخ العربي والإسلامي، ويظهر
فيها شوقي قوته الإبداعية في نظم الشعر، وكان الشعر ينثال عليه انثيالاً، ويستجيب
له عند أول نداء لكي يخرج ما في صدره من إلهام غير متكرر، وغرابة ملكته الشعرية
من صفاء ونقاء.

1. عبدالرحمن الداخل: ختم شعر شوقي شخصيات تاريخية أخرى، كان لهم عظيم
الأثر لما أحدثته من أمور جسام غيرت مجرى التاريخ. ومن هذه الشخصيات: (عبد
الرحمن الداخل)، الذي لقب بهذا الاسم؛ لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك
الأمويين، وهو مؤسس الدولة الأموية في الأندلس، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن
هشام بن عبد الملك بن مروان (113 هـ - 172 هـ)، ونشأ يتيماً، مات أبوه وهو
صغير، فتربى في بيت الخلافة، ولما انقرض ملك الأمويين في الشام، هرب إلى
المغرب، ومنها إلى الأندلس، ومنها دخل قرطبة، واستقر وبنى فيها القصر وعدة
مساجد. (الزركلي، 1969، جزء 4، ص 113) ويقول شوقي في قصيدته (صقر
قريش - عبد الرحمن الداخل):

"مَنْ لِنَصُو يَنْتَزِي ألما
برّح الشوقُ به في العَلَسِ

حَنَّ لِلْبَانِ وَنَاجَى الْعِلْمَاءَ
يَا شَبَابَ الشَّرْقِ غُنَّوْنَ الشَّبَابِ
أَيْنَ شَرْقُ الْأَرْضِ مِنْ أُنْدُلُسٍ
ثَمَرَاتِ الْحَسْبِ الرَّازِي النَّمِيرِ
حَسْبُكُمْ فِي الْكِرَامِ الْمُحَضِّرِ اللَّبَابِ
سِيرَةٌ تَبْقَى بَقَاءَ ابْنِي سَمِيرِ
فِي كِتَابِ الْفَخْرِ (لِلدَّخْلِ) بَابِ
لَمْ يَلْجِ مِنْ بَنِي الْمُلْكِ أَمِيرِ
فِي الشَّمُوسِ الزَّهْرِ بِالشَّامِ انْتَمِي وَنَمَى الْأَقْمَارُ بِالْأُنْدُلُسِ " (شوقي،
أحمد، الشوقيات، 2005، جزء 2، ص 371 - 373). يتحدث الشاعر عن شخص
منهك يتألم ويعاني من لوعة الشوق في وقت السحر، بقوله: (الغلس)، ويحن إلى
وطنه بقوله: (اللبان رمز الشوق والارتباط بالوطن)، ويتساءل عن المسافة بين الشرق
من خلال قوله: (المشرق) والأندلس، وفيه إشارة إلى البعد المكاني والزمني. وهذه
الصورة تمثل اللوعة والاعتراب بوضوح، حيث صور الشاعر الشوق كآلام تنهك
الجسد. وأيضاً فيها تناس؛ إذ يستحضر الشاعر مجد الأندلس وارتباطها بالشرق
الإسلامي، مما يعكس الحنين للماضي. وينادي الشاعر شباب الشرق، ويمتدحهم
بأنهم عنوان النضارة والقوة، وهم ثمرة أصولهم الطاهرة والنقية. ويشير إلى أن كرمهم
وعراقتهم ليست سطحية، بل هي جوهر أصيل، مثل سيرة مشرفة، تبقى على مدى
الزمن. والنداء في قوله: (يا شباب الشرق)، يحمل حماسة ودعوة للنهضة والعمل.
والمديح في الأبيات، يبرز مكانة الشباب كحملة أمل ومستقبل مشرق، مع التأكيد على
عراقة أصولهم والاستمرارية هنا رمز الإشارة إلى البقاء حيث تشير إلى خلود القيم
النبيلة. ويشير الشاعر أيضاً، إلى أن باب الفخر مفتوح فقط لمن يستحقه من
العظماء، وليس كل أمير من أبناء الملوك يصل إلى هذه المكانة. وهذا يرمز إلى
المجد الذي لا ينال بسهولة، بل يحتاج إلى جهد واستحقاق. وهذا ما جعل الشاعر أن
يستخدم فن التخصيص؛ لأنه يبرز أن المجد الحقيقي لا يعتمد على النسب وحده، بل
على العمل. وفي البيت الأخير، يتغنى الشاعر بالشام كموطن للمجد والضياء، بقوله:
(الشمس الزهر)، ويشير إلى الأندلس التي أنجبت أعظم الشخصيات الحضارية،
بقوله: (الأقمار). ونجد في الشمس الرمزية؛ لأنها تمثل العلم والحضارة. والجمع بين
الشام والأندلس يعكس الوحدة الثقافية والتاريخية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

إذن الأبيات الشعرية هنا، تحمل رسالة وطنية وقومية واضحة، وتدعو إلى التأمل في أمجاد الماضي لاستلهام الحاضر والمستقبل. ويمزج الشاعر فيها بين الحنين للأندلس والفخر بمشرق الأمة، داعياً الشباب إلى التمسك بالقيم والعمل لتحقيق العظمة. وشوقي في هذه القصيدة، يعجب بطموحه وقوة عزمته، وكفاحه الطويل حتى استطاع أن يستحوذ على ملك الأندلس، ويصطنع الشاعر الموشح في حديثه عن صقر قريش، فتكون القصيدة من ذلك الشعر العذب الذي تهواه الأسماع وتحفظه القلوب. (ضيف، شوقي، ص 119) و(الدسوقي، عمر، 1967، جزء 2، ص 105) فيقول شوقي:

"لا يَضِيقُ زَرْعَكَ عِنْدَ الْأَرْمَانِ
إِنْ هِيَ اشْتَدَّتْ وَأَقْلَ فَرْجَا
ذَلِكَ الدَاخِلُ لَأَقَى مُظْلِمَاتٍ
لَمْ يَكُنْ يَأْمُلُ مِنْهَا مَخْرَجَا
قَدْ تَوَلَّى عَزَّهُ وَانصَرَمَا
فَمَضَى عَنْ غَدِهِ لَمْ يَيْأَسْ
رَامَ بِالْمَغْرِبِ مُلْكًا فَرَمَى
أَبْعَدَ الْغَمْرِ وَأَقْصَى الْيَبَسِ
ذَاكَ وَاللَّهِ الْغَنَى كُلَّ الْغِنَى
أَيَّ صَعْبٍ فِي الْمَعَالِي مَا مَلَكَ " (شوقي، أحمد، دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 74).

يدعو الشاعر، هنا، إلى التحلي بالصبر، وعدم اليأس عند اشتداد المحن، فالأزمات مهما بلغت قسوتها ستنتفج في النهاية. ويشير إلى شخص واجه ظروفًا حالكة ومآسي عظيمة كانت تبدو بلا حل، لكنه استطاع التغلب عليها. فمظلمات، هنا استعارة، عن الظروف الصعبة والمآسي التي تحيط بالإنسان، ولم يكن يأمل منها مخرجًا، وتعبير عن فقدان الأمل، الذي قد يواجهه المرء في شدائده. ثم يصف الشاعر حالة من انتهى عزه أو زال مجده، لكنه بالرغم من ذلك لم يستسلم لليأس، بل استمر بالسعي. فقلوبه: (تولى عزه وانصرما)، تعبير عن زوال المجد، مما يعكس فكرة التحولات الزمنية. أي يدعو الشاعر إلى التمسك بالعزيمة رغم الخسارات. وبعد ذلك، يتحدث عن شخص طموح لم يكتف بالقليل، بل تطلع إلى تحقيق الملك والرفعة، متحديا العقبات الكبرى. ف (أبعد الغمر وأقصى اليبس)، كناية عن الصعوبات الشديدة التي واجهها في سبيل طموحه. ويشيد الشاعر بروح التحدي والإصرار على بلوغ القمم، ويرى أن العظمة الحقيقية تكمن في الطموح والنجاح رغم المصاعب، وأن من بلغ المعالي حقق الغنى الحقيقي. و(الغنى كل الغنى) في الأبيات، استعارة عن النجاح والطموح الذي يمثل

قمة السعادة. وقول الشاعر: (أي صعب في المعالي ما ملك)، تساؤل بلاغي ، يؤكد أن من سعى للمعالي وبلغها، يملك كل شيء. فإذن الأبيات تكمن فيها رسالة تحفيزية سامية، تتجلى في أهمية الأمل والصبر في مواجهة الأزمات، والسعي الدؤوب لتحقيق المجد رغم كل العقبات. والشاعر هنا يقدم لنا درساً في الطموح والإصرار، مما يجعل هذه الأبيات ملهمة لكل الساعين إلى النجاح. وعبد الرحمن الداخل مُلقب بـ (صقر قريش)، الملك المحبوب، ذلك الشاب الذي جاء إلى الأندلس، وقد عرف ما للأخلاق من أثر في بناء الأمم قوياً سليماً، فاتخذها هادياً له في طريقه. (السيوطي، 1952، ص188) و يقول :

"بُنيت من خُلُقٍ دولته	قد يشيد الدّولَ الشَّمّ الخلق
وإذا الأخلاق كانت سُلماً	نالَت النّجْم يد المُلتمسِ
فارق فيها تَرَقَّ أسباب السّما	وعلى ناحية الشمسِ اجلسِ
أيّ مُلْكٍ من بناياتِ الهِمَمِ	أسّس الدّاخلُ في الغربِ وشاد
ذلك الناشئ في خيرِ الأممِ	سادَ في الأرضِ ولم يخلق يسادُ " (شوقي،

أحمد، دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 76 - 77).

يشير الشاعر - هنا- إلى أن الأخلاق هي الأساس الذي يبنى عليه المجد والدولة. فالخلق الرفيع لا يشيد حياة الفرد فحسب، بل يرفع شأن الأمم ويقوي دعائمها. فقول الشاعر: (الدول الشم)، استعارة للدول العظيمة التي ترقى وتتعالى بين الأمم، مما يعني أن أهمية الأخلاق ركيزة أساسية في بناء الحضارات. ويجعل الشاعر الأخلاق بمثابة السلم الذي يصعد به الإنسان أو الأمة إلى القمم، حيث تصبح الغايات العظيمة مثل النجوم في متناول اليد. فقوله: (نالَت النجم)، كناية عن تحقيق أسمى الطموحات. أي صور الشاعر الأخلاق كوسيلة حقيقية للصعود، مما يبرز قيمتها الجوهرية، ويؤكد أن من يتحلى بالأخلاق ويسعى من خلالها، يرتقي إلى أعلى مراتب العظمة، ويجلس في موضع لا يصل إليه إلا العظماء. وقوله: (وترق أسباب السماء)، استعارة عن الرقي والتقدم في سلم المجد و(ناحية الشمس)، رمز للمكانة العالية والرفيعة. ثم يشير الشاعر إلى الداخل (عبد الرحمن الداخل)، الذي أسس دولته في الأندلس على أساس الطموح والهمم العالية، مما جعله من أبرز القادة في التاريخ الإسلامي. والذي نشأ في أمة الإسلام العظيمة، وتمكن بفضل جهوده وهيمته من أن يسود ويسيطر، ولم يكن

ليقبل أن يكون تابعا أو خاضعا لأحد. فإذن تسلط الأبيات الضوء على الأخلاق مكونا أساسياً لبناء الحضارات ورفعة الأمم، مع استحضار شخصية عبد الرحمن الداخل، كمثال حي على القائد الذي استطاع أن ينشئ دولة عظيمة رغم الظروف الصعبة. وتحمل الأبيات أيضاً، رسالة ملهمة حول أهمية الأخلاق والطموح لتحقيق المجد والخلود في صفحات التاريخ.

2. المعز بن باديس: وفي قصيدة أخرى يتناول الشاعر شخصية أخرى، مدحها في شعره، ألا وهي: (المعز بن باديس 398هـ - 454هـ)، الذي لقّب بشرف الدولة، وهو الذي وضع أسس الدولة الفاطمية، وعين خط سيرها، وهو المعز بن باديس بن المنصور، وولّى بعد وفاة أبيه سنة 406 هـ وأقره الحاكم الفاطمي، وساد الأمن في أيامه، وبنى بنايات ومساجد، وقرب العلماء وأكرمهم، وأول من جعل الناس بإفريقية على مذهب مالك. (الزركلي، 1969، جزء 8، ص 186) و(العش، يوسف، 1996، ص 221) وشوقي في قصيدة نظمها باسم (الدولة الفاطمية)، يقول فيها:

"من جعل المغرب مطلع الضحى
وسخر البربر جندا للهدى
وصرف الأيام حتى أحدثت
وأظفر الصابر بالنجح فيا
سبحانه المُلْكُ إليه وله
قام إمام من بني فاطمة

خليفة ثم تلاه من تلا " (شوقي، أحمد، دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 91) فالأبيات تمثل امتزاجاً بين التاريخ والرمز، وبين الشعور الفردي والوعي الجمعي، فهي ليست مجرد مدح للتجربة المغربية بل دعوة إنسانية متجددة إلى الإيمان بجدوى الصبر، وإلى التمسك بالأمل. ومن هنا تأتي قيمتها النقدية؛ إذ استطاع شوقي أن يحوّل الوقائع التاريخية إلى خطاب شعري إنساني يتجاوز الزمن. أما المعز الدين الله، فقد كانت أيامه رفعه للدين والدنيا، أ لم يبين الجامع الأزهر في عهده؟ أ لم يمتد ملكة من أقصى المغرب إلى حدود العراق؟ أ لم يكن (ابن الرسول) أندى الناس يدا (إن جرح النيل أسا)؟ هكذا كان المسلمون الأوائل، كانت أيامهم عزاً للإسلام. (العش، يوسف، 1996، ص 222) فيقول شوقي في وصفه:

"قد حسن المُلْكُ المعزَّ وغدث
أيامه للدين والدنيا حلى

فاستحوذت مصر على فؤاده
فاختار للفتح فتى مختبراً
اعتدل الأمر على مقدمه
الجامع الأزهر باقٍ عامر
وخضع الشام ومن حياله
وابن رسول الله أندى راحة
وقبله كم تبقت له أبا
معدنه فكانَ جوهرُ الفتى
وكان ركنُ الملِكِ ميلاً فاستوى
وهذه القاهرة التي بنى
من آلِ حمْدانَ فوارس اللقا
وجوده إن جرحَ النيلُ أساً " (شوقي، أحمد،

دول العرب وعظماء الإسلام، 1981، ص 95 - 97).

فمن الناحية الفكرية، تنطلق الأبيات من تمجيد شخصية تاريخية أساسية (ال خليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي)، الذي ارتبط اسمه بمصر والقاهرة والأزهر. يقدمه الشاعر بوصفه قائداً يجمع بين الدين والدنيا، ويُقيم دعائم الحكم على أساس من القوة والعدل. وهنا يوظف شوقي التاريخ لتأكيد أن القيادة الناجحة هي التي توازن بين العقيدة والسياسة، وبين الروح والمادة. ومن الناحية الوجدانية، يتضح من النص انبهار الشاعر وإعجابه بالمعز، إذ يجعله صاحب قلب نقي، وفتى اختبرته الأحداث فأثبت معدنه الأصيل. هذا البعد العاطفي يضيف على النص حرارة إنسانية، حيث يخرج من إطار السرد التاريخي الجامد إلى خطاب يمس القارئ وجدانياً، فيرى في القائد مثلاً للرجولة، الصفاء، والقدرة على البناء. أما من ناحية الأسلوب فنجد أن الأبيات تتسم بجزالة الألفاظ ورصانة الإيقاع، بما يتماشى مع الموضوع التاريخي الجليل. وفي الصورة الشعرية، استخدم شوقي صوراً مفعمة بالدلالة الرمزية، مثل: "معدنه فكان جوهر الفتى"، وهي صورة تجعل من الأخلاق والمعادن النفيسة رمزاً للقيمة الإنسانية. واللغة في النص، تميل إلى الفخامة والتألق، وهي سمة أسلوب شوقي في معالجاته التاريخية. وفي البعد التاريخي والحضاري، تحوّل الأبيات الوقائع إلى رموز كبرى: الجامع الأزهر ليس مجرد مسجد، بل علامة على بقاء حضاري وثقافي ممتد إلى الحاضر. كما أن القاهرة تظهر رمزاً لولادة حضارة جديدة تتجدد باستمرار. بذلك لا يكتفي النص بتسجيل حدث، بل يقدمه في صورة إنجاز خالد يعكس عبقرية الأمة الإسلامية. أما من ناحية القيمة الإنسانية، فالنص يعبر عن حاجة الإنسان - فرداً أو جماعة - إلى قيادة واعية قادرة على الجمع بين الروح والعقل، بين الدين والسياسة. كما يعكس توق الإنسان إلى الخلود عبر البناء الفكري والعمراني (الأزهر، القاهرة).

بهذا المعنى، القصيدة لا تخاطب الماضي وحده، بل الحاضر أيضاً، فتقدّم رسالة إصلاحية وتجديدية للأمة. فإذن الأبيات تكشف عن رؤية شوقي التي تُحوّل التاريخ إلى خطاب إنساني خالده؛ فهو لا يكتب للتاريخ وحده، بل يكتب للأمة وللإنسان. ومن خلال تصوير المعزّ وبنائه القاهرة والأزهر، يطرح الشاعر مثلاً للقيادة التي تتجاوز حدود الزمن، حيث يصبح العمل المخلص في خدمة الدين والدنيا معاً طريقاً إلى المجد والخلود.

3. أبو مسلم الخراساني: ونهاية هذا المبحث، نختمه بشخصية أخرى، مدحها شوقي في شعره، ألا وهي: (أبو مسلم الخراساني 100 - 137هـ)، مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة، وهو عبد الرحمن بن مسلم، ولد في ماه البصرة (مما يلي أصبهان) عند عيسى ومعقل العجلي، فرباه إلى أن شبّ، فاتصل بإبراهيم بن الإمام محمد (من بني العباس) فأرسله إبراهيم إلى خراسان، داعية فيها، فأقام فيها واستمال أهلها، عاش أبو مسلم سبعة وثلاثين سنة، بلغ منزلة عظماء العالم، حتى قال فيه المأمون: "أجلّ ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدول وتحويلها: الأسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني". (الزركلي، 1969، جزء 4، ص 114) و(علي، سيد أمير، 1990، ص 200) ويقول شوقي في قصيدته (أبو مسلم الخراساني الداعي للعباسيين):

والزركلي، 1969، جزء 4، ص 114)	والزركلي، 1969، جزء 4، ص 114)
و(علي، سيد أمير، 1990، ص 200)	و(علي، سيد أمير، 1990، ص 200)
ويقول شوقي في قصيدته (أبو مسلم الخراساني الداعي للعباسيين):	ويقول شوقي في قصيدته (أبو مسلم الخراساني الداعي للعباسيين):
"الأصل في كلّ بناءٍ حَجَرٌ	"الأصل في كلّ بناءٍ حَجَرٌ
معتمدُ الأركانِ والقواعدِ	معتمدُ الأركانِ والقواعدِ
وبالغوا في البرِّ والقيامِ	وبالغوا في البرِّ والقيامِ
جاءَ أبو مسلم الخراساني	جاءَ أبو مسلم الخراساني
رموا بماضي الحدِّ لا يمينُ	رموا بماضي الحدِّ لا يمينُ
تقبس الشباب من مَضاءِه	تقبس الشباب من مَضاءِه
يصيدُ بالصلاةِ والصَّلاتِ	يصيدُ بالصلاةِ والصَّلاتِ
يُعينُهُ قحطبةُ ذوالباسِ	يُعينُهُ قحطبةُ ذوالباسِ

خبيلهم جاب البلادَ وفَرى
وعظماء الإسلام، 1981، ص 84) يتخذ النص من الحجر رمزاً للأصالة والرسوخ، ليعقد به مقابلة فنية مع الرجال الذين تنهض بهم الدول وتُشاد بهم الحضارات، وكما

أنّ الحجر أساس القصور والمعابد، فإنّ الرجال المخلصين هم أعمدة التاريخ وحجارة الزوايا في بناء الدول. ومن هنا يبرز أبو مسلم الخراساني مثلاً حياً على هذا المعنى، إذ غدا حجر الأساس في قيام الدولة العباسية. وهكذا يمزج النص بين جمال الصورة ورهبة التاريخ ليقرر أنّ بقاء العمران السياسي والإنساني مرهون بثبات الأساس وصلابة الدعائم.

المطلب الثاني / وصف الشخصيات الأسطورية:

استخدم أحمد شوقي الشخصيات الأسطورية بشكل بارز في أعماله المسرحية والشعرية، مستلهما من التراثين العربي والعالمي. كانت هذه الشخصيات وسيلة للتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية وأخلاقية، وإضفاء عمق رمزي على أعماله. فيما يأتي أبرز الشخصيات الأسطورية التي ظهرت في أعمال شوقي، منها:

1. كليوباترا: الملكة كليوباترا السابعة، شخصية أسطورية تاريخية استلهمها شوقي في مسرحيته. وجسدها كرمز للقوة والذكاء، لكن أيضاً كضحية للصراعات السياسية. فاختر شوقي تقديم الجانب التراجيدي في حياتها، حيث انتهت حياتها بانتحار بطولي. وترمز الشخصية إلى الوطنية والاستقلال، حيث فضلت الموت على أن ترى وطنها تحت سيطرة الرومان. (مسرحية مصرع كليوباترا) فمن ناحية البعد التاريخي والسياسي، يستند شوقي إلى الموروث التاريخي الذي رسم صورة كليوباترا آخر ملكات البطالمة، لكنه يعيد صياغتها شعرياً في ضوء رؤيته القومية. فهي عنده ملكة تسعى للحفاظ على عرشها واستقلال بلادها في مواجهة التوسع الروماني. هذا الجانب يبرزها قائدة سياسية تدرك دقة المرحلة، وإن كانت أسيرة نوازعها الشخصية.

ومن حيث البعد العاطفي، يكشف النص عن شخصية مأزومة داخلياً؛ إذ تعيش كليوباترا صراعاً بين حبّها لأنطونيو ورغبتها في الحفاظ على كرامتها وهيبة ملكها. يتجلى هذا في حواراتها المفعمة بالوجد والحنين، حيث تتحدث بصدق العاشقة التي تدرك أن عشقها يقودها إلى مصير مأساوي. وهنا يتقاطع الجانب الإنساني مع الجانب التراجيدي، فالقارئ يتعاطف معها رغم وعيه بأنّ هذا الحب سبب سقوطها. ومن حيث البعد التراجيدي، بنى شوقي شخصية كليوباترا على النموذج التراجيدي الأرسطي: بطلّة نبيلة تواجه قدراً قاسياً يقودها إلى نهايتها. فهي تسعى إلى التوازن بين قلبها وتاجها، لكنها تخفق في كلا الجانبين. انتحارها في النهاية ليس هروباً من

الهزيمة فحسب، بل فعلٌ يحمل معنى الكرامة الأخيرة، إذ تفضّل الموت على الوقوع أسيرة في يد أعدائها. وفي البعد الرمزي، كليوباترا ليست مجرد شخصية تاريخية، بل رمز للأمة المصرية التي قاومت النفوذ الأجنبي. سقوطها يجسد سقوط استقلال البلاد، وانتحارها يمكن قراءته كإشارة إلى رفض الاستسلام. من هنا يتجاوز شوقي السرد التاريخي لجعلها صوتاً سياسياً معاصراً يلمح إلى واقع مصر في عصره تحت الاحتلال البريطاني. أما من ناحية البعد الجمالي والفني، اعتمد شوقي في رسم ملامح كليوباترا على لغة شعرية رصينة، فجمع بين الجزالة الكلاسيكية والعاطفة الإنسانية الرقيقة. فجاءت حواراتها مشبعة بالصور البلاغية والاستعارات التي تضيف على شخصيتها بعداً شعرياً يخفف من قسوة مأساويتها. فإذن كليوباترا في مسرحية أحمد شوقي شخصية مركبة تتأرجح بين الأنوثة العاشقة والملكة القائدة، وبين الضعف الإنساني والصلابة السياسية. جسّد شوقي في إطار تراجمي يذكّر بالنماذج الإغريقية، لكنه أضفى عليها روحاً قومية تجعلها رمزاً لمصر في صراعها مع القوى الاستعمارية. بذلك أصبح المسرحية نصاً شعرياً يتجاوز التاريخ ليخاطب الحاضر، ويحوّل مأساة كليوباترا إلى ملحمة إنسانية وسياسية وجمالية .

2. عنتر بن شداد: عنتر بن شداد، هو الفارس العربي، الذي جسّد قيم الشجاعة والفروسية، وصراعه لتحقيق الحب والحرية بسبب مكانته كابن جارية. ويظهر شوقي عنتر كمثل للقوة الداخلية والإصرار، مع تسليط الضوء على قضايا اجتماعية مثل التمييز الطبقي. (مسرحية عنتر). فمن حيث البعد التاريخي والأسطوري، نجد أنّ عنتر بن شداد في التراث العربي شخصية تجمع بين البطولة الشعرية والفروسية القبلية. استثمر أحمد شوقي هذه الصورة التاريخية ليعيد إنتاجها مسرحياً في ضوء الشعر العربي الكلاسيكي، مقدماً عنتر بطلاً يجمع بين قوة الجسد وفصاحة اللسان، فهو الفارس الذي لا يُهزم في الميدان، والشاعر الذي يخلّد تجربته العاطفية والبطولية في آنٍ واحد. ومن حيث البعد الاجتماعي، يُجسد عنتر في المسرحية أزمة الهوية والانتماء الاجتماعي. فهو ابن سيد قبيلة عبس من جهة، وابن جارية حبشية من جهة أخرى، ما جعله يعاني من التهميش والرفض الاجتماعي. يُبرز شوقي هذا الصراع بوضوح، فيجعل عنتر شخصية ممزقة بين نسبه النبيل وواقع العبودية الذي يحاول المجتمع إلصاقه به. وهنا تكمن المأساة الاجتماعية للشخصية، التي تمنحها عمقاً

إنسانياً يتجاوز حدود البطولة الحربية. ومن حيث البعد العاطفي، الحب في المسرحية يشكل جوهر شخصية عنتر، إذ يظهر تعلقه بعبلة لا مجرد نزوة عاطفية، بل رمزاً للكرامة والحرية. فحبه لعبلة يدفعه إلى مواجهة القيود الاجتماعية والسعي لنيل اعتراف القبيلة بنسبه. بهذا المعنى، يصبح الحب قوة محرّكة للتغيير الاجتماعي، ويحوّل عنتر من فارس قبلي إلى رمز إنساني للحرية والوفاء. وفي البعد التراجيدي، تتجلى مأساة عنتر في ازدواجية وضعه: فهو بطل لا يُبارى في ساحة القتال، لكنه في ساحة المجتمع أسير نظرة دونية. يبرع شوقي في إبراز هذه المفارقة التراجيدية، حيث يظهر عنتر في موقف المنتصر المهزوم في آن واحد. الانتصار في الحرب لا يمحو جراح الهوية ولا يزيل قيود التقاليد. وفي البعد الرمزي، نجد أنّ عنتر عند شوقي يتجاوز كونه شخصية جاهلية ليصبح رمزاً للكرامة الإنسانية في وجه التمييز الطبقي والعنصرية. يمكن قراءة المسرحية في ضوء عصر شوقي، حيث كانت قضايا الحرية والتحرر من الاستعمار مطروحة بقوة. بذلك يصبح عنتر مرآة للواقع العربي الحديث، وصوته هو صوت كل مظلوم يطالب بالاعتراف بإنسانيته. أما من ناحية البعد الفني، فاعتمد شوقي على لغة شعرية قوية لرسم ملامح عنتر، فجمعت حواراته بين الفخر والاعتداد بالنفس، وبين الشكوى والأنين الداخلي. هذا التنوع يعكس عمق الشخصية ويمنحها طابعاً إنسانياً لا يقتصر على البطولة الظاهرية. كما أن التوازن بين الجانب البطولي والوجداني جعل الشخصية أكثر قرباً من المتلقي. فإذن عنتر في مسرحية أحمد شوقي شخصية مركبة، تلتقي فيها الفروسية بالشعر، البطولة بالهامشية، الحب بالحرية، والنصر بالخذلان. رسمه شوقي في إطار تراجيدي يجعله أكبر من مجرد بطل جاهلي، بل رمزاً للكرامة الإنسانية والتمرد على قيود المجتمع. وهكذا تحوّلت المسرحية إلى نص شعري ملحمي يزاوج بين استلهام التراث وتوظيفه في سياق القضايا الكبرى التي عاشها العالم العربي في زمن شوقي.

3. مجنون ليلي: تناول شوقي في هذه المسرحية، قصة الحب المأساوية بين قيس بن الملوح ولىلى العامرية، وهي واحدة من أشهر قصص الحب في التراث العربي، الحب الذي يتجاوز حدود المنطق والعقل، ويصطدم بقوانين المجتمع، مما يعكس صراع الإنسان مع القيود الاجتماعية. (مسرحية مجنون ليلي). فمن ناحية البعد النفسي، نجد أنّ مجنون ليلي شخصية مأزومة داخلياً، تعيش صراعاً عاطفياً عميقاً بين حبه

الخالص لليلي ورفض المجتمع لهذا الحب. يظهر في المسرحية كرمز للانفعال الصادق الذي يتجاوز حدود العقل، حتى أصبح الحب ذاته هويته الكاملة. ينوب كيانه في صورة ليلي حتى يفقد اتزان الواقعي، فيغدو الحب قدراً يسيطر على كل مشاعره وسلوكه. ومن حيث البعد الاجتماعي، يُظهر شوقي المجنون في مواجهة مع الأعراف القبلية التي حالت دون زواجه من ليلي. فالمجتمع هنا ليس مجرد خلفية للأحداث، بل قوة فاعلة تعيد تشكيل مصيره. في صراعه مع القبيلة يتجلى المجنون كرمز للمتمرد على السلطة الاجتماعية التي تقمع الحرية الفردية، وبذلك يصبح صوتاً درامياً يعكس أزمة الإنسان العربي بين الرغبة الذاتية والقيود الجماعية. ومن حيث البعد الرمزي، يحمل المجنون في المسرحية بعداً رمزياً يتجاوز شخصيته الفردية، فهو رمز للشاعر الذي يرى في الحب مصدر الإبداع وشرعية وجوده. وهو أيضاً رمز للإنسان المثالي الذي يضحي بكل شيء من أجل الوفاء لقيمة عاطفية عليا. كما يمثل صورة للتضحية الوجودية، حيث يختار الفناء في الحب بدلاً من التكيف مع واقع لا يمنحه حريته. أما من حيث البعد الفني (التشكيل الدرامي)، فاعتمد شوقي في رسم شخصية المجنون على الحوار الشعري المليء بالصور البلاغية والمجازات، مما جعل الشخصية تنبض بشاعرية عالية تتناسب مع مكانتها في الميخلة العربية. كما أبرز من خلال المونولوجات الداخلية عمق تجربته الوجدانية، مما جعل المسرحية تقترب من التراجيديا الكلاسيكية التي يكون بطلها أسيراً لقدره العاطفي.

وفي المفارقة التراجيدية، نجد أنّ مأساة المجنون تنبع من المفارقة بين عظمة حبه وضعف حيلته أمام قيود المجتمع. هذه المفارقة الدرامية جعلت شخصيته تتخذ طابعاً تراجيدياً خالصاً، حيث يدفع ثمناً باهظاً لإخلاصه، وتصبح نهايته الفاجعة تجسيداً لانتصار الحب على الحياة ذاتها، وانكسار الإنسان أمام الواقع الاجتماعي القاسي. فإذا شخصية مجنون ليلي في مسرحية أحمد شوقي ليست مجرد إعادة إنتاج لشخصية تراثية، بل هي بناء درامي متكامل يعكس أبعاداً إنسانية شاملة: العاطفة المطلقة، الصراع مع المجتمع، الرمز الشعري، والمفارقة التراجيدية. وبذلك تتحول إلى مرآة لأزمة الإنسان بين الحرية والحب من جهة، وبين القيود والتقاليد من جهة أخرى، مما يمنحها خلوداً أدبياً يتجاوز حدود الزمان والمكان.

4.أوديب: استلهم شوقي شخصية أوديب من الأساطير الإغريقية، وقدمها بشكل درامي، حيث يعكس صراع الإنسان مع القدر. ومن حيث الرمزية يمثل أوديب مواجهة الإنسان لمصيره، وتحديات السلطة والمعرفة. (مسرحية أوديب ملكا) وشخصية أوديب في مسرحية أوديب ملكًا لأحمد شوقي تمثل إعادة صياغة عربية حديثة لإحدى أعظم الشخصيات التراجيدية في التراث اليوناني، حيث أعاد شوقي إنتاجها وفق رؤيته الفكرية والأدبية، موظفًا عناصر الشعر العربي مع البنية الدرامية الكلاسيكية. فمن ناحية البعد النفسي، يظهر أوديب عند شوقي شخصية مأزومة داخليًا، يتأرجح بين الثقة في قدرته على قيادة شعبه وبين قلقه العميق تجاه لغز حياته ومصيره. يعيش صراعًا نفسيًا متصاعدًا بين إرادته الحرة ورهبة القدر، وهو ما يمنحه طابعًا مأساويًا خالصًا. إن جملة التوتر النفسي في المسرحية تُبنى على خوف أوديب من المجهول، ثم صدمته المزلزلة حين يكتشف أن يده اقترفت ما كان يهرب منه. ومن ناحية البعد الاجتماعي والسياسي، قدّمه شوقي ملكًا مسؤولًا أمام شعبه، حريصًا على خلاصهم من الطاعون الذي أصاب طيبة. وهذا البعد يجعل منه رمزًا للحاكم الذي يتماهى مع مصير شعبه، فيتحمل الأعباء وحده. غير أن المجتمع، رغم مكانته فيه، يتحول تدريجيًا إلى شاهد على سقوطه. ومن هنا يتجلى أوديب كرمز للحاكم المخلص، لكن المحكوم بالهزيمة أمام قوى أكبر من سلطته السياسية. ومن حيث البعد القدري (التراجيدي)، نجد أنّ المحرك الأساسي لشخصية أوديب هو الصراع مع القدر. فرغم محاولاته الدؤوبة للهروب من النبوءة، يقع في فخها. المأساة هنا تتبع من مفارقة مأساوية كبرى: كل خطوة يتخذها ليتجنب المصير، تقوده إليه حتمًا. هذه العلاقة الملتبسة بين الإرادة الفردية والقدر تجعل أوديب عند شوقي بطلًا تراجيديًا بامتياز، يعيش في مواجهة قوى تتجاوز طاقته البشرية. وفي البعد الرمزي، يرمز أوديب إلى الإنسان الباحث عن الحقيقة، مهما كان الثمن، كما يمثل صورة للحاكم المثالي الذي يضع مصلحة شعبه فوق مصلحته، لكنه ينهار حين يصطدم بقانون الكون والقدر. ويمكن اعتباره أيضًا رمزًا للإنسان العربي الحديث الذي يتوق إلى القيادة والتجديد، لكنه يظل مكبلاً بقوى اجتماعية وتاريخية تعيد إنتاج المأساة. أما من حيث البعد الفني (التشكيل الدرامي)، فقد استخدم شوقي الحوار الشعري المألوف في مسرحياته الشعرية لتشكيل شخصية أوديب، مما منحها بعدًا شعريًا ملحميًا، وأضفى على المأساة نغمة

وجدانية عميقة. وتكشف المونولوجات الداخلية لأوديب عن اضطرابه النفسي وصراعه مع ذاته، وهو ما يجعل المسرحية تقترب من التراجيديا الإغريقية مع تلوين عربي- إسلامي في اللغة والرؤية الأخلاقية.

وفي المفارقة التراجيدية في المسرحية، تتمثل مأساة أوديب في كونه ضحية وفاعلاً في آن واحد: ضحية للقدر الذي سبقه بالنبوءة، وفاعل لأنه قتل أباه وتزوج أمه بغير وعي. هذه المفارقة الدرامية تجعل سقوطه حتمياً، لكنها تمنحه في الوقت نفسه قيمة إنسانية خالدة، حيث يتحول من ملك عظيم إلى إنسان منكسر يواجه مصيره بشجاعة واعتراف. إذن شخصية أوديب في مسرحية شوقي تجسد أبعاداً إنسانية وسياسية ونفسية عميقة: فهي صورة للبطل المأساوي الذي يحاول بصدق أن يغيّر مصيره ومصير شعبه، لكنه يصطدم بجبروت القدر. ومن خلاله، أعاد شوقي إحياء النموذج التراجيدي العالمي، بلغة شعرية عربية، ليعكس مأساة الإنسان في بحثه الدائم عن الحقيقة والحرية أمام قيود القدر والمجتمع.

5. قميّز: استند شوقي في هذه المسرحية إلى شخصية الملك الفارسي قميّز الثاني، الذي غزا مصر. وصور في مسرحيته ملامح الاستبداد والطغيان. ويظهر قميّز كتحذير من عواقب الطغيان، وتأثيره المدمر على الأفراد والمجتمعات. (مسرحية قميّز) يظهر قميّز في مسرحية أحمد شوقي شخصية تاريخية محمّلة بأبعاد إنسانية ونفسية معقّدة، إذ يتجاوز حضوره حدود كونه ملكاً فارسياً غازياً لمصر إلى كونه رمزاً لصراع السلطة والهوى والغرور الإنساني.

أول ما يلفت في شخصية قميّز هو نزعة الطغيان والاستبداد؛ فهو ملك يستند إلى قوته العسكرية وسلطانه الإمبراطوري ليخضع الشعوب ويكسر إرادتهم، متجاهلاً حقهم في الحرية والكرامة. ويعكس شوقي من خلاله صورة المستبد الذي يرى في نفسه مركز العالم، حتى إذا أظلم عليه العقل استسلم لنزواته وأهوائه، فكان أكثر عرضة للانهايار الأخلاقي والنفسي. كما تتسم شخصية قميّز بالتناقض الداخلي؛ فهو من جهة قائد قوي لا يهاب المواجهة، ومن جهة أخرى أسير نزواته العاطفية ورغباته الشخصية، خصوصاً حين يتعلق الأمر بليديا، حيث يكشف عن هشاشته العاطفية وضعفه أمام سلطان الحب، فينبذ الجانب الإنساني المأزوم في قلب الطاغية. هذا التناقض يعكس مأساة الشخصية التراجيدية التي تحمل بذور سقوطها في داخلها.

ومن الناحية الدرامية، يمثل قمييز المحرك الأساسي للصراع في المسرحية؛ فطموحه السياسي وجبروته هما اللذان يشعلان المواجهة بين الفرس والمصريين، بينما أزماته العاطفية تكشف عن ضعف الداخل مقابل قوة الظاهر. وهكذا يصبح قمييز تجسيداً لفكرة شوقي عن الطغيان الذي يهدم صاحبه قبل أن يهدم الآخرين. أما من الناحية الرمزية، فيمكن النظر إلى قمييز بوصفه إسقاطاً على الاستعمار الحديث زمن شوقي، إذ يرمز إلى القوى الغازية التي جاءت لتسلب مصر إرادتها وتستعبد أبناءها. وفي هذا الإطار، ينجح شوقي في جعل التاريخ مرآة للواقع السياسي المعاصر، محولاً قمييز إلى رمز للطغيان الأجنبي الذي يواجهه الشعب المصري. إذن، شخصية قمييز في المسرحية تنتم بالاستبداد السياسي القائم على الجبروت والقوة. والهشاشة النفسية أمام العاطفة والنزوات. والتناقض التراجيدي بين صورة الملك الجبار والإنسان الضعيف. والوظيفة الرمزية التي تجعله معادلاً فنياً لقوى الاستعمار.

وبذلك، يشكّل قمييز شخصية تراجيدية بامتياز؛ يسعى إلى السيطرة والخلود، لكن ضعفه الإنساني وخياراته الخاطئة تقوده إلى الانكسار، مجسداً رؤية شوقي عن حتمية سقوط الطغيان مهما علا شأنه.

6. إيزيس وأوزوريس (مسرحية مصرع كليوباترا) استدعى شوقي في مسرحية (مصرع كليوباترا)، رمزية الآلهة المصرية القديمة إيزيس وأوزوريس، وأشار إليها إشارة رمزية؛ وذلك لإبراز ارتباط المصريين بتراثهم العريق، حيث ترمز إلى الخلود والبعث، وربط الحاضر بالماضي المجيد.

تمثل إيزيس في المسرحية شخصية رمزية وروحية أكثر من كونها شخصية تاريخية واقعية، فهي تجسد القوة الإلهية والحكمة الإلهية في مواجهة الفوضى والصراع البشري. تعكس تصرفاتها الحكمة العليا والقدرة على توجيه الروحي والسياسي في آن واحد، إذ تتدخل لتوازن القوى وتحمي المبادئ الأخلاقية بين الشخصيات التاريخية، بما في ذلك كليوباترا. وتتميز إيزيس بالسمو الأخلاقي والروحاني، فهي شخصية تتجاوز النزعات الدنيوية، وتقدم حلاً أخلاقياً للمعضلات التي يواجهها البشر. والقدرة على التأثير والإلهام، فتتصرف بوعي استراتيجي، وتؤثر في الشخصيات المحيطة بها دون استخدام القوة الجسدية، ما يجعلها مرجعاً للحكمة والمثال الأعلى. والتوازن بين القوة والرحمة، إذ تمثل القدرة على توجيه الحدث التاريخي دون أن تكون متسلطة، ما

يبرز الدور الرمزي للقيم الروحية في السياسة والحياة العامة. وإيزيس، بهذا المعنى، لا تشارك مباشرة في النزاعات المادية، لكنها تبرز البعد الأخلاقي والإنساني للصراع، وتكشف عن مسؤولية الفرد والجماعة أمام التاريخ.

أما شخصية أوزوريس، فيمثل رمز النظام والعدالة الإلهية، ويجسد أيضاً الاستقرار السياسي والفكري الذي يسعى الإنسان لتحقيقه وسط فوضى الأحداث. تظهر شخصيته على نحو متزن ومعتدل، ويعكس شوقي من خلاله فكرة أن السلطة ينبغي أن تكون مسؤولة ومبنية على العدالة وليس على الاستبداد أو الطمع. وتتميز شخصية أوزوريس بالاعتدال والحكمة فيتصرف بما يتوافق مع القانون والعدل، ويقدم نموذجاً للقيادة الرشيدة. والمسؤولية الأخلاقية، أي يمثل الضمير الأخلاقي الذي يراقب أحداث المسرحية وقيس تصرفات البشر وفق القيم الإنسانية العليا. والثبات في مواجهة الفوضى، فبينما ينهار بعض الشخصيات تحت وطأة النزاعات والطموحات الشخصية، يظل أوزوريس رمزاً للاستقرار والنظام.

وتتسم العلاقة بين إيزيس وأوزوريس بالتكامل الرمزي؛ فإيزيس تمثل البعد الروحي والحكمة الإلهية، بينما يمثل أوزوريس البعد القانوني والعدالة المطلقة. معاً، يشكلان معادلاً أخلاقياً ورمزياً للصراع التاريخي، ويقدمان نموذجاً لفكرة التربية التي يؤكد عليها شوقي: أن القوة الحقيقية لا تكمن في الجيوش أو السلطة المطلقة، بل في العدالة والحكمة والرحمة. باختصار، تمثل إيزيس وأوزوريس في "كليوباترا" رمزين متكاملين: إيزيس للحكمة والروح، وأوزوريس للعدالة والنظام، مما يجعل المسرحية أكثر عمقاً على الصعيد الأخلاقي والفلسفي، ويؤكد على قدرة شوقي على توظيف الشخصيات الإلهية لتسليط الضوء على القيم الإنسانية في التاريخ.

الخاتمة:

1. أحمد شوقي ترك إرثاً أدبياً غنياً، ويعّد واحداً من أعظم الشعراء في تاريخ الأدب العربي، يدرس شعره في المدارس والجامعات، ولا يزال يحتفى به رائداً من رواد أعمدة الشعر العربي الحديث.

2. كان أحمد شوقي بارعاً في توظيف الشخصيات التاريخية في أعماله الشعرية والمسرحية؛ لإبراز القيم الإنسانية والوطنية. فاستخدم شوقي الشخصيات التاريخية رموزاً للتعبير عن قضايا مجتمعية وسياسية وأخلاقية.

3. تناول أحمد شوقي الشخصيات الدينية في أعماله الشعرية بأسلوب يعكس احترامه العميق للتاريخ الإسلامي وقيمه الروحية. ووظف هذه الشخصيات، لتسليط الضوء على القيم الأخلاقية والرسائل الإنسانية. وأبرز في شعره صفات الرحمة، والعدالة، والحكمة، وأثر الرسالة الإسلامية في تغيير العالم.

4. من خلال تناوله للشخصيات الدينية، سعى أحمد شوقي إلى تقديم أمثلة سامية للأخلاق والروحانية، مستلهما القيم الدينية لتعزيز الوحدة والنهضة الأخلاقية بين الشعوب.

5. استلهم شوقي من الشخصيات والأساطير القديمة، سواء من التراث العربي أو العالمي، لتقديم معان رمزية وإبداعية تعكس قضايا اجتماعية وإنسانية. وكان استخدامه لهذا النوع من الشخصيات لإضافة طابع رمزي وأخلاقي لأعماله، مع توظيفها في سياقات تجمع بين الحكمة والخيال، مما يعكس تأثره بالثقافات المختلفة وانفتاحه على توظيف عناصر خيالية لخدمة القضايا الواقعية.

6. أظهر شوقي من خلال توظيفه لهذه الشخصيات وعياً تاريخياً وثقافياً متقدماً، إذ استحضر العظماء من السلف ليجعلهم قدوة للأجيال، مستلهماً من مواقفهم ومبادئهم دروساً في الشجاعة، والعدل، والانتماء، والعزة الوطنية. كما أن هذا التوظيف لم يكن معزولاً عن أهدافه الشعرية، بل خدم غاياته التربوية والوطنية والاجتماعية.

7. وقد بين التحليل أن أحمد شوقي استطاع أن يوائم بين صدق الانتماء للماضي، والتفاعل مع قضايا الحاضر، فصاغ من الشخصيات التاريخية نماذج شعرية خالدة تجاوزت حدود الزمن، لتبقى حاضرة في الوجدان العربي، محفزة على الوعي، والاعتزاز، والعمل من أجل المستقبل.

المصادر والمراجع

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا. (1979). معجم مقاييس اللغة (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1994). لسان العرب (ط3). بيروت: دار صادر.

الأردني، محمد بن الحسن بن دريد. (1344هـ). جمهرة اللغة. حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (د.ت). تهذيب اللغة. القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب. (تحقيق: عبد السلام سرحان، راجعه: محمد علي النجار).
أسبر، محمد سعيد. وجنيد، بلال. (1981). المعجم الشامل في علوم العربية ومصطلحاتها (ط1)، بيروت: دار العودة.

الأنصاري، حسان بن ثابت. (د.ت). ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر.
البقاعي، يوسف الشيخ محمد. (2005). الشوقيات. (راجعه وضبطه). بيروت: دار الكتاب العربي.
البوصيري، (1973). ديوان البوصيري (تحقيق: محمد سيد كيلاني). القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، ط.3

الحبابي، عزيز. (1986). من الكائن إلى الشخصية: دراسات في الشخصيات الواقعية. مصر: دار المعارف، ط.2
الحتي، حنا نصر. (2004). ديوان كعب بن زهير (مقدمة، هوامش وفهارس). بيروت: دار الكتاب العربي.

حمدان. عبد الرحيم. (2006- 2007). استدعاء الشخصيات الوطنية والجهادية والتراثية في ديوان حديث النفس للشاعر عبد العزيز الرنتيسي. مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 15، العدد 1.
الحمداني، سالم أحمد. وأحمد. فائق مصطفى. (1987). الأدب العربي الحديث. جامعة الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر.

الدسوقي، عمر. (1967). في الأدب الحديث، عمر الدسوقي (ط6). دار الكتاب العربي.
زايد، علي عشري. (1997). استدعاء الشخصيات التراثية. القاهرة: دار الفكر العربي.
الزركلي، خير الدين. (1969). الأعلام: قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء والمستعربين والمستشرقين (ط3).

السويكت، عبدالله بن خليفة بن دخيل. (2008). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر السعودي من عام 1351هـ إلى نهاية 1426هـ. (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي)، بإشراف الدكتور حسين علي محمد، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية بالرياض، كلية اللغة العربية، قسم الأدب.

السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر. (1952). تاريخ الخلفاء (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد). بغداد: مطبعة منير، ط. 1
الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1966م.

- شوقي، أحمد. (1981). دول العرب وعظماء الإسلام. بيروت: دار العودة.
- ضيف، شوقي. (د.ت). الأدب العربي المعاصر في مصر. دار المعارف مصر، ط. 3
- ضيف، شوقي. (د.ت). شوقي شاعر العصر الحديث، مصر، القاهرة: دار المعارف، مصر.
- العش، يوسف. (1996). تاريخ عصر الخلافة العباسية (راجع ونقحه الدكتور محمد أبو الفرج العش). بيروت: دار الفكر المعاصر، بيروت.
- عطوات، محمد عبد الله. (2004). أحمد شوقي أمير الشعراء. بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع.
- علي، سيد أمير. (1990). مختصر تاريخ العرب (ط5)، نقله إلى العربية: عفيف البعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين.
- عوض الله، الشيخ الأمين. (1990). الخلفاء الراشدون (ط3). الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
- العين، خليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1982م.
- فاخوري، حنا. (2003). الجامع في تاريخ الأدب العربي (ط2)، مطبعة شريعة.
- فروخ، عمر. (1984) تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين، ط. 4
- فهمي، ماهر حسن. (1953). شوقي في شعره الإسلامي (ط2). القاهرة: دار المعارف.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (د.ت). القاموس المحيط، بيروت: دار الفكر.
- قباني، محمد. (2006). الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط (ط1)، دمشق: دار وحي القلم.
- القرشي، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير. (2003). البداية والنهاية. (خرج أحاديثه: أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عبادي بن الحليم). القاهرة: مكتبة الصفاء، ط. 1
- مبارك، زكي عبد السلام. (1968). الموازنة بين الشعراء (ط2). القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
- مجاهد، أحمد. (1998). أشكال التناس. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مكنا، محمد عيسى. (2002). الصورة الفنية في شعر رواد الرابطة القلمية (رسالة دكتوراه). دمشق.
- اليقوي، أحمد بن إسحق بن جعفر بن وهب ابن واضح. (2002). تاريخ اليعقوبي (علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور). بيروت: دار الكتب العلمية، ط. 2

صورة الغرب في "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز" لمازن مطبّقاني - دراسة في ضوء النقد الثقافي -

الباحثة: فاطمة أحمد الشاردي.

طالبة دكتوراه بجامعة الملك خالد السعودية

fatmhalshardy7@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/10/15 تاريخ قبول البحث 2025/11/4

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.259>

ملخص:

يسعى هذا البحث لتسليط الضوء على "الغرب" في خطاب الرحالة السعودي مازن مطبّقاني من خلال كتابه "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز"، باستخدام منهج النقد الثقافي، مع التركيز على الأنساق المضمرّة التي أسهمت في تشكيل صورة المجتمع الغربي في كتابه. كانت أبرز النتائج التي توصّل إليها البحث؛ أنّ بعض الصور التي نقلها الرحالة قد تأثرت بتصوّراته الثقافية السابقة التي أسهمت في تشكيل رؤيته عن الآخر، وأنّ الأنساق المضمرّة في "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز" تمثّل اعترافات غير مُعلنة تكشف عن تحيّزات ثقافية واجتماعية خفيّة، وتعكس مواقف مكتومة وأفكاراً ضمنية ظهرت من خلال التفاصيل والرموز من دون التّصريح المباشر بها، فضلاً عن أنّ كتب الرحلات - مثل "رحلة مازن مطبّقاني" - تكشف عن القيم الثقافيّة المخفيّة التي تحكم تصوّرات الرحالة وتسهم في فهم أسباب الخلاف بين الأنا والآخر.

الكلمات المفتاحية: صورة الغرب-أدب الرحلات السعودي-النقد الثقافي- الأنساق المضمرّة-صورة الآخر.

The Image of the West in "My Journeys to the Land of the English" by Mazin Mutabagani: A Study in Light of Cultural Criticism

Fatima Ahmed Al-Shardi

PhD student at King Khalid University, Saudi Arabia

Abstract:

This study aims to shed light on the "West" in the discourse of the Saudi traveler Mazin Mutabagani through his book *My Journeys to the Land of the English*, using the method of cultural criticism, with a focus on the implicit patterns that contributed to shaping the image of Western society in his book. The most prominent findings of the study are that some of the images conveyed by the traveler were influenced by his prior cultural perceptions, which contributed to shaping his view of the "Other." The implicit patterns in *My Journeys to the Land of the English* represent unspoken confessions that reveal hidden cultural and social biases, and reflect suppressed attitudes and implicit ideas that emerged through details and symbols without being directly stated. Furthermore, travel literature—such as Mazin Mutabagani's journey—reveals the hidden cultural values that shape the traveler's perceptions and contributes to understanding the reasons behind the conflict between the self and the other. .

Keywords: image of the West, Saudi travel literature, cultural criticism, implicit patterns, image of the other.

مقدمة:

لم يكتفِ الأدباءُ عبر التَّاريخ بكتابة الملاحم والقصائد والقصص، بل اتَّجهوا نحو التَّعبير عن تجاربهم الحقيقيَّة التي عاشوها واقعًا؛ فقدَّموا بعض حياتهم عن طريق جنس "السَّيرة الدَّائِيَّة"، وقدَّموا بعض رحلاتهم من خلال "أدب الرِّحلة" الذي يُعنى بعرض الكاتب لبعض تفاصيل رحلته من خلال طريقة عرض خاصَّة، وتنوَّعت

وتعددت اتجاهاته فيها، ولكون أكثرها رحلاتٍ تتجه إلى الآخر المختلف ولما يكمن فيها من رؤية ثقافية تجسدت بين الرّفْض والقَبُول رأت الباحثة أن تكون رحلة السّعودي مازن مطبّقاني مجالاً للدراسة؛ إذ تُعدُّ واحدةً من المدوّنات الأدبيّة التي تسلّط الصّوّء على تصوير الغرب في الوعي العربي؛ إذ يستعرض من خلال تجاربه الشخصيّة انطباعاته عن المجتمع والثّقافة الغربيّة؛ ممّا يفتح المجال أمام دراسة عميقة حول كميّة تشكيل هذه الصّورة وتأثير ثقافة الرّحالة عليها؛ ولأهميّة هذه الوظيفة تسعى هذه الدّراسة إلى تحليل المجتمع الغربي كما ظهر في نصوص مازن مطبّقاني - من خلال منظور النّقد الثّقافي - لاستجلاء صوره كما وصفه الرّحالة، وأثر الأنساق الثّقافيّة العربيّة في تشكيل هذه الصّورة. والصّورة في العنوان لا تعني الاتّجاه نحو الصّورة الفنيّة بلاغيّاً أو نقديّاً، بل تتّجه نحو إعطاء فكرة واضحة عن طبيعة التّناول؛ ومن ثمّ يتّجه البحثُ نحو الأنساق الثّقافية الكامنة خلف تشكّلاتها الظّاهرة.

تستند أسباب اختيار هذا الموضوع إلى الرّغبة في كشف الأنساق الثّقافية التي أسهمت في تقديم المجتمع الغربي عند الرّحالة السّعودي مازن مطبّقاني، وتقديم رؤية علمية عن هذا التّناول تُسهّم في الإجابة عمّا يُنهم به العربُ أحياناً من رفض الآخر المختلف، وتوظيف آليّات النّقد الثّقافي في البحث عن الإجابة التي قد تكشف خفايا النّسق.

وتتمثل مشكلة الدّراسة في السّؤال عن أثر الأنساق الثّقافية في رسم صور الغرب الحاضرة في رحلة مازن مطبّقاني إلى بلاد الإنجليز، آخذين بعين التّأمّل سياقات الاختلافات الثّقافية بين الرّحالة والدّول المرّتحل إليها، وهي دُولٌ مختلفةٌ في لغتها وثقافتها وطبيعتها أهلها.

تسعى الدّراسة إلى: التّعرّف على أهمّ الصّور التي قدّمت الغرب في كتاب "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز"، والكشف عن تأثير الأنساق الثّقافيّة في رسم صورة الغرب في رحلة مازن مطبّقاني، وكذلك تقديم تصوّر موضوعيّ عن رؤية الرّحالة السّعودي للآخر الغربي التي تناولها في رحلاته.

أما منهج الدراسة فستتخذ هذه الدراسة من "النقد الثقافي" منهجاً لها لكونه منهجاً يتجاوز الأنساق البلاغية والجمالية إلى الأنساق الثقافية المضمرة.

وفي إطار الدراسات السابقة تبين أنه لا توجد دراسة مستقلة تناولت "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز" من منظور النقد الثقافي، على الرغم من أن بعض الدراسات قد تناولت الرحلة على وجه العموم. ومن بين هذه الدراسات:

- أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، لعبد الله حامد، نادي أبها الأدبي، أبها، ط1، 2014م.

ركزت هذه الدراسة على أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية؛ ففي الفصل الأول تناولت مضامين أدب الرحلة التي انقسمت إلى أربعة مباحث هي: الحس الإسلامي، والحنين إلى الوطن، ووسائل الرحلة، والرؤى النقدية كنفذ الذات ونقد الآخر، وفي الفصل الثاني دراسة فنية لهذه الرحلات، وفي الفصل الثالث دراسة لبعض خصائص أدباء الرحلة.

- صورة الشخصية في أدب الرحلات العلمية بالمملكة العربية السعودية في ضوء النقد الثقافي، لفاطمة الشاردي، جامعة الملك خالد، أبها، 2024م.

تناولت هذه الدراسة بالبحث تمظهرات صورة الشخصية في الرحلات العلمية السعودية من خلال تحليل الصور الخارجية والداخلية للشخصيات وأثر الأنساق الثقافية في تشكيلها.

- العلاقات الحضارية بين الذات والآخر في رحلة الرازي بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي، للدكتور عبد الحق بلقيدم، جامعة باجي مختار، مجلة كفاية للغة والأدب، مخبر الأدب العام والمقارن، عناية (الجزائر)، المجلد 01، العدد 01، تاريخ النشر: 30/06/2021، ص50-68.

تناولت هذه الدراسة بالبحث الرحالة ابن يونة اليهودي، ثم قدمت مسار رحلته التي كان هدفها الاطلاع على أحوال اليهود في العالم وإحصاءهم، وعلى سياقها التاريخي، وارتباطها بعرض الذات اليهودية التي كشف فيها عن أحوال اليهود في العالم؛ فالذات

لديه تَمَثَّلَتْ في اليهودية، أمَّا الآخرُ فقد تَمَثَّلَ في الصُّورة الدِّينية وغير الدِّينية من منظور اليهود.

وكل هذه الدراسات لا تتقاطع مع موضوع بحثي؛ إلا دراسة "صورة الشخصية في أدب الرحلات العلمية بالمملكة العربية السعودية" وهي تتقاطع مع دراستي في تأثير الأنساق الثقافية على تشكيل الصورة لكنها تختلف بأنها تركز على الشخصيات بينما دراستي تركز على المجتمع الغربي، كما أن دراستي تركز على مُدَوَّنة رحلية واحدة، في حين ركّزت هذه الدِّراسة السابقة على مجموعة من الرحلات العلمية.

التمهيد

أولاً- التعريف بالصورة:

يَمَكِّنُ تعريفُ الصُّورة لغةً بأنها: الشَّكْلُ، وتأتي بمعنى النُّوع والصِّفة، وترد في كلام العرب - على ظاهرها - بمعنى هيئة الشيء وحقيقته⁽¹⁾، وتكتسب الصُّورة أهميَّتها من قُدْرَتها على جذب الانتباه "حين تَقْرُضُ بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تَعْرِضُه، وفي الطَّرِيقَة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثَّرُ به"⁽²⁾، وفي هذا السِّياق لا تقتصر الصُّورة على تصوير الغرب فحسب، بل تعكس أيضاً ما يختلج في ذات السَّارد؛ إذ تَكْشِفُ عن فضائه الإيديولوجي والفكري والثقافي من خلال تَمَثُّلات تلك الصُّور التي تعكس ما يختلج في خيال السَّارد من تمظهرات وتساؤلات وأفكار يطلقها عبر إبداعه السَّردي⁽³⁾.

وتشير معادلةٌ أخرى إلى أنَّ الصُّورة تساوي تَجَرِبَة مَعِيشَة؛ أي إنَّنا حين نَعُثِرُ على صورة نَعُثِرُ على تَجَرِبَة مَعِيشَة حقاً⁽⁴⁾؛ أي إنَّ الصُّورة في هذه الرحلة تتيح لنا الوصولَ إلى تَجَرِبَة حَقِيقِيَّة عاشها الرِّحَّال.

(1) ينظر: معجم متن اللغة: 541.

(2) الصُّورة الغنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: 327-328.

(3) ينظر: صورة الشَّخصية في أدب الرحلات العلمية بالمملكة العربية السعودية في ضوء النقد الثقافي: 25.

(4) ينظر: مقدمة لدراسة الصُّورة الفنية: 73.

ثانياً - التعريف برحلة مازن مطبّقاني:

قبل التّعريف برحلة مازن مطبّقاني يجب التّطرّق إلى التعريف بأدب الرحلة؛ فلقد اهتمّ الكثير من النّقّاد بدراسته، محاولين وضع تعريفاتٍ له بُغية الكشف عن ملامحه. ومن هذه التعريفات أنّه: "الكتبُ الرحلية أو المقالات المتّصلة التي سجّل فيها أصحابُها مشاهداتهم وحوادثهم ورؤاهم الرحلية - على اختلافها وتنوّعها- من خلال شعورهم بها ورؤيتهم لها، في لغةٍ أدبيةٍ مُوحية"⁽¹⁾، وترتكز كتاباتُ الرّحّالة على التدوين الذي يُعنى بوصف السّفر إلى أماكنٍ مختلفةٍ، مع تسليط الضّوء على الأماكن التي مرّ بها الرّحّالة، وجوانب الحياة في تلك المناطق كالمأكل والملبس والنّوم والزّهات والدّروس، وكذلك وصفُ المجتمعات وعاداتها بما فيها من حسنات وسيئات، مع الحرص على تسجيل انطباعات الرّحّالة وآرائه أثناء مُقامه هناك⁽²⁾.

ويعدّ كتاب "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز" للباحث مازن مطبّقاني أحد أهمّ هذه الكتب؛ فقد زار بريطانيا في عام 2007م بوصفه باحثاً شرفياً في معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إكستر، وقَدّم دراسةً مُعمّقةً تقدّم رؤيةً شاملةً عن الجوانب الاجتماعية في المجتمع الإنجليزي. كما يستعرض الكتاب الكثير من القضايا الاجتماعية والصحيّة التي يعاني منها المجتمع الإنجليزي، مستنداً إلى الإعلام المحليّ مثل الصّحافة والتلفزيون. ويتناول تأملاتِ الكاتب المستوحاة من تجرّبه الشخصية ومُعايشته لواقع الحياة في بريطانيا؛ الأمر الذي يُسهم في إثراء فهمه للمجتمع الإنجليزي وتقديم صورة نقدية له.

ثالثاً - مفهوم النقد الثقافي:

منذ خلق الإنسان والمكان جزءٌ حي من تكوينه يتأثّر به ويتأمله فيختزن صورته، ويغدو في ذهنه مخزوناً ثقافياً يتأثّر به تبعاً لهذا المكان، وتصبح علاقته بالمكان ذات دلالةٍ أعمق حينما يتحوّل هذا المخزون إلى صورة من صور التّعبير التي تشكّل جزءاً

(1) أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية: 8-9.

(2) ينظر: نشأة النثر الحديث وتطوّره: 30.

حيًا من سيرته الذاتية⁽¹⁾، وبالمثل يتأثر به الكاتب بوصفه ابنَ المكان، ويظهر تأثره من خلال نصّه عبر جُمْلٍ ثقافية تحمل دلالاتٍ نسقيةً، وتحتاج إلى أدواتٍ نقدية لاستخراج هذه الدلالات وفهم المخزون الثقافي المركّب والمعقّد⁽²⁾ الذي رسّخ في ذهنه عبر الزمن، وظهر في صورةٍ واعية أو غير واعية في الخطاب.

ومن هنا تبدأ وظيفة النقد لثقافي الذي يهتم باستخراج هذا المخزون من خلال آلياته الإجرائية؛ والنقد الثقافي كما عرفه الغدامي: "فرعٌ من فروع النقد النصّوصي العام؛ ومن ثمّ هو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية المعنيّة بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكلّ تجلياته وأنماطه وصيغته عن ثقافة المكان؛ ممّا هو غير رسمي وغير مؤسّساتي وما هو كذلك سواءً بسواء"⁽³⁾؛ إذ يُعدّ النقد الثقافي الأداة التي تكشف عن ثقافة المكان من خلال نصّ المبدع باعتباره نشاطًا فكريًا يُعنى بالثقافة موضوعًا لبحثه وتفكيره⁽⁴⁾.

ومن أهمّ محاور النقد الثقافي: النّسق المضمّر؛ فهو مفهومٌ مركزي في النقد الثقافي، إذ تشير الثقافة إلى امتلاكها لأنساقٍ خاصّة بها؛ وهي أنساقٌ مهيمنة تتخفّى وراء أقنعة سميكة. ومن أهمّ هذه الأقنعة وأخطرها قناعُ الجمالية الذي يُستخدم في الخطاب البلاغي الجمالي، ويخفي وراءه معاني أخرى غير الجمالية، وتُعتبر الجمالية أداةً لتسويق هذا المخبوء وتمريضه⁽⁵⁾.

ومن خلال هذه الأقنعة ظلّ النّسق المضمّر غيرَ مكشوف وغيرَ منقود بسبب اعتماده على الجمالي الأدبي؛ الأمر الذي جعل النقد الأدبي ينشغل بمعالجة شروط الجمالية وعيوبها دون النّظر إلى الأنساق المضمّرة⁽⁶⁾؛ لذا يُعدّ هذا النّسق جوهريًا في تحليل

(1) ينظر: أنساق من النقد الثقافي في شعر الشنفرى: 284.

(2) ينظر: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: 14.

(3) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية: 38-84.

(4) ينظر: دليل الناقد الأدبي: 305.

(5) ينظر: نقد ثقافي أم نقد أدبي: 30.

(6) ينظر: المرجع السابق: 31.

النُصوص النَّقدية؛ إذ يتسلَّل إلى باطن النصِّ بطريقة غير ملحوظة، ناقضًا منطق النصِّ ذاته ودلالاته الإبداعية؛ سواءً كانت صريحةً أو ضمنيةً. وهذه هي آليَّة تأثير الثقافة التي تتغلغل عبر المستهلك الإبداعي والحضاري بطريقة غير مرئية تستدعي الكشف عنها والتعريف هـ

المبحث الأول: أنواع الصور في رحلة مازن مطبقاني

المطلب الأول: الصورة الإيجابية

في هذا المطلب تتناول الباحثة الصورة الإيجابية للمجتمع الغربي كما قدَّما الرحَّالة مازن مطبقاني، التي ظهرت بوضوح من خلال منظوره الشَّخصي؛ إذ يمكن جعل الصورة السَّردية بمثابة انعكاسٍ أو تماثل للواقع الثقافي والاجتماعي؛ سواءً كان هذا الواقع مُفعماً بالتَّجربة المباشرة أو مُتأثراً بالخيال والتَّصورات الفردية⁽¹⁾؛ وعليه فإنَّ واقع الرحَّالة نفسه - بما يتضمَّن من تجارب ومُعاشاتٍ مباشرة - يؤدِّي أثرًا حاسماً في تشكيل هذه الصورة الإيجابية؛ إذ يسهم في نقل انطباعاته عن المجتمع الغربي بصفاته وأبعاده المختلفة، كما يسهم تأثير البيئة الثقافية والظُّروف المحيطة التي عاشها الرحَّالة في تكوين رؤية متوازنة ومُفصَّلة حول هذه الصورة.

_ الرعاية الصحية

إحدى السِّمات التي أثارت إعجاب الرحَّالة مازن مطبقاني في المجتمع الغربي تقديم الرعاية الصحيَّة المجَّانية؛ خاصَّةً في بريطانيا؛ فيصف كيف أنَّه حين احتاج إلى دواءٍ بناءً على وصفةٍ طبيَّة لم يُسأل عمَّا إذا كان من مواطني البلد أو عن جنسيَّته، بل كان العلاجُ متاحاً للجميع بغضِّ النَّظر عن الأصل أو الجنسية، وحين لم يكن الدَّواءُ متوفِّراً في الصيدلية أُعْلِمَ بأنَّه يُمكنه العُودة في اليوم التَّالي لتسلُّمه، من دون الحاجة إلى إظهار هُويَّته لتأكيد استحقاقه للدَّواء، بل فقط العنوان⁽²⁾.

(1) ينظر: صورة الرَّجُل في المتخيل النَّسوي في الرواية الخليجية: 10.

(2) ينظر: رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 66-67.

وفي سياقٍ آخرٍ يعبر عن إعجابه بالاهتمام الذي أبدته الموظفة في العيادة؛ إذ قدّمت له ولطفله خدماتٍ ودعماً حميمياً؛ فقد أرسلت إشعاراً بموعدٍ مع عيادة الأطفال، وخصّصت لهما أدوات رسمٍ وألعابٍ لإبقاء الطفل مشغولاً في أثناء انتظار الفحص، دون إجباره على إجراء فحوصاتٍ قد تكون مُزعجةً للأطفال⁽¹⁾. كما أبدى إعجابه ببرامج الرعاية المجانية للأطفال؛ مثل دروس السباحة المجانية للأطفال من دون سنّ الثانية عشرة التي تعكس اهتمام المجتمع الغربي بالعناية والرعاية الصحية الشاملة للأطفال؛ الأمر الذي دفعه للتساؤل حول إمكانية تطبيق مثل هذه الأنظمة في بلاده، مؤكداً أنّ الأمانة في تقديم العلاج دون استغلالٍ للموارد تظل شرطاً أساسياً لتحقيق ذلك⁽²⁾.

وترى الباحثة أنّه في الوقت الراهن صارت وزارة الصحة في الكثير من الدُول - ومنها المملكة العربية السعودية - تُقدّم دعماً صحياً مُماثلاً لما وصفه الرحّالة مازن مطبّقاني في رحلته إلى الغرب؛ إذ تُوفّر الرعاية الصحية المجانية أو المدعومة دعماً كبيراً للفئات المختلفة من المجتمع؛ سواءً من خلال المراكز الصحية الحكومية أو برامج التأمين الصحي الوطني. كما شهدت هذه الأنظمة تحسّناً ملحوظاً في تقديم الخدمات الصحية للأطفال والشباب عن طريق توفير الرعاية الوقائية والعلاجية بما يتماشى مع التطوّرات الصحية العالمية.

ـ الواقع الديني

أبدى الرحّالة مازن مطبّقاني إعجابه ببعض جوانب الواقع الديني في الغرب، وهو ما يتناقض مع توقّعاته المبدئية التي كانت مشوبةً بنظرةٍ سلبية تُجاه ابتعاد المجتمعات الغربية عن الدين. فقد لاحظ حرص النساء الإنجليزيات على تعلّم القرآن الكريم فقال: "كان للنساء درسٌ في قراءة القرآن وتفسيره كلّ يومٍ سبت، وقد حضرتُ بعض النساء الإنجليزيات اللّاتي أسلمن؛ فتعجّبتُ من حرصهنّ على تعلّم القرآن على الرّغم من

(1) ينظر: رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 67.

(2) ينظر: المصدر السابق: 68.

صُعوبة ذلك بالنسبة لبعضهن⁽¹⁾، هذا المشهد أثار إعجابه الشديد؛ خاصة في ظلّ تجسيد التزامهنّ الديني وحبّهنّ للمشاركة في الأنشطة الدينية. وفي سياقٍ مشابه عبّر عن إعجابه بالممارسات الدينية في المجتمع الغربي في خلال مؤتمر حضره في الولايات المتحدة؛ إذ أشار إلى "التوقّف لصلاة الجمعة" في أثناء المؤتمر، وهو أمرٌ لم يحدث في بعض المؤتمرات السابقة التي حضرها في العالم العربي؛ خاصة في القاهرة. وعلّق قائلاً: "في المؤتمر الأمريكي معظم المشاركين ذهبوا لأداء الصلاة في حين في المؤتمر بالقاهرة لم يتوقّف المؤتمر للصلاة، وقليلٌ من ذهب لأداء صلاة الجمعة"⁽²⁾. هذه الملاحظة تعكس صورةً إيجابيةً عن احترام الغرب للممارسات الدينية بخلاف التوقّعات التي قد تكون سلبيةً بناءً على التصورات السابقة المختزلة في ذهن الرحّالة.

التعلم المستمر

برزت الصورة الإيجابية هنا في إعجاب الرحّالة مازن مطبقاني بمثابرة رجلٍ إنجليزي تجاوز عُمره الستين عامًا حيث حصل على درجة الماجستير الثامنة. يقول الرحّالة: "إنجليزيّ عُمره اثنان وستون سنةً يحصل على درجة الماجستير الثامنة؛ فقد كان يعمل في وظيفة أمين مكتبة قبل عشر سنوات عندما حصل على درجة الماجستير الثانية، ولكنّه عندما علم أنّ سجينًا حصل على ستّ درجات ماجستير في ثلاث عشرة سنةً قرّر أن يتحدّى ذلك بعدد الشّهادات فشرّع في الحصول عليها"⁽³⁾. وعلى الرّغم من أنّ الرحّالة يلفت النّظر إلى أنّ العبرة ليست في الشّهادات نفسها بل في الإصرار على الدراسة فإنّ ما أثار إعجابه أنّ هذا الرّجل لم يُعيّد بعمره، وتحدّى سنّه للحصول على تلك الشّهادات.

يتساءل الرحّالة مازن مطبقاني عن ثقافة بعض البلدان التي تمنع الأفراد الذين تجاوزوا سنّ الأربعين من الالتحاق بالدراسات العليا، ويرى ذلك تعسفيةً في حقّهم؛ لذا يقول:

(1) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 185.

(2) المصدر السابق: 216-217.

(3) المصدر السابق: 142-143.

"في بعض البلاد التي تُقدِّم الدولة أو الجامعات الرسمية الحكومية فيها الدِّراسات العُليا تمنع مَنْ تَجاوَز الأربعين من الالتحاق بالدِّراسات العُليا؛ وكأنَّ العملية لديهم ماديَّةٌ بُحتة. فنحن لا نُنفق على شخص لن يكون مُنتجاً أو نُفيد منه في التدريس ما دام التعليم مجَّانيًّا، وهكذا يجب أن يكون؛ فلماذا يُحرَم مَنْ تجاوز الأربعين الحقَّ في الدراسة؟"⁽¹⁾.

وترى الباحثة أنَّ الصُّورة التي نقلها الرَّحالة عن الغرب تُعطي مثلاً لثقافة التعليم المستمرَّ والإصرار على التَّعلُّم بغضِّ النَّظر عن العُمر. وفي الوقت الرَّاهن لم تعد هناك أيُّ قيود على العُمر في برامج الدِّراسات العُليا في الكثير من الدُّول ومنها المملكة العربية السعودية؛ إذ يمكن للأفراد فوق سنِّ الأربعين الالتحاق بالدراسات العُليا، ومُتابعه تعليمهم وفقاً لبرامج أكاديمية مرنة، بل وحتى في مراحل التعليم المدرسي إذ تميل الأنظمة التعليمية إلى تقديم فرص تعليمية للجميع مدعومة من الدولة ووزارة التعليم.

المطلب الثاني: الصورة السلبية

في هذا الجزء تتناول الباحثة الصُّورة السَّلبية التي تمثِّل الجانب المعاكس للصُّورة الإيجابية التي نُوقشت سابقاً، وتستعرض هذه الصُّورة السَّلبية كما تجلَّت في رؤى الرَّحالة مازن مطبَّقاني من خلال انطباعاته وانتقاداته التي شكَّلت رؤيته السَّلبية للمجتمع الغربي، وتُحلِّلها تحليلاً مُفصَّلاً في هذا السِّياق.

_ العمر وقلة الفاعلية

العملُ نشاطٌ لا يتقيَّد بعُمر أو رقم محدَّد، إلَّا أنَّ هذه الفكرة تتناقض مع بعض النُّصُورات الثقافية التي توطِّر العمل في مراحل مُعيَّنة من الحياة. وفي هذا السِّياق يُبرز الرَّحالة مازن مطبَّقاني مثلاً لصُورٍ سلبية تتشكَّل لدى الأفراد بناءً على خلفيات ثقافية مُعيَّنة؛ فيصف في إحدى مُشاهداته رجلاً مُسنّاً يبيع الصُّحف على رغم تقدُّمه في العُمر، وهذا ممَّا أثار استغرابه فقال: لفت انتباهي في المقهى بائع الصُّحف الذي

(1) ينظر: رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 142-143.

يبيع صحيفة الإيفنجج استاندرد وهو عجوزٌ تسعون في المائة من شعره الأبيض... بائع الصحف هذا يستخدم حاملاً مُتَجَرِّكاً، وعلى الحامل عمودٌ يرتفع قليلاً عن قامة الرجل بنصف متر وعليه اسمُ الصحيفة.. لماذا يبيع الرجلُ الصحف وقد بلغ من العمر عتياً؟ ما دخله من بيع الصحف؟ هل هو متقاعدٌ واختار أن يشغل وقت فراغه بهذا العمل، أو أنه يعمل في هذه المهنة من بداية حياته حتى الآن؟ هل هو متعلّم أو أن تعليمه محدودٌ اضطرّه إلى العمل في هذه المهنة⁽¹⁾.

تُمثّل هذه الصورة التي كوّنها الرحّالة جزءاً من تصوّره عن المتقاعد؛ بسبب ربط التقدّم في العمر بقلّة الفاعلية أو تقليص الأدوار الاجتماعية. وهذه الرّؤية تتناقض مع الصورة الإيجابية حين أبدى إعجابه بشخصٍ تجاوز السّتين من عُمره وما زال يواصل تحصيل شهادات الماجستير؛ الأمر الذي يعكس تصوّراً أكثر مرونة تجاه العمر والعمل في الثقافات الغربية.

ومع ذلك يعكس الرحّالة في مكانٍ آخر صورةً سلبيةً أخرى للمتقاعد العربي بناءً على معاشته الشخصية في محيطه الثقافي، حيث يقول: "أما إن جلس المتقاعد في البيت فأبرز ما يفعله أنه يتدخل في شؤون البيت: لماذا قطع الأثاث هذه هنا وليست هناك؟ لماذا تطبخين بهذه الطريقة وليست بتلك... أنت امرأةٌ مسرفة، كمية الزيت في الطبخ أكثر من اللازم، أو كمية الصابون الذي وضعته الزوجة في الغسالة أكثر أو أقل"⁽²⁾. هذه الصورة النمطية عن المتقاعد ترتبط بالمعتقدات الثقافية الراسخة في ذهن الرحّالة، وتتحدّد بناءً على تجاربه الشخصية؛ إذ يُربط التقاعد بقلّة النشاط والمشاركة الفاعلة في المجتمع. ولكن من المهمّ التأكيد أن هذه التصرّوات لا تمثل الواقع تمثيلاً شاملاً؛ لأنّ تجارب المتقاعدين قد تتفاوت كثيراً بحسب السياقات الاجتماعية والثقافية المختلفة، ولا تعكس بالضرورة صورةً واحدةً أو ثابتةً لكل المتقاعدين في أي مجتمع كان.

(1) ينظر: رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 22.

(2) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز، ص 23-24.

الجشع الغربي:

الكرم من القيم الدينية والخلقية الأساسية في الثقافة العربية، وهو جزء من المروءة والتكامل الاجتماعي التي تربي عليها العربي منذ نشأته في بيئة صحراوية؛ إذ يعدُّ الكرم من أبرز معايير الفضيلة وضرورات الوجود الإنساني في الحياة القبلية⁽¹⁾. كما أنَّ للعربي معايير ثقافية خاصة بالكرم يجب أن يحققها ليصل إلى الدرجة المتوقعة من هذه الفضيلة. إلا أنَّ هذه المعايير الثقافية تختلف اختلافًا واضحًا عن تلك المعايير السائدة في المجتمعات الغربية؛ وهذا ممَّا يؤدي إلى تصورات سلبية لدى الرحالة العرب حول سلوكيات الغربيين كما يتَّضح من تجربة مازن مطبقاني.

يقول مطبقاني في وصفه لإحدى تجاربه مع الدكتور أحمد المليباري، وهو سعوديٌّ من جنسية الرحالة نفسها: "بعد اللقاء كان الدكتور أحمد المليباري (يعدُّ للدكتوراه) في انتظارنا في ماركفيلد، فاصطحبنا إلى مدينة توتجهايم، حيث دَعانا لتناول طعام العشاء (المبكر)، وأكرمنا - جزاه الله كل خير - كرمًا يستغربه الإنسان في الغرب"⁽²⁾. على الرغم من تقديره للكرم الذي لقيه فإنَّ مطبقاني يعبر عن استغرابه من الفروق الثقافية بين المجتمعين الشرقي والغربي، ويستحضر في ذهنه التحولات التي قد تصيب بعض الأفراد عندما يبتعدون عن بيئتهم الأصلية ويعيشون في بيئة ثقافية مختلفة.

ويستمرُّ مطبقاني في التعبير عن هذه الفجوة الثقافية بقوله: "ولي كلمة: كيف يتحوَّل العربُ أو العربان إلى غربيانٍ غربية في بلاد الغرب؟"⁽³⁾، وهذه العبارة تعكس تساؤلًا عميقًا حول كيفية تأثير العيش في الغرب على هوية العرب الذين يتأقلمون مع هذه البيئة الجديدة، وكيف قد تؤدي هذه التأثيرات إلى تغييرات في سلوكياتهم وقيمهم ومن ذلك التراجع عن بعض الفضائل مثل الكرم والمروءة.

(1) ينظر: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية: 151.

(2) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 31.

(3) المصدر السابق: 31.

في حين يكمل استنكاره قائلاً: "عرض علينا أحدهم بيته في الإجازة بألف وخمسمائة جنيه، وكأننا سنشتريه، أو لعلّ بركاته في المنزل لها تلك القيمة المرتفعة"⁽¹⁾، هذه الملاحظة تُظهر تحوّل مفاهيم الكرم بين الثقافات، وظهور صورة سلبية عن سلوكيات بعض العرب في الغرب ينسبها للمجتمع الغربي وكأنه هو من يسهم في منحهم صفة الجشع.

ـ الفساد الغربي

الفساد من أبرز التهديدات التي تواجه المجتمعات، وهو أحد الأسباب الرئيسة لتراجعها. وهذا ما دفع مازن مطبقاني للتعبير عن استيائه الكبير إزاء انتشار ظاهرة الخمر وتأثيرها السلبي على المجتمع الغربي؛ إذ صارت هذه الظاهرة تؤثر على جميع فئات المجتمع من الشباب وكبار السن. يصف مطبقاني إحدى تجاربه قائلاً: "أُتيح لي الجلوس في أحد المقاهي فرأيت اثنين أحدهما شاب والآخر عجوز أو وخطه الشيب. كان الشاب يحمل كيساً من البلاستيك، والعجوز يحمل غطاءً للنوم، ووفقاً أمام رجلين وسألهما شيئاً، ولكنهما سارا بعد ذلك. لاحظتُ أنّ العجوز يسير مكتئباً، بينما الشاب كان يبدو عليه القوة البدنية وكان غير متجهّم. وفي اليوم التالي شاهدت الشاب ومعه الكيس نفسه، ولكن معه أيضاً زجاجة خمر نصفها مليء، ومرّت أمامي عجوز تسير حافيةً، وهناك فتاة عرجاء ترتدي ملابس رثة. وأتساءل هل عدد المعتوهين كثير جداً إلى هذه الدرجة وفي مدينة صغيرة مثل إكستر؟! ولكن ليت طالباً عربياً في الدراسات العليا يتقن اللغة الإنجليزية يستطيع أن يقدّم دراسة عنهم"⁽²⁾.

لقد شكّلت هذه المشاهد صورة سلبية عن المجتمع الغربي في ذهن مطبقاني دفعته للتساؤل عن تأثيرات هذه الظواهر على المجتمع، ويستمرّ مطبقاني في حديثه عن انتشار الخمر في الغرب قائلاً: "وتعجبتُ من فريق بريطاني يسافر إلى روسيا لاستقصاء أسباب وفاة الروس المبكرة؛ فهل يستفيد الروس من نتائج هذه الدراسات؟

(1) ينظر: رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 31.

(2) المصدر السابق: 33-34.

وهل الغربُ أو الحضارة الغربية السُّكْرى الثَّمَلَة يمكنها أن تُفَيِّق وتترك هذه الأمور؟ فيا أيُّها العلمانيون الليبراليون ماذا تريدون؟ تَعَالَوْا وادرسوا هذه الحضارة دراسةً حقيقيةً لتعرفوا عَظْمَة هذا الدِّين لو طبقناه بطريقة صحيحة⁽¹⁾.

وفي النهاية يعبّر مطبّقاني عن استيائه العميق من بعض جوانب الثقافة الغربية؛ خصوصًا فيما يتعلّق بالابتعاث إلى بريطانيا؛ إذ يقول: "تكره بريطانيا لأسباب أخرى أنها قدّمت الفرص للابتعاث إلى بلادها لدراسة العلوم الشرعية واللغة العربية والآداب. وهنا وقع كثيرٌ من الشّباب فريسةً للأساتذة الإنجليز، وبعضهم دهاةً حقًا فغسلوا أدمغتهم وأفسدوا أخلاقهم. وإن كان الابتعاثُ إلى أمريكا كان دائمًا أكثر، ولكن في بريطانيا ما فيها من الفساد الفكري والأخلاقي"⁽²⁾.

ومن المفارقات المثيرة التي أسهمت في تشكيل صورةٍ سلبية لدى الرّحالة مازن مطبّقاني التناقض بين العناية الكبيرة التي توليها المجتمعات الغربية للأطفال في مراحل طفولتهم وبين ما يواجهونه من مستقبل مظلم حين يكبرون.

يعبّر مطبّقاني عن ذلك قائلاً: "وأعجّب من عنايتهم بالأطفال، بل إنني قرأتُ أنهم يحتفلون ببنّي الأطفال، وجعلوا أسبوعاً للتبني، ثم قدّموا عروضاً مغريةً للرجال والنساء العاملين والعاملات بمنحهم تخفيض ساعات العمل للاعتناء بالأطفال، ولكن ما إن يكبر هؤلاء الأطفال حتى يقدّموا لهم الأطعمة الزبالة، والجنس والخمر والعنف، أو يرسلوهم إلى الحروب لاحتلال دُول أخرى السَّعي وراء ثرواتها وخيراتها. فلماذا كلُّ هذه العناية بالأطفال إن كان سينتظرهم مستقبلٌ غامض أو مستقبل كالح أو مستقبل الحروب والتدمير؟"⁽³⁾، هكذا تغيّرت الصُّورة الإيجابية التي رسمها الرّحالة عن عناية المجتمع الغربي بالأطفال إلى صورة سلبية؛ إذ يلاحظ أن هذه العناية التي تُبذل في مرحلة الطفولة تتحوّل إلى واقع مؤلم في مرحلة البلوغ يتمثّل في مستقبل مليء

(1) ينظر: رحلتي إلى بلاد الإنجليز: 153-154.

(2) المصدر السابق: 197.

(3) المصدر السابق: 68.

بالعنف، والخمر، والجنس، والحروب، وهذا ممّا يثير تساؤلاته حول جدوى تلك العناية الظاهرة.

العنف الاجتماعي:

افتتح مازن مطبّقاني حديثه عن معاناة المرأة في المجتمعات الغربية بملاحظة لافتة؛ إذ أشار إلى مفارقة غريبة بين الدعوات الغربية لحرية المرأة ومساواتها بالرجل وبين ما تعانيه المرأة الغربية في الواقع.

يقول مطبّقاني: "أيها الباحثون عن حرية المرأة في البلاد العربية والإسلامية ومساواتها بالرجل، لو عرفتُم ما تُعانيه المرأة هنا لتغيّر رأيكم وإعجابكم وانبهاركم" ⁽¹⁾، في هذا السياق صورة سلبية عن العنف المنزلي المنتشر في الغرب تقرُّ بأن العنف ضدّ النساء في بريطانيا - على سبيل المثال - أصبح وباءً مسكوتاً عنه، ويشير إلى تقرير في صحيفة "ديلي ميل" في يونيو 2007م يفيد بأن خمسة ملايين امرأة عرضة للعنف في حياتهن، فيما تصل ثلاثمائة وخمسون ألف حالة إلى الشرطة سنوياً ⁽²⁾، ويضيف مطبّقاني سرداً لواقع مأساوي آخر فيروي مشهداً من مدينة إكستر قائلاً: "وقد شاهدتُ العام الماضي رجلاً في مدينة إكستر يعتدي على امرأة معه بطريقة وحشية" ⁽³⁾، هذا الحدث يعكس أحد جوانب العنف الممنهج الذي يعاني منه جزء من المجتمع الغربي، ويعمّق الصورة السلبية التي تشكّلت في ذهن الرحّالة عن غياب القيم الإنسانية التي تربّى عليها.

كما يتطرّق مطبّقاني إلى نوع آخر من العنف يطول كبار السنّ في الغرب، مشيراً إلى سلوكيات مثل السخريّة والإهمال، بل وسرقة الكبار أو الضّغط عليهم لتغيير وصاياهم. هذا التصرّف المؤسف يدفعه للتساؤل عن غياب الإحسان والرعاية للوالدين في المجتمعات الغربية، مشيراً إلى أن الإسلام يقدّم نموذجاً مختلفاً تماماً ويذكر ⁽⁴⁾ قول

(1) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 127.

(2) ينظر: المصدر السابق: 135.

(3) المصدر السابق: 136.

(4) المصدر السابق: 130.

الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء، الآية رقم 23]، ويستحضر وصية لقمان لابنه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [سورة الأحقاف، الآية رقم 15].

لقد تكوّنت لدى مازن مطبقاني صورة سلبية عن المجتمعات الغربية بسبب انتشار العنف ضدّ النساء وكبار السنّ، وغياب القيم الإنسانية التي تحتّ على الرحمة والإحسان؛ إذ يجد أن هذه المجتمعات تنفّر إلى المبادئ الخلقية التي تعزّز من احترام الكرامة الإنسانية، وهو ما يعكس التناقض بين مظاهر التقدّم الظاهري والقيم الجوهرية التي تكفل حقوق الأفراد وتحفظ كرامتهم.

ـ الطبقيّة

يقول الله في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ [سورة الحجرات، الآية رقم 13]، وهذه الآية تمثّل ثباتاً دينياً يؤكد عدم التّفريق بين البشر بناءً على الماديّات أو اللون أو الأصل، بل يُقاس التفاضلُ بالتّقوى والعمل الصالح. إلا أنّهُ من المواقف التي أسهمت في تشكيل صورة سلبية لدى الرّحالة السعودي مازن مطبقاني عن المجتمع الغربي التّفريق الواضحة بين الفقراء والأغنياء في الأوساط الأكاديمية؛ وهذا ممّا يعكس فجوة اجتماعية كبيرة.

يقول مطبقاني في إحدى ملاحظاته: "الغش في هذه الجامعة وغيرها مقبول؛ فالطلاب الفقراء يكتبون الموضوعات للطلاب الأثرياء أو للاعبين كرة القدم مقابل أجورٍ عالية، ويعرف ذلك الأساتذة والإدارة، ولكنها طريقة كسب العيش للطلاب الفقراء. والطلاب الأثرياء في كثير من الأحيان لا تهتمهم العملية التعليمية؛ فوظائفهم مضمونة في مؤسسات آبائهم أو حيث يستطيع آباؤهم توظيفهم بسهولة"⁽¹⁾، ويُضيف أنّ الأساتذة في هذه الجامعات ينقسمون على فئتين: فئة الفقراء الذين يعيشون في أحياء بسيطة، وفئة الأثرياء الذين يتواجدون في أحياء راقية ويشتركون في أندية ذات رسوم مرتفعة.

(1) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 180.

وقد أشار إلى أنَّ الجامعة لم تستقطب أحدَ الأساتذة فقط لمستواه العلمي، بل لأنه ينتمي إلى الطبقة الثرية البريطانية، وزوجته من أسرة أرستقراطية جعلته محطَّ اهتمام الأثرياء الذين كان حضورهم للمحاضرات يعكس حالةً من الاستفادة الاجتماعية أكثر من الجوانب التعليمية⁽¹⁾.

وفي سياقٍ آخر يروي مطبقاني حادثةً عن أحد الأساتذة الأثرياء الذي اشترى سيارةً فاخرةً، ثم سُرقَت السيارة في أثناء زيارته لأحد الأحياء الفقيرة؛ فيجد أنَّ تعليقات الأساتذة الأثرياء الذين كانوا يعلمون عن زيارته للحيِّ الفقير كانت قاسيةً إذ قالوا له: "ما أصاب سيَّارتك كان خفيًّا؛ كان من الممكن إحداثَ أعطال أكبر في السيارة؛ فهذه الأحياء محرومة من مظاهر الترف هذه"⁽²⁾، هذا المشهد يعكس التباين الكبير في المعيشة، ويظهر عدم إحساس الطبقات الثرية بالمسؤولية الاجتماعية تجاه الفقراء. كما يروي مطبقاني حادثةً أخرى عن مجموعة من الصِّبيان الذين قتلوا رجلًا رجماً بالحجارة في أحد الأندية، وكانوا يرتدون أفنعةً، ولا تزال الشرطة تبحث عن الجناة⁽³⁾. هذه الحوادث تشير إلى العنف وال فقر المتجذّر في بعض المناطق في الغرب، وتعزّز من الصورة السلبية التي تكونت لديه عن التّفاوت الطبقي وعدم العدالة الاجتماعية في المجتمعات الغربية.

المبحث الثاني: الأنساق المضمرة في رحلة مازن مطبقاني

ـ المطلب الأول: النسق الأيديولوجي:

النَّسقُ الأيديولوجي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بكيفية رؤية الإنسان للأشياء ووفقاً لمعتقداته وأفكاره؛ إذ يعكس هذا النسق طريقة تفكير الفرد التي تتسم بتفسير الواقع والوقائع من منظورٍ خاص يتوافق مع قناعاته الشخصية. وحين نقول إنَّ شخصاً ما ينظر إلى

(1) ينظر: رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 180.

(2) المصدر السابق: 181.

(3) ينظر: رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 181.

الأمور نظرةً أيديولوجيةً؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّه يفسّر الأحداث والوقائع بطريقة تُبرز تطابُّقها مع ما يعتقد أنَّه الحقيقة⁽¹⁾.

أمَّا في سياق الأيديولوجيا الدينية فإنَّنا نتحدث عن منظومة فكرية ترتبط بواقع اجتماعي وثقافي مُعيَّن، يحدِّدها مجموعةٌ من الرُّوابط الدينية، وهي في جوهرها متأصلةٌ في العقلية الجمعية للمجتمع الذي تنبثق منه⁽²⁾.

من خلال تحليل صورة المجتمع الغربي التي طرحها الرحَّالة مازن مطبَّقاني في المبحث الأول يتبيَّن أنَّ النَّسق الأيديولوجي الديني كان حاضراً في بعضٍ من جوانب كتاباته؛ ومن أبرز هذه الجوانب: حين كان ينتظر دَوْرَه في المطار حيث لاحظ الموظَّف الذي سيخدمه وتساءل عن دينه على الرَّغم من أن هذه المعلومة لا تؤثر على سير الخدمة؛ ففي قوله: "وجاء دَوْرِي، وكان الموظَّف الذي ينظر في قضية تمديد التأشيرة من أصل هندي أو باكستاني، ولا أعرف هل هو مسلم أم لا"⁽³⁾. فيكشف عن أنَّ تساؤله لم يكن عن عمل الموظف أو مدى كفاءته في أداء مهامه، بل كان عن دينه، هذا التساؤل يعكس النَّسق الأيديولوجي الديني الذي يؤثِّر على طريقة تفكير الرحَّالة، ويجعله يُولي اهتماماً أكبر للديانة بدلاً من العوامل الأخرى التي قد تكون أكثر صلةً بالوضع الرَّهن. ومن ثمَّ يعكس هذا التصرُّف مدى تأثير الأيديولوجيا في تشكيل مواقف الرحَّالة وطريقة تفسيره للواقع.

كما أن الحجاب في السِّياق الديني رمزٌ للستر والتدني في المجتمعات المسلمة، ويظلُّ موضوعاً ذا أهمية في المجتمعات غير المسلمة أيضاً؛ إذ تتباين دلالاته وفقاً للسِّياق الثقافي والاجتماعي. وبحسب الانزياحات الدَّلالية يمكن أن يتَّخذ الحجاب أبعاداً تتجاوز معناه الديني ليشمل دلالاتٍ اجتماعيةً وثقافيةً متنوِّعةً⁽⁴⁾ تتغيَّر بتغير البيئة

(1) ينظر: مفهوم الإيديولوجيا: 10.

(2) ينظر: تجليات الخطاب السياسي والإيديولوجي في رواية الأعظم لإبراهيم سعدي: 18.

(3) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 98.

(4) ينظر: <https://al-wattan.net/news/206133> الاطلاع بتاريخ الاثنين، 2024/12/2.

والمجتمع. وفي هذا السياق يظهر الحجاب في خطاب الرحّالة مازن مطبّقاني ليكتسب أبعاداً إضافية قد تخرُج عن نطاقه الديني. ويتجلى تحوّل دلالة الحجاب في كتابات مطبّقاني من خلال استشهاده بآراء وأحكام ثقافية؛ كما في قوله: "أمّا الحجاب فلماذا كلُّ هذا الكلام عنه؟ أليست السترة والعقّة أفضل من النقّش واللباس المُقرّف المُقرّز الذي تتّخذُه النساء في الغرب اليوم؟"⁽¹⁾، هنا يظهر الحجاب أداةً للستر والعقّة، ولكنه يحمل انزياحاً دلاليّاً يتجاوز المعنى الديني المتعارف عليه ليكتسب بُعداً ثقافياً يرتبط بالرّفص الاجتماعي للملابس الغربية التي يراها مطبّقاني تجسيداً للنقّش والابتعاد عن القيم الخُلقيّة⁽²⁾. ومن دون الحجاب تصبح المرأة في عيون المجتمع صورةً مشوّهةً وغير متوافقة مع المعايير الخُلقيّة التي يروّج لها.

ويستمرُّ هذا النّسق في الظهور في مواضع أخرى فيظهر في مقولة مطبّقاني: "وقد لفت انتباهي عبارةً لأستاذة من الفقراء في الجامعة قالتها للأستاذ الضّيف: صحيح أنّك متفتّح، ولكن لماذا تترك زوجك مع هؤلاء الرجال الأجانب؟ فتعجّبتُ هل من الممكن أن يُفسدَ أحدُ امرأة تجاوزت الأربعين أو الخمسين ضدّ زوجها؟ وهل تقع خيانات زوجية بين كبار السنّ؟ ربّما... ولكن الحمدُ لله على نعمة الإسلام ونعمة الحجاب ونعمة الغيرة"⁽³⁾.

في هذا السّياق يتحوّل الحجاب من كونه مظهرًا دينيًّا إلى أداة لحماية النساء من الخيانات الزوجية؛ وهذا ممّا يعكس تغييراً في كونه قيمةً دينيةً إلى قيمة اجتماعية وثقافية؛ فيصبح الحجاب معياراً اجتماعياً يُستخدم للحفاظ على العلاقة الزوجية وصونها من الانحرافات التي قد تحدث؛ وهو ما يعكس النّظرة المجتمعية إلى الحجاب أداةً لضبط السّلوک وحماية القيم الأسرية.

(1) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز : 208.

(2) ينظر: الأنساق الثقافية المضمرّة في رواية قيد الفراشة لشيرين سامي: 58.

(3) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز : 181.

من خلال هذا الخطاب يظهر النسق المضمّر أداةً ثقافيةً تتحكّم في تفسير معنى الحجاب وتوظيفه في السياقات الاجتماعية؛ إذ يُستخدم الحجاب أداةً للتمييز الاجتماعي وتقديم أحكام ثقافية على سلوكيات الأفراد بناءً على فهم اجتماعي يتجاوز المعنى الدينيّ البحث للحجاب ليصبح معيارًا يُقاس به التزام الفرد بالقيم المجتمعية والخلقية السائدة.

ـ النسق الذكوري

يظهر النسق الذكوري في تصورات مازن مطبّقاني من خلال تقويمه لبعض الظواهر الثقافية والسلوكية التي لا تتماشى مع التصوّرات التقليدية للوظائف الاجتماعية بين الجنسين؛ ففي حديثه عن رجلٍ كان يرتدي فُستانًا ويزيل شعر يديه وساقيه يعبر عن استغرابه تصرّفه قائلاً: "وكان أحدهم يرتدي فستانًا، وقد حلق أو أزال شعر يديه وساقيه وقد أصبحتا مُحمرّتين؛ ممّا يدلّ على أنّ الإزالة قريبة العهد؛ فسبقى أحمر بعض الوقت حتّى تحين إزالة الشعر مرةً أخرى. وسألتُ زوجتي: لماذا يفعل في نفسه هكذا؟ قالت: ليس لي علمٌ بهذه الأمور، نحن بحاجة إلى علماء اجتماع مسلمين يدرسون أوضاع هؤلاء الناس حتى نعرفهم عن قُرب، وهذه الظاهرة لم تكن في القطار فقط، بل لقد مرّت معنا صورٌ أخرى في أماكن أخرى"⁽¹⁾، ولله درُّ الرَّافعي الذي قال:

وما عجبني أنّ النِّساءَ تَرَجَّلَتْ ولكنّ تأنيثَ الرِّجالِ عَجيبٌ⁽²⁾

في هذا الموقف يتجلّى النسق الثقافي المضمّر الذي يعكس نظرة مطبّقاني التقليدية إلى الوظائف الاجتماعية؛ إذ يلوم الرجل ذا السّمات الأنثوية، في حين لا يرى مشكلةً في النِّساء اللواتي يتّسمن ببعض سمات الرجال. فالرجولة - كما يفهمها قيمةٌ مضافة ترفع من شأن الرجل ولا تؤثر سلبًا على المرأة، أمّا تأنيث الرجال فيُعدُّ أمرًا شاذًا يعبر عن خلل ثقافي في نظره. واستشهادُه ببيت الرَّافعي يعكس اعتقاده أنّ الرجولة هي السّمة المعيارية التي ترفع من قيمة الرجل، أمّا محاولة الرجل تبني سلوكياتٍ أنثويةً

(1) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 32.

(2) ديوان الرافعي: 39.

فهو خروجٌ عن المؤلف؛ الأمر الذي يوضّح تداخل النسق الذكوري مع رؤيته للوظائف الاجتماعية في المجتمع الغربي.

كما تُظهر مسألة معيار العمر بوضوح في النسق الذكوري الذي تُستثنى فيه المرأة من دائرة الفعل الاجتماعي؛ إذ تفرض الثقافة الجمعية مقياساً عُمرياً محدداً يرتبط بتحديد أطوار المرأة الاجتماعية بناءً على سنّها، في حين يُعدّ العُمر معياراً غير مؤثّر للرجل⁽¹⁾. وهذه النظرة الذكورية تنعكس على التصوّر الاجتماعي الذي يصنّف المرأة ضمن فئات عُمرية مُعيّنة، ويحدّد من خلالها ما يُسمح لها بالقيام به أو عدمه، في حين يُمنح الرجلُ حريّة أكبر تخلو من هذه القيود الثقافية.

تتجسّد هذه النظرة الذكورية في إحدى المواقف التي يذكرها مازن مطبقاني في رحلته حيث يتحدّث عن امرأة في الخمسين من عمرها كانت قد صعدت جبال الهملايا فيقول: "ولكنّ بعد قليل جاءت امرأة تحتاج إلى أكثر من مقعد فضائقي وكادت تكتم أنفاسي، ولكنّ قُرب نهاية الرحلة دار حديثٌ بيني وبينها عن رحلتها إلى جبال الهملايا (السُفوح)، وإن قالت إنّها صعدت بعض الجبال.. (لا أصدّق) المهمّ.. تحدّثت عن الحياة بعيداً عن مظاهر المدنية والاختلاط بالناس البُسطاء الذين لا يعرفون الكهرباء ولا مواقف الغاز ولا الإنترنت ولا الهاتف. وإذ بها فوق الخمسين ومُطلّقة. وكان طريفاً أنّ والدتها كانت في محطة الحافلات لاستقبالها وعرضت عليّ إيصالي إلى المنزل، وهو أمرٌ غير معتاد في العالم المادي"⁽²⁾، في هذا السياق يظهر عدم تصديق الرحّالة للمرأة على الرغم من أنها في سنّ يسمح لها بممارسة مثل هذه الأنشطة الجبلية، في حين نجده يصدّق الرجل الذي تجاوز السِتّين من عمره ويُثني عليه بسبب حصوله على عدّة شهادات ماجستير، معتبراً ذلك إنجازاً إيجابياً.

هذه المقارنة بين موقفه من المرأة الخمسينية وموقفه من الرجل السِتّيني تكشف عن تحيّزات ثقافية تتعلّق بتقدير العُمر؛ إذ يرى الرّجلُ في سنّ متقدّمة قادراً على الإنجاز

(1) ينظر: ثقافة الوهم: مقاربات حول المرأة والجسد واللغة: 57.

(2) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 194-195.

والإبداع، في حين تُرى المرأة في السنّ نفسها تجاوزت مرحلة الفعل الاجتماعي النشط. وهذا التوجّه الذكوري يتوازى مع رؤية ابن عبد ربّه التي تعزّز هذه الفكرة منذ القدم في قوله: "أجرُ عمر الرجل خيرٌ من أوله؛ يثوب حِلْمُه وتثقلُ حصّاته"⁽¹⁾، وتُحمد سريرته، وتكمل تجاربه، وآخر عمر المرأة شر من أوله، يذهب جمالها، ويذرب لسانها، وتعمم رحمها، ويسوء خلقها"⁽²⁾؛ إذ يرى التقدّم في السنّ لدى الرجل محطّ احترام، وعلامة على الحكمة والإنجاز، في حين يُرى تقدّم السنّ عند المرأة عاملاً مقيّداً لقدراتها الاجتماعية.

من خلال هذه المقارنة يتّضح أن النسق الثقافي السائد يعزّز هذه الصورة النمطية ويفرضها في تصوّر الأفراد بعضهم لبعض؛ الأمر الذي يسهم في استمرار التفرقة بين الوظائف الاجتماعية المعتمدة على الجنس والعمر.

ـ النسق الاجتماعي

يُعرّف النسق الاجتماعي بأنّه: "نسقٌ للسلوك الاجتماعي يتضمّن جمعاً من الأفراد المتفاعلين"⁽³⁾. كما عرّفه راد كليف براون بأنّه: "مجموعةٌ معيّنة من الأفعال والتفاعلات بين الأشخاص الذين توجد بينهم صلاتٌ متبادلة"⁽⁴⁾.

هذه التعريفات تُشير إلى أن النسق الاجتماعي يشمل مجموعةً من الأفراد الذين يتفاعلون باستمرار، وتجمعهم روابطٌ اجتماعيةٌ تجعل سلوكيّاتهم مترابطةً. ويندرج تحت هذا النسق نسقٌ واحد هو تحوّل قيمة الكرم الذي يمثّل تحوُّلاً ثقافياً لدى الرحالة خارجاً عن المفهوم التقليدي الذي نشأ على أساسه.

فالكرم يُعرّف بأنّه: "قيمةٌ دينيةٌ وخُلُقِيّة، وجزءٌ من المروءة والتكامل الاجتماعي، وهو المعنى الأصلي للكرم الذي جاء في الحديث الشريف: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ

(1) حصّاته: عقله ورأيه. طبائع النساء: 163.

(2) ينظر: المرجع السابق: 163.

(3) قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور: 347.

(4) المرجع السابق: 374.

الآخر فليُكرم ضيفه»⁽¹⁾؛ إذ كان الكرم في الثقافة العربية جزءاً من قيمة القبيلة، وضرورة اجتماعية في الحياة الصحراوية⁽²⁾.

في السياق البدوي لم يكن الكرم يُمارس بدافع المديح أو تجنب الذم، بل كان قيمة وجودية؛ فإكرام الضيف كان يعني بقاء الحياة؛ لأنَّ عدم استضافته قد يُنذر بالخطر والموت في الصحراء. إلّا أن هذا المفهوم قد شهد تحولات مع الزمن؛ خاصة بعد أن تغيرت ظروف الحياة الاجتماعية بانتقال الناس من الصحراء إلى الحياة الحضرية؛ ممّا أدّى إلى تغيير في دلالة الكرم من كونه مسألة بقاء إلى مجرد مقياس اجتماعي يُستخدم للمباهاة والتفاخر.

وفي هذا السياق يعكس مازن مطبقاني في كتاباته هذا التحول في القيمة الاجتماعية للكرم فيقول عن صديقه أحمد المليباري: "وأكرمنا - جزاه الله كل خير - كرمًا يستغربه الإنسان في الغرب"⁽³⁾. وهذا ممّا يعكس تحول الكرم من سلوك يسعى إلى الحفاظ على الحياة إلى سلوك يُستخدم معياراً للمفاخرة والتباهي. وهذا التحول يظهر بوضوح كيف أصبح الكرم قيمة اجتماعية تسعى أحياناً إلى التفوق الاجتماعي والمباهاة على الآخرين، وتتركز على أولئك القادرين على إظهار كرم مُفرط، في حين قد يُهمّش أولئك الذين لا يستطيعون تلبية هذا المعيار الاجتماعي.

نتائج البحث:

- الصورة التي نقلها الرحالة تأثرت بتصوّراته الثقافية السابقة فأسهّم في تشكيل رؤيته نحو الآخر.

- كُتبت الرحلات - مثل "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز" - تكشف عن القيم الثقافية المخفية التي تحكم تصوّرات الرحالة وتُسهّم في فهم أسباب الخلاف بين الأنا والآخر.

(1) البخاري: 1533، مسلم: 68.

(2) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية: 151.

(3) رحلاتي إلى بلاد الإنجليز: 31.

- الجمالية النصّية في كُتب الرحلات تخفي معاني مكبوتة تتعلّق بالقيم الثقافية والاجتماعية التي تؤثر في تصوير الآخر.
- كُتب الرحلات تتميّز بالواقعية والمصادقية؛ وهذا ممّا يجعلها أدوات تحليلية لفهم التفاعل الثقافي دون التصوير الأدبي الموجود مثلاً في الروايات.
- الأنساق المضمرة في "رحلاتي إلى بلاد الإنجليز" تمثّل اعترافاتٍ غير مُعلّنة تكشف عن تحيّزات ثقافية واجتماعية خفية، وتعكس مواقف مكتومة وأفكاراً ضمنية ظهرت من خلال التفاصيل والرموز دون أن تُصرّح بها مباشرة

المصادر والمراجع

- أبو شرارة، ابتسام، "أنساق من النقد الثقافي في شعر الشنفرى"، مجلّة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، الجامعة الأردنية، الأردن، 2020م.
- الأندلسي، ابن عبد ربّه، طبائع النساء، القاهرة: مكتبة القرآن، د.ت.
- البازعي، سعد ، الرويلي، ميجان ، دليل الناقد الأدبي، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط3، 2002م.
- بترعة، خولة، وصالحي، شهرزاد، "الأنساق الثقافية المضمرة في رواية قيد الفراشة لشيرين سامي"، رسالة ماجستير، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف وميلة، الجزائر، 2021م.
- بعلي، حفناوي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط1، 2007م.
- حامد، عبد الله، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، أبها، نادي أبها الأدبي، ط1 ، 2014م.
- الدسوقي، عمر، نشأة النثر الحديث وتطوره، القاهرة: دار الفكر العربي، 2007م.
- الرافعي، مصطفى صادق، ديوان الرافعي، د.ط، ج2، الإسكندرية: مطبعة الجامعة بالإسكندرية، 1321هـ.
- رضا، أحمد، معجم متن اللغة، بيروت، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1959م.
- الشاردي، فاطمة، "صورة الشخصية في أدب الرحلات العلمية بالمملكة العربية السعودية في ضوء النقد الثقافي"، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، أبها، 2024م.
- الشهواني، هيا ناصر، "صورة الرّجل في المتخيّل النّسوي في الرواية الخليجية"، رسالة ماجستير، جامعة قطر، قطر، 2014م.

الصيد، فاطمة، التَّجَلِّيات الفلسفية في علم أنثروبولوجيا الأديان، مجلد19، عدد1، مجلة أنثروبولوجية الأديان، 2023م.

العروي، عبد الله، مفهوم الإيديولوجيا، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط5، 1993م.
عصفور، جابر، الصُّورة الغنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م.

عطية، ساعد، "تجَلِّيات الخطاب السياسي والإيديولوجي في رواية الأعظم لإبراهيم سعدي"، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2017م.

الغذامي، عبد الله، اصطفيف، عبد النبي، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دمشق، دار الفكر، ط1، 2004م.

الغذامي، عبد الله، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية بيروت- الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005م.

الغذامي، عبد الله، ثقافة الوهم: مقاربات حول المرأة والجسد واللغة، بيروت، المركز الثقافي، ط1، 1998م.

مطبّقاني، مازن، رحلاتي إلى بلاد الإنجليز، الرياض، العبيكان، ط1، 2011م.
هولتكرانس، إيكه، قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، د.ت.

اليافي، نعيم، مقدمة لدراسة الصُّورة الفنية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1982م.

<https://al-wattan.net/news/206133>

أصول معجمية متوافقة بين العربية الفصحى واللغة المهرية نماذج دالة من خلال معجم الصحاح للجوهري

د. مسعد عامر إبراهيم سيدون.

مركز اللغة المهرية - جامعة المهرة.

Musaadsaidon@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/8/30 تاريخ قبول البحث 2026 /3/22

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.260>

ملخص:

يتناول البحث أصول معجمية بين العربية الفصحى واللغة المهرية من خلال معجم الصحاح للجوهري، مركزاً على الأصول المعجمية التي تشترك فيها تلك الألفاظ مع مواد المعجم العربي من حيث الامتداد الدلالي والتطور الصوتي. وتكمن مشكلة البحث في السعي إلى الكشف عن رابطة جوهريّة بين الألفاظ المهرية المستخدمة في لغة التخاطب اليومي بين أبناء قبيلة مهرة، شرق اليمن، وبين الأصول المعجمية التي وردت في صحاح الجوهري، أحد أبرز المعاجم التي عنيت بالمواد الفصيحة الموثوقة في اللغة العربية. وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي المقارن، من خلال تتبع مجموعة مختارة من الألفاظ المهرية، وتصنيفها وفق وحدات دلالية، ومقارنتها بما يقابلها في الصحاح، مع رصد التغيرات الصوتية أو الدلالية التي طرأت على الكلمة في المهرية، وما قد نتج عن ذلك من غرابة في اللفظ أو تحوّل في المعنى. وتهدف الدراسة إلى بيان مدى محافظة اللغة المهرية على أصول فصيحة، أو تطورها عنها في سياق لغوي مستقل، وتقديم مساهمة علمية في ميدان المعجميات والدراسات اللغوية المقارنة.

الكلمات المفتاحية: الأصول المعجمية - اللغة المهرية - المعجم - الصحاح - اللغة العربية - الاستعمال.

Lexical Origins Common to Classical Arabic and the Mehri Language Illustrative Models from Al-Jawhari's Al-Sihah Dictionary

Dr. Musa'ed Amer Ibrahim Sidoon

Mehri Language Center – Al-Mahra University

Abstract:

This study examines the shared lexical origins between Classical Arabic and the Mehri language through Al-Jawhari's Al-Sihah dictionary, focusing on the semantic extension and phonetic development that these roots exhibit in Mehri. The research problem lies in uncovering the fundamental connection between Mehri words used in everyday communication among the Mahra tribe in eastern Yemen and the lexical roots documented in Al-Sihah, one of the most prominent dictionaries concerned with authentic Classical Arabic vocabulary. The research employs a descriptive-comparative approach by tracing a selected set of Mehri words, classifying them according to semantic units, and comparing them with their counterparts in Al-Sihah, while identifying the phonetic or semantic changes that have occurred in Mehri, as well as any resulting unfamiliarity in form or shift in meaning. The study aims to demonstrate the extent to which the Mehri language has preserved Classical Arabic roots or diverged from them within an independent linguistic context, and to offer a scholarly contribution to the fields of lexicography and comparative linguistics.

Keywords: Lexical origins – Mehri language – Dictionary – Al-Sihah – Arabic language – Usage.

مقدمة:

تُعد اللغة المهرية إحدى اللغات العربية الجنوبية المعاصرة، التي حافظت على كثير من خصائص العربية القديمة، صوتيًا وصرفيًا ومعجميًا. وعلى الرغم من محدودية

انتشارها في الزمن الحاضر، إلا أنها تمثل خزانًا لغويًا غنيًا يستحق الدراسة والبحث، خصوصًا من زاوية علاقتها باللغة العربية الفصحى، ومفرداتها الموروثة من الجذور الأصلية التي لا تزال حية في بعض لهجات الجزيرة العربية.

ومن منطلق الاهتمام بالأصول المعجمية، تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على الألفاظ المهرية لتبين مدى اتصال جذورها باللغة العربية الفصحى، بالاعتماد على واحد من أقدم وأهم المعاجم العربية، وهو "الصاحح في اللغة" لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

ويُعد هذا المعجم من المعاجم الرائدة التي اهتمت بتتبع الجذور اللغوية وفق نظام جذري دقيق، مما يجعله مصدرًا مهمًا للكشف عن صلة الألفاظ المهرية بالأصول الفصيحة. تقوم هذه الورقة على دراسة مقارنة بين مجموعة مختارة من الألفاظ المهرية، وتحليلها صوتيًا وصرفيًا ودلاليًا في ضوء ما ورد عنها في معجم الصاحح، بهدف إبراز مدى احتفاظ المهرية بألفاظ فصيحة أو تطورها عنها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الكشف عن الأصول المعجمية المتوافقة بين اللغة العربية واللغة المهرية المعاصرة، وما زالت تلك الأصول مستخدمة في الاستعمال المهري عند المهريين، وفي ضوء ذلك محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- ما الحقول الدلالية المهرية التي اتفقت أصولها المعجمية الأصول العربية في معجم الصاحح للجوهري؟

2- ما طبيعة التحولات الصوتية أو الدلالية التي طرأت عليها؟

3- إلى أي مدى تمثل اللغة المهرية امتدادًا حيًا لأنماط لغوية عربية قديمة؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في تناوله اللغة المهرية، بوصفها لغة شفوية حية مستعملة في شرق اليمن وغرب سلطنة عُمان، كما يسعى إلى إبراز الأصول المعجمية المشتركة بينها وبين اللغة العربية الفصحى، وإعادة الاعتبار لبعض الألفاظ العربية المهملة التي

ما تزال متداولة في الاستعمال المَهْرِي. كما تُسهم هذه الدراسة في رُفْد الدراسات المعجمية التي عُتيت بالمعالجة المعجمية، من خلال تخصيص البحث لمعجم *الصاحح*.

أهداف البحث: بيان مدى محافظة اللغة المهرية على أصول فصيحة، أو تطورها عنها في سياق لغوي مستقل، وتقديم إسهام علمي في ميدان المعجمات والدراسات اللغوية المقارنة.

الدراسات السابقة:

حظيت اللغة المهرية باهتمام عدد من الدارسين قديماً وحديثاً، وتتوّعت الجهود المبذولة بين أعمال معجمية هدفت إلى جمع المادة اللغوية وتوثيقها، ودراسات لغوية عامة تناولت مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، إلى جانب دراسات لسانية حديثة عالجت بنيتها في إطار مقارن داخل الأسرة السامية.

فمن أبرز الأعمال المعجمية كتاب *معجم المهرية* لتوماس جنستون (Johnstone, 1987)، وهو معجم ثنائي اللغة (مهرية-إنجليزي) يُعد من أوائل الجهود العلمية -حسب علم الباحث- التي جمعت المادة المعجمية المهرية ورتبتها، مع الإشارة إلى بعض أصولها وتغيراتها الصوتية. وقد أسهم هذا العمل في توثيق قدر كبير من المفردات، غير أنه جاء في إطار وصفي توثيقي، ولم يتخذ من المقارنة مع معجم عربي تراثي محدد أساساً منهجياً لتحليل الأصول الجذرية أو تتبع امتداداتها التاريخية.

كما يُعدّ كتاب *معجم اللغة المهرية* لسالم ياسر المهري (2013) من الجهود المعجمية المهمة التي رتبت الألفاظ المهرية ترتيباً هجائياً، وقَدّم مقابلاتها العربية، وسعى إلى حفظ اللغة في ظل ما تتعرض له من تراجع. إلا أن هذا العمل ظل في حدود المعالجة المعجمية العامة، ولم يُنظم المادة وفق حقول دلالية تحليلية، كما لم يعقد دراسة مقارنة منهجية بين الأصول المهرية ونظائرها في معجم عربي تراثي بعينه.

أما دراسة عامر فائل بالحاف الموسومة *باللغة المهرية المعاصرة بين عربيتين* (2016)، فقد جاءت دراسة لغوية شاملة تناولت مستويات اللغة المختلفة، من أصوات وصرف ونحو ودلالة، وقدمت تصنيفات وتحليلات تكشف جوانب الاشتراك والاختلاف بين المهرية والعربية الفصحى. وتمثل هذه المعالجة إسهامًا مهمًا في إبراز الصلات بين اللغتين، غير أن الدراسة لم تتخذ المقارنة المعجمية الجذرية إطارًا رئيسًا لها، ولم تعتمد مصدرًا معجميًا تراثيًا محددًا أساسًا للتحليل، كما لم تُنظم المادة في حقول دلالية بقصد تتبع التحولات الصوتية والدلالية في سياق تاريخي مقارنة.

وفي إطار الدراسات اللسانية الحديثة، برزت أعمال **Janet C. E. Watson** التي تناولت اللغات العربية الجنوبية الحديثة، ومنها المهرية، في سياق مقارنة داخل الأسرة السامية، مع التركيز على النظام الصوتي والبنية الصرفية وأنماط التركيب. وقد أسهمت هذه الدراسات في تعميق الفهم البنيوي للمهرية وربطها بالإطار السامي العام، غير أنها انصرفت أساسًا إلى التحليل اللساني الوصفي والمقارن على مستوى النظام اللغوي، دون أن تتخذ من المعجم العربي التراثي مصدرًا مرجعيًا لتحليل الأصول الجذرية المشتركة.

كما تناولت دراسة **سعيد نجادان القميري** الموسومة بـ *A Morphosyntactic Analysis of the Clause Structure of the Endangered Mehri Language in Yemen* البنية المورفوسنتاكسية للجملة المهرية، محللة العلاقات النحوية وأنماط الإسناد وبعض الظواهر الصرفية في إطار لساني حديث. وتمثل هذه الدراسة إسهامًا مهمًا في وصف النظام التركيبي للمهرية، إلا أن تركيزها انصب على الجانب النحوي التركيبي، ولم تتجه إلى دراسة الأصول المعجمية المشتركة بين المهرية والعربية في إطار معجمي تاريخي مقارنة.

ومن خلال هذا العرض يتبين أن الدراسات السابقة - على تنوعها وأهميتها - أسهمت في توثيق اللغة المهرية وتحليل بنيتها في مستويات متعددة، غير أنها لم تتناول الأصول المعجمية المهرية في إطار مقارنة منهجية منظمة مع معجم عربي

تراثي معياري مثل **الصاحح** لإسماعيل بن حماد الجوهري، ولم تعتمد تنظيم المفردات في حقول دلالية بقصد الكشف عن طبيعة التحولات الصوتية والدلالية التي طرأت عليها، ومدى دلالتها على الامتداد التاريخي بين المهرية والعربية. ومن هنا جاءت هذه الدراسة لسد هذه الفجوة، من خلال الجمع بين التحليل الجذري، والتنظيم الحقلي، والمنهج التاريخي المقارن في إطار معجمي محدد.

منهج البحث: اعتمد البحث على **المنهج الوصفي المقارن**، وذلك من خلال تتبع مجموعة مختارة من الألفاظ المهرية المستعملة، وتصنيفها في ضوء وحدات دلالية محدّدة، ثم مقارنتها بما يقابلها في معجم **الصاحح**، مع رصد ما طرأ عليها من تغيّرات صوتية أو دلالية، وما قد يترتب على ذلك من غرابة في اللفظ أو تحوّل في المعنى. كما رُتبت مواد البحث المختارة وفق الترتيب المعجمي المتّبع في **الصاحح**.

حدود البحث: يقتصر البحث على دراسة الأصول المعجمية المستعملة في اللغة المهرية التي تتوافق مع اللغة العربية في معجم **الصاحح** للجوهري.

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة تحتوي على مشكلة البحث وأسئلته وأهدافه وأهميته والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: الإطار النظري المفاهيمي للبحث.

المبحث الثاني: الأصول المعجمية المتعلقة بالإنسان.

المبحث الثالث: الأصول المعجمية المتعلقة بالبيئة.

نتيجة البحث وخاتمته، ثم المراجع التي استند عليها البحث.

المبحث الأول: الإطار النظري المفاهيمي للبحث

أولاً: اللغة المهرية - جغرافيتها وخصائصها

تُعَدّ اللغة المهرية إحدى اللغات العربية الجنوبية المعاصرة التي ارتبطت تاريخياً بقبيلة مهرة بن حيدان بن عمرو بن لحاف بن قضاة، وهو النسب الذي رجّحه الحموي (1995: 234/5)، مما يضع هذه اللغة في سياقها العربي الجنوبي القديم. وقد حملت محافظة المهرة الواقعة في أقصى شرق اليمن على الساحل الجنوبي

للجزيرة العربية اسم القبيلة (المقهي، 2011: 3/ 2031)، الأمر الذي يعكس عمق الامتداد الجغرافي والاجتماعي للهوية المهرية في المنطقة.

وتُظهر المصادر التراثية أنّ مهرة كانت قبيلة عربية ذات حضور اقتصادي وتجاري بارز، عُرفت بنشاطها البحري وإنتاجها للبان والمُرّ والعنبر (ابن حزم، 1962: 440؛ المرزوقي، 1997: 384)، وهو ما يشير إلى بيئة حضارية منفتحة أسهمت في تشكّل خصائصها اللغوية ضمن سياق تواصلية وتجارية واسع.

وإذا كانت اللغة - وفق تعريف ابن جني - "أصواتاً يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (ابن جني، د.ت: 1/ 34)، فإن اللغة المهرية تُعدّ نسقاً لسانياً سامياً متكامل البنية، تُصنّف في الدراسات اللسانية الحديثة ضمن اللغات العربية الجنوبية الحديثة، وهي فرع مستقل داخل السامية الجنوبية.

وتشير التصنيفات المعاصرة إلى أن المهرية واحدة من ست لغات عربية جنوبية حديثة مهددة بالانقراض، إلى جانب السقطرية، والجبالية (الشحرية)، والحرسوسية، والهبيوتية، والبطحية (Al-Azraqi, 2019).

ويضيف هذا التصنيف عليها أهمية علمية مضاعفة، بوصفها تمثل امتداداً حياً لإرث سامي آخذ في التراجع. وقد شهدت المهرية اهتماماً علمياً متنامياً خلال القرنين الماضيين، حيث اتجهت الدراسات - العربية والغربية - إلى بحثها ميدانياً ومعجمياً وبنوياً، بوصفها امتداداً مباشراً للأسرة السامية (Alfadly, 2007: 2). فمنذ الأعمال المعجمية الرائدة لجونستون (Johnstone, 1987)، التي أرست أساساً توثيقاً مهماً للمفردات المهرية، وصولاً إلى معجم اللغة المهرية لسالم المهري (المهري، 2013)، تبلورت صورة أوضح عن بنيتها الداخلية وخصائصها التاريخية.

وتجدر الإشارة إلى أن الألفاظ المهرية لا يمكن تناولها بوصفها وحدات معجمية معزولة، بل هي نتاج منظومة لغوية متكاملة تتداخل فيها المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. ومن ثمّ فإن الوقوف على خصائص هذه الألفاظ يقتضي تحليلها في إطارها البنوي الشامل؛ إذ تتجلى سماتها من خلال ما يطرأ عليها من

تحويلات صوتية، وما تنتظم فيه من أنماط اشتقاقية، وما تؤديه من وظائف تركيبية ودلالية داخل السياق الاستعمالي.

وعليه، فإن دراسة خصائص الألفاظ المهرية تقتضي تقسيمها وفق مستويات التحليل اللغوي المعتمدة في الدرس اللساني؛ بدءاً بالمستوى الصوتي الذي يمثل البنية التحتية للنظام اللغوي، مروراً بالمستوى الصرفي والنحوي بوصفهما مجال تنظيم العلاقات الداخلية بين الوحدات، وصولاً إلى المستوى المعجمي الذي تتحدد فيه الدلالة وتتبلور الخصوصية الاستعمالية.

أولاً: الخصائص الصوتية:

تحتفظ المهرية بنظام صوتي يُعدّ من أكثر الأنظمة السامية محافظةً على سمات قديمة، مما يمنحها قيمة خاصة في الدراسات المقارنة. ومن أبرز مظاهر ذلك احتفاظها بثلاثة أصوات ضمن مجموعة السين والشين، في حين لا تعرف العربية الفصحى إلا صوتين؛ إذ تميز المهرية بين الشين الجانبية، والشيين، والسين (حجازي، د.ت: 201)، وهو تمييز يُعدّ بقايا لنظام صفيري أقدم.

وقد أشار بروكلمان إلى أن العربية الجنوبية احتفظت بأصوات صفيري قديمة كانت قائمة في السامية الأم، ثم اندمجت في العربية الشمالية لاحقاً (بروكلمان، د.ت: 31). ويتجلى ذلك في ألفاظ مهريّة مثل: شَجْرِيْث (شجرة)، وشَرِيْن (قدم)، حيث تظهر خصائص صوتية لا تقابلها العربية الفصحى على نحو مطابق.

ومن الظواهر الصوتية البارزة كذلك وجود الأصوات الجانبية الاحتكاكية، وهي أصوات تنتج عن تداخل لسان-لثة مع انسياب الهواء جانبياً، وتعدّ فونيمات مستقلة في النظام الصوتي المهري. وقد أُشير إلى هذه الظاهرة قديماً عند سيوييه، وأعيد تحليلها حديثاً في إطار الفونولوجيا السامية (Claude & Senelle, 1997) ومن أمثلتها كلمة رحاض المهرية بمعنى (غسل)، و كلمة خضخض حيث تنطق الضاد فيها احتكاكية تخرج من جانبي اللسان.

أما ظاهرة سقوط صوت العين أو قلبه همزة، فهي من التحولات المعروفة في بعض فروع السامية؛ فقد أشار موسكاتي وآخرون إلى وجود هذا التحول في العربية الجنوبية القديمة (موسكاتي وآخرون، 1993: 79). كما يؤكد ظاظا أن حروف الحلق، ولا سيما العين والحاء، تُعدّ من السمات المركزية في السامية، غير أنها قد تضيع في بعض الفروع كما في البابلية الآشورية (ظاظا، 1990: 16). وعليه فإن ما يظهر في المهرية يُعدّ امتداداً تاريخياً لتحولات سامية معروفة، لا ظاهرة شاذة.

ثانياً: الخصائص الصرفية والنحوية

تتنمي المهرية إلى البنية العامة للغات السامية، ولا سيما في اعتمادها الجذر الثلاثي أساساً اشتقاقياً (ولفنسون، 1929: 14)، حيث تُؤلّد المعاني عبر الأوزان الصرفية في نسق اشتقاقي منظم.

كما تتسم ببناء الجمل على أسلوب التوازي (parataxis)، حيث تتجاوز التراكيب دون إفراط في أدوات الربط (حجازي، د.ت: 147)، إضافة إلى حضور الجملة الاسمية بوصفها بنية مستقلة (ظاظا، 1990: 22).

ومن أبرز سماتها الوظيفية:

- **ضمائر الغيبة:** المذكر (هه) وجمعه (هيم)، والمؤنث (سه) وجمعه (سين)، مع قلب الهاء سيناً في المؤنث، وهو تطور أشار إليه ظاظا في سياق العربية الجنوبية (ظاظا، 1990: 119).
- **صيغة التعدية "هفعل":** تقابل وزن "أفعل" في العربية الشمالية، وتعدّ من السمات الأساسية في اللهجة السبئية (حجازي، د.ت: 185)، مثل الألفاظ المهرية التالية: هشل، هخلف، هملك.
- **أداة التعريف بالهاء:** وهي عنصر قديم في السامية الأم، يظهر في ألفاظ مثل: حَيَذِين، هَجَبَع، هِيْغَرِيْب (بالحاف، 2015: 619).

- استعمال "بر" بدل "ابن" في الأسماء ومصطلحات القرابة (Watson, 2012:179) مما يعكس استمرار بنية اسمية قديمة. إذا تشير الدراسات المهمة بالشأن السامي تدوال هذه الصيغة في اللغات القديمة.
- لاحقة التانيث (يت/وت) (مثل: شجريت، حرميت، مسحوت، وهي مرفيم تانيث قديم له نظائر في لغات سامية أخرى (بالحاف، 2015: 621).
- لاحقة الكاف بدل التاء في بعض صيغ المخاطب، مثل: غربك، أتلحك، وهي ظاهرة صرفية مميزة.

ويتضح من ذلك أن المهرية تحتفظ بجملته من السمات الصرفية ذات الامتداد السامي، مما يعزز أهميتها في الدراسات المقارنة.

ثالثاً: الخصائص المعجمية

تقوم اللغات السامية على نظام الجذر الثلاثي، حيث تحمل الصوامت المعنى الأساس، بينما تعبر الحركات عن التحويلات الصرفية والدلالية (بروكلمان، د.ت: 83؛ عبد التواب، 1999: 45). ومن ثم، فإن دراسة الكلمة السامية تقتضي ردها إلى أصلها الاشتقاقي، وتحليل تحولاتها الصوتية والدلالية (حجازي، د.ت: 148). ويمكن ذلك في "ملاحظة الصلة القائمة بين كلمة وأخرى سابقة لها، وذلك بشرح تغير أصواتها ورسومها بالاعتماد على القواعد الصوتية، أو ما يطرأ على معانيها من تطور في أزمنة مختلفة" (الحمزاوي، 1987: 9).

وعلى الرغم من دور السياق في توجيه الدلالات، فإن "الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها، مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعو إليها" (فندريس، 2014: 232). وهذا يعني أن للمفردات حياة مستقلة في الذاكرة اللغوية، قبل أن تنتظم في سياقاتها التركيبية.

وهذا المنهج هو ما نطبقه في دراسة الخصائص المعجمية للغة المهرية، التي تكشف عن شبكة واسعة من الألفاظ المشتركة مع العربية الفصحى، سواء في الجذر أو المجال الدلالي، مع وجود فروق ناتجة عن تحولات صوتية أو انزياحات معنوية

(حجازي، د.ت: 210). وتتيح هذه الظاهرة تتبع الأصول المشتركة ورصد مسارات التطور الدلالي.

وإذا نظرنا إلى الألفاظ المهرية من منظور صرفي اشتقاقي مقارنة باللغة العربية، وانطلاقاً من الرؤية الكوفية ⁽¹⁾ التي تقدم الفعل بوصفه الأصل في الاشتقاق (ابن الانباري، 2003: 190/1) فإننا نجد أن تصنيف عامر بالحاف (2016: 69) للأفعال المهرية يكتسب مشروعية منهجية، حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام:

1. أفعال متوافقة مع العربية لفظاً ومعنى.

2. أفعال متوافقة في المرادف.

3. أفعال مهريّة أصيلة بعيدة عن الفصح.

ويمثل هذا التصنيف أداة تحليلية تمكّن من تمييز المشترك الجذري من الخاص المحلي، كما يعكس ثلاث خصائص معجمية كبرى في المهرية: الانتماء السامي المشترك (في القسم الأول)، والتنوع الدلالي والثراء المرادفي (في القسم الثاني)، والخصوصية البيئية والثقافية (في القسم الثالث).

ومن منظور تاريخي مقارنة، تشير الدراسات الحديثة إلى أن اللغات العربية الجنوبية الحديثة تمثل فرعاً مستقلاً داخل السامية الجنوبية، مع احتفاظها بجذور مشتركة تعود إلى مرحلة سابقة على تمايز الفروع. (Kogan, 2015) ومن ثم، فإن أوجه الاشتراك المعجمي لا تُفسّر دائماً على أنها اقتراض مباشر، بل قد تعكس أصلاً سامياً مشتركاً.

معجم الصحاح للجوهري

تُعد صناعة المعاجم من أقدم الصناعات المعرفية في التراث البشري، وقد نشأت مبكراً عند الهنود واليونان والمصريين، ثم تطورت في الثقافة العربية الإسلامية

⁽¹⁾ المذهب الكوفي يخالف البصريين في مسألة أصل الاشتقاق، حيث يرى الكوفيون أن الفعل هو الأصل، بينما يرى البصريون أن المصدر هو الأصل. وقد لاحظنا أن تصنيف بالحاف للأفعال المهرية يتوافق مع الرؤية الكوفية، مما يتيح مقارنة منهجية تستثمر هذا التصنيف في سياق أوسع من الدرس اللغوي المقارن. وهذا الاستنباط من الباحث، ولم يشر إليه الدكتور بالحاف في كتابه.

نتيجة الحاجة إلى توثيق اللغة وتفسيرها (عمر، 2009: 25). وكانت البداية المنهجية مع الخليل بن أحمد في معجم العين (أمين، 2012: 591؛ يعقوب، 1985: 29)، ثم توالى الأعمال المعجمية بعده، فظهرت معاجم مثل: "الحروف" لأبي عمرو الشيباني، و"الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، و"الجمهرة" لابن دريد، و"تهذيب اللغة" للأزهري، و"الصاحح" للجوهري، إلى جانب "المقاييس" و"المجل" لابن فارس، و"لسان العرب" لابن منظور.

وقد اختلفت مناهج ترتيب المواد في هذه المعاجم، فمنها ما اتبع الترتيب الصوتي كـ"العين"، ومنها ما اتبع ترتيب الحرف الأخير كـ"الصاحح" و"القاموس المحيط"، ومنها ما رتب حسب الحرف الأول كـ"أساس البلاغة" (الفضلي، 2009: 265).

أما ترتيب الجوهري للمواد في معجمه الصاحح، فقد جاء بحسب الحرف الأخير من الجذر، مع تجريد الكلمة من الزوائد، وتنظيم الأبواب والفصول وفق الحرفين الأول والثاني (بشر، 2005: 345). وقد سمى معجمه "الصاحح" لأنه التزم فيه ما صحَّ عنده روايةً ودرايةً، مما تلقاه مشافهةً من أصحاب اللغة الثقات (إميل، 1985: 105). ومن أغراض تصنيفه تحقيق أمرين أساسيين: التزام الصحيح من المواد اللغوية، وتيسير البحث على المستعمل (نصار، د.ت: 484/2).

ويأتي اختيار "الصاحح" في هذه الدراسة كونه يمثل نموذجاً للمعجم العربي الذي اعتنى بالصحيح من اللغة، مع سهولة التبويب والترتيب، مما ييسر عملية المقارنة المعجمية مع الألفاظ المهرية، خاصة في الجذور المشتركة.

المبحث الثاني: الأصول المعجمية المتعلقة بالإنسان

تحتل الألفاظ الدالة على الإنسان مركزاً محورياً في البنية المعجمية لأي لغة؛ إذ تمثل صلته بذاته وبالآخرين وبما يحيط به من علاقات اجتماعية ووظيفية. ومن هذا المنطلق، تكتسب دراسة الأصول المعجمية للألفاظ المهرية المتصلة بالإنسان أهمية

خاصة، لما تكشف عنه من عمق تاريخي واستمرارية لغوية تمتد إلى العربية الفصحى.

ولا يخفى الأثر البالغ للعملية اللغوية في تحقيق نظم الاتصال والتعبير عن فكر الفرد والجماعة وشعورهما، وهو ما يتجلى بوضوح في الحقول الدلالية المتصلة بالإنسان، من حيث أسمائه، وأعضاء جسده، وصفاته، وأفعاله، وما يعتريه من عوارض وأحوال. واللغة المهرية، في هذا السياق، ليست بدعاً بين لغات العرب، بل تحتفظ بقدر وافر من المادة اللغوية التي تعود في أصولها إلى الجذور الفصيحة التي أثبتتها المعاجم العربية القديمة.

ويلاحظ أن كثيراً من هذه الألفاظ المهرية قد تبدو، للوهلة الأولى، بعيدة عن الاستعمال العربي المعاصر، إما لكونها مهجورة في الفصحى، أو لما طرأ عليها من تغيرات صوتية أو دلالية، غير أن تتبع جذورها في **معجم الصحاح للجوهري** يكشف عن توافقٍ معجمي واضح، يؤكد أن هذه الألفاظ تمثل امتداداً حياً للأصل العربي القديم.

ويهدف هذا المبحث إلى رصد نماذج مختارة من الألفاظ المهرية المتعلقة بالإنسان، وتصنيفها ضمن حقول دلالية محددة، ثم مقارنتها بما ورد في معجم الصحاح من حيث الجذر والدلالة، مع الإشارة إلى ما طرأ عليها من تطورات صوتية أو دلالية، وذلك بغية إبراز طبيعة العلاقة المعجمية بين اللغة المهرية والعربية الفصحى، والكشف عن مظاهر الاستمرار اللغوي في لهجات العرب الجنوبية.

أولاً: أسماء الأسرة:

أب: تستعمل اللغة المهرية في هذه المادة كلمة **حَيْب**، والجمع **حُوب**. والحاء هنا حرف تعريف، ينطق في بعض المناطق "هاء". واستناداً إلى الدراسات التي تناولت أداة التعريف في الساميات، تبين أن أداة التعريف هي الهاء، وأن الهاء عنصر تعريف في اللغات السامية الأولى احتفظت به اللغة المهرية (بالحاف، 2016: 93). وقد أشار جونسون في معجمه إلى أن صيغة التعريف 'Tb هي إلى حد ما تجريد نحوي

(Johnstone, 1987: 2). والحاصل أن الكلمة المهرية توافق الأصل المعجمي الوارد في معجم الصحاح للجوهري، حيث جاء فيه: "والأب أصله أبو بالتحريك، لأن جمعه آباء، مثل قفا وأقفاء ورحى وأرحاء، فالذاهب منه واو، لأنك تقول في التنثية: أبوان" (الجوهري، 1984: 2260). ونستنتج من ذلك أن اللفظة المهرية بقيت على أصلها الثنائي القديم (الحرف المعتل + الباء)، مما يعكس استمرارية البنية الثنائية في بعض الألفاظ الأساسية.

أم: لفظها في المهرية هام، والجمع هاموتن، والهاء حرف تعريف كما سبق. وتشارك الكلمة في الأصول المعجمية مع العربية، قال في الصحاح: "والأم: الوالدة، والجمع أمات" (الجوهري، 1984: 1863). ونلاحظ هنا أيضاً بقاء الأصل الثنائي (أم) مع عنصر التعريف، مما يؤكد استمرارية هذه البنية في الألفاظ الدالة على القرابة.

حيم: تُستخدم حيم للمذكر، وحميت للمؤنث بمعنى الصهر (المهري، 2013: 234/1). وقد ورد في الصحاح ما يؤكد اشتراك هذه اللفظة المهرية مع نظيرتها العربية الفصحى، حيث جاء: "وحماة المرأة: أم زوجها، لا لغة فيها غير هذه. وكل شيء من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم الأحماء، واحدهم حما. وفيه أربع لغات: حما مثل قفا، وحمو مثل أبو، وحم مثل أب، وحمء ساكنة الميم مهموزة، عن الفراء. وأنشد: قلت لبواب لديه دارها * تأذن فإني حمؤها وجارها. ويروى: "حمها" بترك الهمز. وكل شيء من قبل المرأة فهم الاختان. والصهر يجمع هذا كله" (الجوهري، 1984: 2319). ويتضح من هذا النص تعدد اللغات العربية في هذه المادة، مما يعكس عمق الصلة التاريخية بينها وبين اللفظة المهرية.

برأ: تستعمل المهرية حبرى للمذكر، وحبريت للمؤنث بمعنى الابن والبنت (المهري، 2013: 182/2). كما تستعمل برزوت بمعنى "ولدت"، وبر بمعنى "ابن"، وبريت بمعنى "بنت" (مؤنثة بعلامة التاء المسبوقه بالكسرة الطويلة). تدعم هذه المعطيات افتراض اشتراك اللفظة المهرية مع الأصل اللغوي الفصحى "ب ر أ" الدال على الخلق والإنشاء، وذلك للأسباب الآتية:

- أولاً: ما ورد في الصحاح تحت هذه المادة: "وبرأ الله الخلق برءاً، وأيضاً هو البارئ. والبرية: الخلق، وقد تركت العرب همزه. قال الفراء: وإن أخذت البرية من البرى - وهو التراب - فأصلها غير الهمز" (الجوهري، 1984: 36).
- ثانياً: تحمل "حبرى" دلالة "المخلوق"، وترتبط "حبريت" (بنت) بالفعل المهري "برووت" (ولدت)، وكلها تعزز صلة الكلمة بالمفهوم الفطري للنسل والميلاد.
- ثالثاً: بالنظر إلى الساميات، نجد لفظة "بر" بمعنى ابن في الأرامية، و"برا" في السريانية (كمال الدين، 2008: 35)، مما يعزز أن للكلمة علاقة باستخدام سامي قديم، وهي من ذوات الأصل الثنائي.

ثانياً: أعضاء الجسم

المتأمل في المفردات الدائرة حول موضوع أعضاء جسم الإنسان، يجد أن مادتها اللغوية تتوافق مع الأصل المعجمي الفصيح، وإن كانت قد طرأت على الألفاظ المهرية تغيرات صوتية أبعدتها نوعاً ما عن الأصل العربي. وعندما نستعرض مواد معجم الصحاح للجوهري في هذا الحقل الدلالي، نقف على كثير من وجوه التوافق للألفاظ المهرية، فمن ذلك:

جث: تستعمل اللغة المهرية كلمة **جَثِيَت** (بالشين الجانبية) للدلالة على جسم الإنسان. وردت هذه المادة في الصحاح: "الجثة: شخص الإنسان قاعداً أو نائماً" (الجوهري، 1984: 277). والشين في هذه الكلمة تُنطق نطقاً جانبياً، وهو نطق قديم احتفظت به المهرية، وقد أشار إلى ذلك الدكتور حسن ظاظا بقوله: "وأما حرف التاء فإنه يتأرجح في غير العربية من اللغات السامية بين الشين أو السين أو التاء" (ظاظا، 1990: 19).

شفر: يوافق هذا الأصل في اللغة المهرية كلمتان: **شفرين** و**شفریت**، وكلاهما بالشين الجانبية المهرية. وسنذكر الثانية لاحقاً في آلات الإنسان. أما **شفرين** فتعني أهداب العين، قال في الصحاح: "والشفر بالضم: واحد أشفار العين، وهي حروف الأجفان الذي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب" (الجوهري، 1984: 701/2).

ضفر: تُطلق كلمة **ضفريت** في المهرية على الخصلة من الشعر تُضَفَر وتُرْتَب. ويلاحظ أن الضاد تُنطق نطقاً جانبياً احتكاكياً، لا انفجارياً كما في العربية المعاصرة، وهو ما يُعد من الخصائص الصوتية القديمة التي احتفظت بها المهرية. وتعود الكلمة إلى الأصل العربي الفصحى "الضَفَر"، وجاء في الصحاح: "الضَفَر: نسجُ الشعر وغيره عريضاً. والتضفير مثله. ويقال: انضَفَرَ الحبلان، إذا التويا معاً. والضيفرة: العقيصة. يقال: ضفرت المرأة شعرها، ولها ضفيرتان وضفران أيضاً، أي عقيصتان" (الجوهري، 1984: 721/2). ومن الناحية الصرفية، تُجمع الكلمة في الفصحى على "ضفائر" على وزن "فعائل" (الإستراباذي، 1975: 250)، أما في المهرية فتُجمع على "ضيفار"، بإمالة الألف نحو الياء، وهو ما يعكس ميلاً صوتياً في المهرية نحو التسهيل والتلين.

نخر: انخِرير اسم للأنف في اللغة المهرية، وتتفق هذه الكلمة مع الأصل المعجمي (نخر)، حيث ورد في الصحاح: "يقال: هشم نخرته، أي أنفه. والمنخر: ثقب الأنف، وقد تكسر الميم اتباعاً لكسرة الخاء... والنخير: صوت بالأنف. تقول منه: نخر ينخر وينخر، نخرأ ونخيراً" (الجوهري، 1984: 824/2). ونلاحظ هنا موافقة اللفظ المستعمل للمعنى الدال على العضو في صور اشتقاقه من هذه المادة.

كرش: الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان، تؤنثها العرب، وفيها لغتان: كَرَش وكَرَش، مثل كَبِد وكَبِد (الجوهري، 1984: 1017/3). وفي المهرية تستعمل اللفظة للدلالة على المعدة في الإنسان وغيره، ومن ناحية النطق تُشبع حركة الضم في حرف الكاف، وتُنطق الشين جانبية.

أذن: تُنطق في المهرية **حَيَذِين** للواحد، و**حَيَذِنْتَن** للأذنين. ونلاحظ بعض التغيرات الصوتية التي طرأت على اللفظة المهرية:

- التغيير الأول: دخول الحاء (أو الهاء في بعض المناطق) على الكلمة، وهي كما سبق أداة تعريف باقية في المهرية من آثار اللغات السامية القديمة.

• التغيير الثاني: اللاحقة "تن" الدالة على التأنيث والجمع، "ففي الأعم الأغلب من المواطن لا يفرق المهيرون عادةً بين المثنى والجمع، بل يعاملون المثنى معاملة الجمع، إذ تلحق الكلمة المفردة علامة الاسم (تن)" (بالحاف، 2016: 87).

لسن: لشين في المهرية بمعنى لسان، واللسان جارحة الكلام (الجوهري، 1984: 2195/6). ونطق المهرة لهذه الكلمة بالشين هو أثر من الآثار السامية القديمة، "لأن قلب الشين سينا حدث في العربية الشمالية في وقت متأخر نسبياً" (بروكلمان، د.ت: 49).

ثدي: تُؤدي تتطابق الكلمة المهرية "تُودي" في الدلالة على هذا الجزء من جسم الإنسان مع الأصل العربي الفصحى "تُدّي". قال صاحب الصحاح: "الثنى يذكر ويؤنث، وهو للمرأة والرجل أيضاً، والجمع أُنْد وتُدّي على فُعول، وتُدّي أيضاً بكسر التاء إتباعاً لما بعدها من الكسر" (الجوهري، 1984: 2291).

ويلاحظ في النطق المهري لهذه الكلمة تنوع لهجي مثير للاهتمام، ففي معظم مناطق المهرة تنطق التاء كما في العربية الفصحى (تودي)، بينما في بعض المناطق المهرية الغربية الجنوبية ينطقونها تاء فيقولون "توودي". وهذا التحول (التاء ← تاء) يمثل أثراً سامياً قديماً، حيث تظهر في بعض اللغات السامية ظاهرة اختفاء الأصوات الأسنانية وتحولها إلى مقابلاتها الأسنانية (التاء والبال) (حجازي، د.ت: 198). أما من الناحية الصرفية، فتجمع الكلمة في المهرية على "ثيدين" بزيادة اللاحقة (تن) الدالة على الجمع، وهي سمة صرفية مهريّة سبقت الإشارة إليها في مفردات مثل "أذن" (حيدنتن).

يدي: قال صاحب الصحاح: "اليد أصلها يدي على فعل ساكنة العين، لأن جمعها أيد ويدي. وهذا جمع فعل مثل فلس وأفلس وفلوس...". (الجوهري، 1984: 2539/6). وتقابل مفردة اليد العربية في المهرية لفظة حَيْد، وتجمع على حيدوتن. وتنطق الحاء في بعض المناطق هاء لتقارب المخرج، والهاء عنصر تعريف في اللغات السامية

الأولى، مما يعني أن المهرية احتفظت بعنصر سامي قديم للتعريف (بالحاف، 2016: 93).

ثالثاً: في أوصاف الإنسان

وفيما يلي مفردات مهريّة تدور حول موضوع صفات الإنسان، توافق أصولها الأصول المعجمية في كتاب الصحاح، نقف على تلك الأصول التي ما زالت تستعمل في اللغة المهرية وانحسرت في العربية المعاصرة:

همج: هَمِجٌ، مفرد، جمعه "هموج" وصف يُطلق على الأحمق الذي لا عقل له ولا نظام، وهو متصل بجذر [ه م ج]، قال الجوهري: "ويقال للرعاع من الناس الحمقى: إنما هم هَمَجٌ" (الجوهري، 1984: 351).

هوج: هَوِيجٌ تحمل هذه الكلمة المعنى ذاته لكلمة "هميج"، وتُوصف بها الشخصية الحمقاء المتسرعة. وقد ورد الجذر في "الصحاح" بلفظ "أهوج"، بمعنى "سريع الحمق قليل الرأي" (الجوهري، 1984: 351). وهكذا يظهر الاشتراك الدلالي بين المهرية والفصحى، كما تظهر ظاهرة الترادف في المعجم المهري.

فشل: فَشِيل (الشين المهرية الجانبية) لوصف الرجل بالتراخي والكسل والبدانة، والرجل الضعيف الجبان، والجمع أفشال. وقد فشل بالكسر فشلاً، إذا جبن (الجوهري، 1984: 1790/5).

نغل: نَاغِلٌ تستخدم في المهرية في معرض الشتم والذم، وتدل على الشخص الفاسد في طباعه. وهي مأخوذة من مادة "نغل"، وجاء في "الصحاح": "نغل الأديم: فسد، ويقال: فلان نغل، إذا كان فاسد النسب" (الجوهري، 1984: 1832).

رابعاً: العوارض والأمراض

نخصص هذا القسم للمفردات المهرية المتوافقة مع الأصول المعجمية التي تدور فيما يعرض للإنسان من عوارض لا تكون له لازمة، وما يتعلق بذلك من عيوب خلقية وأمراض:

جَشَأُ: جَشَأَتِ اسْم، والفعل (جَشِئًا) و"اجشؤش" (المهري، 2013: 21)، بمعنى تجشأت تجشؤًا، والتجشئة مثله. قال الراجز:

"ولم تَبْ حُمَى بِهِ تَوَصِّمُهُ ... ولم يُجَشِّ عَنْ طَعَامٍ يُبْشِمُهُ"
والاسم الجشأة، مثال: الهمزة. قال الأصمعي: ويقال الجُشاء، على فُعال، كأنه من باب العُطاس والبُوال والدُّوار (الجوهري، 1984: 41).

ونلاحظ في نطق المهرة لكلمة جَشَأَتِ نطقاً مختلفاً للشين عن العربية الفصحى، إذ تخرج جانبية من طرفي اللسان. وهذا أثر من الآثار السامية القديمة التي احتفظت بها المهريّة. فقد افترض الباحثون وجود ثلاثة أصوات في اللغة السامية الأولى: السين، والشين الجانبية، والشين. وبينما تضم العربية الفصحى صوتين فقط (السين والشين)، تضم المهريّة الأصوات الثلاثة. يقول الدكتور فهمي حجازي: "أما ذلك الصوت الذي افترض وجوده في اللغة السامية الأولى فقد ظل موجوداً في المهريّة" (حجازي، د.ت: 201)، ويقصد به الشين الجانبية المسموعة في كلمات مثل: جَشَأَتِ، شجريت، شيووط وغيرها.

قَيًّا: قَوِيًّا يقول المهريون: "قَوِيًّا" بمعنى تقيًّا، وهي لفظة فصيحة وردت في معجم الصحاح ضمن الجذر (ق ي أ)، إذ جاء: "قاء يقئ قِيًّا... واستقاء وتقيًّا: تكلف القِيء، وقِيَّاته وأقَاتَه أنا بمعنى... وهذا ثوب يقئ الصبغ إذا كان مشبعاً... ويقال: به قِيَاء (بالضم والمد) إذا أكثر من القِيء" (الجوهري، 1984: 66). ويبدو أن اللفظة المهريّة "قَوِيًّا" احتفظت بهذا الجذر ودلالته، مما يعكس صلة بين المهريّة والعربية الفصيحة.

حَدَب: حَدَبِيَّت تتوافق هذه الكلمة مع ما جاء في "الصحاح": "الحَدَبَةُ: التي في الظَّهْرِ، وقد حَدَبَ ظَهْرُهُ فهو حَدَبٌ، واحدودب مثله. وأحدبه الله فهو رجل أحدب بَيِّنَ الحَدَبِ" (الجوهري، 1984: 108).

ضَبَب: ضَبَّت والفعل الماضي ضَوْب، مضارعه "يَضْبُوب" للمفرد، و"يَضْتَبِيم" للجمع: يطلق على الكلام المشوب بغضب وحمية، وقد يتوسع المهريّة فيستعملونه في الكلام

العادي. وأصل هذا الفعل مادة (ض ب ب)، قال أبو زيد: "أضَبَّ، إذا تكَلَّمَ. ومنه يقال: ضَبَّتْ لثَّتُهُ دماً، إذا سالت، وأضببتُها أنا. فكأنَّ أضَبَّ أخرج الكلام. ويقال أضْبُوا عليه" (الجوهري، 1984: 167/1). وبهذا نعرف أن كلمة "ضَبَّت" المهرية ذات أصل معجمي فصيح.

قدح: قَدَحِيْتُ تُسْتخدَم اللفظة "قَدَحِيْتُ" في اللغة المهرية للدلالة على ألم مفاجئ أو شديد، خاصة في الأسنان أو المفاصل. ويُقابِلها في الفصحى الجذر (ق د ح)، حيث ورد في "الصاحح": "وقَدَحَ الدودُ في الأسنان والشجر قَدْحاً، وهو تَأْكُلُ يقع فيه. والقادِحة: الدودة. والقادِح: الصدع في العود، والسود الذي يظهر في الأسنان" (الجوهري، 1984: 394). وقد جاء في شعر جميل بن معمر: "رمى الله في عَيْنَيَّ بُثْنَةً بالقَدَى ... وفي العَرِّ من أنْيَابِهَا بالقَوَادِحِ" (ديوان جميل: 53).

ومع أن الجذر في الأصل يحمل معنى التأكُل أو التسوُّس، إلا أن معناه في المهرية تطوَّر إلى الدلالة على الألم الناتج عن هذا القادح، وهو امتداد دلالي طبيعي (انزياح دلالي من السبب إلى النتيجة).

بجر: بَجَرِيْتُ تُطْلَق هذه اللفظة في المهرية على ما يخرج من السرة، سواء كان خلقة أو انتفاخاً غير طبيعي. ويقابلها في الفصحى "البَجْرُ"، حيث جاء في "الصاحح": "البَجْرُ (بالتحريك): خروج السرة ونتوها وغَلَطُ أصلها. والرجلُ أبجر، والمرأةُ بَجْراء، والجمع بُجْرٌ" (الجوهري، 1984: 858). وتؤنث الكلمة في المهرية بإضافة التاء بعد الياء (يت)، وهي علامة تأنيث شائعة في البنية الصرفية للمهرية (بالحاف، 2016: 82).

ظلع: يَظْلُوعُ فسر الجوهري في صحاحه معنى هذا الأصل بظلع البعير إذا غمز في مشيه (الجوهري، 1984: 1256/3). وكذلك تدور المادة في كتاب العين على المعنى ذاته: الظلع الغمز. ويخرج المعنى في المهرية من هذا المعنى الحسي الملازم لهيئة سير البعير المريض إلى معنى أوسع لكل من به مرض برجله، فهو يظلع/

يظولع. ففي "تهذيب اللغة": وقال ابن المظفر: الظلع كالغمز، وقد ظلع في مشيه، يظلع، ظلعاً. وقال كثير: وكنتُ كذاتِ الظَّلْعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ ... على ظَلْعِهَا يَوْمَ الْعِثَارِ اسْتَقَلْتُ" (كثير عزة: 99).

نشغ: نَشَغَ تطلق هذه الكلمة في المهرية على الرشح من الأنف بفعل الزكام. قال صاحب الصحاح: "والنشوغ: السعوط والوجور أيضاً، بالغين والعين جميعاً. وقد نشغ الصبي نشوغاً. قال ذو الرمة:

"إذا مرئية ولدت غلاماً ... فألام مرضع نشغ المحارار" والمنشغة: المسعط. قال الشاعر:

"سأنشغه حتى يلين شريسه ... بمنشغة فيها سمام وعلقم" (الجوهري، 1984: 1328).

حبط: حَبِطَ اسم للورم (المهري، 2013: 228/1)، والفعل: حَبِطَ للمذكر، حَبُطُوتَ للمؤنث، والجمع: حَبُطُوتَن. وفي العربية كما ورد في معجم الصحاح: "ويقال أيضاً: حبط الجرح حبطاً بالتحريك، أي ورم ونكس" (الجوهري، 1984: 1118/3). ومما أورده في استعمالات هذا الأصل ما يتوافق مع الدلالة المهرية من جهة الورم والانتفاخ، قال: "والحبط أيضاً: أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها. وقال ابن السكيت: هو أن ينتفخ بطنها عن أكل الذرق، وهو الحندقوق. يقال: حبطت الشاة بالكسر. وفي الحديث: 'إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم'" (الجوهري، د.ت: 1118/3).

ضحك: ضَحَاكَ تُستخدم في المهرية بنفس دلالة الفصحى، غير أن الضاد تُنطق نطقاً جانبياً رخواً احتكاكياً، كما وصفها سيبويه: "صوت مجهور رخو، يمر فيه الهواء في الحنجرة ثم يجري في الفم، غالباً من الجانب" (سيبويه، 1988: 434/4). ويشير أنيس إلى أن الضاد كانت تنطق من أحد الجانبين أو كليهما (أنيس، د.ت: 52). وقد احتفظت المهرية بهذا الصوت القديم، مما يدل على قدمها اللغوي (بالحاف، 2016: 31).

هزق: هَزُوقُ، وَيَهْوَزِقُ، وَهَزِيقُ، وَمَهْزِيقٌ تطلق هذه الكلمة على الشخص كثير الضحك. وقد ورد الجذر في "الصاحح": "أهزق الرجل في الضحك، أي أكثر منه. والمهزاق: المرأة الكثيرة الضحك" (الجوهري، 1984: 1570). وفي "اللسان": "هزق في الضحك هزقاً، وزهزق، وأنزق، وكركر: أكثر الضحك. ورجل مهزاق: خفيف غير رزين" (ابن منظور، د.ت: 368/10).

خامساً: الألفاظ المتعلقة بالأكل والشرب

تحتفظ اللغة المهرية بعدد من الألفاظ المتداولة في مجال الأكل والشرب، وتتشابه في بنيتها الدلالية أو الصوتية مع أصول فصيحة وردت في معاجم اللغة، منها ما أثبتته الجوهري في الصاحح أو ما ورد في أقوال أئمة اللغة مثل الخليل وأبي عمرو. ويتجلى ذلك في الأمثلة الآتية:

مجج: مَجَّيتَ جرعة من الماء يمسكها المرء بفمه. قال في الصاحح في مادة (م ج ج ج): "مَجَّ الرجلُ الشرابَ من فيه إذا رمى به" (الجوهري، 1984: 340). نلاحظ هنا أن الاستعمال المهري للجذر (مجج) يختلف عن الاستعمال الفصيح، حيث تدل الكلمة في المهرية على إدخال الماء إلى الفم وحبسه، بينما تدل في الفصحى على طرحه ورميه. وهذا يعد مثالاً على التحول الدلالي الذي تعرضت له بعض الألفاظ المهرية، حيث حدث اتساع دلالي فأصبحت الكلمة تدل على معنيين متقابلين (إدخال الماء وطرحه).

ثرد: ثَرَّدَ في اللغة المهرية تستعمل كلمة "الثريد" بمعنى خلط الحليب مع الخبز فقط، بينما يتخذ هذا المعنى في المعجم العربي ولا سيما الصاحح معنىً أوسع، إذ يرد بمعنى كسر الخبز، قال الجوهري: "ثَرَّدْتُ الخَبْزَ ثَرْدًا: كسَرْتُهُ فهو ثريد" (الجوهري، 1984: 451). وهذا مثال على التخصيص الدلالي في المهرية مقابل العموم في العربية.

جرع: جَرِعَ/ جَرِيع ورد في الصحاح في مادة (ج ر ع): "جَرَعْتُ الماءَ أَجْرَعُهُ جَرَعًا، وَجَرَعْتُ بالفتح لغة أنكرها الأصمعي" (الجوهري، 1984: 1195). يتفق هذا الأصل المعجمي مع الفعل المهري "جَرِيع/ جَرِيع" بمعنى شرب.

سادسًا: أفعال يمارسها الإنسان

تشكل الأفعال المتعلقة بالنشاط الإنساني اليومي نواة المعجم الحي في أي لغة، وتكشف دراسة هذه الأفعال في اللغة المهرية مقارنة بمادة "صحاح الجوهري" عن طبقات من الاستمرارية والتطور اللغوي. يعرض هذا المبحث عددًا من الأفعال المهرية التي تحافظ على جذور عربية فصيحة، مع رصد التحولات الصوتية والدلالية التي طرأت عليها.

قضا: قِضًا تدل هذه اللفظة في المهرية على قضم الشيء الصلب أو الجاف، كالحبوب والأطعمة اليابسة. وهي مطابقة دلاليًا للأصل الفصح "قضا"، حيث ورد في الصحاح: "قَضَأْتُ الشيءَ أَقْضًا أَقْضًا: أَكَلْتُهُ" (الجوهري 1984: 65). ويلاحظ أن الضاد في اللفظ المهري تُنطق ضادًا جانبية، وهي ظاهرة صوتية تمثل بقايا أصوات سامية قديمة.

عزب: أوزب / عوزب يدل هذا الفعل في المهرية على الرحيل بالماشية بحثًا عن الكلاء، ويتصل بجذر "عزب" الفصح. فقد ورد في الصحاح: "أعزبت الإبل، أي بعدت في المرعى" (الجوهري 1984: 181). وتحافظ المهرية على الجذر مع زيادة أداة التعدي "أ"، مما يشير إلى بقاء صيغة أفعال التعدي حية في الاستعمال.

ضغث: ضَغَثَ في المهرية فعل ماضٍ، مضارعه **يَضْغُوث**، بمعنى يقبض على الأشياء أو يلمسها، لكنه لا يستعمل مع الأشياء الصلبة، بل مع الرخو أو شبه الرخو، مثل جسم الإنسان. وهو معنى محدد بنوع الملموس.

أما في العربية الفصحى، فنجد الأصل مقصوراً على القبض على الحشيش ونحوه من النباتات. قال صاحب الصحاح: "الضغث: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس.

وأضغات الأحلام: الرؤيا التي لا يصح تأويلها لاختلاطها" (الجوهرى، 1984: 285).

وهناك معنى آخر قريب مما ذكره الجوهرى، فالاسم **ضغت** في المهرية يستعمل للدلالة على الحزمة، لكنه في المهرية أوسع دلالة من نظيره في الصحاح، إذ يطلق على الحشيش وغيره مما يمكن أن يقبضه الإنسان بكفه، بينما في الصحاح خُص بالحشيش.

ويجدر الإشارة إلى النطق الصوتي للألفاظ المهرية المشتقة من هذه المادة، فالضاد تُنطق احتكاكية جانبية، كما في مفردات سابقة مثل: "ضحاك" و"ضفير". وتجري على المضارع عملية مد الصوت وإمالة الفتحة نحو الواو، وهي ظاهرة صرفية صوتية مألوفة في اللغة المهرية.

طمث: طموث تستخدم المهرية "طموٲ" بمعنى اللمس، وهو أصل فصيح، إذ قال أبو عمرو: "الطمٲ: المس، وذلك في كل شيء يمس" (الجوهرى 1984: 286). ويشترك مخرج صوت الثاء في المهرية مع الشين الجانبية المسموعة في كلمة "شجريت"، وهي ظاهرة تستحق وقفة خاصة. فالكلمات المهرية لا تسير على وتيرة واحدة في نطق الثاء؛ فهناك كلمات تحتفظ بالثاء العربية، وأخرى تنطقها تاء في المناطق الجنوبية من المهرة. ويمكن تفسير الثاء المهرية "الشين الجانبية" باعتبارها من آثار السامية الباقية التي تطورت عن الثاء العربية التي "تقابلها الشين في الأكادية والعبرية، وتكتب الشين في الخط الصوتي بعلامة السين وفوقها علامة مميزة تكاد تكون بديلاً مرئياً عن نقط الشين العربية بشكل معكوس" (حجازي، د.ت: 198).

نضح: انضح تدل الكلمة المهرية على سكب الماء أو رشه، وهي من أصل فصيح: "نضحت البيت، أي رشيته... والنضح الشرب دون الري" (الجوهرى 1984: 422). ويتحول الضاد في اللفظ المهري إلى صوت احتكاكي جانبي، وهو ما يُعد من بقايا الظواهر الصوتية السامية التي انحسرت في العربية الفصيحة.

رضخ: رضوخ يستعمل المهرة "رضوخ" بمعنى الدق والكسر، وهو مطابق تمامًا لما في المعجم: "رضخت الحصى والنوى، كسرتة" (الجوهري 1984: 422). كما يلاحظ النطق الجانبي للضاد في هذا اللفظ أيضًا.

فطوخ: فطوخ تعني "فطوخ" في المهرية إصابة الرأس بشيء فيجرحه. وقد ورد معنى هذه اللفظة في مادة "فصخ" من الصحاح: "فصختُ رأسه: شدخته" (الجوهري 1984: 429). ويبدو أن المهرية حافظت على الجذر بالطاء حيث استعملت العربية الفصيحة الضاد، مما قد يشير إلى تفرع قديم في الجذور السامية.

قدد: يقدود تستخدم المهرية "يقدود" بمعنى يقطع الشيء، ويُشتق منه اسم "القديد" للدلالة على اللحم المجفف. ويعود هذا إلى أصل فصيح في مادة "قدد": "القُدُّ: الشقُّ طولاً، تقول: قددتُ السيرَ أَقْدُهُ. والقديد: اللحم المقدد" (الجوهري 1984: 522). وقد حافظ الاستعمال المهري على الدلالة الأصلية للجذر مع اتساع في الاستعمال اسمياً ودلالياً، مما يدل على امتداد حي لهذا الجذر العربي في الاستعمال اليومي.

دغر: دغار تعني "دغار" في المهرية دفع الشيء باستخدام عصا أو ما شابهها. والأصل المعجمي العربي يشير إلى الدفع بشكل عام: "وأصل الدغر: الدفع" (الجوهري 1984: 658). وقد ورد في الحديث النبوي الشريف: "لا تعذبن أولادكن بالدغر"، وقد فسره أبو عبيدة بأنه غمز الحلق، وهو الألم الناتج عن العذرة التي تصيب الصبي، فيقوم الشخص بدفع ذلك الموضع بإصبعه (الأزهري 8: 89). "ويبدو أن هذه اللفظة خضعت لتباين لهجي في المهرية، ففي معجم المهري وردت 'دغر' بمعنى سرق (المهري، 2013: 274/1)، وهو معنى يختلف عن الاستعمال في مناطق جنوب المهرة حيث تحتفظ بالمعنى الأصلي (الدفع)".

جزز: جزيز يستخدم المهرة "جزيز" للدلالة على الحصاد وجمع السنبل، وهو مطابق من حيث المعنى والمبنى لما ورد في المعاجم: "جَزَزْتُ البُرَّ والنخلَ والصوفَ... وَأَجَزَّ النخلُ والبُرُّ والغنمُ، أي حان لها أن تُجَزَّ" (الجوهري 1984: 868). ويتسع المعنى

في المهرية ليشمل موسم الحصاد عامة، وهو ما أكده الأزهري: "الجزاز كالحصاد واقع على الحين والأوان" (الأزهري 10: 243).

خضض: يخضوض تعني "يخضوض" في المهرية "الخوض في الماء"، وهي باقية على معناها الفصيح: "خضت الماء أخوضه خوضًا... وأخاض القوم، أي خاضت خيلهم" (الجوهري 1984: 1075).

رحض: رحاض تدل الكلمة على "الغسل"، وتطابق المعنى المعجمي في "رحضت يدي وثوبي: غسلته" (الجوهري 1984: 1077).

سحط: سحاط تستخدم بمعنى "ذبح"، وتتصل بأصل "سحط الشاة" في المعاجم (الجوهري 1: 113)، كما ورد في الحديث "فسحطه سحط الشاة" (الخطابي 2: 572).

سرط: سُرطية تعني في المهرية "بلع"، وهي مطابقة للأصل الفصيح: "سرطت الشيء بالكسر أسرطه سرطاً: بلعته. واسترطه: ابتلعه. وفي المثل: لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى" (الجوهري 1984: 1130). وقد علل علماء القراءات وجه القراءة بالسین في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بأن "الأصل؛ لأنه مشتق من السرط، وهو الابتلاع؛ إما لأنه يبتلع المارة به، أو المار به يبتلعه" (النويري 1: 308).

سلط: ستلط، وسليط أما الكلمة الأولى "ستلط" فتدل على الغلبة والقهر، وقد "سلطه الله فتسلط عليهم" (الجوهري 1984: 1133). وأما "سليط" فيوافق المهرة فيه أغلب العرب القدماء في الدلالة على الزيت، قال الجوهري: "والسليط: الزيت عند عامة العرب، وعند أهل اليمن دهن السمسم" (الجوهري 10: 1134).

قمط: قموط القماط في المهرية هو الحبل الذي يشد به قوائم الشاة عند الذبح، وكذلك ما يشد به الصبي في المهد، وهو مطابق للأصل: "القماط: حبل يشد به قوائم الشاة عند الذبح، وكذلك ما يشد به الصبي في المهد" (الجوهري 1984: 1154). وتجدر الإشارة إلى أن القاف في المهرية تباين القاف الفصيحة التي اختلف القدماء والمحدثون في وصفها؛ فعند القدماء تخرج "من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك

الأعلى، وهي مجهورة مفخمة" (عمر، 1997: 342)، وعند المحدثين "صوت شديد مهموس" (أنيس، د.ت: 72)، أما القاف القديمة الماثلة في المهرية فتصدر "من تلاقي عكدة اللسان واللهاة في أقصى الفم مع مبالغة في التشديد في ذلك التلاقي مع ضغط يقرب لوزتي البلعوم" (مريخ، نقلاً عن بالحاف، ٢٠١٦: 37).

لوط: يلوطا تعني "يلوطا" في المهرية يلتصق ويلزق، وهو معنى فصيح: "الكسائي: لاط الشيء بقلبي يلوط ويليط. يقال: هو ألوط بقلبي وأليط، وإنني لأجد له في قلبي لوطاً وليطاً، يعني الحب اللازق بالقلب. وهذا أمر لا يلتاط بصفري، أي لا يلصق بقلبي" (الجوهرى 1984: 1158).

دلف: يدولف لا يشير الأصل المعجمي في هذه اللفظة إلى تطابق تام، بل يوحي بعلاقة دلالية تحتاج إلى تأمل. فقد ورد في الصحاح: "الدليف: المشي الرويد، يقال دلف الشيخ، إذا مشى وقارب الخطو. ودلفت الكتيبة في الحرب، أي تقدمت" (الجوهرى 1984: 1360). بيد أن المتأمل في فحوى الدلالة يجد أن ثمة رابطة تربط بين اللفظين المهري والفصيح، وهي رابطة الحركة في كل منهما. فالمعنى المهري يشير إلى الحركة السريعة والقفز، بينما يشير المعنى الفصيح إلى الحركة البطيئة. ويمكن تفسير هذه العلاقة بأن اللغة المهرية عممت دلالة الحركة دون تقييدها بوصف السرعة أو البطء، أو أن تطوراً دلالياً طرأ على اللفظ في إحدى اللغتين.

عش: عش / أش تدل اللفظة في المهرية على القيام مطلقاً، بينما هي في المعجم الفصيح مخصصة بنوع من القيام، فقد جاء في الصحاح: "أعششت القوم، إذا نزلت منزلاً قد نزلوه قبلك فأذيتهم حتى يتحولوا من أجلك" (الجوهرى 984: 1011). ويبدو أن المهرية عممت الدلالة على القيام المجرد، بينما خصصتها العربية بنوع معين من القيام المصحوب بالإيذاء.

يتضح مما سبق أن الألفاظ المهرية المتصلة بالحقول الدلالي الإنساني تتوافق في أصولها مع الألفاظ العربية الفصيحة الواردة في معجم الصحاح. وقد تعرضت هذه

الألفاظ لتباينات صوتية أكسبتها طابعاً يبدو غريباً للسمع العربي المعاصر، إلا أنها في الحقيقة تمثل استمراراً لعربية قديمة ما فتئت حية في الاستعمال المهري.

المبحث الثالث: الأصول المعجمية المتعلقة بالبيئة

يتجه هذا المبحث إلى تتبع الأصول المعجمية للألفاظ المهرية المتصلة بحقل البيئة، من خلال تحليل نماذج لغوية تنتمي إلى ثلاثة مجالات دلالية متقاربة، هي: مفردات الطبيعة، والأصوات، والآلات. ويُقصد بالبيئة هنا كل ما يحيط بالإنسان من مظاهر طبيعية، وما يصدر عنها أو يتصل بها من أصوات، فضلاً عن الأدوات التي يستخدمها في معيشته اليومية.

ويهدف هذا التحليل إلى بيان مدى احتفاظ اللغة المهرية بجذورها العربية الفصحى في هذه المجالات، والكشف عن مظاهر التطور الصوتي أو الدلالي التي طرأت على بعض الألفاظ نتيجة الاستعمال المحلي. ويتم ذلك من خلال المقارنة بما ورد في المعاجم التراثية، ولا سيما معجم الصحاح للجوهري، بوصفه أحد أهم المراجع المعجمية في ضبط الجذور وتحديد الدلالات الأصلية.

ومن خلال هذا المسار، يسعى المبحث إلى إبراز الامتداد المعجمي بين اللغة المهرية والعربية الفصحى، وإظهار أن كثيراً من الألفاظ المحلية ليست طارئة أو دخيلة، وإنما تمثل صوراً متطورة لأصول لغوية عربية ضاربة في القدم.

أولاً: الألفاظ الدالة على الطبيعة تتضمن اللغة المهرية مفردات عديدة ترتبط بعناصر الطبيعة، كالأرض، والزرع، والجبال، والبحر، وغيرها، وهي مفردات - وإن بدت محلية في ظاهرها - إلا أنها تردت في كثير من الأحيان إلى أصول معجمية عربية فصيحة. ومن ذلك:

كلاً: مكلًا يُطلق في المهرية على موضع صخري تأوي إليه القوارب. وقد ورد الأصل المعجمي في الصحاح بتفصيل يدل على المرفأ وموضع الرسو (الجوهري 1984: 69)، وهو ما يتوافق مع الاستعمال المهري، والجنوبي عموماً، وفي

المهرة خصوصا في منقطة الباحث يطلق "مكلا" على مرفأ بحري صغير غرب المنطقة..

رقب: ريقب يطلق في المهرية على الغار المرتفع، وجمعه ريقوب. وترد المادة نفسها في العربية الفصحى بمعنى المكان المرتفع، فقد جاء في الصحاح: "الْمَرْقَبُ وَالْمَرْقَبَةُ: الموضع المُشْرِف يرتفع عليه الرقيب" (الجوهري، 1984: 137). ويُلاحظ التقارب الصوتي بين "ريقب" و"مرقب"، مع احتمال حدوث حذف للميم أو إبدال صوتي، وهو من الظواهر المألوفة في التطور الصوتي اللهجي. أما دلاليًا، فقد انتقل المعنى من الدلالة العامة على الموضع المرتفع إلى تخصيصه بالغار المرتفع، وهو تطور دلالي مقبول.

حدج: حدجيت تطلق هذه اللفظة في المهرية على نبتة تنبت بعد هطول المطر، لكنها مرة وغير مأكولة. وهي صلة بمادة (حدج) في المعاجم العربية، إذ ورد في الصحاح: "الْحَنْظَلُ إذا اشتد وصلب، الواحدة حدجة، وقد أٌحدجت شجرة الحنظل" (الجوهري، 1984: 305). ويُلاحظ التقارب في الوصف النباتي بين المعنيين، ولا سيّما صفة المرارة، مما يرجّح صلة اللفظة المهرية بأصلها الفصيحي.

حيد يطلق المهريون لفظ «حيد» على الجبل، وجمعه حيود. وعند التتبع المعجمي، نجد أن الأصل الفصيحي يدل على جزء ناتئ من الجبل، إذ جاء في الصحاح: "الْحَيْد بالتسكين: حرف شاخص يخرج من الجبل..." (الجوهري، 1984: 467). وبناء على ذلك، يكون الاستعمال المهري قد شهد توسعًا دلاليًا، انتقل فيه من الدلالة على الجزء إلى الدلالة على الكل، وهو نوع من التعميم الدلالي المألوف.

خضر: خضيرة يطلق المهريون "خضيرة" (الضاد الجانبية الاحتكاكية) على البحر، ولا سيّما في السياقات الشعرية والأسطورية. مثل قول احد الشعراء المهريين يحذر شخصا من الوقوع في البحر:

برامي حزير شقتك أد خضيرة قصقصتك ، أي يا بن عمي انتبه لخطوتك قبل أن تقضي علي البحر، وكان على حافة جبل مشرف على البحر. وقد ورد في الصحاح:

"الخَضارة بالضم: البحر" (الجوهري، 1984: ص647). ويُحتمل أن تكون اللفظة المهرية قد تطورت صوتيًا من "خضارة" عن طريق الإبدال أو التصغير، مع بقاء الدلالة الأصلية.

• **عفر:** عفور / أفور يُطلق في المهرية على من يقلب التراب، ويقال في المضارع "يوفر". وقد ورد في الصحاح: "العَفَرُ: التراب... وعفره في التراب يعفره عفرًا وتعفيرًا، أي مرغه" (الجوهري، 1984: 751). ويتبين من ذلك توافق اللفظة المهرية مع الأصل المعجمي في الدلالة على التقلب والملاسة بالتراب.

• **خرف:** يُستعمل في المهرية للدلالة على ما حُصد من تمر النخيل عند نضوجه. وقد وردت المادة في الصحاح بصور متعددة، منها: «الخُرْفَة: ما يُجْتَنَى من الفواكه» (الجوهري، 1984: 1348)، وهو ما يدل على اشتراك دلالي واضح بين اللفظين.

ثانيًا: الألفاظ المهرية المتعلقة بالزمان والمكان تحمل الألفاظ المهرية الدالة على الزمان والمكان دلالات متصلة بجذور معجمية فصيحة، وقد وردت كثير من هذه الجذور في معجم الصحاح للجوهري. ومن أبرز هذه الألفاظ:

• **غسم:** غسوم تُستخدم في المهرية للدلالة على الذهاب في الصباح الباكر. وقد ورد في الصحاح: "الغَسْمُ: اختلاط الظلمة" (الجوهري، 1984: 1996). ويُفهم من ذلك أن اللفظة المهرية تطورت دلاليًا من معنى الظلمة أو بقاياها إلى وقت التحرك المبكر.

• **عتم:** أَتم / أتميت تُستعمل للإشارة إلى وقت العتمة، وهي قريبة من الأصل الفصيح «عتم»، كما ورد في الصحاح (الجوهري، 1984: 1979)، مما يدل على احتفاظ اللفظة المهرية بالجذر والدلالة مع بعض التطور الصرفي.

• **هيم:** كلمة هوميت تطلق في المهرية على الصحراء الواسعة، وهي على صلة بما ورد في الصحاح: "الهيماء: المفازة لا ماء فيها" (الجوهري، 1984: 2063)، وهو توافق دلالي مباشر.

ثالثًا: الألفاظ المتعلقة بالحيوان تظهر اللغة المهرية ثراءً واضحًا في الألفاظ المرتبطة بالحيوان، ولا سيما الإبل، وهي ألفاظ تترد في معظمها إلى أصول فصيحة: •ربب: يُقال في المهرية للناقة إذا حنّت. وقد ورد في الصحاح: «أرَبَتِ الناقة: لزمت الفحل» (الجوهري، 1984: 132)، ويظهر هنا اشتراك دلالي عام يدور حول سلوك الناقة.

•ركب: ريكوب اسم جمع للنوق أو المطايا، وهو مطابق للأصل الفصيح كما في الصحاح (الجوهري، 1984: 138).

•سلب: سلبوت يُقال للناقة إذا أسقطت ولداها قبل تمامه، وهو مطابق لما ورد في الصحاح (الجوهري، 1984: 149).

•بكر: بoker يُستخدم للدلالة على البكر من الإبل، وهو مطابق للأصل الفصيح (الجوهري، 1984: 595).

•ضبع: تطلق في المهرية على شدة رغبة الناقة في الفحل، وهو مطابق لما ورد في الصحاح (الجوهري، 1984: 1248).

رابعًا: الألفاظ الدالة على الأصوات

•قَبب: قَببِيَت تُستخدم للدلالة على الصوت المتكرر أو كثرة الهذر في الكلام. وقد ورد في الصحاح: «القَبْبة: الصوت...» (الجوهري، 1984: 197)، مما يدل على تطابق دلالي واضح.

•بربر: بربر تُطلق على الكلام الكثير غير المفهوم، وهو ما يتطابق مع ما ورد في الصحاح: «البربرة: الصوت وكلام في غضب» (الجوهري، 1984: 588).

خامسًا: الألفاظ الدالة على الآلات

•ثعب: مَثْعوب / مَثُوب تُطلق على الميزاب، وقد ورد أصلها في الصحاح: "المَثْعَب: واحد مَثاعِب الحياض" (الجوهري، 1984: 92).

•قَتَب: قَتِيب يُطلق على ما يوضع على الناقة، وهو مطابق للأصل المعجمي (الجوهري، 1984: 198).

• **كبيب:** كَبَيْت تُستخدم لما يُلف عليه الخيط، وهي من «الكبة» في الصحاح (الجوهرى، 1984: 208).

• **غدف:** مغدفوت تُطلق على شباك الصيد، وقد ورد الفعل في الصحاح بمعنى الإرخاء والإرسال (الجوهرى، 1984: 1409).

• **سل:** مسليت تُطلق على الإبرة أو الأداة المدببة، وهي مطابقة لما ورد في الصحاح (الجوهرى، 1984: 1731).

• **قلو:** قلّيت اسم لعود صغير يُلعب به، وقد ورد في الصحاح: «القلة: عود يلعب به الصبيان» (الجوهرى، 1984: 2467).

بيّن مما سبق أن المعجم المهرى، في ألفاظه المرتبطة بالبيئة بمختلف حقولها، يحتفظ بتوافق واضح مع الأصول المعجمية العربية الفصيحة، كما أثبتتها المعاجم التراثية، ولا سيّما معجم الصحاح للجوهري. وقد كشفت الدراسة أن هذا التوافق يشمل الجذر والدلالة، مع وقوع بعض التحولات الصوتية أو التوسعات الدلالية الناتجة عن خصوصية الاستعمال البيئي المحلي. وأظهرت النماذج المدروسة أن اللغة المهرية تمثل امتداداً حياً لطبقات لغوية عربية قديمة، أسهمت استمرارية البيئة والمعيشة في الحفاظ عليها، مما يؤكد قيمة المهرية بوصفها مصدراً لغوياً أصيلاً يثري الدراسات المقارنة، ويساعد على فهم التطور التاريخي للمعجم العربي.

النتائج

في ضوء أسئلة البحث، أسفر التحليل المقارن بين الأصول المعجمية في اللغة المهرية ونظائرها في الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري عن جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: أظهرت النتائج وجود اتفاق واضح بين عدد من الحقول الدلالية المهرية والأصول العربية الواردة في الصحاح، ولا سيما في الحقول الأساسية المرتبطة بالإنسان وأعضائه، والأفعال الحيوية، وبعض عناصر الطبيعة ومظاهر الحياة اليومية. وقد تمثل هذا الاتفاق أساساً في مستوى الجذر الثلاثي، حيث احتفظت

المهريّة بعدد معتبر من الجذور المشتركة مع العربية الفصحى، مع بقاء الصلة الدلالية بين الأصلين في كثير من النماذج المدروسة، الأمر الذي يؤكد عمق الامتداد المعجمي بين اللغتين.

ثانياً: كشفت الدراسة أن التحولات التي طرأت على هذه الأصول لم تخرج عن سنن التطور اللغوي المعروفة في اللغات السامية؛ إذ برزت تحولات صوتية منتظمة، تمثلت في بعض ظواهر الإبدال أو الاحتفاظ بأصوات قديمة لم تعد مستعملة في العربية الفصحى، إلى جانب تحولات دلالية تمثلت في التخصيص، أو التعميم، أو انتقال الدلالة من المعنى الحسي إلى المعنوي. ولم تؤدّ هذه التحولات إلى انقطاع الصلة بالأصل المشترك، بل عكست مساراً تطورياً طبيعياً داخل إطار الأسرة اللغوية الواحدة.

ثالثاً: بينت النتائج أن اللغة المهريّة تمثل امتداداً حياً لعدد من السمات اللغوية العربية القديمة، يتجلى ذلك في محافظتها على نظام الجذر الصامت وآليات الاشتقاق، واستمرار عدد من البنى الصوتية والدلالية المشتركة مع العربية التراثية. غير أن هذا الامتداد لا يعني التطابق التام، بل يدل على اشتراك تاريخي عميق أعقبه تطور مستقل لكل من اللغتين.

وتتسق هذه النتائج مع ما قرّره دراسات فقه اللغات السامية، ولا سيما ما أشار إليه كارل بروكلمان من مركزية نظام الجذر في اللغات السامية، كما تؤكد أهمية توظيف المعجم التراثي معياراً للمقارنة في الدراسات التاريخية المقارنة. وبذلك تسهم الدراسة في تعزيز فهم العلاقة بين المهريّة والعربية الفصحى، وتبرز القيمة العلمية للمهريّة بوصفها شاهداً حياً على طبقات لغوية قديمة داخل البنية السامية العامة.

المصادر والمراجع

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، 1962.

ابن دريد، محمد بن الحسن. جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، 1987.

الأزهري، محمد بن أحمد. تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، 2001.

الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، 1982.

أمين، أحمد. ضحى الإسلام. مؤسسة هنداوي، 2012.

الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، 2003.

أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية. مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.

بالحاف، عامر فائل. "المهرية: بعض عناصرها اللغوية القديمة ومفردات فصيحها". مجلة العلوم الإنسانية، العدد 43، 2015، صص. 617-635.

بالحاف، عامر فائل. اللغة المهرية المعاصرة بين عربيتين. مركز حمد الجاسر الثقافي، 2016.

بروكلمان، كارول. فقه اللغات السامية. ترجمة: رمضان عبد التواب، منشورات جامعة الرياض، د.ت.

بشر، كمال. "التفكير اللغوي بين القديم والجديد". دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، 1984.

الحمزاوي، محمد رشاد. "من مصطلحات المعجم: الأساس والأصل". مجلة المعجمية، العدد 3، 1987، صص. 1-7.

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي. معجم البلدان. دار صادر، الطبعة الخامسة، 1995.

ظاظا، حسن. الساميون ولغاتهم: تعريف بالقرايات اللغوية والحضارية عند العرب. دار القلم، الطبعة الثانية، 1990.

عبد التواب، رمضان. فصول في فقه اللغة العربية. مكتبة الخانجي، الطبعة السادسة، 1999.

عمر، أحمد مختار. صناعة المعجم الحديث. عالم الكتب، الطبعة الثانية، 2009.

الفضلي، عبد الله علي. "القواميس والمعاجم في الفكر العربي والإسلامي: دراسة في النشأة والتطور". مجلة جنور، 2009، صص. 251-288.

فندريس، جوزيف. اللغة. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، 2014.

كمال الدين، حازم علي. "معجم مفردات المشترك السامي في اللغة العربية". مكتبة الآداب، الطبعة الأولى، 2008.

المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن. الأزمنة والأمكنة. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1997.

المقحفي، إبراهيم. معجم البلدان والقبائل اليمنية. مكتبة الجيل الجديد، الطبعة الخامسة، 2011. موسكاتي، سباتينو وآخرون. مدخل إلى اللغات السامية المقارن. ترجمة: مهدي المخزومي وعبد الجبار المطليبي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1993.

نصار، حسين. "المعجم العربي: نشأته وتطوره". دار مصر للطباعة، د.ت. النويري، أبو القاسم محب الدين. شرح طبية النشر في القراءات العشر. تحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية، 2003.

يعقوب، إميل. المعاجم اللغوية العربية: بداءتها وتطورها. دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1985.

ALFADLY, Hassan Obeid Abdulla. A Study on the Morphology of Mehri of Qishn Dialect. Universiti Sains Malaysia, 2007.

Claude, Marie, and Simeone Senelle. "The Modern South Arabian Languages." The Semitic Languages, edited by Robert Hetzron, Routledge, 1997, pp. 378-423.

Johnstone, Thomas Muir. Mehri Lexicon and English-Mehri Word-List. School of Oriental and African Studies, University of London, 1987.

Kogan, Leonid. Genealogical Classification of Semitic: The Lexical Isoglosses. De Gruyter, 2015.

Watson, Janet C. E. The Structure of Mehri. Harrassowitz Verlag, 2012.

الإشارات في المقاربة التداولية: قراءة في مذكرات أميرة عربية
سائلة بنت سعيد بن سلطان

الباحثة: أسماء بنت صالح بن عبدالعزيز الحضيف.

جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

Asmaalhudaif@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/10/15 تاريخ قبول البحث 2025/11/15

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/.v7i1.261>

ملخص:

الإشارات هي فرع من فروع التداولية اللغوية التي تُعنى بالعملية التواصلية بين المتخاطبين، فتعكس قدرة النظام اللغوي على الإحالة على المشاركين في العملية التواصلية باستخدام ألفاظ تتغير دلالتها بتغير المتكلم والمخاطب. تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن كيفية توظيف الإشارات في النصوص الذاتية؛ لتعزيز التواصل وبناء العلاقات بين المتخاطبين، من خلال تحليل نماذج مختارة من مذكرات أميرة عربية، بالإضافة إلى إبراز الأبعاد التداولية التي تحددت معانيها في سياقات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، السياق، الإشارات، الإشارات الشخصية، الإشارات المكانية، الإشارات الزمانية.

Deictic References in the Pragmatic Approach: A Reading of the Memoirs of an Arab Princess Author: Salma bint Said bin Sultan

Researcher: Asma Al-Hadif
University: King Saud University

Abstract:

Deixis is a branch of linguistic pragmatics concerned with the communicative process between interlocutors. It reflects the ability of the linguistic system to refer to the participants in the communicative act using words whose meanings shift depending on the speaker and the addressee. This study seeks to reveal how deixis is employed in autobiographical texts to enhance communication and establish relationships between interlocutors. This is achieved through the analysis of selected excerpts from the memoirs of an Arab princess, while also highlighting the pragmatic dimensions whose meanings are determined within different contexts.

Keywords: Pragmatics, context, deixis, person deixis, spatial deixis, temporal deixis.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة الإشارات بوصفها عنصراً لغوياً أساسياً في المقاربة التداولية، من خلال تحليل نماذج مختارة من مذكرات أميرة عربية، هي الأميرة سالمة بنت سعيد بن سلطان، سلطان مسقط وزنجبار. تسعى الدراسة إلى الكشف عن كيفية توظيف الإشارات في النصوص الذاتية لتعزيز التواصل وبناء العلاقات الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب.

تُعَدُّ السيرة الذاتية من أكثر الأجناس الأدبية التصاقاً بالذات؛ إذ تقوم على استحضار التجربة الشخصية واسترجاعها بلغة تعكس الوعي بالزمان والمكان، فمن خلالها يعبر المبدع عن آلامه، وأماله بكل صراحة وشفافية. وكما يقول أندريه

موراوا: "إن إنتاجاً أدبياً ما، هو بالنسبة للمبدع، قبل كل شيء لوناً من التنفيس، فالمبدع هو ذات تجمعت لديها في مسيرة حياتها مشاعر لم تستطع أن تجد وسيلة لتوظيفها في صورة علمية، وهذه المشاعر تلتف حول الروح وتضغط عليها حتى تجد وسيلةً للانفجار، وعندما تمر بها لحظة الحاجة القوية للتحرك ينبثق عنها العمل الأدبي"⁽¹⁾؛ وهذا الجنس الأدبي يقوم على "الأنا الساردة" التي تروي سيرتها للقراء لتعلن عن مخزون الذكريات التي ظلت محبوسةً في ذاكرتها على مر السنين.

المذكرات الأدبية شكل من أشكال سرد الذات، وقد عرفها معجم السرديات بأنها: "جنس من أجناس القص المرجعي الوقائي؛ إذ يُفترض أنها تقول ما حدث فعلاً، وتزعم الصدق والدقة ضمن ميثاق مرجعي معلن منذ العنوان أو في الفاتحة"⁽²⁾، وفي هذا الجنس الأدبي تقوم الأنا بسرد رسالتها للقراء فكل "رسالة لها قصدها وموقفها وظروف تلقيها"⁽³⁾.

إن سيرة أميرة عربية لسالمة بنت سعيد بن سلطان⁽⁴⁾ هي أحد صور سرد الذات النسائية العربية، التي قدمت فيها الكاتبة قصة حياتها بكل شجاعة ووضوح، متجاوزةً جميع قيود الأعراف الاجتماعية، والضغط الذي قد تلاقيه من الجمهور الذي "يضغط التاريخ الشخصي للكاتب في لحظة واحدة، وهي لحظة معرفته خلال القراءة، فيما الكاتب صيرورة من التحولات التي لا تنتهي، ولا يعاب على المرء الوقوع في الخطأ إنما يعاب عليه نكرانه له أو عدم تخطيه"⁽⁵⁾. في هذا النوع من السرد يكون

(1) فن التراجم والسير الذاتية: 79

(2) معجم السرديات: 380

(3) بلاغة الخطاب وعلم النص: 89

(4) هي: سالمة بنت سعيد بن سلطان، سلطان عمان وزنجبار وحفيدة الإمام أحمد بن سعيد مؤسس السلالة الحاكمة في عمان، واختلفت الروايات في تاريخ ميلادها بين عامي 1844م و1845م وكانت وفاتها عام 1922م عن عمر يناهز الثمانين عاماً. في عام 1866م خرجت من زنجبار إلى ألمانيا للزواج من الألماني الذي أحبته إلا أنه توفي بعد وصولهم ألمانيا بعامين. وقد ألقت هذه المذكرات للقراء الألمان خاصة، لقراء الغربيين عامة، لتعريفهم ببلاؤها وأحوال قومها في القرن الماضي. انظر: مذكرات أميرة عربية، سالمة بنت سعيد بن سلطان: (المقدمة).

(5) السرد والاعتراف: 7

تركيز الكاتب على الأحداث الخارجية أكثر من تقديم تحليل ذاتي عن النفس⁽¹⁾، وكأن الكاتب في هذا النوع من السرد يقوم بدور المؤرخ الذي يرصد الأحداث ويذكرها. تكتسب دراسة الإشارات التداولية في المذكرات الأدبية أهمية خاصة؛ لأنها تُظهر كيف تبني الذات خطابها وتتموضع في سياقها الزمني والمكاني، ومن خلال اللغة يصل الكاتب إلى جمهوره، "فاللغة ليست مادة مجهولة إلى حد عدم الكشف عنها، فهي موجودة في أذهاننا وتصرفاتنا... تحولت إلى نشاط واستعمال عندما اتخذت مفهوم الخطاب"⁽²⁾، وهي وسيلة لرسم الهوية السردية فهي "عنصر حيوي ولا يمكن الاستغناء عنه في حياة كل البشر"⁽³⁾.

من خلال الإشارات تتوجه اللغة في خطابها للمتكلمين لتشكل عملية تواصل فعالة، فاللغة في هذا المقام ليست مجرد أداة وصف؛ بل هي وسيلة لبناء الهوية السردية عبر إشارات تتوجه إلى المتكلم والمخاطب، والزمان والمكان، مما يجعل الإشارية محوراً أساساً في تحليل الخطاب الذاتي. ولعناصر الخطاب في التداولية أهمية خاصة فهي محور الدراسة التداولية؛ لذا تهتم بمكانة "المتكلم في المجتمع وثقافته، ومكانة المستقبل وثقافته، والظروف المكانية والزمانية لإنتاج الخطاب وتلقيه، والإحالات الثقافية لجماعة ما"⁽⁴⁾.

إن الإشارات أول الصيغ التي يستعملها الإنسان في حديثه في بدايته اللغوية عند طفولته، وتكون إما إشارات شخصية مثل الضمائر أنا - أنت، أو إشارات مكانية مثل هنا وهناك، أو إشارات زمانية مثل الآن وأنداك، وغالباً تكون في التفاعل المنطوق وجهاً لوجه⁽⁵⁾. ويختلف استخدام الإشارات وفقاً للخطاب، و"تصنّف الإشارات في اللغة العربية حسب معايير كثيرة، مثل العدد، والجنس، وبعد

(1) انظر: الحقيقة الملتبسة قراءة في أشكال الكتابة عن الذات: 13

(2) لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: 96

(3) من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب رؤية في توظيف اللغة أداة للتغيير والتطوير: 11

(4) التحليل النقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي: 107

(5) انظر: التداولية: 27

المرجع عن المرسل أو قربه"⁽¹⁾، ولا يمكن فهمها بمعزل عن السياق، كما أن الخلفية الثقافية والاجتماعية المحيطة بعناصر التداول (المتكلم والمرجع والمخاطب) لها دور كبير في فهم المراد وتوجيه الاستدلال. و"الإشارة في الاتجاه التداولي تأخذ بعداً يتجاوز مفهوم الإشارة الحسية والإشارة الذهنية ذلك أن الإشارة في المشير المقامي تتعلق بما يدل عليه القول الملفوظ من عمل لغوي، فالقول من حيث هو أثر المتكلم يدل على حضوره ويشير إلى وجوده"⁽²⁾، وكلما فهمت الإشارة من خلال الاستدلال دل ذلك على نجاحها "فالإشارة ليست ببساطة علاقة بين معنى كلمة أو عبارة، وشيء أو شخص في هذا العالم، إنما هي فعل اجتماعي يفترض المتكلم فيه أن الكلمة أو العبارة المختارة لتعريف شيء أو شخص ستفسر كما قصدها هو"⁽³⁾، فالمتكلم يختار إشارياته بعناية لتتوافق والمعنى المراد إيصاله للمخاطب، لأن "ضمائر أنا وأنت وهو وإشارات هذا ذاك والآن، تعابير تختلف إحالتها بالضرورة بحسب ظروف استعمالها أي وفقاً لملفوظها في السياق"⁽⁴⁾

ويمكن تعريف الإشارات أو العناصر الإشارية أو الإشارة بأنها: "فعل يستعمل فيه متكلم أو كاتب، صيغاً لغويةً لتمكين مستمع أو قارئ تحديد شيء ما"⁽⁵⁾، فالصيغ المستخدمة في الكلام هي السبيل لإيصال المعنى بين المتخاطبين، ويرى بول بيكر بأنها "تلك التعابير في اللغة التي تشير إلى مراجع...وتلك المراجع قد تكون ملموسة...وقد تكون مجردة"⁽⁶⁾، فمن خلالها يعرف مرجع الخطاب ويفهم المقصود منه.

أبرز أنواع الإشارات:

(1) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: 40/2

(2) المشيرات المقامية في اللغة العربية: 68

(3) التداولية: 46

(4) المقاربة التداولية: 41

(5) التداولية: 39

(6) المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب: 28

1. الإشارات الشخصية.
2. الإشارات المكانية
3. الإشارات الزمانية:

قد تجتمع هذه الإشارات كلها أو بعضها في خطاب واحد؛ مما يظهر أهميتها في السياق اللغوي التداولي. وفي مذكرات أميرة عربية نقل السارد القارئ إلى عالم من الأحداث والوقائع السياسية، والتاريخية، مستعيناً بالإشارات؛ إذ تلتقي الضمائر مع ثنائيتي الزمان والمكان في الخطاب لتشكل عناصر مهمة من عناصره. فعنصر المكان "يؤدي دوراً محورياً في ارتباطه الدلالي بباقي عناصر الحبكة السردية للنص الذي يعد مقتضى جذري لدلالة الشخصية ومنجزاتها من الحدث، وكذا فهو يتداخل بالزمن إلى حد يشكل معه وحدة"⁽¹⁾، وهذه الوحدة الدلالية تتبلور من خلال تشكيل الإشارات لها وارتباطها في النص. كما أن "العلاقة بين الزمان والمكان تظهر أن مفهوم المكان أعم وأشمل من مفهوم الزمان لأن أحداث أو أنات الزمان إنما تجري في المكان وتابعة له وهي غير مقداره وغير مكانه"⁽²⁾

1. الإشارات الشخصية:

الإشارات الشخصية من مسماها تحيل إلى الشخص، وتدل عليه ويقصد بها "الإشارات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب. فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة عن شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظت فيه"⁽³⁾.

إن الإشارات الشخصية ضمائر تدل على ذات بعينها "ويدخل في الإشارة إلى الشخص النداء وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتبنيه أو توجيهه أو

(1) المكان في النص السردى العربى البنية والدلالة: 15

(2) نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية ابن سينا نموذجاً: 75

(3) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية: 124

استدعائه، وهي ليست مدمجة فيما يتلوها من كلام، بل تنفصل عنه بتتغيم يميزها. وظاهر أن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه⁽¹⁾

في مذكرات أميرة عربية نقل السارد القارئ إلى عالمه الذي نشأ فيه وبدأ فيه طفولته. فيقول: "في بيت الموتني⁽²⁾ أقدم قصور أبي في زنجبار خرجت إلى هذه الدنيا واكتحلت عيناى بنورها وفيه عشت أسعد أيام طفولتي وأجملها حتى بلغت السابعة من عمري"⁽³⁾

يتضمن هذا النص عددًا من الإشارات الشخصية التي تظهر في الضمائر المتصلة والمنفصلة نحو: (خرجتُ، عشتُ، عيناى، أبي) هذه العناصر تُحيل إلى ذات المتكلم، وتُسهم في بناء الهوية الخطابية داخل النص؛ إذ تُقدّم التجربة من منظور شخصي مباشر، فتُحدد المرجع الشخصي وتربطه بالخطاب؛ مما يمنح النص طابعًا اعترافيًا ذاتيًا، يقوّي العلاقة بين الكاتب والمخاطب، فالأنا "التي تمثل الكلمة المفتاح لهوية الفاعل، تبرز بطريقة نموذجية البعد التداولي للغة، فالأنا لا توجد كأنا ولا تبني باعتبارها أنا إلا في علاقتها بالآخر أي داخل شبكة التفاعلات التي تربطها بالوسط الاجتماعي"⁽⁴⁾.

وظهر ارتباط الإشارة الزمانية هنا بالإشارات الشخصية في قول : (حتى بلغت السابعة من عمري) فالسابعة تمثل مرحلة زمنية خاصة في حياة السارد هي مرحلة الانطلاق والحياة، مرحلة العيش في كنف الوالدين دون الاكتراث للحياة، كما أن الزمن هنا يفيد زمن التجربة التي سيتحدث عنها لاحقًا. "ولا ريب أن لمرحلة الطفولة أهميتها في حياة الأديب، وقد ركز بعض الأدباء في سيرتهم الذاتية على مرحلة الطفولة

(1) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 19

(2) هو أحد قصور السلطان سعيد يقع على نهر الموتني. مذكرات أميرة عربية: 53

(3) المرجع السابق: 53

(4) المقاربة التداولية للأدب: 125

لمتابعة نشأة الأنماط السلوكية منذ أن بدأت تتشكل في طفولتهم الباكرة ، فحددت موقفهم من أنفسهم، ومن المجتمع المحيط بهم⁽¹⁾

يستمر السارد في عرض أحداث مختلفة من حياته فينطلق من زنجبار لعدد من المدن التي ولد فيها العديد من الذكريات المختلفة في حلوها ومرها. لقد خرج من بلده الأم زنجبار إلى بلاد الغربية؛ مما جعل المقارنة حاضرةً بين هذه البلدان. وكانت ألمانيا البلد الغربي الأول الذي حظ رحاله فيه، واستعان ببعض الإشارات الشخصية التي تخدم هذه المقارنة فيقول: "ولأنني قد نشأت وترعرعت في بلادي تلك ثم جئت بلاد الغرب وعشت فيها أعواماً مديدة وتعلم أولادي في مدارسها - فلا بد لي أن أقارن بين نظمنا البدائية التي تعلمنا عليها، ونظم التعليم الأوروبية التي يتعلم عليها أطفالنا في هذه البلاد. والتباين واضح بين النظامين واضح فوفرة الثقافة في ألمانيا يقابلها غلبة الجهل في زنجبار"⁽²⁾

تبهر دولة الغربية السارد بما لمسها فيها من مظاهر التطور والتقدم، خاصةً في التعليم، فيجد الفرق الشاسع بين البلدين، واستعان لعقد هذه المقارنة بإشارات شخصية هي: (إنني، نشأت، ترعرعت، نظمنا)، في هذه الإشارات انتقل السارد من المتكلم إلى متكلمين ليشرك الجماعة في الفكرة التي يطرحها وهي أن التعليم في زنجبار لم يصل إلى ما وصل إليه التعليم في ألمانيا من التقدم والتطور؛ مما أضفى حياةً وحركةً على النص؛ ولأن شأن التعليم شأن عام يعني كل أبناء زنجبار - فهو ركيزة أساسية في تطور الأمم وتقدمها - حرص السارد على الالتفات له في هذه المقارنة. فاندماج "الذات في الهم الجمعي يحتم عليها استخدام ما يؤكد هذا الاندماج في عالم الجماعة المشتركة في ذلك الهم"⁽³⁾، وهذا الاندماج الذي ظهر في الانتقال إلى ضمير الجمع يكشف عن انتماء طبقي واجتماعي، سرعان ما يتصدع عند مواجهة الآخر، وهو ما يعكس توترًا في تمثّل الهوية.

(1) اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية: 100

(2) مذكرات أميرة عربية: 114-115

(3) تجليات العلاقة بين الذات والآخر شعر الثبتي أنموذجاً: 35

من ألمانيا ينتقل السارد إلى لندن، التي كانت كغيرها من الدول الأوروبية، قاسى فيها ويلات الإحباط والقهر فيقول: "ولم يمضِ على وصولي إلى لندن وقت طويل حتى دعيت لمقابلة السير بارثل فرير. ولم أكن أعرف هذا الرجل الذي أصبح الحاكم العام لمستعمرة الكاب بالاسم فقط، ولكنني إذا كنت لم أؤمن بالطيرة والتشائم بعد، فقد آمنت بها حال وقع بصري على هذا السياسي الذي يحكم بلدي ويسيطر على سلطانه. فقد بعثت بي نظرتي الأولى إليه إحساس بأن أعز آمالي قد انهارت وأن السبيل أمام مستقبل أولادي قد سدت"⁽¹⁾.

جاءت الإشارات الشخصية في هذا النص لتعبر عن حالة الريبة والشك التي لمسها السارد بالسير بارثل (لكنني، كنت، أؤمن، بنظرتي) كل هذه الإشارات تحيل إلى الحالة الشعورية التي مر بها، والتي حولت موقفه من رفض التشائم والتطير إلى الإيمان به واعتقاده؛ ومما ساعد على تكون هذه النظرة والانتقال من حالة الرفض إلى القبول هو طبيعة المقابلة التي أحبطت الآمال المعقودة، وهدمت التطلعات المرجوة، فأصبحت لندن المكان رمز للإحباط واليأس لدى السارد "فلسلة الإحباطات التي يعانيتها المرء في مكان ما تجعل من هذا الأخير مكانا عدوانيا"⁽²⁾

مع انتقال السارد إلى بلاد الغربية وتغييره لدينه تظل القيم والمفاهيم التي تلقاها في طفولته مغروسة في نفسه؛ إلا أن هذه النفس بدت متأرجحة بين ثقافتين مختلفتين، فظلت في صراع بين القيم التي نشأت وترعرعت عليها فأصبحت جزءاً من ذاتها، والقيم التي وجدتها في بلاد الغربية، والتي تعكس اختلافاً جذرياً عما تربت عليه. يقول: "ولم ألحظ في مدارس هذه البلاد كبير اهتمام بغرس شعور الاحترام والتبجيل للأبوين والكبار في قلوب الأطفال، فإننا لا نجد عند شباب اليوم في هذه البلاد ذلك الشعور المقدس بالتوقير والاحترام الذي كنا أولاداً وبنات نحمله إلى أبينا وأمهاتنا وإلى كل من هو أكبر منا"⁽³⁾.

(1) مذكرات أميرة عربية: 246

(2) بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري: 27

(3) مذكرات أميرة عربية: 115

تظهر الإشارات الشخصية هنا لتعلن الرفض لبعض القيم والأخلاق التي يفقدها السارد في بلاد الغرب، في حين أنها متأصلة في تربية العرب والمسلمين لأبنائهم، فاحترام الأباء والأمهات وتقدير الكبار أخلاق أمر بها الدين الإسلامي قبل أن تكون أخلاقاً عربية، ففي حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)⁽¹⁾

استعمل السارد الضمائر نحو: (ألحظ، إننا، نجد، كنا، نحمله، أبينا، أمنا) ليعلم الرفض الصريح للقيم التربوية في المجتمعات الغربية، ويشعل الحنين لقيم الماضي الجميل ومبادئه التي بدأت تفقد سيطرتها وتتلاشى صورتها بالتغيير الاجتماعي⁽²⁾ الذي خلفته الغربية، فقدّم وصفاً دقيقاً للحياة التي عاشها في بيئتين متباينتين تبايناً جذرياً؛ الأولى بيئة عربية محافظة، تتمسك بقيمها وعاداتها وتقاليدها، وإن لم تبلغ في تطورها المادي ما بلغته المجتمعات الغربية، والثانية بيئة غربية منفتحة ومتعلمة، غير أنّ هذا التقدم المعرفي لم ينعكس بالقدر نفسه على الحياة الاجتماعية والأسرية. فقد برز غياب بعض القيم الأصيلة، مثل برّ الوالدين واحترام الكبير، وهي قيم يُعزى تراجعها إلى قصور في المنظومة التعليمية التي لم تُؤلها هذه المجتمعات العناية الكافية. وفي ظل هيمنة النزعة المادية على نمط العيش في هذه البيئة، نشأ لدى السارد صراع داخلي حاد بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن في الواقع.

2. الإشارات المكانية:

يمثل البعد المكاني عنصراً مهماً من عناصر الخطاب؛ بوصفه نقطة مرجعية تشهد مكان بداية الخطاب. وقد عرّف محمد نحلة الإشارات المكانية بأنها "عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت

(1) منارة القاري شرح مختصر صحيح البخاري.

(2) انظر: الوعي بالاعتراف، الهوية المرأة المعرفة: 31

التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً أو بعداً أو جهةً⁽¹⁾،

تتعدد الإشارات المكانية بين أسماء الإشارة نحو: هنا وهناك، وظروف المكان نحو: فوق وتحت. ومن الباحثين من يرى أن التعريف بال من الإشارات؛ لأنه يقوم بوظيفة اسم الإشارة إلا أن اسم الإشارة يزيد عليها بالدلالة على القريب والبعيد⁽²⁾

في مذكرات أميرة عربية نعود لبيت المونتي الذي بدأ السارد مذكراته بذكره لارتباطه في ذاكرته بالانتماء والوجود فيقول: "في بيت المونتي أقدم قصور أبي في جزيرة زنجبار خرجت إلى هذه الدنيا واكتحلت عيناى بنورها لأول مرة. وفيه عشت أسعد أيام طفولتي وأجملها، حتى بلغت السابعة من عمري"⁽³⁾

يستعين السارد بالإشارية المكانية (بيت المونتي) ليوضح قمة الارتباط والولاء لهذا البيت الذي جمع في كنفاته أسعد الأيام وأجملها، فهو منبع الأمان والاستقرار للسارد، وكما يقول غاستون باشلار: "البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول"⁽⁴⁾، ومن البيت تنطلق الحياة الأولى للفرد ليشكل مع الزمن منبع الذكريات الرئيس، فالبيت الذي يولد فيه المرء يُحفر بشكل مادي في داخله⁽⁵⁾، ويكون رمزاً للألفة والاطمئنان إذا كانت طفولته هادئة مستقرة. وتتجلى مدينة (زنجبار) هنا بوصفها محدداً للمجال المكاني في الخطاب، حيث تؤدي وظيفة تأطير البعدين الجغرافي والوجداني للنص؛ إذ يتغير المكان بوصفه حيّاً مادياً، إلى وعاءٍ للذاكرة ومجالٍ يتكثف فيه الحنين.

(1) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 20

(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 22-23

(3) مذكرات أميرة عربية: 53

(4) جماليات المكان: 38

(5) المرجع السابق: 43

يعود السارد للمكان وهذه المرة يوصف قصر مزرعة مرسليليا (مزرعة السلطان خالد) الذي ورثته ابنتاه بعد وفاته فيقول: " وكان في المزرعة قصر من أفخم القصور هندسة وبناء وأثاثا، فكانت جميع جدرانه - عدا غرفة الصلاة - مغطاة بالمرايا الكبيرة وأرضه مفروشة بالرخام الملون وكانت غرف القصر تعج بأنواع الساعات والتحف النادرة والمزهريات الصينية النفيسة"⁽¹⁾

تبرز الإشارات المكانية في نحو(المزرعة، قصر من أفخم القصور، غرفة الصلاة، أرضه، غرف القصر) لتحديد الإطار المكاني العام الذي يوجد فيه، فالقصر هو نقطة انطلاق الوصف مما يعطي قيمة لهذا المكان، ثم ينتقل ليرز خصوصية المكان وقداسته من خلال تخصيصه لغرف الصلاة بخلوها من المرايا التي قد تشغل المصلين عن العبادة؛ مما يميز هذا الفضاء المكاني عن بقية فضاءات القصر. ثم ينتقل السارد بعد ذلك من الكل إلى الجزء بذكره غرف القصر فيضفي خصوصية أخرى على المكان. إن هذه الإشارات لم يستحضرها السارد لتحديد الموقع ووصفه فقط؛ بل كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بذكرياته التي أعاد تشكيلها من خلال الوصف الدقيق مما أعطى المكان الحيوية والحياة.

ينتقل السارد إلى مكان آخر له أبعاد نفسية مختلفة عن سابقتها فينتقل إلى بيت برغش الذي يشكل في المذكرات مقراً للقلاقل والفتن، حيث انهال عليه وابل من رصاص الثوار الذي اخترق نوافذ المنزل، وحول هذا المشهد يقول: " وفي أثناء حديثنا بدأ البحارة في إطلاق نار بنادقهم بغزارة وتصميم على بيت برغش، وقد اخترق الرصاص نوافذ البيت وكادت واحدة منها أن تصيب برغش نفسه لذا فقد انسحب وأخته وأخوه عبد العزيز إلى القسم الخلفي من الدار ابتغاء السلامة والنجاة"⁽²⁾

تركز الإشارة المكانية هنا على (بيت برغش) الذي يمثل الفضاء الرئيس الذي تدور فيه الأحداث فهو مركز الخطر؛ إذ يشكل رمزاً لتسلط الانقلابيين، وسعيهم

(1) مذكرات أميرة عربية: 157

(2) مذكرات أميرة عربية: 228

الحديث للنيل منه وقتله، حتى كادت إحدى الرصاصات الطائشة أن تصيبه. وهذا الحدث يمثل مشهداً مهماً في تاريخ زنجبار السياسي، وفي توثيقه تسليطاً للضوء على الاضطرابات الداخلية التي لحقت المنطقة بعد وفاة السلطان؛ إذ أنتزع الأمن والأمان وعمت الفوضى البلاد. وفي قوله: (إلى القسم الخلفي من الدار) إشارة مكانية دقيقة تقيد الانتقال في الفضاء المكاني للوصول إلى مكان آمن وبعيد عن مصدر الخطر. لقد عكست الإشارات المكانية حالة الخوف والتهديد والشعور بالخطر التي أصابت سكان المنزل الذي انتقل من فضاء آمن إلى فضاء خطير، فبنت مشهداً درامياً يجعل القارئ يعيش تفاصيل الحدث ويستوعب أبعاده النفسية المكانية.

يستمر السارد في المذكرات بذكر عدد من الأماكن التي تبعث في نفسه ذكريات الشوق والحنين لحياته الماضية، وذلك حين عودته إلى بلاد العرب؛ إذ يجد في مدنها الراحة والسرور. ومن هذه المدن التي حركت في نفسه الذكريات مدينة بورسعيد التي لمس جمالها فيقول: "ومع أن بورسعيد بلدة صغيرة إلا أن المتاجر فيها كثيرة بحيث يجد المرء فيها كل ما يريد ويشتهي. وبور سعيد أيضاً هي بداية الصحراء الواسعة التي تخترقها قناة السويس التي توصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر"⁽¹⁾

يطل المكان في هذه المذكرات؛ ليبرهن تمركه في ذاكرة السارد، ويضفي عليها لوناً من ألوان الحياة المتغيرة، فتظهر هنا مدينة بور سعيد المدينة المصرية العريقة، لتضيف إلى ذكريات السارد شيئاً من التغيير. فبور سعيد البلدة الصغيرة التي هي بداية الصحراء، يجد المرء في متاجرها كل شيء، تخترقها قناة السويس التي تصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر. كل هذه الإشارات المكانية تعطي الإشارة المكانية الرئيسية (بور سعيد) عالماً متسعاً يخرجها من صغر المساحة إلى اتساع المميزات والفوائد.

من بورسعيد ينتقل السارد ليعود إلى مسقط رأسه زنجبار، فيتفجر الحنين مجدداً، وتعود ذكريات الماضي الجميل: "وتبدو مدينة زنجبار من البحر أكثر جمالا مما كانت عليه من قبل .فقد بنيت فيها عدة بيوت جديدة ومما زاد من جمال منظرها الفنار القائم أمام القصر والمضاء بالكهرباء والذي يصفه ضباط بحارته بأنها شجرة عيد الميلاد السلطانية لكثرة مصابيحها."⁽¹⁾

تغيرت زنجبار عن سابق عهدها، فبدت بيوت جديدة لم تكن موجودة في السابق، وكان الفنار بأنواره المضاءة يضفي جمالاً على المدينة. وهنا تظهر الإشارات المكانية (زنجبار، البحر، البيوت، الفنار، القصر) لتكشف علاقة الذات الساردة بالعالم الذي كانت تنتمي إليه؛ وهي علاقة يعترينا الإعجاب بالتطور والتغير الملموس، وحنين للماضي بذكرياته السعيدة ولحظاته المبهجة.

لقد ارتكزت هذه المذكرات في "مرجعيتها الحكائية على حوادث وحكايا ولقطات صورية من حياة ومحيط وتجربة"⁽²⁾، فعبرت عن المكان الذي عاشت فيه بشوق وحنين تارةً ، وتارةً بخوف وتوجس وريبة مما يعكس عمق التجربة التي عاشها السارد وتتنوعها.

3.الإشارات الزمانية:

يعد الزمان من عناصر الخطاب الأساسية ويكاد يكون هو والمكان عنصرين متلازمين. والإشارات الزمانية هي "كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام"⁽³⁾، وتظهر أهميتها بتحديد زمن التلفظ الذي يعد عنصراً فاعلاً في عملية التخاطب بين المتكلمين. وتختلف صور الإشارات الزمانية فقد تكون ظرف زمان، أو أيام، أو شهور، أو سنوات.

(1) المرجع السابق: 260

(2) الذات الساردة سلطة التاريخ ولعبة المتخيل قراءات في الرؤية الإبداعية لسلطان بن محمد القاسمي: 5

(3) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 19

تضفي الإشارية الزمان على التجربة الإنسانية بعدًا تداوليًا مما يبين دقة السارد في سرد الأحداث، وفي مذكرات أميرة عربية يستعين السارد بهذه الإشارات فيقول: "في الساعة السابعة مساءً ألقى المركب الكبير المعد لنقلنا مراسيه أمام البنجلة، وكان من مراكب أبي الخاصة ويقودهم على ما أذكر عشرة ملاحين عدا النوخة ومساعديه"⁽¹⁾

تتمثل الإشارات الزمانية في هذا المقطع في قول السارد: "في الساعة السابعة مساءً"، وهي إشارة زمنية دقيقة ومحددة تُحيل إلى لحظة وقوع الحدث، مما يضفي على السرد طابعًا واقعيًا ويوثق زمن انطلاق الرحلة. كما تحمل هذه الإشارة بعدًا سياقيًا؛ إذ يرتبط وقت المساء عادةً بالهدوء والاستعداد للانتقال أو الرحيل، فلا تقتصر الإشارية الزمانية هنا على تحديد الزمن بشكل كمي، بل تسهم أيضًا في بناء الجو العام للنص، وتعزيز الإحساس ببداية مرحلة جديدة في مسار السرد.

ثم ينتقل السارد ليصف فرحته بيوم سفره وذهابه للساحل الذي يشكل لديه رمزًا للسعادة. فيقول: "وأخيرا حل اليوم الموعد الذي كنت انتظره بأشد اللهفة والشوق، يوم ذهابي - مع أمي وخديجة - إلى بيت الساحل لنقضي فيه يومًا كاملاً هو يوم الجمعة، وهو يوم العطلة الأسبوعية عند المسلمين"⁽²⁾

شكلت الإشارات الزمانية هنا متنفسًا للذات لتعبر عن فرحها بالذهاب إلى بيت الساحل الذي تنطلق فيه مع نسيمات البحر؛ ليتداخل الزمان والمكان فيكونا تجربةً شعوريةً متميزةً، (فبيت الساحل المكان) يمثل الجمال الجغرافي (ويوم العطلة، ويوم الجمعة) الزمان هي أيام ترمز للسعادة والفرح المتلازمين. ومع أن السارد غير دينه الإسلامي إلى المسيحية؛ إلا أنه لا يفتأ يتذكر الدين الإسلامي، ووصف أحوال المسلمين في حياتهم الدينية مما يبين بقاء شيء من الثقافة الإسلامية متأصلًا في جنباته. ففي أكثر من موضع يؤكد السارد على أهمية يوم الجمعة للمسلمين كما

(1) المرجع السابق: 68

(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 76

يصف مشاهد العيد واحتفالات الناس، ومن ذلك قوله: "وفي الساعة السادسة تطلق طلقة مدفع أخرى وتبدأ تحيات العيد... فكل باخرة حربية أجنبية تصل الميناء تطلق واحدًا وعشرين طلقة وكل عربي يشارك ويعلن عن فرحه بإطلاق الرصاص حتى ليخيل للغريب الداخل إلى المدينة أنها في حالة حرب وبعد ساعة تمتلئ المساجد بالمصلين حتى تضيق بهم وتمتد خارجها صفوف غفيرة من المصلين"⁽¹⁾

يشكل العيد بكل ما فيه من فعاليات ومظاهر الفرح والسرور ركيزة أساسية في حياة المسلمين، وهنا السارد يذكر أحوال الأعياد التي عاشها مع أهله، ففي الساعة السادسة صباحًا تبدأ الاحتفالات بأصوات المدافع التي تطلقها البواخر الحربية، ويشارك العرب فرحة العيد بإطلاق الرصاص، ثم تمتلئ المساجد بالمصلين فرحًا بقدوم العيد وابتهاجًا به. وتشكل الإشارات الزمانية والمكانية هنا بعدًا نفسيًا لحدث ديني عظيم يحمل في ثناياه مظاهر الفرح والسرور، فالباخرة التي تطلق القنابل، والمساجد التي تصدح بالمصلين كلها مجتمعة رموز الفرح والسرور في المدينة. وهذا يدل على استمرار السارد في عرض ديانته السابقة.

ومن المواطن التي ذكر فيها السارد يوم الجمعة: وصفه مشهد الاستقبال الذي حضوا به حال وصولهم لبيت الساحل. فيقول: "على هذه الشرفة تجمع القوم يوم وصولنا وكانوا في أجمل زينة وأحسن ملابس احتفالاً بيوم الجمعة وبزيارة السلطان"⁽²⁾ يعبر السارد عن فرحته لذهابه لبيت الساحل الذي يشكل فسحةً للروح والجسد معًا. وظهرت الإشارات الزمانية (يوم الجمعة) لتؤكد ارتباط هذا اليوم بالفرح والسرور، فهو كالعيد بالنسبة للمسلمين، وفيه يجتمعون بالسلطان، فيرتدي الحضور أجمل ما لديهم من ملابس ابتهاجًا بهذا اليوم العظيم.

يستمر السارد باستحضار إشارات زمانية في سرده لذكرياته فيقول: "ويرتفع أذان المغرب عند غياب الشمس في الساعة السادسة، وينصرف الناس إلى أداء

(1) المرجع السابق: 195

(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 83

الصلاة فلا يبدؤون الإفطار إلا في الساعة السادسة والنصف حيث يبلون ريقهم الجاف بقطرات الماء البارد المخزون في جرار الطين. ثم تجتمع العائلة حول سفرة الإفطار. وطعام الإفطار في رمضان وافر الكميات متعدد الأطباق شهي الأنواع، وينال الصائمون من الطعام أكبر منال قبل أن ينصرفوا بدء ليايلهم الرمضانية الرائعة⁽¹⁾

مع أن غروب الشمس لدى الفلكيين هو ظاهرة طبيعية فقط؛ إلا أنه عند المسلمين يرتبط بشعائر دينية؛ إذ يعلن دخول وقت صلاة المغرب في كل أيام العام، ويعلن دخول وقت إفطار الصائمين، وخص هنا الصائمين في رمضان. يشكل شهر رمضان بؤرة الانطلاق في هذا الحدث، وهو مركز الحركة؛ إذ ينظم فعل الصائمين في كل يوم من أيامه، وهذا التنظيم يتسم بالتتابع المنتظم، فعند الأذان الساعة السادسة مساءً يكفي الصائمون برشفة من الماء ليذهبوا لتأدية الصلاة، وفي السادسة والنصف يجلسون للإفطار بما لذ وطاب من المأكولات، وهنا تتابع الأحداث بتسلسل منظم لتصف السياق الديني الذي ظل عالمًا في ذاكرة السارد رغم تغييره لدينه.

في موطن آخر يؤكد السارد الارتباط الديني الإسلامي بغروب الشمس فيقول: "وبمختلف الهوايات وأنواع النشاط تنقضي الفترة القصيرة التي تفصلنا عن الغروب، ويعلن عن غروب الشمس بإطلاق الرصاص وضرب الطبول من قبل الحرس الهندي الخاص. وهذا الإعلان يعني أيضا حلول صلاة المغرب، ويسرع الجميع لأداء هذه الصلاة الرابعة في موعدها لينصرف بعدها كل إما لزيارة الغير أو استقبال الزوار من الإخوان وزوجات الإخوة أو زوجات الأب"⁽²⁾

يوظف السارد إشارات زمانية نحو: (الفترة القصيرة، الغروب، غروب الشمس) التي لا تقتصر على تحديد البعد الزمني فحسب؛ بل تتجاوز ذلك لترتبط بدلالات ثقافية ودينية؛ إذ يُعدّ الغروب عند المسلمين مؤشراً على دخول وقت فريضة

(1) المرجع السابق: 189

(2) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 100

الصلاة. ومن ثمّ، يتم الإعلان عن هذه الفريضة عبر ممارسات اجتماعية متعارف عليها في زنجبار، كإطلاق الرصاص وضرب الطبول بوصفها وسائل تنبيه جماعية. وهذه الإشارات تؤدي وظيفة مزدوجة، فهي لا تحيل إلى الزمن فقط؛ بل تعكس أبعاداً دينية واجتماعية وذكريات مرتبطة بالطفولة والصبا.

ينتقل السارد إلى مكان آخر يطمح أن يجد فيه الحياة الكريمة؛ إلا أن أماله باءت بالفشل وحول هذا يقول: "وبقيت بهد هذا سنتين في هامبرج لم يفارقني فيها سوء الحظ، وقد فقدت مقداراً من ثروتي، بسبب أخطاء بعض الناس الذين وثقت بهم. وأحسست بالنفرة من هذا المكان الذي شهد الكثير من أيام سعادتي وزاد في ألمي أزورار بعض أهل البلد عني وعدم معاملتهم لي المعاملة التي تليق بي"⁽¹⁾

ينتقل السارد هنا إلى تجربة مختلفة في صفحة جديدة من صفحات حياته، وتمثل الإشارية الزمانية (سنتين) بعداً نفسياً مريباً؛ وذلك لارتباطها بسوء الحظ الذي ظل ملازماً له في الغربة، فهامبرج المكان هي صورة أخرى من صور القهر والخذلان، وضياح المال ممن كانت يظن فيهم العون والسند في ألمانيا. فمر شريط حياته الماضية المترفة بسرعة أمام عينيه، لتحيل ثنائيتا الزمان والمكان هنا على تجربة شعورية قاسية مرتبطة بالقهر والألم.

يظل العيد ببهجته ومشاعره مغروساً في نفس السارد رغم تغير الدين فيقول: "والعيد الكبير يقع بعد اليوم العاشر من الشهر الأخير من السنة الإسلامية ويستمر ثلاثة إلى سبعة أيام وعلى كل مسلم قادر أن يضحي بهذا العيد بذبيحة توزع لحومها على الفقراء ولهذا سمي بعيد الأضحى"⁽²⁾

يسعى السارد لتأطير حدث مهم معتمداً على خلفيته الثقافية فيذكر مناسبة دينية إسلامية هي عيد الأضحى؛ فيذكر أنه في اليوم العاشر من ذي الحجة، ويحتفل فيه المسلمون من ثلاثة إلى سبعة أيام. ومن خلال هذه الإشارات يسعى السارد إلى

(1) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 242

(2) المرجع السابق: 197

إيصال جزء من الدين والثقافة الإسلامية إلى المتلقي الغربي. مستعينا بذاكرته التي تحيي الماضي وتوقظ الانفعالات وتبعث التجارب وتحيي وقائع الحياة⁽¹⁾ إذن تعدّ الإشارات في إطار الدرس التداولي عنصراً محورياً في تحليل الخطاب؛ إذ تسهم في إبراز آليات العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب، كما تكشف عن طبيعة العلاقات الاجتماعية التي توطر هذا الخطاب في ضوء السياق الذي يرد فيه. كما تتيح إمكانات استدلالية تساعد على تفسير المعاني وتوضيحها. وقد سعت هذه الدراسة إلى رصد بعض الإشارات التي تؤدي دوراً فاعلاً في تعزيز عملية التواصل بين أطراف الخطاب، "فهي التي تضمن للمتخاطبين تحقيق التواصل دون تكرار، لأنها تمكنهم من استعمال العناصر المقامية التي تغني عن ذكر الأسماء والعلامات التي تحيل عليها اللغة، وتعد كذلك من العناصر الإشارية التي تؤدي دوراً حيويًا فاعلاً في تحقيق القيمة المرجعية للكلام"⁽²⁾

الخاتمة

يفضي تحليل الإشارات في هذه المذكرات إلى أن هذه العناصر اللغوية تسهم إسهاماً فاعلاً في بناء خطاب سيري مركّب، تتقاطع فيه أبعاد الهوية والزمان والمكان، وتُستثمر فيه اللغة بوصفها أداة لإعادة تشكيل التجربة الإنسانية في سياق ثقافي مزدوج.

وقد خلصت الدراسة إلى:

- أن الإشارات التداولية في السيرة الذاتية ليست مجرد عناصر لغوية تشير إلى أشخاص أو أماكن أو أزمنة؛ بل هي مفاتيح لفهم الذات في سياقها الزماني والمكاني والاجتماعي. فمن خلال (الأنا والآن وهنا وهناك)، تنسج الذات خطابها وتعيد ترتيب تجربتها في العالم. ولهذا، تشكّل دراسة الإشارات في المذكرات مدخلاً مهماً لتحليل الهوية السردية والعلاقة بين اللغة والذاكرة؛ إذ

(1) انظر: مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات) ط: 502

(2) يتيمة ابن زريق مقارنة تداولية: 35

تكشف كيف تتحول التجربة الحياتية إلى خطاب، وكيف تصوغ اللغة ملامح الذات وهي تروي سيرتها.

- تتعد الإشارات (شخصية، مكانية، زمانية) في معظم الخطابات الواردة وذلك لحاجة الخطاب للتنقل بينها، وتجلت الإشارات هنا بوصفها أدوات لبناء الذات المهاجرة بين ثقافتين.

- تؤدي الإشارات الشخصية دورًا حاسمًا في بناء الذات الساردة؛ إذ يُسهم تواتر ضمير المتكلم المفرد في تكريس الطابع الاعترافي للنص، بما يجعله خطابًا ذاتيًا يقوم على استعادة التجربة الفردية من الداخل.

- تكشف الإشارات المكانية عن بنية تقابلية صارخة بين فضاءين: فضاء الأصل (زنجبار) وفضاء المهجر (أوروبا). فاستعمال ثنائية "هنا/هناك" لا يقتصر على التحديد الجغرافي؛ بل ينهض بوظيفة دلالية عميقة، حيث يُحمل المكان الأول قيم الانتماء والحميمية، في حين يرتبط الثاني بالإحساس بالغربة والانفصال. ومن ثمّ، تسهم هذه الإشارات في إنتاج خطاب يقوم على الانشطار المكاني وما يتبعه من انشطار نفسي.

- تؤكد الإشارات الزمنية، هيمنة البنية الاسترجاعية على النص؛ إذ يُعاد بناء الماضي عبر صيغ لغوية تشير إلى المسافة الزمنية بين لحظة التجربة ولحظة السرد، كما تسعى لتنظيم الخط الزمني للسيرة، والانتقال بين فترات الطفولة والشباب والكهولة.

- هذه الإشارات تُنشئ علاقة قُرب وصدق بين المتكلم والمخاطب، وتحول النص من سرد عام إلى اعتراف ذاتي، يخلق تواصلًا تداوليًا بين السارد والمخاطب، يساهم في بناء الهوية اللغوية والثقافية للأميرة بين عالمين (الشرق والغرب).

المصادر والمراجع

- إبراهيم: عبد الله، السرد والاعتراف، والهوية، ط.1. أثر للنشر والتوزيع: الدمام، 2024
- ارمينكو: فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش د.ط، مركز الإهداء القومي: الرباط، 1986
- أفانية: محمد نورالدين، الوعي بالاعتراف، الهوية المرأة المعرفة، ط. 1. المركز الثقافي للكتاب: الدار البيضاء، 2017
- آل زيلع: أحمد، تجليات العلاقة بين الذات والآخر شعر الثبتي أنموذجاً، ط.1. دار أثر للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية 2021
- باديس: نرجس، المثيرات المقامية في اللغة العربية، د.ط. مركز النشر الجامعي: منوبة، 2009
- بركات : علي عبده، اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية، ط.1. مطبوعات تهامة: جدة، 1987
- بولان: الفي ، المقاربة التداولية للأدب، ترجمة: محمد تنفو - ليلي إحماني، مراجعة وتقديم: سعيد جبار، ط.1، رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة، 2018
- بيكر: بول، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، ترجمة: ناصر بن غالي، د. ط. دار جامعة الملك سعود: الرياض، 2018
- الداهي: محمد، الحقيقة الملتبسة قراءة في أشكال الكتابة عن الذات، ط.1، شركة النشر والتوزيع المدارس: الدار البيضاء، 2007
- دريدي: مبروك، المكان في النص السردي العربي البنية والدلالة، ط.1، رؤية للنشر والتوزيع: مصر، 2020
- ذهبية: حمو الحاج، لسانيات التلغظ وتداولية الخطاب، ط.2، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت
- سلطان: سالمة بنت سعيد، مذكرات أميرة عربية، سالمة بنت سعيد بن سلطان، ترجمة: القيسي: عبد المجيد حسيب، ط.7، دار الحكمة: لندن، 2018
- الشهري: عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط.2، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع: الأردن، 2015
- الطريطر: جليلة، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث في المرجعيات) ط. 2. مركز النشر الجامعي: منوبة، 2009
- عبيد: محمد صابر، الذات الساردة سلطة التاريخ ولعبة المتخيل قراءات في الرؤية الإبداعية لسلطان بن محمد القاسمي، د. ط. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع: دمشق، 2013

- عبيدي :منية، التحليل النقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، ط.1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع: عمان، 2016
- العبيدي: حسين مجيد، نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية ابن سينا نموذجاً، د. ط. دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع: دمشق، 2007
- فضل: صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب: الكويت، أغسطس، 1992
- قاسم: حمزة، منارة القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: الأرنؤوط: عبد القادر، د.ط. دار البيان: دمشق. دار المؤيد: المملكة العربية السعودية
- القاضي ،محمد وآخرون، معجم السرديات، ط. 1، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين: تونس، 2010
- القرني: سعيد، يتيمة ابن زريق مقارنة تداولية، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 44، الرسالة 650، جامعة الكويت، 2024
- كلوش: فتحية، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ط.1، الانتشار العربي: بيروت، 2008.
- المفلح: عبد الله، من تحليل الخطاب إلى بناء الخطاب رؤية في توظيف اللغة أداة للتغيير والتطوير، د. ط، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع: عمان، 1437.
- موراوا ،اندريه ، فن التراجم والسير الذاتية، ترجمة: أحمد درويش، ط. 1، المجلس الأعلى للثقافة: مصر ، 1999
- نحلة :محمود ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.ط. دار المعرفة الجامعية: مصر، 2002
- يول: جورج ، التداولية. ترجمة: قصي العتابي، ط.1،الدار العربية للعلوم ناشرون: بيروت، 2010

النظرية المبنية وعلاقتها بالبحث التربوي في الجامعات اليمنية

د. ملهي ملهي صالح لطف الله.

طالب دكتوراه ومدرس مادة الكيمياء السعودية.

mihhy8564@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/9/19 تاريخ قبول البحث 2025/10/4

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.262>

ملخص:

اكتسبت النظرية المبنية (Grounded Theory) في الآونة الأخيرة أهمية بين مناهج دراسات العلوم الإنسانية والتربوية؛ نظرًا لقدرتها على توفير أوصاف، وتحليل، وموضوعات معقدة من واقع المشكلات التعليمية والتربوية، غير أن الباحثين، وخصوصًا المبتدئين، قد يواجهون عقبات مختلفة في معرفة وتطبيق منهجيات النظرية المبنية، فبالرغم من أنه نوقش الكثير منها، وخاصةً في أدبيات دراسات العلوم الإنسانية والتربوية باللغة الإنجليزية، فإن هذه المناقشات قد لا تزال تترك الباحث، مما قد يؤدي إلى تطبيق وإنتاج غير كامل للنظرية المبنية في أبحاث العلوم الإنسانية والتربوية، علاوة على ذلك، يكتب ويوثق عدد قليل من الباحثين باللغة العربية عن تجاربهم العملية، فيما يخص خبراتهم في استخدام النظرية المبنية وتطبيقها، مما يُوجد فجوة في أدبيات اللغة العربية، وعليه، تحاول هذه الورقة، من خلال استخدام هذه الدراسة كحالة واقعية في سياق أبحاث العلوم الإنسانية والتربوية، أن تعكس تجربته فعلية لتوجه الباحثين وتوضح بعض الصعوبات والخطوات وتقدم عرضًا لهذه المنهجية وإجراءاتها، وطريقتها الاستقرائية التي تقود إلى بناء دراسات تعتمد البيانات الميدانية، وليس على نظريات مسبقة، كما تناقش الفوائد النظرية والعملية التي ينطوي عليها اختيار النظرية المبنية وسبل التغلب في استخدام الشكل الأنسب للنظرية المبنية وتطبيقها

في مجال أبحاث العلوم الإنسانية والتربوية، وأوصت بضرورة نشر الوعي بثقافة النظرية المجندة في مجتمع الدراسات العليا وتعريفهم بأنه اتجاه حديث في مناهج البحوث التربوية.
الكلمات المفتاحية: البحث التربوي، النظرية المجندة، البحث النوعي.

Grounded Theory and Its Relationship to Educational Research in Yemeni Universiti

Dr. Melhi Melhi Saleh Lutf Alla

PhD student and Saudi chemistry teacher.

Abstract:

Grounded theory has recently gained increasing importance among the methodologies used in humanities and educational studies due to its ability to provide complex descriptions, analyses, and themes derived from actual educational and pedagogical problems. However, researchers, especially beginners, may face various obstacles in understanding and applying grounded theory methodologies. Although much has been discussed on this topic, particularly in the English-language literature on humanities and educational studies, such discussions may still cause confusion among researchers, potentially leading to incomplete application and development of grounded theory in humanities and educational research. Moreover, only a few researchers document their practical experiences with grounded theory in Arabic, creating a gap in the Arabic-language literature. Accordingly, by using this study as a real-world case within the context of humanities and educational research, this paper attempts to reflect an actual research experience, clarify some of the difficulties and procedural steps, and present this methodology, its procedures, and its inductive approach, which leads to the development of studies based on field data rather than on pre-existing theories. The paper also discusses the theoretical and practical benefits of choosing grounded theory, as well as ways to overcome difficulties in selecting and applying the most suitable form of grounded theory in humanities and educational

research. It recommends promoting awareness of grounded theory within the postgraduate studies community and introducing it as a contemporary approach in educational research methodologies.

Keywords: Educational research, Grounded Theory, qualitative research

مقدمة:

يعد البحث العلمي بشكل عام والبحث التربوي بشكل خاص من أهم المصادر التي تسهم في حل المشكلات التربوية التي تواجه الميدان التربوي على صعيد المناهج التعليمية ونظريات التقويم التربوي وغيرها من المجالات، فالعمل على مواجهة هذه المشكلات يسهم بالضرورة في إضافة معرفة، أو تعديل طرق تدريس، أو تطبيق معرفة، أو إنتاج معرفة، كل هذا وغيره يحتاج إلى باحثين متمرسين مدركين لأهمية الدور المنوط بهم كما أكد كريسول بأن البحث التربوي يحتاج إلى مجموعة كبيرة من الأساليب لدراسة القضايا التعليمية المتطورة، حيث لا يعد استخدام التجربة أو وصف الظاهرة فقط كافيًا لمعالجة المشكلات البحثية، بل يحتاج الباحث إلى أن يكون لديه فهمًا متعمقًا حول ظاهرة الدراسة، ومعرفة المزيد من تصاميم البحث المتعددة (Creswell, 1311). ومن أهم تصاميم البحث المتعددة النظرية المجنّدة والتي تعد أحد أهم مناهج البحوث النوعية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي تقوم على المعاشية الواقعية، والتعمق في دراسة الظواهر والحقائق في سياقها الطبيعي، فالبحث الكمي يركز على التجريب، وعلى الكشف عن السبب أو النتيجة، بالاعتماد على البيانات الرقمية والعديدية، في حين أن مشكلة البحث أو السؤال المطروح في النظرية تتمثل في مشكلة أو سؤال مفتوح في النهاية، يهتم بالعملية والمعنى والدلالات، أكثر من اهتمامه بالسبب والنتيجة (العزاوي، 1314 ؛ قنديلجي، 1316). كما تستخدم النظرية المجنّدة مجموعة من الإجراءات المنظمة لتطوير وتنمية نظرية مجنّدة، تمت صياغتها بأسلوب استقرائي حول ظاهرة ما، فنتائج هذا النوع من البحوث تكون من صياغة نظرية للواقع المدروس، بدلاً من أن

تتكون من مجموع من الأرقام أو مجموعة من المواضيع التي ربط بينهما بشكل لا يؤكد التميز والنوعية في الإنتاج البحثي (ستراوس، كوربين، 1999).

وظهرت منهجية النظرية المجندرة في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1967م، على يد العالمين جلسر ستروس (Glaser & Strauss)، المصطلح عليها بالنظرية الجوهرية (La théorie substantive) المستخرجة من المعطيات الميدانية عن طريق التحليل المقارن، والمستمر لمجموعة من الوحدات، وتختلف هذه المنهجية عما هو معمول به في أغلبية الدراسات؛ كونها تعتمد على مقارنة استقرائية في تحليل البيانات دون الرجوع إلى أطر نظرية مسبقة، ثم تطورت في ما بعد لتأخذ مواقف أبستمولوجيا مختلفة على يد كل من ستروس وكوربين، ثم كاتي شارماز Kathy kharmaz (عماد، 2018، 2).

ويرى الباحث بعد القراءة المستفيضة انه يصعب عادة تحديد الاتجاه النظري للظواهر التربوية، الذي تنتمي إليه هذه المنهجية، وذلك لأنها استخدمت من طرف الاتجاهات الوضعية، والتأويلية في الوقت نفسه، إلا أننا نجدها تتموقع في بداياتها الأولى في التيار البراغماتي عند جامس وايت، كردة فعل على الفلسفة العقلانية، ثم في براغماتية جندوي فيما بعد من الناحية الفلسفية، وتهدف إلى معرفة كيفية التعامل مع الظواهر التربوية، ويمكن استنتاج نظريات لظواهر تربوية من خلالها.

وأنت منهجية النظرية المجندرة عن طريق تزواج المدرستين النوعية straus والكمية glasser معا، ومن ثم فقد تم الجمع بينهما في منهج النظرية المجندرة، فأصبحت تتضمن العمق والدقة في تناول الظواهر التربوية، كما تم تطويرها من قبل كل منهما بشكل منفصل مع بداية التسعينات وذلك كمنهجية عامة لبناء النظريات المرتكزة على البيانات النوعية التي يتم جمعها وتحليلها بشكل نظامي عبر التفسير والتأويل Interpretations، ومن ثم فهي تهدف في النهاية لاستنباط مفاهيم جديدة ذات معنى، وتتكون هذه المفاهيم من الحقائق المرتبطة بمجال البحث وأيضا من تلك التي يتم بناؤها من قبل الباحث، ومن ثم يتطلب استخدام هذه

النظرية إبداع الباحث، فالتفكير الإبداعي هو ما سيقود الباحث لابتكار النظرية (معتق، 2011، 10)، فالنظرية المجنّدة أسلوب إبداعي ابتكاري في اكتشاف المشاكل وإيجاد حلول عميقة لها.

يتضمن المنهج الكيفي العديد من طرق وأساليب البحث فقد أشار Creswell إلى خمس طرق رئيسة داخل المنهج الكيفي هي: السيرة الذاتية، والظاهرية، والأثنوغرافيا، والدراسة الحالة، والنظرية المجنّدة (Creswell, 2017, 3)، ويتم تحديد الطريقة المناسبة لموضوع البحث بناء على الهدف من الدراسة. ويتم اختيار النظرية المجنّدة بحسب طبيعة الظاهرة موضوع الدراسة، فالنظرية المجنّدة تسعى لبناء نظرية صادقة، تتم صياغتها بأسلوب استقرائي وذلك من خلال مجموعة من الإجراءات المنظمةة (Bryant, & Charmaz, 2010, 419)، فالهدف الأساسي لها توليد نظرية جديدة تفسر الظاهرة محل الدراسة. وقد أطلق عليها لفظ المجنّدة لأنها تتبع من البيانات التي تستخدمها الدراسة لظاهرة ما، حيث يتم اكتشافها وتطويرها وإتقان صحتها من خلال الجمع المنظم لتلك البيانات وتحليلها (معتق، 2011، 10) أما عن أسلوب دراسة الحالة فهو ينظر إلى أي وحدة تربوية نظرة شامل ويتعلق بوحدة واحدة كفرد أو مجموعة أو مؤسسة (دشلي، 2016، 63)، ويعد أسلوب دراسة الحالة من أفضل أساليب الدراسة لأنه يعطي بيانات مكثفة موجهة لفهم أعمق بالظاهرة محل الدراسة.

مشكلة البحث:

أكدت دراسة كلا من (العمار والضبيب، 2022 ؛ عماد ، 2018 ؛ ستروس، 2020؛ محمود، 2018؛ صيام، 2012) إلى ندرة استخدام النظرية المجنّدة في الدراسات التربوية في الوطن العربي، وأن أغلب المناهج المستخدمة هي الدراسات الكمية، ووجود ضعف في استخدام الدراسات النوعية ناهيك عن الدراسات النظرية المجنّدة، واستنادًا لذلك أتت الحاجة الملحة والماسة والضرورية لإجراء دراسة عن النظرية المجنّدة في البحث التربوي لاسيما في اليمن السعيد كون الباحث لم يجد

دراسة تطرقت إلى النظرية المجدّرة حسب علم الباحث، وذلك لكي تعطي صورة واضحة للنظرية المجدّرة واستخدامها كأحد المناهج في البحث التربوي وتتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: ما النظرية المجدّرة؟ وعلاقتها بالبحث التربوي؟

أسئلة البحث:

- ويتفرع من السؤال الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:
- ما مفهوم النظرية المجدّرة؟ وعلاقتها بالبحث التربوي؟
- ما أهم المدارس الخاصة بدراسة البحوث التربوية للنظرية المجدّرة؟
- ما الفرق بين الطرق النظرية المجدّرة والطرق النوعية التقليدية؟
- ما الفرق بين المنهج الاستدلالي والنوعي والنظرية المجدّرة؟
- ما الخصائص الأساسية المختلف والمتفق عليها في النظرية المجدّرة؟
- ما هي خطوات إجراءات الدراسة باستخدام منهجية النظرية المجدّرة؟
- ما هي صعوبات ممارسة النظرية المجدّرة؟
- ما هي سبل ممارسة النظرية المجدّرة للطلاب العرب؟

أهداف البحث:

يهدف إلى التعرف على ماهية النظرية المجدّرة، وعلاقتها بالبحث التربوية، والمنطلقات النظرية والفلسفية للنظرية المجدّرة، من خلال تناول معالجة مجموعة من النقاط، وهي كالآتي:

- التعرف على مفهوم النظرية المجدّرة، وعلاقتها بالبحث التربوي.
- معرفة أهم المدارس الخاصة بدراسة البحوث التربوية للنظرية المجدّرة.
- معرفة الفرق بين الطرق للنظرية المجدّرة والطرق النوعية التقليدية.
- التعرف على الفرق بين المنهج الاستدلالي والنوعي والنظرية المجدّرة.
- معرفة الخصائص الأساسية المختلف، والمتفق، عليها في النظرية المجدّرة.
- التعرف على خطوات إجراءات الدراسة باستخدام منهجية النظرية المجدّرة.
- معرفة صعوبات ممارسة النظرية المجدّرة.

- معرفة سبل ممارسة النظرية المجندرة للطلاب العرب.

أهمية البحث:

تتبع أهمية الدراسة من الموضوع الذي تناقشه، حيث تسلط الضوء على النظرية المجندرة والتي نالت اهتماماً عالمياً واسعاً من الباحثين في المجال التربوي خلال السنوات القليلة الماضية، لذلك فإن هذه الدراسة من خلال ما ستقدمه من استقصاء ومناقشات من المأمول أن تسهم في تفعيل النظرية المجندرة في تخصص مناهج وطرق التدريس في الجامعات اليمنية.

الأهمية النظرية

أنها تكون صورة لدى القارئ بأن هناك اتجاه حديث من مناهج البحث التربوية وهي مناهج البحوث النوعية، ومن مناهجها النظرية المجندرة والتي تعد من أحدث المناهج التربوية، وتكون الدراسة خلفية نظرية كاملة، وشاملة عن فكرة النظرية المجندرة من النشأة إلى الخطوات الدقيقة والمرتبة لكيفية استخدامها وتطبيقها.

الأهمية التطبيقية

أنها تفيد الدراسة الحالية الجامعات اليمنية في تصميم المقررات في النظرية المجندرة وتوجيه بوصلة البحث بها، وممارسة هذه المنهجية لدى طلبة الدراسات من أجل الاستفادة القصوى من نتائج دراسات النظرية المجندرة في جميع مجالات الحياة.

مصطلحات البحث:

❖ البحث التربوي:

يعرفه إبراهيم وأبو زيد (2007): بأنه جهود مخططة تستهدف حل المشكلات التربوية القائمة أو إضافة معرفة تربوية جديدة تبين أفضل الطرق لتطبيق الأفكار والنظريات في المجال التربوي.

ويعرف الباحث البحث التربوي إجرائياً بأنه: مجموعة الدراسات الأكاديمية التي تناولت تطبيق النظرية المجندرة في المجال التربوي، وتم تحليلها بهدف الكشف

عن أنماط استخدامها، وتحديد مدى انتشارها وفعاليتها في معالجة القضايا التعليمية داخل الجامعات اليمنية.

❖ مفهوم البحث النوعي:

يقصد "بالبحث النوعي" أي نوع من البحوث العلمية التي تعطي نتائج لم يتم التوصل إليها بوسطة الإجراءات الإحصائية أو بوسطة أي وسائل أخرى من الوسائل الكمية. إن هذا المصطلح يشير ويتضمن البحوث حول السير الشخصية والقصص والظواهر والسلوكيات التربوية، وكذلك وظائف المنظمات والحركات الاجتماعية أو العلاقات التفاعلية (القحطاني، 2017).

ويعرف الباحث البحث النوعي إجرائيًا بأنه: مجموعة الدراسات التي استخدمت أدوات نوعية لتحليل الظواهر التربوية، وتم اختيارها وتحليلها باستخدام منهج النظرية المجندرة، بهدف فهم مدى توظيف المنهج النوعي في البحث التربوي العربي وخاصة في السياق اليمني.

❖ مفهوم النظرية المجندرة:

إن النظرية المجندرة هي تلك النظرية تمت صياغتها بأسلوب استقرائي من تلك الظواهر المقصود بالدراسة. وبعبارة أخرى " هي تلك النظرية التي تم اكتشافها وتطويرها والتحقق من صحتها من خلال الجمع والتحليل المنظم للبيانات الخاصة بتلك الظواهر. وعلى هذا، فإن كلاً من جمع البيانات وتحليلها والنظرية يقف بعضها من بعض في علاقة تبادلية (سترأوس، كوربين، 1999). وتعرف أيضا بأنها "أسلوب إبداعي ابتكاري في اكتشاف المشاكلات وإيجاد حلول عملية لها، وهذا ما نحتاجه في عالمنا العربي". نريد أن يكون للبحث دور في قيادة الأعمال وتطوير نظم التعليم واستنباط أساليب تسويقية جديدة بدلا من أن نعتمد إلى النسخ من الغرب (عماد، 2021).

ويعرف الباحث النظرية المجندرة إجرائيًا بأنها: المنهج المستخدم لتحليل الدراسات العربية المتعلقة بالنظرية المجندرة، من خلال تطبيق خطوات الترميز المفتوح

والمحوري والانتقائي، بهدف توليد نظرية تفسيرية حول واقع استخدام هذا المنهج في البحث التربوي العربي، وتحفيز الباحثين في الجامعات اليمنية على تنبيه.

الأدب النظري والدراسات السابقة

أولاً: الأدب النظري

نشأة النظرية المجندرة في البحث التربوي (العمار والضبيب، 2022):

نشأة النظرية المجندرة علي يد عالمي اجتماع هما شتراوس وجليس في كتاب لهما تحت عنوان "اكتشف النظرية المجندرة" وذلك عام 1967 ميلادية، حيث أن ولادة منهجية النظرية المجندرة في البحث التربوي أتت من خلال تزواج المدرستين النوعية والكمية، والذي يعتبر أحد أهم مؤشرات القوة لهذه المنهجية، وذلك من منطلق أن المنشئين لهذه المنهجية أتيا من مدرستين مختلفتين وهما:

أولاً: المدرسة النوعية أو الكيفية:

والتي اشتهرت في شيكاغو وجاء منها شتراوس الذي تأثر بالمدرسة التفاعلية الرمزية، والإضافة التي قدمتها هذه الفلسفة الكيفية من هذه المدرسة هي الحاجة الماسة للنزول إلى الميدان، وذلك للتعرف على ماذا يجري في الواقع الاجتماعي، بالإضافة إلى سير الارتباط المتبادل بين الأوضاع المسببة للظاهرة والمعنى والفعل، والتركيز على التغير وتنوع وتعقيد الحياة.

ثانياً: المدرسة الكمية: هي تلك المدرسة التي اشتهرت بها جامعة كولومبيا والتي نشأ بها برني جليس، حيث تأثر بشكل كبير بمنشأ المدرسة الكمية، وكانت أهم الإضافات التي قدمها لهذه المنهجية هي الدقة والحاجة للوصول إلى مستوى عالي من التنظيم والصياغة التحليلية الدقيقة لترميز البيانات. هكذا ويجدر الإشارة أن خلاصة تجارب المدرستين النوعية والكمية قد تم جمعها في منهج النظرية المجندرة، فأصبحت تحمل العمق والدقة في تناول الظواهر ودراسة الحياة الاجتماعية. وقادت الاختلافات بين المؤسسين لاحقاً إلى تشكل تقاليد أخرى من النظرية المجندرة، ويمكن الحديث عن

أربع مدارس أو تقاليد رئيسية من النظرية المجدّرة، تستخدم عادة في البحوث الاجتماعية، هي:

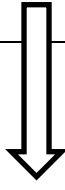
- مدرسة جليسر التي بقيت وفيّة لما ظهرت عليه النظرية المجدّرة لأول مرة، ويمكن اعتبارها منحاظة إلى الوضعية بحكم تكوين جليسر الكمي.
 - المدرسة الشتراوسية أو شتراوس - كوربين وهي نسخة معدلة من السابقة، أقرب إلى ما بعد الوضعية، وهي تعود أساساً إلى التفاعلية الرمزية.
 - مدرسة النظرية المجدّرة البنائية التي أسستها كاثرين شارماز Kathy Charmaz التلميذة السابقة، لجليسر وشتراوس، وهي تستند فيها إلى الرؤية الفلسفية البنائية.
 - النظرية المجدّرة النسوية التي ظهرت مع أعمال جوديث ويست Judith & Wuest والتي تستخدم عادة في مجالات محددة مثل التمريض أو تلك المتعلقة بقضايا الجندر. (Fernandez, 2012).
- ظهرت العديد من التعريفات حول منهج النظرية المجدّرة في البحث التربوي ولعل من أهمها الآتي (كردي، 2022):
- تعرف النظرية المجدّرة على أنها إجراء نوعي منظم يستخدم لبناء نظرية فرضية الغرض منها شرح عملية أو فعل أو تفاعل حول موضوع تفصيلي وفي مستوى مفاهيمي واسع، حيث تمثل النظرية المجدّرة منهجية منتظمة وأداة مهمة للتحليل في المنهج النوعي، كونها تعتمد على الاستقراء والمقابلات الميدانية، والتحليل العملي للبيانات التي قام الباحث بجمعها، ومن ثم استنباط مجموعة من الفئات والتصنيفات التي ترتبط، فيما بينها بعلاقات تشكل إطاراً متكاملًا لتفسير ظاهرة ما أو التنبؤ بها، ومن خلال ذلك يتوصل الباحث إلى الإطار عبر جمع البيانات النوعية التعامل معها، بطريقة منتظمة، واستنباط المفاهيم الموجودة في البيانات النوعية التي قام بجمعها.
- وتعرف النظرية المجدّرة: تُعد النظرية المجدّرة منهج بحثي يهدف إلى الوصول إلى نظرية من البيانات مباشرة بطريقة استقرائية منتظمة والاستراتيجية المستخدمة في

ذلك هي الثبات في التحليل المقارن والهدف من ذلك هو عملية توضيح المفاهيم المستفادة من البيانات الأساسية، ومن ثم إيجاد قاسم مشترك يجمعها. كما عرفها البعض على أنها عملية الخروج بنظرية من دراسة الظاهرة محل الدراسة، أي أنها عملية تفاعلية ديناميكية مستمرة بين البيانات والتحليل والنظرية التي يتم التوصل إليها، فكل عوامل الدراسة وخطواتها هي ذات ارتباط ولا يمكن عزلها عن بعضها بعضاً، وبعبارة أخرى هي وحدة متكاملة متفاعلة من خلالها يتم الوصول إلى النظرية. وعرفها كلاً من شتراوس وجليسر أنها عبارة عن إجراء أو تقنية على مستوى عالي من الدقة، كونها عبارة عن منهج بحث نوعي يستخدم الإجراء الاستقرائي المنتظم لتطوير نظرية تفسير حقيقة الظاهرة، وإن أسلوب النظرية المجذر كمهج بحثي خو حصر عناصر الظاهرة محل الدراسة، ومن ثم تصنيف هذه العناصر الأساسية عن طريق تفسير العلاقة بينها للوصول إلى الأساس أو الجذور التي تفسر للباحث حقيقة الظاهرة، ومن ثم التأصيل لها وبشكل إجرائي منتظم.

ماهي منهجية النظرية المجندرة في البحث التربوي؟

أكد العمار والضبيب (2022) أن منهجية النظرية المجندرة تهدف للوصول إلى النظرية من البيانات مباشرةً بشكل استقرائي منظم، حيث تعتمد على تحديد العناصر الأساسية للظاهرة محل الدراسة من خلال البيانات الميدانية المباشرة، ومن ثم تحديد العلاقة والربط بين هذه العناصر إلى أن يتم التوصل إلى بؤرة ومحور الارتباط بين كل العناصر. فيقوم منهجها على حصر عناصر الظاهرة محل الدراسة، ومن ثم تصنيف هذه العناصر الأساسية عن طريق تفسير العلاقة بينها للوصول إلى الأساس، أو الجذور التي تفسر للباحث حقيقة الظاهرة، ومن ثم التأصيل لها، وبشكل إجرائي منتظم، لذلك جعل هذا النظر إلى الجذور علماً على النظرية، فسميت النظرية المجندرة أو نظرية التجذير في البحث التربوي، لما ينتج عنها من تفريع وتجذير للظواهر والبيانات والبحث عن جذورها.

❖ الفرق بين الطرق النظرية المجندرة والطرق النوعية التقليدية

النوعية التقليدية		النظرية المجندرة
قراءة الأدبيات.		جمع البيانات وتحليلها.
تشكيل الفرضيات.		إنتاج أو تطوير نظريات/ فرضيات.
جمع البيانات.		قراءات الأدبيات لتفسير النتائج.
اختبار الفرضيات.		

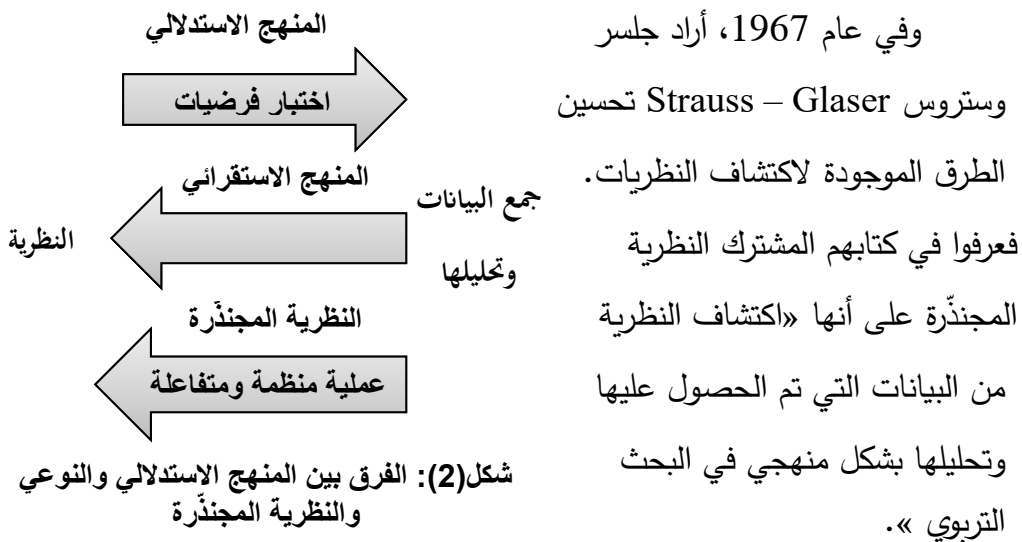
(2005) Michael & Zanko الفرق بين الطرق النظرية المجندرة والطرق النوعية

التقليدية، شكل (1).

يمكن إمكانية التمييز بين إستراتيجيات البحث النوعي على أساس أربعة معايير هي: غايتها، نوع المشكلة التي تعالجها، خلفيتها، وحدة التحليل (Blumer,1969).

يظهر من الجدول (1) مقارنةً بين النظرية المجندرة وغيرها، يظهر الاختلاف في طريقة استعمال النظرية التي تعتبر الهدف الأخير للباحثين المشتغلين وفق النظرية المجندرة فهي لا تبدأ بالنظرية، وإنما تسعى لتكوين نظرية، اعتماداً على جملة إجراءات لا بد من التزامها خلال جمع البيانات وتحليلها، وهذا ما يميزها من غيرها أساساً، لذلك ينصح باللجوء إليها عند الحاجة إلى بناء نظريات مجندرة في البيانات تقوم على رؤى المستجيبين. وتتميز أيضاً بأنها تركز على الأفعال والمراحل والتفاعلات الاجتماعية في الحياة اليومية، فهي قد نشأ متأثرة إلى حد كبير بالتفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism التي تقوم على افتراضات تعتبر أنه لا يمكن بناء معرفة سوسيولوجية من دون فهم المعاني التي يعطيها الفاعلون الاجتماعيون لأفعالهم وللعالم من حولهم، والتي يكوّنونها من خلال التفاعل مع غيرهم من الأفراد ومع المجتمع، وكذلك لا بد من فهم تأويلاتهم فهي تخضع باستمرار للتعديل وإعادة التفسير لهذه المعاني (Blumer,1969).

❖ الفرق بين المنهج الاستدلالي والنوعي والنظرية المجندرة:



ونوهوا بأن التحليل النوعي المنهجي له فلسفته الخاصة التي تمكنه من إنتاج نظريات جديدة تستند على البيانات الميدانية. لذلك، انتقل جلسر وستروس Glaser - Strauss من فكرة التثبت والتأكد من صحة النظرية في الأبحاث النوعية، إلى فكرة إنتاج نظرية من خلال البحث النوعي، وحثوا الباحثين على تطوير نظريات جديدة بالتعمق في عملية جمع البيانات وتحليلها في وقت واحد. لذلك، وصلت النظرية المجندرة إلى تقديمها طريقة استقرائية فريدة (Inductive) وليست استدلالية (حيث إن الطريقة الاستدلالية) الخاصة بالبحوث الكمية (تبدأ من مراجعة النظريات، ومن ثم وضع الفرضيات، ومن ثم اختبارها وصولاً إلى قبول أو دحض الفرضية. وعكس ذلك، (الطريقة الاستقرائية) الخاصة بالبحوث النوعية، (تبدأ من عملية جمع البيانات الميدانية وتحليلها بالتزامن مع إنتاج نظرية تجريبية في مجال موضوعي) شكل (2).

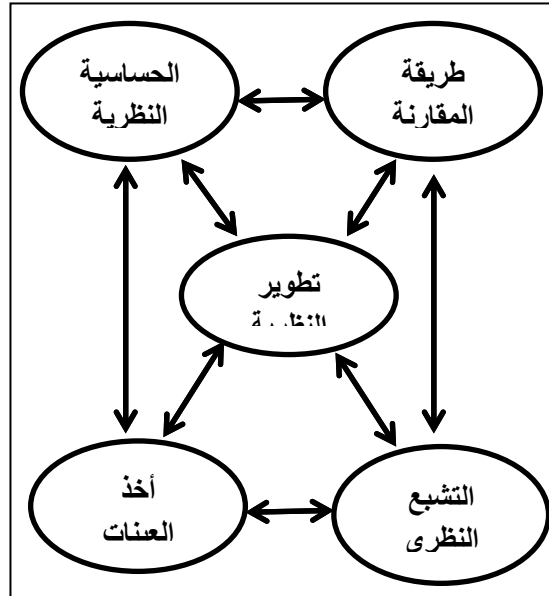
ومما يُميّز النظرية المجندرة - بغض النظر عن تركيزها على تطوير النظرية - أنها تُطور النظرية من خلال عملية منظمة ونتيجة للتفاعل بين جمع البيانات وتحليلها، وتستمر هذه العملية في دورة قائمة على المفاهيم المستمدة من البيانات (Goulding, 2002؛ Corbin & Strauss 2008). وهذا يعني أن معظم

الفرضيات والمفاهيم، لا تأتي فقط من البيانات، ولكن كذلك تُبنى بناءً منهجيًا مرتبطًا بالبيانات خلال سير البحث. (Glaser & Strauss, 1967,6)

❖ الاختلافات في النظرية المجدّرة والخصائص الأساسية المتفق عليها:

الكثير كتبوا عن الاختلافات بين نهج جلاسيريان و شتراوسيا Strauss & Glaserian في النظرية المجدّرة، وتتمثل هذه الاختلافات غالبًا حول: مواقفهم الفلسفية، واستخدامهم للمراجعة الأدبية، وإجراءاتهم في الترميز، ويمكن للقارئ المتخصص الرجوع لما كُتب عن الاختلافات بين النهجين فيما يخص النظرية المجدّرة كما كتب كلاً من؛ (Hussein et al., 2011; Birks & Mills, 2017; Heath & Cowley, 2004; Jones & Noble, 2007; Kenny & Fourie, 2015; Locke, 1996; Suddaby, 2006; Tan, 2014)

ورغم هذه الاختلافات، فيشترك النهجين في خصائص أساسية، هي: أخذ العينات النظرية (Theoretical Sampling)، والتشبع النظري (Theoretical Saturation)، والتحليل المقارن المستمر (Constant Comparative Analysis)، والتدوين (Memoing)، وتطوير النظرية (Theory Development).



والتدوين (Memoing)، وتطوير النظرية (Theory Development) شكل (3) Birks & Mills, 2011; Glaser, 1992; Oktay, 2012; Strauss & Corbin, 1990). وقد شُرحت هذه الخصائص ونوقشت على نطاق واسع في أدبيات النظرية المجدّرة التالية: (Charmaz, 2006; Corbin & Strauss, 2008; Goulding, 2002; Urquhart, 2013). جانب هذه الخصائص الأساسية للنظرية المجدّرة، فإن هناك مجموعة من الأساسيات التي تشكل النظرية المجدّرة، وهي: الترميز الفوري للمقابلات

شكل (3) المكونات الأساسية للنظرية المجدّرة

وتصنيف المجموعة الأولية من البيانات، كتابة المذكرات، وأن تكون الرموز ناشئة من البيانات وليست مفروضة. (Birks & Mills, 2011) تتضمن النظرية المجندرة ثلاثة خصائص رئيسية يجب أن تتضمنها وتتحدى بها وهي متمثلة في:

1- الصرامة التربوية.

2- المثلية.

3- الحساسية التنظيرية.

أولاً: الصرامة التربوية:

تعني الصرامة التربوية في النظرية المجندرة الدقة في توظيف أدوتها في البحث التربوي، ويجدر الإشارة في هذه الجزئية إلى أن عملية الدقة والصرامة من الأمور التي لا تزال محل النقاش والاختلاف في البحوث النوعية، والهدف منها هو الوصول إلى جودة عالية في البحث. حيث إن المصادقية في نتائج البحوث الكمية تكون أكثر وضوحاً للقارئ منها في البحوث النوعية أو الكيفية، والسبب في ذلك هو اعتماد البحوث الكمية على الأرقام والنسب ذات الدقة العالية، أما البحوث الكيفية فتعتمد على نظرة الباحث التحليلية، ومدى قدرته على استخدام العبارات التفسيرية النابعة من خلفيته التربوية.

هذا ومن المميز في منهج النظرية المجندرة كما سبق والإشارة إليه أنه قد أدخل الترميز المنتظم في عملية التحليل وعرض البيانات وذلك مستلهم من المدرسة الكمية، مما يساهم بشكل كبير في رفع مستوى الدقة والصرامة التربوية في منهج النظرية المجندرة.

ثانياً: المثلية:

تأتي المثلية غالباً في أداة جمع البيانات وفيما يخص النظرية المجندرة في البحث التربوي فإن المثلية مطلوبة ويوصي بها، وذلك لزيادة مسألة الدقة في البحث، فقد أشار كلاً من مؤسسي النظرية المجندرة في البحث التربوي إلى أهمية المثلية وذكر أن تنوع مصادر البيانات في البحث التربوي يعطي مساحة فكر جيدة، وأفضلية

للباحث لفهم الفئة، ولدخول في عمق خصائصها، مما يساعد في تفسير الظاهرة أو تساؤل محل البحث بشكل عميق.

ثالثاً: الحساسية النظرية:

تعتبر الحساسية النظرية من أهم مميزات وخصائص منهج النظرية المجندرة في البحث التربوي، فالحساسية النظرية جزء لا يتجزأ من العملية البحثية في جميع مراحلها المختلفة، بل أكثر من ذلك، فهي حالة ذهنية مستمرة يمر بها الباحث خلال جميع مراحل تطبيق النظرية المجندرة وخصوصاً في (جمع البيانات): حيث يجب على الباحث أن يكون منفتحاً على ما يظهر من المشاركين، وفي (الترميز المفتوح والمحوري): عندما يبدأ بتصنيف البيانات وتحليلها، ويحتاج إلى حساسية لفهم العلاقات بين المفاهيم، كما يحتاج لها في (بناء النظرية) في المرحلة النهائية حيث تساعد على صياغة نظرية متماسكة تعكس الواقع بدقة.

هذا وتعتمد بشكل رئيسي على خبرات الباحث الشخصية، وعلى خلفيته في عملية جمع البيانات، والترميز، وكذلك تناول الأدبيات والدراسات السابقة الخاصة بالبحث، فمن خلالها يقوم الباحث بتحديد ما هو مناسب من البيانات، ما يجب أن يأخذه أو يتركه منها، ومن ثم تحديد المفاهيم، وبالتالي الوصول إلى النظرية، بشكل دقيق.

❖ طرق جمع المعلومات في البحث النوعي والنظرية المجندرة، وهي كالآتي:

المقابلة، الملاحظة، ودراسة أو تحليل البيانات (عماد، 2018).

❖ يحدد (ستراوس، كربين، 1999، 38) خطوات إجراءات الدراسة باستخدام منهجية النظرية المجندرة كما يلي:

- البدء يكون بطرح تساؤل رئيسي عام فيه من المرونة ما يكفي لتضييق مساحة التساؤل بناء على البيانات والتحليل: وحتى لا يقيدنا في مسألة محددة ضيقة المجال، ومن ثم فالتساؤل يجب أن يكون مفتوحاً، كما انه لا ينطلق الباحث الذي يستخدم النظرية المجندرة من مفاهيم تم تحديدها بدقة في دراسات سابقة، وإنما من

خلال أسئلة عامة، ومن خلال ما يعرف بالمفاهيم ذات الحساسية أو (الحساسية). (Bowen, 2006).

- **تناول أدبيات البحث:** تعد أدبيات البحث مصدراً ثانوياً يستخدم لسد الفجوات - المعرفية التي تحدث في العملية البحثية، فهي تساعد الباحث على المحافظة على مستوى عال من الحث التنظيري الذي يساعده على نمو النظريات بشكل ثابت.

- **يبدأ الباحث بالقراءة بعد ظهور أول فئة:** والسبب في عدم تكثيف القراءة يعود إلى أن من يستخدم هذه النظرية لا يجب أن يكون لديه تصور مسبق لما يجب أن تكون عليه النتيجة، والا سيعكف الباحث على اختباره سواء بقصد أو بغير قصد، كما أن تكثيف القراءة يجعل الباحث متحيزاً لاتجاه ما أثناء قيامه بالبحث، أو قد يتبنى وجهة نظر باحث آخر مما يقلل لديه مساحة الإبداع، ومن ثم فالأدبيات هي جزء من عملية التحليل ذاته ومتزامنة معه، ووسيلة من وسائل إثارة الأسئلة التي يرغب الباحث في أن يستجلي الغموض حولها، كذلك تستخدم بعد وصول الباحث إلى نظريته لتأكيد صحة ما توصل إليه من النتائج.

- **الدقة والموضوعية:** يقصد بها قدرة الباحث على نقل القارئ إلى أجواء البحث فكرياً وبشكل منطقي منظم، ويتم تحقيقاً من خلال عدة أساليب منها: استخدام الكميات الأساسية الواردة من المستجيبين في بناء النظرية وتقديم وصف دقيق حول كيفية علاقة الأدبيات بكل فئة ظهرت لدى الباحث في البحث وساهمت في بناء النظرية، واستخدام أكثر من وسيلتين لجمع البيانات.

- **جمع البيانات:** فهي أول ما يبدأ به الباحث المتبع لهذه المنهجية، ومن أهم أدواتها المقابلات الشفهية بجميع أنواعها والملاحظات والمدونات الشخصية للباحث، "وغالباً ما يستخدم باحثو النظرية المجندرة المقابلة أداة لجمع البيانات، ولو أنه يمكن استخدام أدوات أخرى أيضاً، كما يمكن أن يقوم الباحث خلال المقابلة بتدوين الملاحظات أو بتسجيل المقابلة، وتعتبر كتابة المذكرات مهمة أساسية في النظرية

المجنذرة، وهذا يعني كتابة كل الأفكار والأسئلة والمقترحات التي تنشأ أثناء جمع البيانات وتحليلها". (محمود، 2018)

- **العينة النظرية:** من الصعوبة تحديد أو اختيار العينة في النظرية المجندرة في بداية البحث، تأتي بعد جمع البيانات وترميزها وتحميلها، حيث يجب الإجابة عن التساؤل ما نوعية البيانات التي يجب أن تجمع في المرحلة التالية؟ وأين نجدها؟ ومتى نجمعها؟ وكيف نجمعها؟ ومن ثم فالعينة النظرية عملية مستمرة إلى أن تظهر الفئة الرئيسة والا فإن ذلك يعني أن هناك حاجة إلى البيانات من الأفراد أو الميدان بشكل عام.

- **تحليل البيانات Coding:** في هذه النظرية تضمن الآتي (معق، 2011، 14):

- الترميز المفتوح Opening coding: سميت هذه المرحلة بالترميز المفتوح لأنها مفتوحة على البيانات الأولية مباشرة، ويتم فيها صياغة المفاهيم بالرجوع بشكل مباشر إلى البيانات الأولية التي تم جمعها من الميدان، من خلال إعطاء الأولوية للبيانات التي يعتقد الباحث أن لها أهمية لظهور النظرية أكثر من مجرد وصف لتلك البيانات، وتمر هذه المرحلة بمستويين الأول استخراج المفاهيم بالاعتماد الكامل على الكلمات التي أدلى بها أفراد العينة، والمستوى الثاني يتم فيه ترتيب وتنظيم هذه المفاهيم ومقارنتها من حيث التشابه والاختلاف عن طرق الصفات والأبعاد المرتبطة بها، بهدف وضعها في مجموعات تسمى فئات بحيث تعطى أسماء تتناسب وفكرة التشابه التي تعبر عن تفسير جزء محدد من الظاهرة نحو النظرية، ويجب أن تكوف عملية استخراج المفاهيم أمر غير متوقع وآلا يسبقه تصور محدد حتى النزول إلى الميدان.

- الترميز المحوري Axial Coding: هو مجموعة إجراءات يعاد من خلالها ترتيب وضع البيانات مع بعضها مرة أخرى وربطها بطريقة جديدة بعد مرحلة الترميز المفتوح، وذلك عن طريق الربط بين الفئات، وسميت بالترميز المحوري لأنها محور التحليل والتركيب، حيث تربط بين الترميز المفتوح والترميز الانتقائي، وتبدأ هذه

المرحلة بعملية ربط هذه الفئات الفرعية بفئات أخرى رئيسة، والذي يستدعي من الباحث التفكير خلال هذه العملية بشكل استقرائي واستنباطي بالذهاب الى الفئات الرئيسية أو العودة إلى المفاهيم التي كونت الفئات الفرعية.

- الترميز الانتقائي - Selective Coding: هي عملية في علاقة الفئات الرئيسية الناتجة عن الترميز المحوري مع بعضها البعض، أي أنها عملية اختيار فئة واحدة تكون هي الفئة الأساسية والتي تصب بها باقي الفئات، حيث هي ربط هذه الفئات مع بعضها البعض ليصل من خلال الربط إلى فئة واحدة رئيسة تفسر لنا الظاهرة محل الدراسة، عن طريق إعطاء قصة أو رواية تشرح علاقة أو اندماج هذه الفئات مع بعضها البعض لتكون فئة واحدة تعطي تصوراً للظاهرة محل الدراسة وتفسرها، ويعتبر هذا التفسير بأنه "نظرية" أو التجذير للمشكلة أو للظاهرة، ولا يمنع أن يتم اختيار فئة واحدة من الفئات التي ظهرت خلال الترميز المحوري لتكون هي الفئة التي يتمحور حولها تفسير الظاهرة.

- الترميز النظري: هناك نوعان من الرموز؛ الواقعية والنظرية، وتشكل الأولى مفاهيم من المادة الميدانية لمجال البحث، أما الثانية فهي تشكل مفاهيم عن كيفية ارتباط الرموز الواقعية التي تم اختيارها خلال الترميز المركز (بعضها ببعض، في هذه المرحلة ينتقل الباحث من بناء فئات من الرموز إلى التأمل والبحث في طبيعة العلاقة بين الفئات فيما بينها، من أجل نسجها معاً في فرضية ونظرية.

تُمكن عملية الترميز الباحث من الصعود التدريجي إلى مستوى أعلى من التجريد، حتى الوصول إلى رسم معالم النظرية.

ما هي مراحل تطبيق منهج النظرية المجندرة في البحث التربوي؟
كما أكد العمار والضبيب (2022) أن هناك مراحل تطبيق منهجية النظرية المجندرة في البحث التربوي تتضمن عدة خطوات رئيسية تتمثل في الآتي:

1- جمع البيانات من خلال تساؤل الدراسة.

2- التصنيف وتدوين الملاحظات.

3- الترميز بأنواعه.

أولاً: جمع البيانات من خلال تساؤل الدراسة:

تبدأ منهجية النظرية المجندرة في البحث التربوي باستناد الباحث بشكل رئيسي على الاستقراء، ذلك من خلال البدء من تساؤل عام حول الحقيقة، فمن الأفضل أن يبدأ الباحث بحثه التربوي من خلال سؤال بحثي عام يتسم بالمرونة الكافية ليقوم بتضييق مساحة التساؤل بناء على البيانات والتحليل، ويشير البعض أن التساؤل في البحث الذي يستند الباحث فيه إلى منهج النظرية المجندرة يجب أن يكون عاماً مرناً ومفتوحاً. هذا ويوصي البعض الباحثين بأنه من الأفضل أن يسأل عما هو مصدر المشكلة البحثية وكيف يمكن أن يحل أو يسيطر عليها، بحيث يبدأ معها الباحث بالانتقال إلى تضييق العمومية إلى أن يصل إلى نقاط أكثر تحديداً تفسر الإشكال أو الظاهرة محل الدراسة، وهذا ما يعرف بالاستقراء.

ثانياً: التصنيف وتدوين الملاحظات:

إن الباحث يحتاج للإجابة على أسئلة وتساؤلات البحث إلى التأمل في الملامح العامة التي تبرزها جوانبها، وتصنيفها وفق رموز بحثية، يدونها للتحليل والتصنيف، الذي هو أساس البحث التربوي، وهو مهارة عقلية مهمة، تقوم على تجميع الأشياء أو الوحدات في مجموعات وفقاً للتشابه والاختلاف فيما بينها، بحيث تتضمن كل مجموعة منها وحدات ذات خواص، أو صفات مشتركة.

ثالثاً: الترميز:

يقصد بالترميز هو المذكرات التي يستنبطها الباحث من خلال التأمل في المادة التي قام بجمعها والتي يكشف من خلالها الأنماط التي تتفرع منها، وتأتي في البداية على شكل صور بدائية من الأفكار، وثم تنمو وتتعدد، وتزداد كثافتها ووضوحها، ووقتها كلما تقدمت مراحل البحث، وهذه تعد ميزة منهجية مهمة في النظرية المجندرة، والتي تأتي على مراحل متسلسلة منظمة، تواكب العمليات العقلية التي تقوم على مهارات

التفكير من الاسترجاع والاستكشاف والتحليل والنقد، وهذا وتتم عملية الترميز على ثلاثة مراحل وهي:

1- الترميز المفتوح الأولي: وفيه يتناول الباحث فئات المعلومات حول الظاهرة موضع الدراسة، ويستكشف الظاهرة المركزية والظروف المتداخلة المسببة لها، والسياقات المتعلقة بها.

2- الترميز المحوري: ويقصد به عملية ربط الفئات الفرعية بفئة ما بالنظر إلى العلاقات السببية عن طريق ربطها بالفئات الأخرى، والتحقق من علاقاتها، والنظر في الفئات التي تحتاج مزيداً من المراجعة والتطوير.

3- الترميز الانتقائي: يكون بعد النظر في الخطوط الرئيسية للمادة التي قام الباحث بجمعها والتي تربط بين الفئات والمجموعات، وتستكشف العلاقات بالاعتماد على نوعي الترميز السابقين وفق نظرة شاملة، تبرز كل ما يحيط بها.

❖ صعوبات ممارسة النظرية المجنّدة (عماد، 2018، ص 106):

يلخص الباحث صعوبات النظرية المجنّدة في الاتي:

- 1- من مبادئ النظرية المجنّدة عملية التجرد الموقت من الأطر النظرية المسبقة عند الولوج في الميدان وبالتالي يجد الباحث صعوبة في التجرد من الأحكام المسبقة المرتبطة بالأطر النظرية للحقل المعرفي التخصصي الذي ينتمي إليه الباحث.
- 2- صعوبة تعميم نتائج النظرية المجنّدة وذلك لارتباط الفئات بالسياق البحثي الذي استخرجت منه.

- 3- موقفة، وذلك لمحدودية النتائج على خبرات الأفراد في ذات السياق، وبالتالي تبقى دائماً محل إعادة تأويل وإعادة بناء.

❖ سبل تعزيز ممارسة النظرية المجنّدة للطلاب العرب:

يلخص الباحث المقترحات اللازمة لسبل تعزيز ممارسة النظرية المجنّدة للطلاب العرب كالتالي:

- 1- الاهتمام بتعليم منهجية النظرية المجندرة لطلاب المرحلة الجامعية، وتعليم تقنيات ومهارات المقابلة بصفتها أداة لجمع البيانات.
- 2- إنشاء شبكات من الباحثين المعنيين بموضوع معين أو منهج معين، أمراً ملحاً، ويمكن التعاون مع الشبكات أو المؤسسات حالياً معهد النظرية المجندرة أو النظرية المجندرة أونلاين، أو المدرسة الدولية للنظرية المجندرة، والبحث النوعي أو غيرها.
- 3- خلق فضاء واسع من قبل الجهات المختصة لنشر أعمالهم الأكاديمية وتشجيعهم على المضي قدماً في استخدامها.
- 4- ترجمة الأعمال الأساسية التي تشرح سبل تطبيق النظرية المجندرة ونقل الكتب التأسيسية ذات الصلة إلى العربية، ليتمكن لباحثين العرب من إجراء بحوثهم اعتماداً على النظرية المجندرة في السياق العربي (محمود، 2018، ص 105).

ثانياً: الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تطرقت لأهمية النظرية المجندرة، وتناولته من زوايا مختلفة، وقد أستعرض الباحث عدد من الدراسات السابقة التي تم الاستفادة منها مع الإشارة إلى أبرز ملامحها منها دراسة العمار والضبيب (2022) الموسومة بعنوان **مناهج النظرية المجندرة في الدراسات العلوم الإدارية (تجارب واقعية)** التي هدفت إلى التعرف على مناهج النظرية المجندرة في الدراسات العلوم الإدارية والتي توصلت إلى أن الباحثين لابد أن يكونوا على خبرة في استخدام النظرية المجندرة، ولا بد من التحمل والصبر وموجة التشقت والغموض والضياغ وانعدام الثقة بالنفس في المراحل الأولى من دراستهم، أما دراسة عماد (2018) الموسومة بعنوان **منهجية التنظير المجذر كمقاربة بحثية كيفية لدراسة الجريمة. المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية** فقد هدفت للتعرف على منهجية التنظير المجذر كمقاربة بحثية كيفية لدراسة الجريمة، وأظهرت نتائج الدراسة أن هذه المنهجية جاءت كردة فعل أولاً على ما يصطلح عليه مك كراكن Mc Cracken بشتاء الوضعية، والذي سيطر على العلوم الاجتماعية في سنوات الستينيات، و أصبح تحدياً للوضع القائم في البحث

الاجتماعي والذي كان يسعى الى اختبار الفرضيات على ضوء النظريات الكبرى، ثم ثانيا كردة فعل على الانتقادات الموجهة للمناهج المستعملة في الدراسات السوسيولوجية من طرف دعاة التكميم رغم التكوين الذي تلقاه جلاسر في جامعة كولومبيا، والتي تتميز بالنزعة الكمية، إلا أن المقاربة تتميز بنزعتها الكيفية في تحليل البيانات، كما يدل عليه العنوان الفرعي للكتاب المؤسس. فيما بينت دراسة ستروس (2020) الموسومة بعنوان **استخدام النظرية المجندرة لستراوس في البحوث والدراسات العربية** والتي توصلت أن لنتائج النظرية المجندرة ثلاثة أنواع: الأولى تكون نظرية تقع في 10 عناوين، ثلاثة العناوين في البحوث الدولية وسبعة عناوين في البحوث الوطنية. والثانية تكون فرضيات في العنوانين الاثنين، العنوان الأول في البحوث الدولية والآخر في البحوث الوطنية. والثالثة تكون مسلمات تقع في 3 عناوين، العنوان الأول في البحوث الدولية والعنوانان الاثنان في البحوث الوطنية. فالأعم من أنها تكون نظرية في البحث. كما أكدت دراسة محمود (2018) بعنوان **نحو علوم اجتماعية في السياق العربي الحاجة إلى لنظرية المجندرة** وتوصلت الدراسة إلى أنه يمكن تغيير شكل منهجية النظرية المجندرة إذا تم الاهتمام بها بشكل كبير من قبل الباحثين، ولا يمكن أن نتخيل هذا الشكل الجديد للنظرية المجندرة كما توصلت إلى بعض المقترحات الأولية لتعزيز ممارستها في العالم العربي عسى أن يساهم ذلك في إثارة المزيد من الاهتمام بهذه المنهجية ذات الإمكانيات الكثيرة التي نحن في أمس الحاجة إليها؛ من أجل تأسيس علوم اجتماعية في السياق العربي، وفي الوقت نفسه إثارة المزيد من النقاش حول قضايا التنظير وعلاقته بالواقع المعيش في العالم العربي. وهذا الأمر من شأنه أن يساهم في جعل العلوم الاجتماعية "أكثر جاذبية"، وانتهت دراسة صيام (2012) الموسومة بعنوان **البحث النوعي في العلوم الاجتماعية النظرية المجندرة "نموذجاً"** وأهم ما توصلت إليه أن البحث في إطار النظرية المجندرة يهتم بالآراء ووجهات النظر والخبرات الشخصية وإدراكات الأفراد وشعورهم، والسير الشخصية والتأويلات ورؤى العالم، وإن عملية البحث في النظرية المجندرة تستند بالأساس على

ما يحدث في إطار الحدث والحيز الاجتماعي، ويتم جمع البيانات فيها بشكل مباشر، وشامل من أجل تتسم المعلومات بالغنى و بالكثافة وهو ما يساهم بطريقة استقرائية في بناء وتأسيس المفاهيم والنظريات المهمة لفهم العالم المعاش، والنظرية المجندرة تسعى بشكل يحث على توليد نظريات جديدة.

التعقيب على الدراسات السابقة

نلاحظ من العرض السابق للدراسات أنها تختلف في اهتماماتها، وكذلك تختلف في نتائجها، بحسب أهداف كل دراسة، ولكنها مجمعة على أهمية النظرية المجندرة في دراسة السلوك الإنساني، كونها منهجية تحتوي على الشمول والعمق، في دراسة الظواهر والخصائص، والصفات الإنسانية، لاسيما في مجال تعليمه وتربيته، كما تهتم بإنتاج وتوليد نظريات جديدة نظراً لآتسامها بغنى وكثافة البيانات التي تجمعها عن الظاهرة ودقة وربط وترميز هذه البيانات في هياكل معرفية تشابكية موظفه من قبل الباحث تؤدي إلى التوصل لنظريات يستفاد منها في الواقع الاجتماعي والتربوي بصورة فاعلة وبجاجة متواترة، ومستمرة.

منهجية البحث أسلوب الدراسة:

منهج البحث

يستخدم في هذه الدراسة المدخل الكيفي (Sorokin, 1947) الوصفي (Mirza, Fakhruddin, & Salamah, 2016, p. 91) ، ويكون هذا البحث من الدراسات المجندرة التي تحاول أن تكشف دور البحوث والدراسات باستخدام النظرية المجندرة ومعرفة نتائجها (Mahmud, 2018, p. 92) في البحوث العلمية للغة العربية. يجمع الباحث البيانات الأساسية من البحوث العلمية للغة العربية المنشورة كلها من " Google Cendekia "، وهي الموقع الإلكتروني الذي يقدم البحوث والدراسات النصية بأشكال الطباعة المختلفة عبر الإنترنت (Acharya, 2004)، أطلع الباحث على البيانات السابقة ولخصها في هذه الدراسة من خلال عرض الباحث

النظرية المجندرة في صورة قالب موضحاً نشأتها وما هيئاتها وخصائصها وفكرتها وخطواتها ومعيقاتها وسبل التغلب عليها.

أسلوب الدراسة:

أستخدم الباحث أسلوب جمع الدراسات الخاصة بالنظرية المجندرة، والاطلاع عليها وتحليلها والاستفادة منها في بناء الدراسة الحالية.

الخاتمة:

انتهت الدراسة إلى التعريف بالنظرية المجندرة في البحث التربوي بدايةً من نشأة النظرية المجندرة في البحث التربوي وأهم تعريفاتها، والتعرف على منجيتها، وأهم مراحل تطبيقها في البحث التربوي، وأهم خصائص النظرية المجندرة في البحث التربوي، وصعوبات ممارستها، وسبل تعزيز ممارستها عند الطلاب العرب.

التوصيات:

توصلت الدراسة إلى التوصيات الآتية:

- 1- أهمية توظيف النظرية المجندرة في برامج الدراسات العليا من أجل تطبيق مناهجيتها وممارستها في أبحاث ودراسات طلاب الدراسات العليا.
- 2- نشر الوعي بثقافة النظرية المجندرة في مجتمع الدراسات العليا وتعريفهم بأنه اتجاه حديث في مناهج البحوث التربوية.
- 3- فاعلية ومناسبة النظرية المجندرة للظواهر والمشكلات الإنسانية والتربوية أفضل من أي منهج آخر؛ لشمول وعمق وتوازن وتكامل النظرية المجندرة في دراسات الظواهر والمشكلات التربوية والتعليمية ذات الصلة بالعنصر البشري.
- 4- تضمين منهجية النظرية المجندرة في برامج مرحلة البكالوريوس؛ من الاستفادة منها في حل المشكلات اليومية التي تواجههم في الحياة.
- 5- يجب الاستفادة من الدراسات الأجنبية عند الشروع في استخدام منهج النظرية المجندرة من قبل الباحثين كونها تثري بمعلومات قد لا يمكن الوصول إليها في الدراسات العربية.

المقترحات:

- 1- إجراء دراسات حول توظيف النظرية المجندرة في الجامعات اليمنية من أجل التغلب على حل أعقد المشكلات التربوية والتعليمية.
- 2- إجراء دراسات حول التغلب على معوقات استخدام النظرية المجندرة في الجامعات اليمنية.
- 3- إجراء العديد من الدراسات بمنهجية النظرية المجندرة في الجامعات اليمنية؛ ليتم كسر حاجز العزوف عن استخدام النظرية المجندرة، كونه اتجاه حديث، ولم يمارس الباحثين هذا النوع من مناهج البحث في الجامعات اليمنية.
- 4- تضمين المبادئ والقيم والأساليب التربوية المستنبطة من الدراسات المجندرة في المناهج الدراسية، وتنميتها لدى الطلبة في مختلف المراحل التعليمية.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، محمد عبدالرازق وأبو زيد، عبد الباقي عبد المنعم . (2007) . مهارات البحث التربوي . دار الفكر : عمان.
- الحنو، إبراهيم بن عبد الله . (2016) . مدى استخدام منهجية البحث النوعي في التربية الخاصة: دراسة تحليلية لعشر مجلات عربية محكمة في الفترة من 2005 إلى 2014 م. مجلة التربية الخاصة والتأهيل: مؤسسة التربية الخاصة والتأهيل، مج 3 ، ع 10 ، 212-178.
- دشلي، كمال . (2016) . منهجية البحث العلمي. مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية. سوريا. ص24 .
- ستراوس، كوربين، آنسلم، جوليت . (1999) . أساسيات البحث الكيفي وأساليب إجراءات النظرية المجندرة. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية أثنا النشر. ص 25.
- ستروس . (2020) . استخدام النظرية المجندرة لستراوس في البحوث والدراسات العربية . مجلة التعليم والأدب العربية . مج 4 . ع 1 . يونيو.
- سرحان، عماد.(2021) . النظرية المجندرة طريق نحو أبحاث مبتكرة . مقال في موقع .taelum.org
- صيام، أحمد شحاتة السيد . (2012) . البحث النوعي في العلوم الاجتماعية النظرية المجندرة "نموذجاً" . مجلة القاهرة للخدمات الاجتماعية. ع 24 . ص - ص 140 - 168.

العزاوي، سالم جاسم محمد. (2017). البحث الكيفي في العلاقات العامة دراسة تحليلية لبحوث العلاقات العامة في العراق للمدة من 1989 إلى 2016. مجلة- 9. (38). ص - ص 95-114.

عماد، شارف. (2018). منهجية التنظير المبدّر كمقاربة بحثية كيفية لدراسة الجريمة. المجلة الجزائرية للدراسات السوسولوجية. ع 6. جوان.

العمار، فهد محمد والضبيب، مشعل عبد العزيز. (2022). مناهج النظرية المبنية في الدراسات العلوم الإدارية (تجارب واقعية). مج 42. ع 2 يونيو (حزيران).

القحطان، علي بن سعيد. (2017). معيار مقترح لتحكيم البحوث النوعية في المناهج وطرق التدريس. مجلة العلوم التربوية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. مج 44. ع 4.

قندلجي، عامر والسامرائي، إيمان. (2008). البحث الكمي والنوعي. عمان: دار اليازوري. قندلجي، عامر. (2019). منهجية البحث العلمي. الأردن: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع. كردي، زينب عبد اللطيف بن كامل. (2022). توظيف الإطار المنهجي للنظرية المبنية في تأصيل البحث البلاغي: نظرية النظم أنموذجاً. مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها، (5) 2022، 350-405.

محمود، باسم. (2018). نحو علوم اجتماعية في السياق العربي الحاجة إلى لنظرية المبنية. مجلة عُمران. ص 105.

معتق، حسين بن مرشد. (2011). مدخل لمدخل النظرية المبنية. المجلة الاجتماعية. الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية. ع 2. ص 12.

Acharya, A. (2004). Google Cendekia: Bibliographic Database. Retrieved February 10, 2020, from Google Scholars website: <https://scholar.google.co.id/schhp?hl=id>

Birks, M. & Mills, J. (2011). Grounded theory: A practical guide. London, UK: Sage publications.

Bowen, Glenn A. (2006). «Grounded Theory and Sensitizing Concepts.» International Journal of Qualitative Methods. vol. 5. no. 3.

Bryant, A & Charmaz, K. (2010). Feminist Qualitative Research and Grounded Theory: Complexities, Criticisms, and Opportunities, The SAGE Handbook of Grounded Theory., London, England, P.149.

Charmaz, K. (2006). Constructing grounded theory: A practical guide through qualitative analysis. London, UK: Sage.

- Corbin, J. & Strauss, A. (2008). Basics of qualitative research: Techniques and procedures for developing grounded theory , (3rd ed.), Thousand Oaks, CA: SAGE Publications.
- Croswell,J .(2017): Qualitative Inquire and Research Design: Choosing Among Five Tradition, 2 nd Edition, Thousand Oaks,CA: Sage Publications, P.3.
- Demaziere Didier , Dubar Claude (1997): E. c Hughes initiateur précurseur critique de la Grounded theory, Sociétés Contemporaines n° 27,p54. disponible sur http://www.persee.fr/doc/socco_1150-1944_1997_num_27_1_1457.
- El Hussein, M. T.; Kennedy, A. & Oliver, B. (2017). "Grounded theory and the conundrum of literature review: Framework for novice researchers", The Qualitative Report , 22 (4) , 1198-1210.
- Fernandez, Cheri. (2012). «Guest Editorial, Themed Section.» The Grounded Theory Review. vol. 11. no. 1p27.
- Glenn A. Bowen, (2006), «Grounded Theory and Sensitizing Concepts,» International Journal of Qualitative Methods, vol. 5, no. 3, pp. 12-23; Charmaz, p. 16
- Goulding, C. (2002). Grounded theory: A practical guide for management, business and market researchers . London, UK: Sage Publications.
- Heath, H. & Cowley, S. (2004). "Developing a grounded theory approach: A comparison of Glaser and Strauss", International Journal of Nursing Studies , 41 (2), 141-150.
- Herbert Blumer . (1969) Symbolic Interactionism: Perspective and Method (California: University of California Press, p. 6.
- Jones, R. & Noble, G. (2007). "Grounded theory and management research: A lack of integrity?" Qualitative Research in Organizations and Management: An International Journal , 2 (2), 84-103.
- Kenny, M. & Fourie, R . (2015). "Contrasting classic, Straussian, and constructivist grounded theory: methodological and philosophical conflicts", Qualitative Report , 20 (8), 1270-1289.
- Locke, K. (1996). "Rewriting the discovery of grounded theory after 25 years?", Journal of Management Inquiry , 5 (3), 239-245.
- Mahmud, B. (2018). Towards Social Sciences in the Arab Context : The Need for Grounded Theory. (Omran), 26(7), 85-112
- Michael L. Jones, George K. Kriflik & M. Zanko(2005), «Grounded theory: a theoretical and practical application in the Australian

- film industry,» in: Abdul Hafidz Bin Hj (ed.), Proceedings of International Qualitative Research Convention (QRC05) (Malaysia: Qualitative Research Association of Malaysia.
- Mirza, G., Fakhruddin, Y., & Salamah, Y. (2016). Introduction to Social Scientific Research Curriculum . Republic Institute for Scientific Research.
- Sorokin, P. (1947). Society, Culture, and Personality. New York: Harper & Row.
- Suddaby, R. (2006). "From the editors: What grounded theory is not", Academy of Management Journal , 49 (4), 633–642.
- Tan, J. (2014). "Grounded theory in practice: Issues and discussion for new qualitative researchers", Journal of Documentation , 66(1),p 93–112.
- Urquhart, C. (2013). Grounded theory for qualitative research: A practical guide . London, UK: SAGE Publications Inc.

تصورات المعلمين حول تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة: الواقع، والتحديات والمقترحات التطويرية

الباحث عبد الله بن عبد اللطيف السعود

معلم الدراسات الإسلامية باحث دكتوراه - مناهج وطرق
تدريس العلوم الشرعية وزارة التعليم السعودية.

alsaud87ab@gmail.com

الباحث محمد بن ناصر علي دباء.

معلم الدراسات الإسلامية باحث دكتوراه - مناهج
وطرق تدريس العلوم الشرعية وزارة التعليم السعودية

mnd1398@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/7/27 تاريخ قبول البحث 2025/8/27

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/.v7i1.263>

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على تصورات المعلمين حول مدى تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي والتحديات التي يواجهونها وأبرز المقترحات لتطويرها. ولتحقيق هذا الهدف، استُخدم المنهج المختلط، وطُبقت أداة المقابلة على عينة مكونة من (20) معلماً من معلمي الدراسات الإسلامية في مدرستين تابعتين لمكتبي تعليم صبيا بجازان والمبرز بالأحساء، خلال الفصل الدراسي الثاني من عام 1445هـ. وتضمنت أداة الدراسة أسئلة مغلقة وأخرى مفتوحة، ركزت على وجهات نظر المعلمين، والتحديات التي يواجهونها، ومقترحاتهم لتطوير المناهج في هذا الجانب، وأظهرت النتائج موافقة المعلمين على أن المناهج تتضمن قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي بدرجة متوسطة. كما أشاروا إلى عدد من التحديات، منها: تباين الثقافات والقيم، ضعف محتوى المناهج، الجهل ببعض التعاليم الشرعية ذات الصلة، ووجود مظاهر من التعصب ورفض الآخر. ومن أبرز المقترحات: تعزيز ثقافة التعايش، وتوفير بيئة تعليمية وإعلامية داعمة، وتدريب الكوادر التربوية على التواصل مع الثقافات المتعددة، وتأكيد الانطلاق من نصوص شرعية واضحة، وأوصت الدراسة بأهمية تدريب المعلمين على قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، وتضمين هذه القيم في المناهج بصورة أوسع وأكثر عمقاً.

الكلمات المفتاحية: الدراسات الإسلامية - التعددية الثقافية - التعايش السلمي.

Teachers' Perceptions Regarding the Inclusion of Cultural Pluralism and Peaceful Coexistence Values in Intermediate Stage Islamic Studies Curricula: Reality, Challenges, and Developmental Proposals

Muhammad bin Nasser Ali Daba – Abdullah bin Abdul Latif Al-Saud

Teacher of Islamic Studies, PhD Researcher – Curriculum and Methods of Teaching Islamic Sciences, Saudi Ministry of Education

Abstract:

The study aimed to identify teachers' perceptions regarding the extent to which Islamic studies curricula at the intermediate stage include values of cultural pluralism and peaceful coexistence, the challenges they face, and the most prominent proposals for developing these curricula. To achieve this objective, a mixed-methods approach was employed. An interview tool was applied to a sample of (20) Islamic studies teachers from two schools under the Sabya Education Office in Jazan and the Al-Mubarraz Education Office in Al-Ahsa during the second semester of the academic year 1445 AH. The study instrument included closed and open-ended questions focusing on teachers' perspectives, the challenges they encounter, and their suggestions for curriculum development in this regard. The results showed that teachers agreed that the curricula included values of cultural pluralism and peaceful coexistence to a moderate degree. They also pointed to several challenges, including: diversity of cultures and values, inadequacy of curriculum content, ignorance of some relevant Islamic teachings, and the presence of manifestations of intolerance and rejection of others. Among the most prominent proposals were: promoting a culture of coexistence, providing a supportive educational and media environment, training educational personnel on engaging with diverse cultures, and ensuring that the approach is grounded in clear Islamic texts. The study recommended the importance of training teachers on the values of cultural pluralism and peaceful coexistence, and incorporating these values into the curricula more extensively and in greater depth.

Keywords: Islamic Studies – Cultural Pluralism – Peaceful Coexistence

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات متسارعة في ظل التطور العلمي والتقني الذي ألغى الحدود بين الشعوب وقرب المسافات بينهم، الأمر الذي جعل التعايش بين الثقافات المختلفة ضرورة لا خياراً، حيث إن خيارات الكون وضعها الله سبحانه تحت تصرف الجميع، ولا تستقيم حياة البشر إلا بتعاونهم وتعايشهم (الحسني، 2014).

وفي ذات السياق، تُعد المجتمعات الإسلامية من أكثر المجتمعات المتنوعة ثقافياً بحكم تاريخها الغني وتعدد مكوناتها، مما يجعل من قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي قضية محورية لتحقيق الانسجام الاجتماعي والأمن والاستقرار (باجابر، 2021). وتبرز المناهج الدراسية كأداة رئيسة لترسيخ هذه القيم، إذ ينظر إليها بوصفها وسيلة تعليمية قادرة على تنمية اتجاهات إيجابية نحو المواطنة العالمية، وتعزيز قيم التسامح والتفاهم بين الطلاب من خلفيات ثقافية متعددة، بما يسهم في بناء مجتمعات متماسكة ومتعاونة (عليم، 2023؛ المناعي، 2023). كما تؤكد التجارب العملية أن الكتب المدرسية التي تراعي قيم التعددية الثقافية تحدث فرقاً ملموساً في احترام التنوع والتغلب على الحواجز العنصرية (المنتشري، 2021). ويُعدّ المعلم عنصراً محورياً في إنجاح هذا الدور، حيث لا تقتصر مهمته على نقل المعرفة بل تتعداها إلى غرس القيم وتنمية الوعي بأهمية احترام التنوع الثقافي، وهو ما يتطلب أن يكون المعلم على وعي بمفاهيم التعليم المتعدد الثقافات وأن يتحلى بقدرات تحليلية وافتتاح على الآخر، إضافة إلى تنمية مهارات طلابه الفكرية والنقدية التي تسهم في الحد من التعصب والانتصار لأفكار أو ثقافات بعينها (العنزي، 2023؛ الشاذلي، 2020).

وانطلاقاً من ذلك، جاءت هذه الدراسة لتتعرف على تصورات معلمي الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة حول مدى تضمين المناهج لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، والتحديات التي يواجهونها، والمقترحات التي يرونها لتطوير هذه المناهج.

مشكلة الدراسة:

في ظل التحديات العالمية المتزايدة والحاجة الملحة للتعايش السلمي والفهم المتبادل بين مختلف الثقافات والديانات، تشكل ثقافة التعايش والتسامح ركيزة من ركائز الدين الإسلامي وإنسانيته وعالميته وانطلاقاً من كون هذا التنوع ظاهرة كونية واجتماعية فإن مفاهيم الدين الإسلامي وتعاليمه توجه للتعاطي الايجابي مع واقع التنوع والاختلاف، وكيفية التغلب على عوامل الخلاف والتمزق وأسباب القطيعة؛ للوصول إلى إن التنوع وتعدد الانتماءات، إثراءً للتجارب وإنضاجاً للأفكار حتى يرتقي مجتمعنا إلى مستوى التعايش الحضاري المنشود. (الحسني، 2014) وإشارةً إلى ما بينته الدراسات والملتقيات والمؤتمرات العلمية بأهمية تضمين المناهج لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي وتفعيل دور المعلمين في نشر هذه الثقافة ودمجها في المجتمع الإسلامي كدراسة المطوع والمري (2019)، ودراسة الجمالي (2020)، ودراسة باجابر (2021)، ودراسة جاد (2021)، ودراسة المنتشري (2021)، ودراسة عبد المحسن (2023)، وملتقى أسبار (2023)، ومؤتمر الرياض الدولي للفلسفة (2023)، برزت مشكلة هذه الدراسة في بيان تصورات المعلمين حول مدى تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي والتحديات التي تواجههم والمقترحات لتطويرها.

أسئلة الدراسة:

- ما تصورات المعلمين حول مدى تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي؟
- ما التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن مناهج الدراسات الإسلامية؟
- ما المقترحات التي يقدمها المعلمون لتعزيز تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية؟

أهداف الدراسة:

- بيان تصورات المعلمين حول تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في المناهج الدراسية ضمن المجتمعات الإسلامية.
- بيان التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن مناهج الدراسات الإسلامية.
- بيان المقترحات التي يقدمها المعلمون لتعزيز تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية.

أهمية الدراسة:

- قد تسهم هذه الدراسة في تعميق الفهم حول كيفية دمج قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في المناهج الدراسية في المجتمعات الإسلامية.
- قد تسهم هذه الدراسة في تقديم أفضل الممارسات لتدريس قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي وكيف يمكن للتعليم أن يعزز من قيمة احترام التنوع الثقافي.
- قد توفر الدراسة معلومات قيمة لصناع القرار ومطوري المناهج استخدامها لتحسين المواد التعليمية والأساليب التدريسية لتشجيع قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في المجتمعات الإسلامية.
- يمكن للدراسة المساهمة في تشجيع الحوار بين الثقافات من خلال المعلمين والطلاب والمجتمع بشكل عام مما يساهم في تعزيز قيمة التفاهم والتسامح بين الشعوب.

حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: اقتصرَت الدراسة على بيان تصورات المعلمين حول تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة: الواقع، والتحديات والمقترحات التطويرية.
- الحدود البشرية: معلمي الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة.

- الحدود المكانية: مدارس مختارة من المرحلة المتوسطة بمكتب تعليم صبيا بجازان ومكتب تعليم المبرز بالأحساء بالمملكة العربية السعودية.
- الحدود الزمنية: طُبقت الدراسة في الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 1445هـ - 2024م

المصطلحات:

التعددية الثقافية:

هي إطار فكري قائم على حق الحياة والتعايش مع أفراد الوطن مهما اختلفت آرائهم، ومعتقداتهم، وثقافتهم ودياناتهم، وجنسهم، في سياق لا يخرج عن التفاهم والاحترام وتقدير الآخر وقبوله (سيد، 2017).

وعرفها عبد المحسن (2023) أنها: وجود أكثر من ثقافة فرعية داخل الثقافة العامة في المجتمع.

ويعرفها الباحثان إجرائيًا بأنها: إبداء وجهات نظر المعلمين في تعزيز معنى قيم التعددية الثقافية في نفوس الطلاب وتأكيد معنى الاحترام والتسامح ونبذ التعصب والطائفية وتقريب وجهات النظر في بيان التنوع الثقافي بين الشعوب وتضمين ذلك في مناهج الدراسات الإسلامية بالمرحلة المتوسطة.

التعايش السلمي:

هو القبول بالآخر وحل جميع القضايا الخلافية بالطرق السلمية مما يسهم في تعزيز الأمن والسلم وتحقيق التطور والازدهار (الجمالي، 2020).

وعرف الوادعي (2020) التعايش السلمي بأنه: علاقة تبادلية تفاعلية بين أفراد المجتمع الواحد وبين المجتمع والمجتمعات الأخرى وتقوم هذه العلاقة على المحبة والاخاء والتعاون والسلامة والسلم.

ويعرفه الباحثان إجرائيًا بأنه: إبداء وجهات نظر المعلمين في تعزيز قيمة التعايش مع الطرف الآخر وحبه وقبوله ونبذ العنف والتعصب والكرهية وتضمين ذلك في مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة.

الإطار النظري:

يتناول وجهات نظر المعلمين في تضمين المناهج لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في المجتمعات الإسلامية، ويمكن تقسيم هذا الإطار إلى الأقسام التالية وهي:

أولاً: التعددية الثقافية والتعايش السلمي:

تُعَدُّ التعددية الثقافية إقرارًا بعالم متنوع ومختلف، والتفاعل الإيجابي معه يقود إلى احترام متبادل، وحوار مرن، وتعايش سلمي يحقق التسامح والتعاون (سيد، 2017). وعَرَّف العسيلي (2012) التعددية الثقافية بأنها: وجود جماعات بشرية مختلفة في إطار اجتماعي وقانوني وسياسي منظم يضمن الحقوق ويمنع الاعتداء، ويمنح الجميع حق المواطنة، وهي مظهر أصيل في الحضارة الإسلامية التي أقرت باختلاف البشر في أفكارهم ومعتقداتهم مع ضمان حقهم في العيش الآمن دون إكراه، أما الغنيمي (2022) فقد أكد على أن التعددية الثقافية تقوم على الاحترام المتبادل بين الثقافات من أجل مجتمع متماسك.

ثانياً: خصائص التعددية الثقافية والتعايش السلمي:

تتمثل أبرز خصائص التعددية الثقافية والتعايش السلمي في ضمان الحقوق والمصالح لجميع الأطراف، والاحترام المتبادل باعتبار الإنسانية جوهرًا مشتركًا، إضافةً إلى التعرف على الثقافات الأخرى وفهمها، والموازنة بين الثقافات المختلفة في الحقوق والواجبات، كما تشمل هذه الخصائص تعزيز الحريات المنضبطة واحترام حقوق الإنسان، وتفعيل الطاقات الإبداعية لدى الشباب المسلم، ورعاية المواهب ودعم التلاقي الثقافي بين المجتمعات، فضلاً عن ترسيخ قيم الحوار والتعايش للتغلب على التعصب والتحيز، بما يسهم في تحقيق الاستقرار والتوافق الاجتماعي (العسيلي، 2012؛ الحسني، 2014؛ لطيفة، 2022).

ثالثاً: مجالات التعددية الثقافية والتعايش السلمي:

تنقسم مجالات التعددية الثقافية والتعايش السلمي إلى مجالين رئيسيين هما:

1. **التعايش الداخلي** : وهو تعايش المواطنين داخل المجتمع الواحد على أساس الحقوق المتساوية رغم اختلاف أطرافهم الفكرية والعقدية، ويشمل دوائر متعددة كالجوار والمواطنة وأهل الكتاب.
 2. **تعايش المسلمين خارجياً** : حيث يؤكد الإسلام على التعامل السلمي مع المخالفين خارج حدود الدولة بما يثمر التعاون والاحترام المتبادل، وفي الوقت نفسه يحفظ حقوق الأقليات المسلمة في غير بلاد الإسلام (الوادعي، 2021).
- كما بين الحسن (2014) أن التنوع الثقافي نوعان:
- النوع الأول: طبيعي تكويني** لا يختاره الإنسان مثل الانتماء العرقي أو القومي.
- النوع الثاني: اختياري كسبي** يرتبط بالدين أو الفكر أو السلوك الذي يتبناه الإنسان.

رابعاً: التعددية الثقافية والتعايش السلمي من منظور إسلامي:

تتضح قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي من منظور الإسلام من خلال المحاور التالية:

1. **القاعدة القرآنية**: فالإسلام لا يسعى إلى "صب" الإنسانية والعالم في قالب واحد، منكرًا بذلك حق التمايز والاختلاف، إذ إن الله تعالى خلق البشرية على أساس التنوع والاختلاف الذي ينهض عليه تعايش الشعوب والحضارات وتوافقها، وقد أشاد الإسلام بمجموعة القيم التي ترسخ مبادئ التنوع الثقافي والتي تركز على عدة قواعد منها: قاعدة الاحترام المتبادل، والتسامح، واحترام تفرد كل فرد وخصوصيته، وصون المقومات المادية والمعنوية للكرامة الإنسانية، واعتبار التنوع الثقافي والحق في الاختلاف حقاً أصيلاً وأساساً من حقوق الإنسان قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13] (المطوع والمري، 2019).

2. **البعد النبوي**: فالإسلام يدعو إلى الوحدة في إطار التنوع، وهذه الوحدة ليست قسرية ولا عنيفة، إنما وحدة قائمة على الرحمة للمخلوقات كلها وبين المجتمعات،

إذا إن الرحمة تذيب الاستعلاء وتزيل الفروقات، وتبني جسور المساواة، فإذا أصبحت قيمة الرحمة سلوكاً واقعياً في التعاملات والحوارات، أثمرت في ظل نظام "تكامل التناقض"، أما حين تنعدم الرحمة وتضعف قدرتها على الدمج، فإنها تكون سبباً في حروب ثقافية واجتماعية واقتصادية (باجابر، 2021).

ومن ذلك ما رواه البخاري في عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار". (ابن حجر، 278، 2000).

3. **الشواهد التاريخية:** لقد أرسيت التجربة النبوية في المدينة المنورة نموذجاً فريداً لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، حيث تقوم على مبادئ المواطنة وقبول الآخر، فقد واجه النبي ﷺ مجتمعاً فسيئاً متنوعاً دينياً وقبلياً واجتماعياً، حيث ضمّ المسلمين والمهاجرين والأنصار، واليهود بقبايلهم المختلفة، إضافة إلى الوثنيين والأعراب والموالي والعبيد. وبرغم هذا التنوع الكبير في الانتماءات والمصالح والأنشطة الاقتصادية والمعيشية، استطاع الرسول ﷺ أن يؤسس نظاماً عاماً يضمن التوافق بين هذه الفئات، ويحقق السلم الأهلي، وهو ما يشكل أنموذجاً حضارياً ما أحوجنا إلى استلهامه اليوم في مواجهة التحديات الفكرية والاجتماعية المعاصرة (العسيلي، 2012).

خامساً: دور المناهج والمعلمين في تعزيز قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي:

• **المناهج الدراسية:** أداة محورية لترسيخ قيم التعايش، وذلك من خلال تضمين موضوعات تعكس التنوع الثقافي، وتصميم أنشطة ميدانية تعزز فهم الطلاب للمجتمع المتعدد (سيد، 2017).

وأشار عبد المحسن (2023) إلى أهمية تطوير المناهج باستمرار لتتلاءم مع واقع التنوع الثقافي وتعكس أثره على تعلم الطلاب.

- **المعلمون:** يمثلون الركيزة الأساسية في التربية على قيم التعددية الثقافية، ووفق نموذج بانكس يشمل دورهم: تناول قضايا التنوع في المحتوى، مساعدة الطلاب على استكشاف افتراضاتهم الثقافية، تقليل التحيز، تطبيق ممارسات قائمة على المساواة، وبناء ثقافة مدرسية قائمة على التمكين وتكافؤ الفرص (الرشيدي، 2014).

سادساً: التحديات أمام المناهج في تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي:
تواجه المناهج تحديات عدة في تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، من أبرزها التمييز والعداء الثقافي الناتج عن الجهل أو الانعزالية، واختلاف اللغات وصعوبة التواصل، إضافة إلى تضارب بعض القيم والمعتقدات بين الثقافات (العبادي، 2023). كما يُعد التطرف الفكري والمغالاة من أخطر معوقات التعايش، إلى جانب الدور السلبي الذي قد يمارسه الإعلام في إذكاء التعصب وإثارة الصراعات (الجمالي، 2020)
الدراسات السابقة:

يتناول هذا الجزء عدداً من الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الدراسة الحالية وهي كالتالي:

دراسة حميد (2023) هدفت إلى التعرف على انعكاسات تدريس منهج التربية الإسلامية في ترسيخ مفهوم التعايش السلمي لدى طلبة المرحلة الإعدادية. اعتمدت المنهج الوصفي، وأعدت استبانة مكونة من (44) فقرة موزعة على خمس مجالات. شملت العينة (45) معلماً ومعلمة في محافظة نينوى، وأظهرت النتائج وجود تأثير جيد لمقرر التربية الإسلامية في تعزيز التعايش السلمي دون فروق دالة تبعاً لمتغير الجنس، وأوصت الدراسة بضرورة تضمين المنهج قيم الخطاب المعتدل، ومبادئ المحبة والتسامح والتكاتف بعيداً عن الطائفية والعنصرية.

دراسة العنزي والشرع (2021) هدفت إلى معرفة دور معلمي التربية الإسلامية في تعزيز ثقافة السلام لدى طلبة المرحلة الثانوية بمنطقة الرياض. واستخدمت الدراسة

المنهج الوصفي، وأعدت استبانة مكونة من (57) فقرة وزعت على ثلاث مجالات. وتكونت العينة من (559) معلماً ومعلمة، وأظهرت النتائج أن تقدير المعلمين لدورهم في تعزيز ثقافة السلام كان بدرجة عالية، خاصة في مجال التسامح، وأوصت الدراسة بضرورة تضمين المناهج موضوعات ثقافة السلام وقضايا التسامح.

دراسة الجمالي (2020) سعت إلى بيان مفردات التعايش السلمي وموقف الإسلام منه وأهميته والأساس القانوني له في المواثيق الدولية. واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي دون أداة ميدانية، حيث استندت إلى تحليل النصوص والمراجع، وأبرزت النتائج أن التعايش السلمي يمثل قيمة محورية في إدارة التنوع الإنساني وتعزيز الأمن والتعاون، وأنه مبدأ أصيل في مقاصد الشريعة الإسلامية. وأوصت بضرورة ترسيخ ثقافة التعايش السلمي في القوانين الوطنية والمواثيق الدولية لحمايته وتفعيله.

دراسة الوادعي (2020) هدفت إلى التعرف على دور أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك خالد في نشر ثقافة التعايش السلمي من خلال المقررات الجامعية، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، واستخدمت استبانة مكونة من (20) فقرة. وشملت العينة (300) عضو هيئة تدريس من كليات الشريعة والدراسات الإسلامية. وأظهرت النتائج أهمية دور التدريس في توضيح مفاهيم التعايش الداخلي والخارجي، وتعزيزه في إطار المواطنة والتنمية. وأوصت الدراسة بإعداد إطار مفاهيمي للتعايش السلمي، وتدريب أعضاء هيئة التدريس عليه، وتضمين المقررات الجامعية مفاهيمه ومعالجة الشبهات المرتبطة به.

التعقيب على الدراسات السابقة:

تشترك الدراسات السابقة في اهتمامها بموضوع التعايش السلمي وثقافة السلام من خلال المناهج التعليمية أو أدوار المعلمين وأعضاء هيئة التدريس، حيث اعتمد معظمها على المنهج الوصفي مستخدمة الاستبانة أداة رئيسة لجمع البيانات. كما أجمعت النتائج على أهمية تضمين قيم التسامح، ونبذ الطائفية، وتعزيز ثقافة السلام عبر المناهج الدراسية والأنشطة التعليمية.

أما من حيث الاختلافات، فقد تنوعت الدراسات في المستوى التعليمي والعينة؛ فبعضها تناول طلبة المرحلة الإعدادية (حميد، 2023)، وأخرى ركزت على المرحلة الثانوية (العنزي والشرع، 2021)، في حين اهتمت بعض الدراسات بالجامعة (الوداعي، 2020). كما اختلفت في محور الاهتمام؛ فبينما ركزت دراسة الجمالي (2020) على الجانب النظري والمفاهيمي للتعايش السلمي في ضوء الشريعة والمواثيق الدولية، ركزت بقية الدراسات على الأبعاد التطبيقية لأدوار المناهج والمعلمين.

من ناحية النتائج، أكدت جميعها على الدور المحوري للتربية الإسلامية في تعزيز قيم التعايش، إلا أن التوصيات تنوعت بين الدعوة لتضمين المناهج موضوعات ثقافة السلام، وتدريب أعضاء هيئة التدريس على ترسيخها، وتطوير الممارسات التعليمية لتكون أكثر شمولاً.

موقع الدراسة الحالية:

تأتي هذه الدراسة لتسد ثغرة لم تتناولها الدراسات السابقة، إذ تركز بشكل خاص على قيم التعددية الثقافية في ضوء رؤية معلمي الدراسات الإسلامية، وبما ينسجم مع خصوصية النطاق الجغرافي (صبا بجازان والمبرز بالأحساء) وهذا ما يميزها عن الدراسات السابقة التي عالجت التعايش السلمي بوجه عام، دون التعمق في التعددية الثقافية كقيمة محورية، أو ربطها بسياق محلي محدد.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

يتناول الباحثان في هذا الفصل منهجية الدراسة وإجراءاتها؛ من أجل تحقيق أهداف الدراسة، وسوف يستعرض الباحثان منهج الدراسة ومجتمع الدراسة، وعينة الدراسة، وأداة الدراسة، وكيفية بناء أداة الدراسة.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحثان المنهج المختلط (الوصفي - الكيفي) بوصفه الأنسب لتحقيق أهداف الدراسة، وذلك للتعرف على وجهات نظر معلمي الدراسات الإسلامية حول

تضمن المناهج لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، واستجلاء التحديات التي تواجههم، وطرح مقترحات لتطوير هذا التضمين.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة التابعين لمكتب تعليم محافظة صبيا والبالغ عددهم (89) معلماً ومكتب تعليم مدينة المبرز بمحافظة الأحساء والبالغ عددهم (97) معلماً.

عينة الدراسة:

أجريت الدراسة على عينة قوامها (20) معلماً من معلمي الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة بواقع (10) معلمين من كل مكتب تم اختيارهم بالطريقة القصدية؛ قربهم من نطاق عمل الباحثين.

جدول (1): توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير: المؤهل العلمي

النسبة المئوية %	العدد	المؤهل العلمي
85.0	17	بكالوريوس تربوي
10.0	2	ماجستير
5.0	1	دبلوم تربوي
100	20	المجموع

يتضح من الجدول (1) أن المؤهل العلمي لغالبية أفراد عينة المقابلة ممن مؤهلهم (بكالوريوس تربوي) وذلك بنسبة مئوية (85.0%)، ثم يأتي من مؤهلهم العلمي (ماجستير) وذلك بنسبة مئوية (10.0%)، وأخيراً يأتي من فرد واحد مؤهله العلمي (دبلوم تربوي) وذلك بنسبة مئوية (5.0%).

جدول (2): توزيع أفراد عينة الدراسة وفق متغير: سنوات الخبرة في التدريس

النسبة المئوية %	العدد	سنوات الخبرة في التدريس
15.0	3	من 5 إلى أقل من 10 سنوات
5.0	1	من 10 إلى أقل من 15 سنة
80.0	16	من 15 سنة فأكثر
100	20	المجموع

يتضح من الجدول (2) أن سنوات الخبرة لغالبية أفراد عينة المقابلة في التدريس (من 15 سنة فأكثر) حيث بلغت نسبتهم المئوية (80.0%)، ثم يأتي من سنوات خبرتهم (من 5 إلى أقل من 10 سنوات) وذلك بنسبة مئوية (15.0%)، وأخيراً يأتي فرد واحد سنوات خبرته (من 10 إلى أقل من 15 سنة) وذلك بنسبة مئوية (5.0%).

أداة الدراسة:

لتحقيق أهداف هذه الدراسة، وللإجابة على أسئلتها توصل الباحثان إلى أن المقابلة هي الأداة المناسبة لجمع المعلومات ولبيان تصورات المعلمين حول مدى تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي والتحديات التي تواجههم والمقترحات لتطويرها والتي تكونت من خمسة محاور للجانب الكمي وسؤالين مفتوحين للجانب النوعي.

الصدق الظاهري للأداة (صدق المحكمين):

وذلك من خلال عرض أداة الدراسة (المقابلة) على مجموعة من المحكمين، شملت متخصصين في مناهج وطرق تدريس التربية الإسلامية، ومتخصصين في تدريس مواد التربية الإسلامية، وقد طلب الباحثين من المحكمين إبداء الرأي حول أسئلة المقابلة، وفي عباراتها المختلفة؛ من حيث وضوح العبارة ومناسبتها وانتمائها للمحور الذي تنتمي إليه، وكذلك إبداء أي ملاحظات يرونها، بعدها قام الباحثان بجمع الآراء من المحكمين، والتي تمثلت في إضافة بعض العبارات، وحذف بعضها، وتعديل بعضها، وتعديل بعض الصياغات اللغوية، قام بعدها الباحثان بإجراء التعديلات التي اتفق عليها غالبية المحكمين حتى أصبحت الأداة بصورتها النهائية.

صدق الاتساق الداخلي:

وللتأكد من صلاحية أداة الدراسة، قام الباحثان بالتحقق من الصدق بنوعيه: الصدق الظاهري والصدق الداخلي؛ وذلك بحساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة لكل عبارة والدرجة الكلية للمقابلة، واستُخدم لذلك برنامج (SPSS) والجدول التالية توضح ذلك:

جدول (3): معاملات ارتباط بيرسون بين كل عبارة من عبارات المقابلة وبين الدرجة الكلية للمقابلة

معامل الارتباط	العبارة	رقم العبارة
**0.832	المناهج الدراسية الحالية تعزز من قيمة التعددية الثقافية والتعايش السلمي.	1
**0.756	المواد التعليمية المتوفرة كافية لتدريس قيم التعددية الثقافية بشكل فعال.	2
**0.859	أنتطلع إلى تدريس موضوعات تتعلق بقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي.	3
**0.829	هناك حاجة لزيادة التركيز على قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن المناهج الدراسية.	4
**0.742	تضمن قيم التعددية الثقافية في المناهج يعزز التعايش السلمي بين الطلاب من خلفيات مختلفة.	5

(*) دالة عند مستوى (0.05)، (**) دالة عند مستوى (0.01).

يتضح من خلال معاملات ارتباط بيرسون في الجدول (3) ارتباط جميع عبارات المقابلة بالدرجة الكلية للمقابلة ارتباط موجب دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01) مما يدل على صدق الاتساق الداخلي على مستوى عبارات المقابلة، وأنها تنتم بدرجة عالية من الصدق، وأنها صالحة لقياس ما وضعت لقياسه. ثبات أداة الدراسة:

وللتحقق من ثبات أداة الدراسة (المقابلة) تم استخدام معامل ألفا كرونباخ، وقد بلغ (0.83) وهي قيمة مرتفعة تعكس ثباتاً جيداً للأداة وصلاحيته للاستخدام في هذه الدراسة.

مقياس الحكم على الإجابات:

ولحساب فئات المتوسط الحسابي؛ تم إعطاء وزن للبدايل: (موافق = 3، محايد = 2، غير موافق = 1)، ثم تم تصنيف تلك الإجابات إلى ثلاث مستويات متساوية المدى من خلال المعادلة التالية:

$$\text{طول الفئة} = (\text{أكبر قيمة} - \text{أقل قيمة}) \div \text{عدد بدائل المقياس} = (3 - 1) \div 3 = 0.66$$

0.66

وذلك للحصول على مدى المتوسطات لكل بديل كما في الجدول الآتي:

جدول (4): يبين توزيع مدى المتوسطات وفق التدرج المستخدم في أداة الدراسة

الوصف	مدى المتوسطات
عالية	3.0 - 2.34
متوسطة	2.33 - 1.67
متدنية	1.66 - 1.0

الأساليب الإحصائية:

- التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة.
- المتوسط الحسابي " Mean "
- الانحراف المعياري "Standard Deviation"
- معامل ارتباط "بيرسون" لقياس صدق المقابلة.
- معامل ثبات "ألفا كرونباخ" لقياس ثبات المقابلة.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

للإجابة على السؤال الأول ولمعرفة تصورات المعلمين حول مدى تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي؛ تم حساب التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب حسب المتوسط الحسابي كما هو موضح فيما يلي:

جدول (5): يبين تصورات المعلمين حول مدى تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة

المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي

م	العبارة	عالية	متوسطة	متدنية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	التعليق
5	تضمين قيم التعددية الثقافية في المناهج يعزز التعايش السلمي بين الطلاب من خلفيات مختلفة.	18	2	0	2.90	0.31	1	عالية
		90.0	10.0	0.0				

م	العبارة	عالية	متوسطة	متدنية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	التعليق
4	هناك حاجة لزيادة التركيز على قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن المناهج الدراسية.	17	2	1	2.80	0.52	2	عالية
	%	85.0	10.0	5.0				
1	المناهج الدراسية الحالية تعزز من قيمة التعددية الثقافية والتعايش السلمي	13	7	0	2.65	0.49	3	عالية
	%	65.0	35.0	0.0				
3	أنتطلع إلى تدريس موضوعات تتعلق بقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي	13	5	2	2.55	0.69	4	عالية
	%	65.0	25.0	10.0				
2	المواد التعليمية المتوفرة كافية لتدريس قيم التعددية الثقافية بشكل فعال.	7	7	6	2.05	0.83	5	متوسطة
	%	35.0	35.0	30.0				
المتوسط العام لعبارات المقابلة								
					2.59	0.46	عالية	

يتضح من الجدول رقم (5) تصورات المعلمين حول موافقتهم على محور: مدى تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، وقد بلغ المتوسط الحسابي العام لعبارات المحور (2.59 من 3.0) وهو متوسط يقع في الفئة الثالثة من فئات المقياس الثلاثي مما يعني أن أفراد عينة الدراسة من معلمي الدراسات الإسلامية يوافقون على إجمالي عبارات محور: تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي بدرجة (عالية) وذلك بشكل عام. وعلى مستوى العبارات فقد تراوح المتوسط الحسابي لدرجات موافقة أفراد عينة الدراسة من معلمي الدراسات الإسلامية عليها ما بين (2.05 - 2.90) درجة من أصل (3) درجات وهي متوسطات تقابل درجتي الموافقة (عالية، متوسطة)، وفيما يأتي نتناول بالتفصيل العبارات ومرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي: جاءت موافقة أفراد العينة من معلمي الدراسات الإسلامية على أربع عبارات

من محاور تضمين مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة للتعددية الثقافية والتعايش السلمي بدرجة (عالية) حيث انحصرت متوسطاتها الحسابية بين (2.55)، (2.90) وهي مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي كما يأتي:

- جاءت العبارة (تضمين قيم التعددية الثقافية في المناهج يعزز التعايش السلمي بين الطلاب من خلفيات مختلفة) في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.90) وانحراف معياري (0.31). وهذه النتيجة موافقة لدراسة حميد (2023) ودراسة العنزي والشرع (2021)

- جاءت العبارة (هناك حاجة لزيادة التركيز على قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن المناهج الدراسية) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (2.80) وانحراف معياري (0.52). وهذه النتيجة موافقة لدراسة العنزي والشرع (2021) ودراسة الوادعي (2020)

- جاءت العبارة (المناهج الدراسية الحالية تعزز من قيمة التعددية الثقافية والتعايش السلمي) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (2.65) وانحراف معياري (0.41). ويعزو الباحثين هذه النتيجة إلى التطوير المستمر للمناهج ومواكبتها لمتغيرات العصر الحديث.

- جاءت العبارة (أنتطلع إلى تدريس موضوعات تتعلق بقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (2.55) وانحراف معياري (0.69). ويعزو الباحثين هذه النتيجة إلى الاتجاهات الإيجابية للمعلمين نحو تدريس الموضوعات التي تتعلق بالتعددية الثقافية والتعايش السلمي.

بينما جاءت موافقة أفراد العينة من معلمي الدراسات الإسلامية على العبارة (المواد التعليمية المتوفرة كافية لتدريس قيم التعددية الثقافية بشكل فعال) في المرتبة الخامسة والأخيرة بدرجة (متوسطة) حيث بلغ متوسطها الحسابي (2.05) وانحراف معياري (0.83). ويعزو الباحثين هذه النتيجة أن من المعلمين من يفتقد مهارة التدريس وفقاً لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي. ويتضح من خلال النظر إلى قيم الانحراف

المعياري في الجدول أعلاه وهو مقدار تشتت استجابات أفراد العينة عن المتوسط الحسابي لكل عبارة، فكلما زاد الانحراف المعياري يزيد تشتت آراء أفراد عينة الدراسة من معلمي الدراسات الإسلامية حول الثلاث اختيارات (عالية، متوسطة، متدنية) لعبارات مقابلة واقع مناهج الإعاقة الفكرية للمرحلة المتوسطة أنها تنحصر بين (0.31، 0.83) وكان أقل انحراف معياري للعبارة (تضمن قيم التعددية الثقافية في المناهج يعزز التعايش السلمي بين الطلاب من خلفيات مختلفة) مما يدل على أنها أكثر عبارة تقاربت آراء العينة حولها، وكانت أكبر قيمة للانحراف المعياري للعبارة (المواد التعليمية المتوفرة كافية لتدريس قيم التعددية الثقافية بشكل فعال) مما يدل على أنها أكثر عبارة اختلف حولها أفراد عينة المقابلة من معلمي الدراسات الإسلامية. وللاجابة على السؤال الثاني ولمعرفة التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن مناهج الدراسات الإسلامية؛ تم حصر تكرارات التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس مواضيع تتعلق بقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي وذلك من وجهة نظر أفراد عينة المقابلة من معلمي الدراسات الإسلامية، كما هو موضح فيما يلي:

جدول (6): يبين التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس قيم التعددية الثقافية والتعايش

السلمي ضمن مناهج الدراسات الإسلامية

م	التحديات	التكرار	النسبة المئوية
1	الاختلاف وتباين الثقافات، والعادات المجتمعية، والقيمية، والأخلاقية.	10	50.0
2	الجهل بالتعاليم الشرعية في قبول قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي مع المجتمعات الأخرى.	9	45.0
3	التعصب وعدم تقبل فكرة التعددية الثقافية والتعايش السلمي وقبول الرأي والرأي الآخر.	6	30.0
4	ضعف محتوى المناهج الدراسية في تضمين معاني التعددية الثقافية والتعايش السلمي.	6	30.0

يتضح من الجدول رقم (6) أن من أهم التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس مواضيع تتعلق بقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي من وجهة نظر أفراد المقابلة ومرتبة تنازلياً حسب النسبة المئوية لتكرار كل منها، ما يأتي:

- الاختلاف وتباين الثقافات، والعادات المجتمعية، والقيمية، والأخلاقية، بنسبة مئوية (50.0%)
 - الجهل بالتعاليم الشرعية في قبول قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي مع المجتمعات الأخرى، بنسبة مئوية (45.0%).
 - التعصب وعدم تقبل فكرة التعددية الثقافية والتعايش السلمي وقبول الرأي والرأي الآخر، بنسبة مئوية (30.0%).
 - ضعف محتوى المناهج الدراسية في تضمين معاني وقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، بنسبة مئوية (30.0%).
- وهذه النتيجة جاءت موافقة لدراسة الجمالي (2020) ودراسة العبادي (2023)، ويُعزى ذلك إلى تباين الخلفيات الثقافية داخل المجتمع السعودي، مما يفرض على المعلمين جهودًا إضافية لتقريب وجهات النظر.
- وللإجابة على السؤال الثالث ولمعرفة المقترحات التي يقدمها المعلمون لتعزيز تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية؛ تم حصر تكرارات المقترحات لتحسين تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في المناهج الدراسية وذلك من وجهة نظر أفراد عينة المقابلة من معلمي الدراسات الإسلامية، كما هو موضح فيما يلي:

جدول (7): يبين المقترحات التي يقدمها المعلمون لتعزيز تضمين قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية

م	المقترحات	التكرار	النسبة المئوية
1	تضمين محتوى المناهج الدراسية معاني وقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي.	16	80.0
2	نشر ثقافة التعايش بين أفراد المجتمع وتقبل الثقافات المختلفة واحترام الرأي والرأي الآخر.	5	25.0
3	توفير بيئة تعليمية وإعلامية متقبلة لفكرة التعددية الثقافية والتعايش السلمي.	5	25.0
4	تدريب منسوبي المؤسسات التعليمية على تنمية مهارات التواصل مع الثقافات المختلفة.	5	25.0
5	إن تكون قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي مبنية على نصوص شرعية صحيحة وصریحة.	4	20.0

يتضح من الجدول رقم (7) أن من أهم المقترحات التي يقدمها المعلمون لتعزيز

تضمن قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي في مناهج الدراسات الإسلامية (تضمن محتوى المناهج الدراسية معاني وقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي) حيث يرى ذلك (80.0%) من أفراد عينة المقابلة، ثم يأتي بعد بعض المقترحات مثل:

– نشر ثقافة التعايش بين أفراد المجتمع وتقبل الثقافات المختلفة واحترام الرأي والرأي الآخر.

– توفير بيئة تعليمية وإعلامية متقبلة لفكرة التعددية الثقافية والتعايش السلمي.

– تدريب منسوبي المؤسسات التعليمية على تنمية مهارات التواصل مع الثقافات المختلفة.

– إن تكون قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي مبنية على نصوص شرعية صحيحة وصريحة.

خلاصة النتائج:

تصورات المعلمين حول مدى تضمن مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي:

أفراد عينة الدراسة من معلمي الدراسات الإسلامية يوافقون على إجمالي عبارات محور: تضمن مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي بدرجة (عالية) وذلك بشكل عام. جاءت موافقة أفراد العينة من معلمي الدراسات الإسلامية على أربع عبارات من محور تضمن مناهج الدراسات الإسلامية للمرحلة المتوسطة لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي بدرجة (عالية)، وهي مرتبة تنازلياً حسب المتوسط الحسابي كما يأتي:

– تضمن قيم التعددية الثقافية في المناهج يعزز التعايش السلمي بين الطلاب من خلفيات مختلفة.

– هناك حاجة لزيادة التركيز على قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن المناهج الدراسية.

– المناهج الدراسية الحالية تعزز من قيمة التعددية الثقافية والتعايش السلمي.

- أنتطلع إلى تدريس موضوعات تتعلق بقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي. جاءت موافقة أفراد العينة من معلمي الدراسات الإسلامية على العبارة المواد التعليمية المتوفرة كافية لتدريس قيم التعددية الثقافية بشكل فعال) في المرتبة الخامسة والأخيرة بدرجة (متوسطة).

التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي ضمن مناهج الدراسات الإسلامية ومقترحاتهم حولها:

من أهم التحديات التي تواجه المعلمين عند تدريس مواضيع تتعلق بقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي من وجهة نظر أفراد المقابلة أظهرت نتائج المقابلات أنّ المعلمين يواجهون عدة تحديات عند تدريس قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، من أبرزها اختلاف الثقافات والعادات والقيم الأخلاقية داخل المجتمع، مما يخلق صعوبة في تقبل هذه المفاهيم، إضافة إلى ضعف الوعي بالتعاليم الشرعية الصحيحة التي تحث على احترام الآخر، وما يصاحبه من مظاهر التعصب وعدم تقبل الرأي المخالف، فضلاً عن قصور المناهج الدراسية في تضمين مضامين واضحة حول قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي. وفي ضوء هذه التحديات، اقترح المعلمون جملة من الحلول كان في مقدمتها تطوير محتوى المناهج ليعكس بشكل مباشر قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي، وهو ما أكد أهميته معظم أفراد العينة، إلى جانب نشر ثقافة التعايش في المجتمع، وتوفير بيئة تعليمية وإعلامية أكثر انفتاحاً على التنوع، وتدريب المعلمين على مهارات التواصل مع الثقافات المختلفة، مع التأكيد على أن تكون هذه القيم مستندة إلى نصوص شرعية صحيحة وصریحة تعزز القبول المجتمعي وتدعم الممارسة التربوية.

التوصيات: في ضوء ما خلصت إليه الدراسة من نتائج، فإن الباحثين يقَدِّمان عدداً من التوصيات:

- 1- أهمية تدريب المعلمين على قيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي.
- 2- تضمين المناهج الدراسية لقيم التعددية الثقافية والتعايش السلمي.

المقترحات:

تأسيساً على النتائج التي تم التوصل إليها، وفي ضوء التوصيات السابقة، يقترح الباحثان القيام بالبحوث والدراسات المستقبلية التالية:

- 1- دراسة تحليلية لقضايا معاصرة في مقررات الدراسات الإسلامية.
- 2- دراسة مقارنة بين مناهج الدراسات الإسلامية في المملكة ودول إسلامية أخرى في معالجة القضايا المعاصرة.

المصادر والمراجع

- باجابر، فاطمة. (2021). التعددية الثقافية العالمية في ضوء القيم الإسلامية للحوار الحضاري. مجلة كلية التربية. جامعة أسيوط. 37. (2). 404-356.
- جاد، محمد. (2021). دور الجامعات في تنمية المواطنة العالمية لدى الطلاب. مجلة العلوم التربوية. جامعة جنوب الوادي. 4. (1). 385-329.
- الجمالي، عبد العزيز. (2020). التعايش السلمي. مجلة الجامعة الوطنية. (15). 102 - 77.
- الحسني، أحمد. (2014). التنوع الثقافي والتعايش السلمي رؤية إسلامية. مجلة الآداب. جامعة بغداد. (109). 562-537.
- حميد، صدام. (2023). انعكاسات تدريس منهج التربية الإسلامية في ترسيخ مفهوم التعايش السلمي لطلبة المرحلة الإعدادية في ضوء عناصر المنهج الدراسي من وجهة نظر مدرسية. مجلة التراث. 13. (2). 52-31.
- الرشدي، حسين. (2014). التربية القائمة على التعددية الثقافية ومضامينها كمدخل لتعزيز قيم المواطنة والهوية بدولة الكويت. مجلة كلية التربية. جامعة الكويت. (21). 695-641.
- سيد، إيمان. (2017). منهج الفلسفة في ضوء التعددية الثقافية لتنمية قيم التسامح لدى طلاب المرحلة الثانوية. مجلة العلوم التربوية. 25. (3). 25-1.
- الشاذلي، خديجة. (2020). التنوع الثقافي والية تعزيزه بالتعليم قبل الجامعي في العالم المعاصر. مجلة كلية التربية. جامعة بني سويف. (2). 381-325.
- العبادي، محمد. (2023 / 11 / 29). التعددية الثقافية التحديات والفرص. صحيفة أشبيلية نيوز. <https://eshbelia-news.com/?p=3194> استرجع بتاريخ 7 / 6 / 2024م.
- عبد المحسن، مي. (2023). متطلبات إعداد معلم متعدد الثقافات في مصر. مجلة كلية التربية. جامعة المنصورة. 121. (4). 1874-1847.

- العساف، صالح بن حمد (2003م). المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية. مكتبة العبيكان.
- العسقلاني، أحمد بن حجر. (2000). فتح الباري شرح صحيح البخاري. دار السلام للنشر والتوزيع
- العسيلي، عبد الله (2012). التعددية والتعايش الثقافي في ضوء الشريعة الإسلامية 141-170.
- عليم، نرمين. (31/07/2023). المناهج الدراسية حصون للهوية الثقافية لدى الأجيال الناشئة. صحيفة. Meo استرجع بتاريخ 7 / 6 / 2024م. <https://n9.cl/mqxsag>
- العنزي، نهلى. (12 / 7 / 2023). دور المؤسسة التعليمية في دعم التعليم متعدد الثقافات. صحيفة المدينة. استرجع بتاريخ 7 / 6 / 2024م. <https://n9.cl/6sesg>
- العنزي، نورة. والشرع، إبراهيم. (2021). دور معلمي ومعلمات التربية الإسلامية في تعزيز ثقافة السلام لدى طلبة المرحلة الثانوية في منطقة الرياض من وجهة نظرهم. مجلة البقاء للبحوث والدراسات. 24. (1). 146-162.
- الغنيمي، غادة. (2022). التعددية الثقافية وقبول الآخر وأثرها في تحقيق السلام العالمي. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية. الإسكندرية 2(38). 63-114.
- لطيفة، بن مهرة. (2022). النقاش في ظل التعددية. مجلة أنثروبولوجيا. 8. (1). 344-360.
- المطوع، فرح. والمري، غفراء. (2019). التنوع الثقافي بين طالبات المرحلة الثانوية بدولة الكويت من وجهة نظر معلماتهن. مجلة كلية التربية. جامعة عين شمس. 3. (43). 15-50.
- ملتقى أسبار. (16 / 6 / 2023). أثر التنوع الثقافي على التنمية المجتمعية وتكامل الثقافات. استرجع بتاريخ 7 / 6 / 2024م. <https://n9.cl/12p39>
- المناعي، شمسان. (22 / 8 / 2023). نحو مقرر «للمواطنة العالمية» في مناهج التعليم. صحيفة الوطن. استرجع بتاريخ 7 / 6 / 2024م. <https://n9.cl/ad9aus>
- المنتشري، أحمد. (2021). مفاهيم التعددية الثقافية اللازمة تضمينها في مقررات الفقه للمرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية. المجلة العلمية. كلية التربية. جامعة الوادي الجديد. (36). 77-97.
- مؤتمر الرياض الدولي للفلسفة. (7-9 / 12 / 2023). القيم العابرة للثقافات والتحديات الأخلاقية في عصر التواصل. مكتبة الملك فهد. استرجع بتاريخ 7 / 6 / 2024م. https://engage.moc.gov.sa/philosophy_conference
- الوادعي، مسفر. (2020). دور أعضاء هيئة التدريس في نشر ثقافة التعايش السلمي لدى طلبة التخصصات الشرعية بجامعة الملك خالد من خلال المقررات. مجلة جامعة بيشة للعلوم الإنسانية والتربوية (6). 419 - 451.

درجة ممارسة المهارات القيادية لدى مديري المدارس الثانوية في محافظة حضر موت في ضوء مدخل الجودة الشاملة.

أ. سالم أحمد علي حمده.

موجه تربوي بإدارة التربية بمديرية المكلا /حضر موت الساحل.

sawr1986@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/9/21 تاريخ قبول البحث 2025/10/14

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.264>

ملخص:

هدفت الدراسة التعرف على درجة ممارسة المهارات القيادية الموجود لدى مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضر موت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة بمجالاتها السبعة والتعرف على المهارات القيادية التي تحتاج إلى تحسين لمستوى أداء مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي للقيام بدورهم القيادي في المدارس الثانوية بمحافظة حضر موت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة والتعرف على الفروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث (المؤهل، سنوات الخبرة، المنطقة، الجنس)، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وشمل الدراسة كل مجتمع البحث من مديري الثانويات بمحافظة حضر موت الساحل البالغ عددهم (82) مديرا ومديرة. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: وجود مستوى ممارسة مرتفع نسبيا (المتوسط العام 4.02 بنسبة 85.7 %) للمهارات القيادية وفق مدخل الجودة الشاملة وتشير النتائج إلى أن هناك مجالات تحتاج إلى تعزيز وهي التنظيم الإداري بنسبة (85.7%)، القيادة الإدارية الكفؤة بنسبة (85.5%)، القيادة الاستراتيجية بنسبة (82.38%)، التحسين المستمر للمدرسة بنسبة (81.6 %)، ومجالات تحتاج إلى تحسين وتطوير وهي التقييم الذاتي للمدرسة بنسبة (78 %)، والتركيز على رضا العميل بنسبة (76 %)، والتركيز على التعليم والتدريب بنسبة (73%). كما توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات في متغير (سنوات العمل في الإدارة) و(المنطقة التعليمية) و(المؤهل العلمي) بينما ظهرت فروق ذات دلالة إحصائية في متغير(الجنس) لصالح الإناث. وكان

من أهم توصيات الدراسة تعزيز الممارسات الإيجابية القائمة لدى مديري الثانوية في مجالات (الهياكل التنظيمية، القيادة الإدارية الكفوة، وضوح الفلسفة والرؤية والأهداف الاستراتيجية، التطوير والتحسين المستمر)، وتطوير وتحسين المهارات القيادية لديهم في مجالات: (التقييم الذاتي، التعليم والتدريب، التركيز على رضى العميل).

الكلمات المفتاحية: المهارات القيادية، مدخل الجودة الشاملة.

The Degree of Leadership Skills Practice among Secondary School Principals in Hadhramaut Governorate (Coastal) in Light of the Total Quality Approach

Salem Ahmad Ali Hamdah

Educational supervisor in the Department of Al-Mukalla Directorate /
Hadhramaut Coast.

Abstract:

The study aimed to identify the degree to which leadership skills are practiced among secondary school principals in Coastal Hadhramaut Governorate according to the total quality approach across its seven domains. It also sought to identify the leadership skills that require improvement to enhance the performance level of secondary school principals in fulfilling their leadership roles in light of the total quality approach, as well as to identify statistically significant differences among the opinions of the research sample based on variables of qualification, years of experience, region, and gender. The researcher employed the descriptive-analytical method. The study included the entire research population, consisting of 82 male and female secondary school principals in Coastal Hadhramaut Governorate. The study reached several key findings, the most important of which are: There is a relatively high level of leadership skills practice according to the total quality approach, with an overall mean of 4.02 (85.7%). The results indicate that certain domains require reinforcement: administrative organization (85.7%), competent administrative leadership (85.5%), strategic leadership (82.38%), and continuous school improvement (81.6%). Other domains were found to need improvement and development: school self-evaluation (78%), focus on customer satisfaction (76%), and focus on education and training (73%).

The study also found no statistically significant differences in the mean scores related to the variables of years of administrative experience, educational region, and academic qualification. However, statistically significant differences appeared in the gender variable, favoring female principals. Among the most important recommendations of the study were: reinforcing the existing positive practices among secondary school principals in the areas of organizational structures, competent administrative leadership, clarity of philosophy, vision, and strategic objectives, and continuous improvement and development. It also recommended developing and enhancing leadership skills in the areas of self-evaluation, education and training, and focus on customer satisfaction. .

Keywords: Leadership skills, Total Quality Approach

مقدمة:

تعد المدارس، المواقع التي يتخرج منها الأجيال متسلحة بالعلوم والمعارف والمهارات والسلوكيات والمختلفة في كافة مراحلها، وعلى قدر تمتع إدارتها بالمهارات القيادية التي يستطيعوا بها قيادة العملية التعليمية في المدرسة تكون فاعلية المدرسة، ويرتبط نجاح المدرسة في تحقيق أهدافها، ورسالتها بالكيفية التي يدير بها المدير المدرسة وبالسلوك القيادي الذي يمارسه وبالصفات القيادية التي يمتلكها. (الجعبري، 2004)، وبما أن إدارات المدرسة قادرة على تجويد شامل في المؤسسة التعليمية وفق مفهوم إدارة الجودة الشاملة في التعليم فقد نقل (مجيد والزيادات 2015) عن (J,Hixon، 1992، 24-6 p) أن إدارة الجودة الشاملة في القطاع التربوي تعني بأنها : عملية استراتيجية إدارية تركز على مجموعة من القيم وتستمد طاقة حركتها من المعلومات التي تتمكن في إطارها من توظيف مواهب العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم على نحو إبداعي لتحقيق التحسين المستمر للمنظمة . لذلك فإن الإدارات المدرسية بحاجة إلى ممارسة الجودة الشاملة وتطبيقاتها وفق مبادئ الجودة الشاملة في العملية التعليمية (مجيد والزيادات 2015، حتى يتحول الأداء المتميز إلى ممارسة وثقافة معتادة في المنظمة لذلك اختار الباحث أن يكون موضوع البحث هو درجة ممارسة المهارات القيادية لمديري المدارس الثانوية في محافظة حضرموت في ضوء مدخل الجودة الشاملة.

مشكلة البحث:

أكدت دراسة الواقع التعليمي والتربوي بمحافظة حضرموت (مؤسسة العون للتنمية 2016) على أن نتيجة وجود ثقافة الجودة الشاملة في حضرموت كانت ضعيفة جداً وإن ما نسبته 100 % من المدارس منعدم فيها أي نظام إدارة الجودة أو أي خطة للتطوير، وقد أكدت الدراسة في توصياتها على : ضرورة التوجه نحو الجودة الشاملة كثقافة أولاً ثم نظاماً وفق إجراءاته المتعارف عليها في الأدب التربوي كما أوصت بضرورة تبني مداخل جديد في التربية تساعد على التغيير الإيجابي وبث روح الحماس والتطلع في الوسط التربوي كالجودة ... وغيرها، وقد لاحظ الباحث من خلال عمله في التربية والتعليم بمحافظة حضرموت موقفاً ومقابلةً للعديد من مديري ومديرات المدارس ومعلمي ومعلمات مدارس مرحلة التعليم العام أن عدداً كبيراً من المديرين لديهم مهارات قيادية ضعيف، وخاصة تلك التي تتعلق بمدخل الجودة الشاملة، وخاصة في مرحلة التعليم الثانوي في محافظة حضرموت والتي تمكنهم من توجيه المؤسسة التربوية التي يديرونها لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية من أجل ذلك، وللتعرف درجة ممارسة المهارات القيادية لمديري المدارس الثانوية في محافظة حضرموت في ضوء مدخل الجودة الشاملة، قام الباحث بإجراء هذا البحث.

أسئلة البحث: ولتحقيق أهداف الدراسة يجيب الباحث عن أسئلة الدراسة الآتية:

ما درجة ممارسة المهارات القيادية لدى مديري المدارس الثانوية في محافظة حضرموت في ضوء مدخل الجودة الشاملة؟ ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

1. ما هو واقع ممارسة المهارات القيادية للإدارات المدرسية من وجهة نظر مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة؟

2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث (الجنس

3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث (المؤهل

العلمي؟

4. هل توجد فروق دالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث (سنوات الخبرة؟

5. هل توجد فروق دالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث المنطقة التعليمية؟
أهداف البحث:

1. التعرف على درجة ممارسة المهارات القيادية الموجود لدى مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة.
2. التعرف على الفروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث (المؤهل، سنوات الخبرة، المنطقة، الجنس).
3. التعرف على المهارات القيادية التي تحتاج الى تحسين لمستوى أداء مديري مدارس مرحلة التعليم الثانوي للقيام بدورهم القيادي في المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة؟

أهمية البحث:

الأهمية النظرية

1. تكمن الأهمية النظرية في كون هذا البحث سيمثل رافداً جديداً في هذا مجال الجودة الشاملة يمكن دعمه والتوسع فيه بمزيد من الأبحاث والدراسات مستقبلاً.
2. رقد المكتبات العلمية وإثراء الحركة البحثية، وتمثل طريقاً للباحثين، يتم من خلالها تزويدهم بالمعارف اللازمة في موضوع مدخل الجودة الشاملة في التعليم.
3. تسهم هذه الدراسة في توجيه أنظار الباحثين لإجراء المزيد من الدراسات الميدانية في هذا المجال، بما يشكل إضافة نوعية للفكر التربوي والتعليمي بمحافظة حضرموت الساحل خاصة واليمن عامة.

الأهمية التطبيقية

1. تنبثق أهمية هذه الدراسة من أهمية الموضوع الذي تتناوله، وهو المهارات القيادية لمديري المدارس الثانوية في محافظة حضرموت في ضوء مدخل الجودة الشاملة لتحسين أداء المؤسسات التعليمية وتحسين مخرجاتها.
2. تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها محاولة جادة لنشر ثقافة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية بمحافظة حضرموت، إذ تعد هذه الدراسة من الدراسات القليلة

التي تحاول تناولت مفهوم الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية، وبالتالي يؤمل الباحث أن تسهم النتائج التي ستحققها هذه الدراسة وتوصياتها في التعرف على درجة ممارسة مديري المدارس الثانوية بمحافظه ضرמות للمهارات القيادية وفق مدخل الجودة الشاملة، وحث الباحثين على توسيع دائرة البحث حول مدخل الجودة الشاملة ودوره في تطوير العملية التعليمية بالمحافظة وتحسين مخرجات المدارس الثانوية.

3. تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تُجرى على قطاع مهمٍ وحيوي للشعب اليمني ألا وهو قطاع التعليم؛ لما ينتج عن هذا القطاع من نتائج كبيرة تعود على سرعة نهضة اليمن.

4. تتبع أهمية هذه الدراسة للباحث كونها تتوافق مع التزاماته المهنية للعمل في هذا المجال كمعلم ثم كموجه سابقاً وأحد كوادِر القطاع التعليمي في محافظة ضرמות الساحل.

مصطلحات البحث:

● القيادة: يرى (Bounds(1995 : بأن القيادة هي العملية التي يتم من خلالها التأثير على سلوك الأفراد والجماعات وذلك من أجل دفعهم للعمل برغبة واضحة لتحقيق أهداف محددة.

● التعريف الإجرائي للمهارات القيادية: الأفعال والممارسات التي يسلكها مديرو المدارس الثانوية بساحل ضرמות.

المؤسسة التعليمية: ويقصد بها هنا المدارس الثانوية بمحافظه ضرמות الساحل محل دراسة الباحث لهذا العام 2025.

المدارس الثانوية: وهي مدارس التعليم الثانوي المنتشرة في محافظة ضرמות، وتعتبر من مراحل التعليم النظامي بحسب قانون التعليم رقم (32) لسنة (1992) وتستغرق بقسميها العلمي والأدبي ثلاث سنوات (قانون التربية والتعليم لعام 1992) محافظة ضرמות:

هي إحدى محافظات الجمهورية اليمنية تقع شرق اليمن وهي من أكبر محافظات اليمن مترامية الأطراف وتتكون من قسمين إداريين هما (محافظة حضرموت الساحل، ومحافظة حضرموت الوادي) وستنفذ هذه الدراسة الميدانية على مديريات محافظة حضرموت الساحل ويقصد بها المديريات الواقعة على الشريط الساحلي من بحر العرب والتي تمتاز بكثافة سكانية عالية وتمثل أكبر مديريات محافظة حضرموت وهي (المكلا، الشحر، غيل باوزير، الديس الشرقية، الريدة وقصيعر، وميفع وبروم، وحجر، ودوعن).

الأدب النظري والدراسات السابقة

أولاً: الأدب النظري

يعتبر مفهوم القيادة من المفاهيم التي خاض فيها كثير من المؤلفين والكتاب والمختصين، لما له من دور كبير في تأطير العمل في المؤسسات على اختلاف أنواعها وطبيعة عملها، ونحن في هذا المبحث نتناول مفهوم القيادة كمفهوم عام من خلال التعريف به وذكر خلاصة ما ورد في الأدب الإداري فيما يخص هذا المفهوم، ثم نعرض على هذا المفهوم في المؤسسات التعليمية والتربوية حتى نضع المفهوم في السياق المناسب ونحن نتحدث عن المهارات القيادية لمديري المدارس الثانوية في محافظة حضرموت، حتى نتمكن من ربطه بمفهوم الجودة الشاملة في التعليم.

نقل الحر (2010) عن Kontz & Odonnel أن القيادة تعني: عملية التأثير التي يقوم بها القائد في مرؤوسيه إقناعهم وحثهم على الإسهام الفاعل بجهودهم للقيام بنشاط متعاون.

القيادة ومدخل الجودة الشاملة في التعليم: تلعب القيادة دورا كبيرا في إحداث التغيير في المؤسسات التعليمية حيث تعتبر القيادة التربوية أحد الركائز الأساسية في تطوير النظم التعليمية وتحقيق التميز المؤسسي، لقد أكدت العديد من الدراسات كدراسة (صيام 2017)، و(دراسة الغنزي 2024)، ودراسة (Montenegro. Andal

(2021). أن تطبيق مبادئ الجودة الشاملة في التعليم، بدعم من قيادة واعية، يسهم في تحسين الأداء الأكاديمي ورفع مستوى رضا المعلمين والطلاب.

مفهوم الجودة الشاملة في التعليم: يعرف (أبو خلف 2019) الجودة في التعليم بأنها: مجموعة من المعايير والخصائص الواجب توفرها في جميع عناصر العملية التعليمية في المؤسسة التربوية فيما يتعلق بالمدخلات والعمليات والمخرجات وفقاً للإمكانيات المتاحة.

الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية: يعرف (أبو خلف 2019) الجودة في التعليم بأنها: مجموعة من المعايير والخصائص الواجب توفرها في جميع عناصر العملية التعليمية في المؤسسة التربوية فيما يتعلق بالمدخلات والعمليات والمخرجات وفقاً للإمكانيات المتاحة.

عناصر تحقيق الجودة الشاملة: ورد عند (ديمج، كروسبي، بالدريج) وعند (مجيد والزيات 2015) أن عناصر الجودة الشاملة تكمن في الآتي:

أولاً: القيادة الاستراتيجية: يقصد بهذا المعيار أن يتوفر للمؤسسة فلسفة واضحة تقوم على أساس تحقيق أعلى جودة ممكنة في الخدمة التي تقدمها عبر رسالة ورؤية واضحة تعمم على جميع أفراد المؤسسة التعليمية (العاني وآخرون 2002). وعلى ضرورة وضع القيادة للخطط المستقبلية للمنظمة وتحديد غاياتها على المدى البعيد واختيار المسار الملائم واهتمام القيادة بالتخطيط الاستراتيجي والمتمثل في وضع رؤية واضحة للمؤسسة جاذبة للانتباه لتحقيق مستقبل أفضل ومصدراً للإلهام لجميع العاملين في المؤسسة التعليمية.

ثانياً: التنظيم الإداري للمدرسة: التنظيم كما يعرفه (الصيرفي 2007، 153) هو تنسيق الجهود البشرية في منظمة عامة بقصد تحقيق الأهداف والسياسات المرسومة بكفاءة عالية وبأقل كلفة ممكنة، وتشير (القيسي 2009) إلى أن هناك معنيان لكلمة التنظيم: الأول يعني المؤسسة أو المجموعة الوظيفية التي تتكون من الأفراد تهدف إلى تحقيق هدف معين من خلال إطار تعاوني مشترك والمعنى الثاني فيشير إلى

عملية التنظيم بما يعني ترتيب العمل على أفراد المنظمة بما يؤدي إلى تحقيق الأهداف بكفاءة.

ثالثا القيادة الإدارية الكفؤة: تعد القيادة الإدارية الكفؤة أحد أهم عوامل نجاح المؤسسات في جميع المجالات، وتلعب القيادة دورًا حاسمًا في تحقيق الأهداف وتطوير فرق العمل وتعزيز الابتكار والاستدامة. فقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن تطوير الأداء المدرسي والاستمرار في التطوير مرتبط إلى حد كبير بوجود قيادات محترفة تقود عمليات التغيير والتطوير (الحر 2001). ويشير (الجهني 2013) إلى أن القائد يستطيع الانتقال بمنظمته نحو الأفضل إذا كان لديه القدرة على خلق رؤية ورسالة للمنظمة وإيصال هذه الرؤية والرسالة إلى المرؤوسين بطريقة تستثير دوافعهم لاعتناقها.

رابعاً: التحسين المستمر: (Continuous Improvement): يشير (رشوان، 2019) إلى أن التحسين المستمر أحد المفاهيم الجوهرية في إدارة الجودة الشاملة، وهو: عملية دائمة تسعى إلى إدخال تحسينات تدريجية ومنهجية على العمليات والأنشطة والخدمات بما يسهم في رفع مستوى الكفاءة والفاعلية. وعند (أكاديمية التخطيط الاستراتيجي 2024) هو، ببساطة، عملية منتظمة تهدف إلى تحسين العمليات التشغيلية والخدمات والمنتجات. وعلى عكس التحولات الكبيرة والجذرية، فإنه يعتمد على خطوات صغيرة لكنها فعالة تؤدي، مع مرور الوقت، إلى تحقيق تحسينات ملموسة ومستدامة.

خامساً: التركيز على رضا العميل في المدرسة: إن ربط التخطيط الاستراتيجي ببرامج ومشاريع الجودة الشاملة يساعد على تحقيق النجاح المؤسسي المنشود من خلال تقديم خدمات ذات جودة عالية تلبي احتياجات المستفيدين وتحقق رضا العملاء (الصالح والصريمي 2015)، لأن تركيز العمل التعليمي على تحقيق رضا العملاء وتلبية احتياجاتهم هو جزء أساسي من إدارة المؤسسات التعليمية الناجحة. وفي مجال التعليم، يُعد أولياء الأمور والطلاب والشركات ودافعوا الضرائب المحليون وسائقو

الحافلات والمعلمون ومديرو المدارس وغيرهم من موظفي المدارس عملاء (edweek (2011).

سادسا: التركيز على التعليم والتدريب: التعليم والتدريب هما عنصران أساسيان في المؤسسات التعليمية، فهو يهدف إلى تنمية المهارات العملية والتطبيقية للطلاب والمتعلمين. فالتعليم والتدريب في المؤسسات التعليمية يهدفان إلى تقديم تعليم عالي الجودة وتطوير المهارات والقدرات للطلاب والمتعلمين. فقد أشار (زيدان 2011ص 96) و(الأكاديمية العربية الدولية)، على أن التدريب على الجودة يسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف الرئيسية منها: تزويد المعلمين بخبرات ومعارف ومهارات علمية متجددة تساعدهم على توسيع مداركهم ومواجهة التفاوت في مستويات إعدادهم، وزيادة فاعلية المعلم من خلال اطلاعه على أحدث النظريات التربوية التي تساعده في تأدية مهامه.

سابعا: التقييم الذاتي للمدرسة: يعرف أبو (غزالة ص7 بتصرف) التقييم المدرسي بأنه: عملية تقييمية تستخدم في مجال التعليم لقياس. وتقييم جودة وفعالية العملية التعليمية وكافة عناصرها. للطلاب. كما عرف (تقييم كامبردج الدولي للتعليم ص1) تقييم المدرسة بأنه: عملية تكوينية تُمكن المدارس من مراجعة أدائها وتحديد نقاط القوة والنجاحات، بالإضافة إلى مجالات التطوير المحتملة. ويعرف (الدليل الإجرائي للتقويم المدرسي الذاتي 2023 ص 4) التقويم المدرسي بأنه: عمليات منهجية مستمرة لجمع البيانات عن أداء مدارس التعليم العام بأساليب وأدوات تقويم متنوعة؛ لتحليلها وتحديد مستوى جودة أدائها في ضوء معايير ومحكات محددة سابقاً، وتقديم مقترحات للتحسين والتطوير، ويمر التقويم المدرسي بمرحلتين: التقويم الذاتي والتقويم الخارجي والمقصود هناك التقييم الداخلي.

ثانيا: الدراسات السابقة:

1. (دراسة العمري، والرزيقية 2022) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على درجة تطبيق نظام الجودة الشاملة في أداء المدارس، والتعرف على متطلبات تطبيق

الجودة الشاملة في مدارس التعليم الأساسي بمحافظة مسقط بسلطنة عمان واستخدم الباحثان المنهج الوصفي في الدراسة واستخدما الاستبانة كأداة للدراسة، ومن اهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن 78% من المعلمين والهيئات الإدارية ترغب بتطبيق نظام إدارة الجودة الشاملة في المدارس، و أوصت الدراسة بعمل بحوث علمية وبرامج تدريبية الكوادر التربوية لتقديم اعلى مستوى من الخدمات للمستفيدين لتحقيق اعلى نسبة رضا لهم والاعتماد في تطبيق الجودة الشاملة على العناصر البشرية الحاصلة على شهادات عليا وخاصة في الجودة قبل وأثناء التطبيق وإلحاقهم بدورات تخصصية في نظام إدارة الجودة.

2. دراسة (Lekule، Kakingo، 2021) هدفت هذه الدراسة الى التعرف على فوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة لتحسين التحصيل الدراسي للطلاب في المدارس الثانوية العامة واستخدم الباحثان الاستبيان كأداة للبحث حيث شملت عينة البحث (112) مشاركا من اربع مدارس ثانوية عامة في مجلس مدينة ايفاكارا، موروغورو، تنزانيا، وتوصلت هذه الدراسة الى نتائج من أهمها ان إدارة الجودة الشاملة تحسن من التدريس في الفصول الدراسية وتساهم في التحسين المستمر للموظفين وتشجع هذه الدراسة مديري المدارس، باعتبارهم منفذين رئيسيين لإدارة الجودة الشاملة، على الاستفادة من الموارد المتاحة لتعزيز جودة الخدمات، بالإضافة إلى وضع نموذج لتطبيق إدارة الجودة الشاملة على التحصيل الأكاديمي للطلبة.

3. دراسة (Bakhsh. Iqbal. Naz 2021). هدفت الدراسة لبحث أهمية إدارة الجودة الشاملة في تحسين التميز التنظيمي للمدارس الثانوية الحكومية في خيبر بختونخوا بباكستان، حيث طور الباحث استبيانا لقياس أداء المعلمين وممارسات القيادة المدرسية والتميز التنظيمي للمدارس الثانوية حيث أجاب عن الاستبيان (114) مديرا يعملون في المدارس الثانوية الحكومية حيث كان من نتائج الدراسة ان أداء المعلمين والقيادة المدرسية ساهم بنسبة 64 % 30 % على التوالي في تحقيق التميز التنظيمي كما ساهم أداء المعلمين والإدارات المدرسية معا بنسبة 80 % في

تحقيق التميز التنظيمي للمدارس الثانوية. وأوصت الدراسة بتطبيق إدارة الجودة الشاملة فيما يتعلق بأداء المعلمين والمديرين بشكل إيجابي.

4. (دراسة خليفة 2019) هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر تطبيق الجودة الشاملة على استدامة وديمومة جودة الخدمة التعليمية في المملكة العربية السعودية وما هي المتطلبات الأساسية التي يجب أن يتم العمل على تخطيطها وتنظيمها وتنفيذها للوصول إلى تطبيق فعال ذات نتائج ملموسة للجودة الشاملة وماهي أدوات الجودة الشاملة وآليات استخدامها حيث خلصت الدراسة الى مجموعة من التوصيات كان أهمها: ضرورة الاهتمام بعمليات إدارة الجود الشاملة وضرورة توفير متخصصين مؤهلين للقيام على متابعة تطبيق مبادئ الجودة الشاملة بالجامعات حتى تتمكن من الالتزام بعمليات التطوير والتحسين المستمر باعتباره مرتكزا أساسيا من مرتكزات إدارة الجودة الشاملة.

5. دراسة (Michael،Jack ،Mukolwe 2017) هدفت هذه الدراسة تقييم مدى تطبيق إدارة الجودة الشاملة ودراسة تأثيرها على التحصيل الدراسي للتلاميذ في المدارس الابتدائية في كينيا، أجريت هذه الدراسة في مقاطعة تيسو الشمالية وقام يأخذ منها عينة عشوائية واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي واستهدفت (44) نائب مدير مدرسة و(196) معلما في المدارس الابتدائية الحكومية عن طريق العينة الطبقية. و(11) نائب مدير و(83) معلما بالعينة المشبعة، واستخدم الباحث المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية ومعامل ارتباط بيرسون لقياس قوة العلاقة وتحليل الانحدار لقياس مدى تأثير العمل الجماعي على التحصيل الدراسي، وكان من أهم نتائج الدراسة الكشف عن انخفاض في مستوى تطبيق إدارة الجودة الشاملة وأظهرت الدراسة علاقة دالة إحصائيا بين التحصيل الدراسي والعمل الجماعي، واقترحت الدراسة على واضعي السياسات في وزارة التربية والتعليم وضع استراتيجيات لتعزيز أثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تعزيز التحصيل الدراسي للتلاميذ في المدارس الابتدائية.

6. (دراسة الظفيري 2011) هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة علاقتها بالتخطيط الاستراتيجي في وزارة التربية في دولة الكويت من وجهة نظر الإداريين وأجريت الدراسة عام 2011 وبلغت عينة الدراسة (350) موظفا في وزارة التربية بدولة الكويت وكانت نتائج الدراسة تدل على وجود درجة متوسطة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة والتخطيط الاستراتيجي في وزارة التربية في دولة الكويت من وجهة نظر الإداريين . كما أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تطبيق إدارة الجودة الشاملة في وزارة التربية في دولة الكويت من وجهة نظر الإداريين تعزى في الجنس لصالح الإناث وفي المؤهل لصالح حملة الماجستير وفي سنوات الخبر تعزى لصالح ذوي الخبر من (16 - 20) سنة.
7. (دراسة الفايز 2010) هدفت الدراسة الى الكشف عن درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المرحلة المتوسطة في دولة الكويت وعلاقتها بأداء المعلمين التعليمي من وجهة نظر المديرين وأجريت الدراسة عام 2010 وبلغت عينة الدراسة (150) مديرا ومديرة واستخدم الباحث الاستبانة كأداة للبحث، وكانت نتائج الدراسة أن درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المرحلة المتوسطة في دولة الكويت كانت بدرجة مرتفعة كما أظهرت الدراسة علاقة إيجابية دالة إحصائيا بين درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة وأداء المعلمين التعليمي.

التعقيب على الدراسات السابقة

اتفقت هذه الدراسة مع دراسة (Bakhsh. Iqbal . Naz 2021) و دراسة (Montenegro. Andal 2021) ودراسة (2017 Michael،Jack ،Mukolwe) ودراسة الفايز (2010) الذي شملت عينة الدراسة مجتمع الدراسة بالكامل وهم المديرين فقط واختلفت عن الدراسات السابقة: من حيث الهدف من هذه الدراسة كما في (دراسة العنزي 2024) وهدفها التعرف على أثر القيادة الاستراتيجية على جودة الأداء المؤسسي والثقافة التنظيمية والأداء المالي للمؤسسات وأيضا (دراسة السيباني 2023) وهدفها التعرف على علاقة التميز المؤسسي الأوربي (EFQM) وعلاقته ببطاقة

الأداء المتوازن (BSC)، أما من حيث عينة الدراسة: فقد اختلفت عينة هذه الدراسة عن الدراسات السابقة ك (دراسة القباطي وعلي 2000) التي شملت المديرين والوكلاء و دراسة القطان (2016) حيث تم اختيار عينة عشوائية تمثل المجتمع الأصلي بلغ قوامها (333) طالبة من إجمالي (502) طالبة هن قوام مجتمع الدراسة وبنسبة مئوية بلغت (34 %) ودراسة عايش تسنيم نبيل (2018) ودراسة (Bakhsh. Iqbal. Naz 2021) ودراسة (Montenegro. Andal 2021) دراسة (Jack، Mukolwe، Michael، 2017).

منهجية البحث وإجراءاته:

منهج البحث: اعتمد الباحث على أسلوب العينة القصدية من خلال المسح الشامل، ويُعد هذا الأسلوب مناسباً لضمان شمولية البيانات، ودقة النتائج، وتقليل احتمالية التحيز أو الخطأ الناتج عن اختيار عينة ممثلة وهذا ما يتوافق مع دراسة (Bakhsh. Iqbal. Naz 2021).

مجتمع البحث: يتكون مجتمع البحث من جميع مديري المدارس الثانوية في مديريات حضرموت الساحل خلال العام الدراسي 2024 / 2025، وقام الباحث باختيار مجتمع الدراسة كاملاً، وقد بلغ عدد أفراد المجتمع (82) مديراً ومديرة موزعين على المدارس الثانوية في مختلف المديريات التابعة للمحافظة

عينة البحث: ونظراً لقلّة حجم مجتمع الدراسة، المتمثل في جميع مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت، وإمكانية الوصول إلى كافة أفرادها، التي شملت مجتمع البحث وبلغت نسبة استجابة أفراد العينة على أسئلة البحث (86%).

أدوات البحث: قام الباحث لإعداد أداة البحث بمجموعة من الإجراءات والخطوات تمثلت في الآتي: إعداد أداة الدراسة بصورتها الأولية: من خلال الاستعانة بالأدب النظري لعرضها على المحكمين لتحكيمها، وقد تكونت أداة البحث من سبعة مكونات للجودة الشاملة هي: (القيادة الاستراتيجية للمؤسسات، القيادة الإدارية الكفؤة، التحسين المستمر، التركيز على رضا العميل، التركيز على التعليم والتدريب، التقييم الذاتي

للمؤسسة). وبعد إعدادها بصورتها الأولية تم عرضها على على (16) من المحكمين من الجامعات الآتية: (جامعة المهرة، جامعة حضرموت، جامعة إقليم سبأ، جامعة شبوة، جامعة لحج، جامعة عدن).

صدق أداة البحث

تم حساب الاتساق الداخلي باستخدام معامل ارتباط بيرسون تمّ حساب معامل ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات الاستبانة والمحور الذي تنتمي إليه، وأظهرت النتائج أن جميع معاملات الارتباط دالة إحصائيًا عند مستوى (0.01) مما يشير إلى وجود اتساق داخلي قوي بين فقرات كل محور والدرجة الكلية لذلك المحور. وهذا يدل على أن فقرات الاستبانة مترابطة فيما بينها وتقيس المفاهيم المستهدفة بدقة، مما يعزز من صدق الأداة وفعاليتها في جمع البيانات المطلوبة.

م	المجال	رقم الفقرة	عند الأفراد	عامل الارتباط
1	أولاً: القيادة الاستراتيجية	لدى إدارة المدرسة فلسفة واضحة تقوم على أساس تحقيق أعلى جودة ممكنة	37	.912**
2		تقوم إدارة المدرسة بتعميم رؤية ورسالة المؤسسة على جميع الأفراد في المدرسة	37	.828**
3		تحرص إدارة المدرسة على تكون الرؤية تعبر عن صورة مستقبلية واضحة للمدرسة.	37	.906**
4		تعمل رؤية المدرسة على تحفيز العاملين على العمل في الاتجاه الصحيح	38	.873**
5		تساعد رسالة المؤسسة على وضع الأهداف الاستراتيجية	37	.887**
6		تبنى الأهداف الاستراتيجية على التحليل العميق لعناصر القوة والضعف والفرص والتهديدات للمدرسة	36	.821**
7		تعمل إدارة المدرسة على إيجاد فهم مشترك للأهداف والاتجاهات التي تساهم في إحداث التغيير الاستراتيجي المطلوب.	38	.877**
8	ثانياً: التنظيم	وجود هيكل تنظيمي واضح ومنظم في المدرسة	38	.775**

الإداري للمدرسة:	9	يعمل مدير المدرسة على إيجاد هيكل تنظيمي في المدرسة يساعد على تنسيق الجهود البشرية ويحقق الأهداف والسياسات المرسومة بكفاءة وفعالية	38	.764**
	10	ينظم مدير المدرسة العلاقات بين مختلف الأفراد والأقسام داخل المدرسة لتوضيح السلطات والمسؤوليات	38	.871**
	11	يوفر مدير المدرسة هيكلًا تنظيميًا واضح وشفاف لتنظيم العمليات والإجراءات في المدرسة.	38	.898**
	12	يحقق مدير المدرسة التخصص والتنظيم الفعال للعمل في المدرسة من خلال التنظيم الإداري	38	.900**
	13	يعزز مدير المدرسة التواصل والتعاون بين جميع الموظفين في المدرسة من خلال الهيكل التنظيمي	38	.792**
	14	يعمل مدير المدرسة على تعزيز الشفافية وبناء الثقة بين أفراد المدرسة من خلال التنظيم الإداري الواضح	38	.880**
	15	لدى الإدارة رؤية واضحة للمستقبل وقدرة على تحويلها إلى خطط واستراتيجيات عمل قابلة للتنفيذ.	38	.889**
	16	تمتلك إدارة المدرسة مهارات الاتصال والتواصل الفعالة	38	.831**
	17	تتمتع الإدارة بالقدرة على بناء وتطوير فرق العمل	38	.833**
ثالثًا: القيادة الإدارية الكفوة للمدرسة:	18	تتمتع الإدارة بالقدرة على اتخاذ القرارات الصائبة والتحكم في الظروف المتغيرة	38	.840**
	19	يتمتع المدير بشخصية القائد الخادم	38	.756**
	20	الإدارة الكفوة هي عنصر حاسم لنجاح المدرسة التي تسعى للتفوق والتطور	38	.817**
	21	تعتقد إدارة المدرسة بأنه يمكن دائمًا تحسين العمليات والأداء وتحقيق المزيد من التطور والتحسين.	38	.812**
	22	تعتبر إدارة المدرسة التطوير والتحسين المستمر أساسًا للابتكار والتغيير الإيجابي.	38	.880**
	23	تقوم الإدارة بتحليل العمليات وتحديد نقاط الضعف والفرص التحسينية.	38	.894**
المستمر للمدرسة:	24	تركز الإدارة على تقييم أداء المؤسسة والتحقق من مدى تحقيقها للأهداف المحددة	38	.797**

25	38	853**	تحرص إدارة المدرسة على التفكير بشكل إبداعي والبحث عن حلول جديدة وفعالة لتحسين العمليات والأداء
26	38	850**	تعمل إدارة المدرسة على التزام الفرق الإدارية والموظفين بالاستمرار في تطوير مهاراتهم ومعرفتهم لمواكبة التحديات وتحقيق التحسين المستمر
27	38	862**	تعتقد إدارة المدرسة أن التطوير والتحسين المستمر هو مفتاح للنجاح المستدام في المدرسة.
28	38	868**	تشجع إدارة المدرسة على استمرار التحسين والابتكار وتحقيق أعلى مستويات الأداء والجودة
29	38	868**	تتلي إدارة المدرسة احتياجات وتوقعات الطلبة وأولياء الأمور والمجتمع المحيط
30	38	667**	تقوم إدارة المدرسة بتوفير برامج تعليمية عالية الجودة ومحتوى ملائم ومنهجية تدريس فعالة
31	38	809**	إدارة المدرسة قادرة على التواصل المفتوح والفعال مع العملاء
32	38	913**	تستمع إدارة المدرسة إلى ملاحظات العملاء وتشاركهم في عملية تطوير البرامج والخدمات
33	38	928**	إدارة المدرسة قادرة على التعامل بفعالية مع المشكلات والاستجابة السريعة لاحتياجات العملاء ومتطلباتهم
34	38	817**	تستفيد إدارة المدرسة من آراء العملاء وملاحظاتهم لتقييم أدائها وتحسينه
35	38	785**	تعمل إدارة المدرسة على تنمية المهارات العملية والتطبيقية للمتعلمين
36	38	702**	تنفذ الإدارة ورش العمل والممارسة العملية والتدريب على المهارات العملية المتعلقة بتخصصات محددة
37	38	867**	تقوم الإدارة بتطوير الكفاءة والاستعداد العملي للطلبة وتجهيزهم لمواجهة التحديات في سوق العمل
38	38	875**	تتميز إدارة المدرسة الناجحة بتوفير بيئة تعليمية محفزة وداعمة
39	38	858**	توفر الإدارة برامج دعم الطلبة والمتعلمين مثل الإرشاد الأكاديمي والدعم النفسي والتوجيه المهني
40	38	897**	تقدم إدارة المدرسة تعليم عالي الجودة من خلال تطوير

خامسا:
التركيز على
رضا العميل:

سادسا:
التركيز على
التعليم
والتدريب:

		المهارات والقدرات للمتعلمين		
41	38	توفر إدارة المدرسة بيئة تعليمية محفزة وتوجه دعماً شاملاً للطلبة لتحقيق النجاح الأكاديمي والشخصي	سابعاً: التقييم الذاتي للمدرسة	.902**
42	38	تحدد إدارة المدرسة معايير التقييم التي تستند إلى أهدافها ورؤيتها ومعايير الجودة المعترف بها		.879**
43	38	تقوم إدارة المدرسة بجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بأداء المدرسة والتحليل النقدي لها		.857**
44	38	يتم تحليل البيانات وتقييم أداء المدرسة بناءً على المعايير المحددة		.907**
45	38	يتم تحليل النتائج لتحديد نقاط القوة والضعف في المدرسة وتحديد التحسينات المطلوبة		.917**
46	38	تقوم إدارة المدرسة بتطوير خطة عمل لتحسين أدائها		.863**
47	38	تعمل الإدارة على تحديد الأهداف والإجراءات اللازمة وتخصيص الموارد المطلوبة لتنفيذ التحسينات.		.863**
48	38	تنفذ الإدارة الخطة وتتابع تقدم التحسينات وتقيم فاعليتها		.897**
49	38	يساعد التقييم الذاتي على تعزيز جودة التعليم وتحقيق أفضل النتائج للطلاب والمجتمع بشكل عام		.809**
50	38	يمكن التقييم الذاتي للمدرسة أن تكون على اطلاع دائم على أدائها وتعمل على تحسينه وتلبية احتياجات الطلاب والمجتمع بشكل أفضل		.767**

وقد أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أن جميع معاملات الارتباط كانت دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01)، حيث تراوحت قيم معاملات الارتباط بين (0.667) و(0.928). وقد سُجلت أدنى قيمة في الفقرة رقم (30) التي تنص على أن: "إدارة المدرسة توفر برامج تعليمية عالية الجودة ومحتوى ملائم ومنهجية تدريس فعّالة"، بينما سُجلت أعلى قيمة في الفقرة رقم (33) التي تنص على أن: "إدارة المدرسة قادرة على التعامل بفعالية مع المشكلات والاستجابة السريعة لاحتياجات العملاء ومتطلباتهم".

وتشير هذه النتائج إلى وجود درجة عالية من الاتساق الداخلي بين فقرات كل محور والدرجة الكلية لذلك المحور، مما يدل على أن فقرات الاستبانة مترابطة وتقيس المفاهيم المستهدفة بدقة، وهو ما يعزز من صدق الأداة وفعاليتها في جمع البيانات المطلوبة.

ثبات أداة البحث

عند قياس معامل الثبات في جميع محاور الاستبانة والدرجة الكلية تبين أنها قد حققت معاملات ثبات مرتفعة تجاوزت الحد الأدنى المقبول (0.70) مما يدل على أن أداة الدراسة تتسم بدرجة عالية من الاتساق والثبات ويمكن الاعتماد عليها في تطبيق الدراسة، والجدول الآتي يوضح ذلك:

الرقم	المحور	عدد الفقرات	معامل الثبات: (Alpha Cronbach)
1	وضوح الفلسفة والرؤية والأهداف الاستراتيجية للمدرسة	7	0.945
2	الهيكل التنظيمي للمدرسة	7	0.930
3	القيادة الإدارية الكفؤة للمدرسة	5	0.905
4	التحسين المستمر للمدرسة	8	0.945
5	التركيز على رضا العميل	6	0.913
6	التركيز على التعليم والتدريب	7	0.931
7	التقييم الذاتي للمدرسة	9	0.984
	الدرجة الكلية	50	0.984

محك الحكم على الإجابات

اعتمد الباحث على مقياس ليكرت الخماسي لتقدير الإجابة على أسئلة الدراسة وعليه يتم تفسير المتوسطات في إجابات المبحوثين وفق الجدول الآتي:

الرقم	التفسير	المتوسط الحسابي	المستوى	الإجراء
1	درجة ممارسة منخفضة جدا	1.00-1.80	ضعيف جدا	تعريف وتطوير
2	درجة ممارسة منخفضة	1.81-2.60	ضعيف	تعريف وتطوير
3	درجة ممارسة متوسطة	2.61-3.40	متوسط	تطوير وتحسين

4	درجة ممارسة مرتفعة	3.41-4.20	مرتفع	تعزيز وتحسين
5	درجة ممارسة مرتفعة جدا	4.21-5.00	مرتفع جدا	تعزيز ونقل معرفة

يوضح الجدول أعلاه المحك الذي على أساسه أصدر الباحث الحكم على درجة ممارسة المهارات القيادية لدى مديري المدارس من وجهة نظر مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة، وبما أن الحديث عن الجودة الشاملة فلا بد أن يكون المحك مرتفعاً لكون موضوع البحث الجودة الشاملة حيث اعتبر الباحث أن وقوع المجال أو الفقرة في المستوى (المرتفع فقط، أو المتوسط، أو المنخفض أو المنخفض جداً) يستدعي تعزيزه والمحافظة عليه وتطويره وتحسينه.

الإجراءات الميدانية:

(1) حصر أفراد المجتمع وتحديد العينة حيث بلغت عينة الدراسة (82) مديراً ومديرة.
(2) ونظراً لتباعد المديرات المستهدفة من الريدة وقصير شرقاً إلى بروم ميفع غرباً وبلاستفادة من التقنيات الحديثة في إعداد الاستبانات ولضمان الوصول السريع إلى عينة الدراسة قام الباحث بتصميم الاستبانة بواسطة نماذج قوئل (google forms) لعرضها على عينة الدراسة.

(3) تم التواصل مع مديري الثانويات عبر إنشاء قروبات (WhatsApp) لإرسال رابط الاستبانة (google forms) إليهم ليقوموا بتعبئته والرد على أي استفسار من قبلهم بخصوص أداة البحث أو كيفية التعامل معها باعتبارها تجربة تستفيد من التقنيات الحديثة والتي ساهمت في سرعة الوصول إلى مدرء الثانويات المستهدفة، حيث يتم تلقى إجابات المبحوثين مباشرة واسترجاعها بشكل دقيق لتحليل نتائجها باستخدام الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

الأساليب الإحصائية

استخدم الباحث في معالجة بيانات الدراسة الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة الدراسة وطبيعة بناء الأداة وهي كالاتي: (المتوسطات الحسابية، اختبار الفا كرونباخ، اختبار t- test اختبار بيرسون تحليل التباين الأحادي (One-Way ANOVA) .

عرض ومناقشة نتائج الإجابة عن أسئلة البحث:

نتائج الإجابة عن السؤال الأول: ما واقع ممارسة المهارات القيادية للإدارات المدرسية من وجهة نظر مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة؟

وللإجابة على هذا السؤال تم احتساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات أداة الدراسة وفقراتها حول واقع ممارسة المهارات القيادية للإدارات المدرسية من وجهة نظر مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل وفق مدخل الجودة الشاملة من وجهة نظر مديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل، وبعد تحليل جميع مجالات الاستبانة وفقراتها، والجدول الآتي يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية لكل مجال والاستبانة ككل:

النتيجة	رتبة الفقرة	النسبة المئوية	الانحراف	المتوسط	المجال
مرتفع	3	82.38	.893600	4.1190	الأول
مرتفع	1	85.714	.774670	4.2857	الثاني
مرتفع	2	85.488	.718810	4.2744	الثالث
مرتفع	4	81.654	.889130	4.0827	الرابع
مرتفع	6	76.228	.904750	3.8114	الخامس
مرتفع	7	73.308	.921210	3.6654	السادس
مرتفع	5	78.07	.959710	3.9035	السابع
مرتفع		80.328	.773940	4.0164	الكل

بعد استعراض نتائج تحليل جميع مجالات وفقرات أداة البحث نعرض هنا التحليل العام لمجالات الاستبانة حيث أظهرت نتائج التحليل لجميع مجالات الاستبانة أن المتوسط الحسابي لجميع المجالات بلغ (4.0164) بنسبة مئوية قدرها (80.328%) وانحراف معياري بلغ (0.77394) وهو ما يعكس مستوى ممارسة مرتفع نسبياً للمهارات القيادية وفق مدخل الجودة الشاملة.

نتائج إجابة السؤال الثاني: ينص السؤال الثاني على الآتي: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث الجنس؟
وللإجابة على هذا السؤال تم استخدام المتوسط الحسابي والانحراف المعياري واختبار (IndependedT-test) لمجموعتين مستقلتين:

المجال	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة ت	القيمة الاحتمالية
الأول	ذكر	20	3.8833	0.99016	36	1.762	0.082
	أنثى	18	4.3810	0.71007			
الثاني	ذكر	20	4.0214	0.81114	36	2.348	0.024
	أنثى	18	4.5794	0.63031			
الثالث	ذكر	20	4.0500	0.80316	36	2.123	0.041
	أنثى	18	4.5238	0.52774			
الرابع	ذكر	20	3.8214	0.92335	36	1.984	0.055
	أنثى	18	4.3730	0.77342			
الخامس	ذكر	20	3.5750	0.96348	36	1.984	0.090
	أنثى	18	4.0741	0.77801			
السادس	ذكر	20	3.2500	0.95086	36	3.298	0.002
	أنثى	18	4.1270	0.63867			
السابع	ذكر	20	3.5500	1.01354	36	2.568	0.015
	أنثى	18	4.2963	0.73900			
الكل	ذكر	20	3.7251	0.80160	36	2.634	0.012
	أنثى	18	3.8833	0.99016			

من خلال تحليل نتائج الاستبانة في الجدول أعلاه الذي يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري واختبار (IndependedT-test) لمجموعتين مستقلتين:
من الجدول أعلاه نلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في كل المجالات (الثاني والثالث والسادس والسابع) وكذلك الدرجة الكلية أظهرت فروقاً دالة إحصائية عند مستوى (0.05) وأن جميع الفروق كانت لصالح الإناث، أي أن

الإناث سجلن متوسطات أعلى في ممارسة مجالات الجودة الشاملة والمهارات القيادية وان المجالات الأول والرابع والخامس لم تظهر فروقاً معنوية.

نتائج إجابة السؤال الثالث: ينص السؤال الثالث على الآتي: هل توجد فروق ذات

دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث المنطقة التعليمية؟

من الجدول أدناه يتبين تحليل التباين الأحادي (One way ANOVA) لاختبار

الفروق بين المتوسطات لكل مجال وفقاً ومتغير المنطقة حسب الآتي:

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	القيمة الاحتمالية	الدلالة
الأول	بين المجموعات	8.588	9	0.954	1.275	0.293	غير دال
	داخل المجموعات	20.957	28	0.748			
الثاني	بين المجموعات	5.674	9	0.630	1.068	0.415	غير دال
	داخل المجموعات	16.530	28	0.590			
الثالث	بين المجموعات	5.538	9	0.615	1.269	0.296	غير دال
	داخل المجموعات	13.579	28	0.485			
الرابع	بين المجموعات	7.916	9	0.880	1.154	0.360	غير دال
	داخل المجموعات	21.334	28	0.762			
الخامس	بين المجموعات	7.969	9	0.885	1.111	0.387	غير دال
	داخل المجموعات	22.319	28	0.797			
السادس	بين المجموعات	12.138	9	1.349	1.960	0.084	غير دال
	داخل المجموعات	19.261	28	0.688			
السابع	بين المجموعات	5.189	9	0.577	0.559	0.818	غير دال
	داخل المجموعات	28.890	28	1.032			
الكل	بين المجموعات	6.038	9	0.671	1.165	0.354	غير دال

يوضح الجدول السابق انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات المبحوثين (عينة الدراسة) وفقاً ومتغير المنطقة التعليمية (جميع مديريات حضرموت الساحل) وهذا يدل على أن الإدارة العامة للتربية والتعليم بمحافظة حضرموت الساحل تولي اهتماماً بتحسين الظروف والبيئة الإدارية لجميع مديري الثانويات بمحافظة حضرموت الساحل بغض النظر عن الريف أو المدينة وهذا يعطي صورة واضحة عن

تماثل الظروف في جميع المديریات. وعلى هذا يبدوا العوامل المؤثرة على هذه الاتجاهات مشتركة بين جميع المناطق التعليمية، مثل السياسات التعليمية الموحدة أو البيئة المؤسسية المتشابهة، وليس اختلاف الموقع الجغرافي بحد ذاته. واتفقت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (شميس، ومحمد 2019) حيث لا توجد فروق في استجابات أفراد العينة حسب متغير المنطقة.

نتائج إجابة السؤال الثالث: ينص السؤال الثالث على الآتي: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث (المؤهل العلمي)؟
للإجابة عن هذا السؤال استخدم الباحث تحليل التباين الأحادي (One way ANOVA) للمقارنة بين متوسطات استجابة العينة وفقا لمتغير المؤهل العلمي والجدول الآتي يبين ذلك:

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	القيمة الاحتمالية	الدلالة
الاول	بين المجموعات	4.635	3	1.545	2.109	.1170	غير دال
	داخل المجموعات	24.910	34	0.733			
الثاني	بين المجموعات	0.990	37	0.330	.5290	0.665	غير دال
	داخل المجموعات	21.214	3	0.624			
الثالث	بين المجموعات	1.904	34	0.635	1.254	.3060	غير دال
	داخل المجموعات	17.214	37	0.506			
الرابع	بين المجموعات	3.334	3	1.111	1.458	0.243	غير دال
	داخل المجموعات	25.916	34	0.762			
الخامس	بين المجموعات	1.635	37	0.545	.6470	.5900	غير دال
	داخل المجموعات	28.652	3	0.843			
السادس	بين المجموعات	7.687	34	2.562	3.674	.0210	دال
	داخل المجموعات	23.712	37	0.697			
السابع	بين المجموعات	5.174	3	1.725	2.029	.1280	غير دال
	داخل المجموعات	28.904	34	0.850			
الكل	بين المجموعات	2.857	37	0.952	1.677	.1900	غير دال
	داخل المجموعات	19.305	3	0.568			

وعند تحليل نتائج الاستبانة ظهر انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة وفق متغير المؤهل العلمي. وهذا لا يتوافق مع دراسة (دراسة الظفيري 2011).

نتائج إجابة السؤال الرابع:

ينص السؤال الثالث على الآتي: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء عينة البحث من حيث (سنوات العمل في الإدارة)؟

للإجابة عن هذا السؤال استخدم الباحث تحليل التباين الأحادي (One way ANOVA) للمقارنة بين متوسطات استجابة العينة وفقا لمتغير سنوات العمل في الإدارة والجدول الآتي يبين ذلك:

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	القيمة الاحتمالية	الدلالة
الأول	بين المجموعات	9530	2	4770	5830	5630	غير دال
	داخل المجموعات	28.592	35	8170			
الثاني	بين المجموعات	3920	2	1960	3150	7320	غير دال
	داخل المجموعات	21.812	35	6230			
الثالث	بين المجموعات	0260	2	0130	0240	9770	غير دال
	داخل المجموعات	19.092	35	5450			
الرابع	بين المجموعات	2460	2	1230	0.148	8630	غير دال
	داخل المجموعات	29.004	35	8290			
الخامس	بين المجموعات	3210	2	1600	1870	8300	غير دال
	داخل المجموعات	29.967	35	8560			
السادس	بين المجموعات	3230	2	1620	1820	8340	غير دال
	داخل المجموعات	31.076	35	8880			
السابع	بين المجموعات	7010	2	3510	3680	6950	غير دال
	داخل المجموعات	33.377	35	9540			
الكل	بين المجموعات	0830	2	0410	0660	9370	غير دال
	داخل المجموعات	22.080	35	6310			

من الجدول يتضح أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المتوسطات لجميع المجالات تعزى لمتغير سنوات العمل في الإدارة. وتشير هذه النتيجة إلى أن سنوات العمل في الإدارة، سواء كانت قليلة أم متوسطة أم طويلة، لم تؤثر في تقييم المشاركين للمجالات موضوع الدراسة وهذا ما يتفق مع دراسة عايش (2018). أظهرت الدراسة أن واقع ممارسة المهارات القيادية لمديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل جاء في المستوى المرتفع (المتوسط العام 4.02 بنسبة 85.7 %). كما توصلت نتائج الدراسة أن هناك وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة الدراسة في متغير (الجنس) وكانت هذه الفروق لصالح الإناث. أما متغير (المؤهل العلمي)، و(سنوات العمل في الإدارة) و(المنطقة التعليمية) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات عينة الدراسة وفق هذه المتغيرات، ومن وجهة نظر الباحث فإن هذا يعطي دلالة واضحة على أن الإدارة العامة للتربية والتعليم بمحافظة حضرموت الساحل تولي اهتماما بتحسين الظروف والبيئة الإدارية لجميع مديري الثانويات بمحافظة حضرموت الساحل بغض النظر عن الريف أو المدينة كما يدل على دور التأهيل العلمي والأكاديمي والممارسة العملية على تنمية وتطوير المهارات القيادية لمديري الثانوية في محافظة حضرموت الساحل، وهذا يؤكد على أهمية دور التأهيل والتدريب المستمر والممارسة العملية في تحقيق أعلى مستويات الكفاءة والفعالية في أداء إدارات الثانوية بالمحافظة.

التوصيات

فيما يتعلق بواقع ممارسة المهارات القيادية لمديري المدارس الثانوية بمحافظة حضرموت الساحل فإن الباحث يوصي بتعزيز الممارسات الإيجابية القائمة لدى مديري الثانوية في المجالات الآتية: (مجال التنظيم الإداري للمدرسة، مجال القيادة الإدارية الكفوة، القيادة الاستراتيجية، مجال التحسين المستمر للمدرسة)، وتطوير وتحسين المهارات القيادية لمديري المدارس الثانوية في المجالات الآتية: (مجال

التعليم والتدريب، مجال التعامل مع المستفيدين وقياس رضاهم، مجال التقييم الذاتي والتحسن المستمر).

المقترحات

1 _ الاستفادة من ذوي المؤهلات العلمية العليا (ماجستير، دكتوراه) من ذوي الخبرات الطويلة (10 سنوات فما فوق)، لتنظيم برامج وأنشطة لنقل المعرفة للمديرين الأقل مؤهل.

2 _ تقديم الدعم المعنوي والمادي والاستفادة من منظمات المجتمع المدني للدفع بالمديرين لمواصلة دراستهم العليا لما له من دور كبير على تعزيز كفاءتهم القيادية.

3_ القيام بدراسات مشابهة في مناطق جغرافية أخرى لمقارنة نتائجها مع نتائج هذه الدراسة.

المصادر والمراجع

- أبو خلف، ابتسام. (2019). الجودة في التعليم. منصة رواق وزارة التربية والتعليم الفلسطينية.
- أبو غزالة للجودة في التعليم (2021). دليل مدير المدرسة الخارجي.
- تقييم كامبردج الدولي للتعليم.
- الحر، عبد العزيز. (2010) أدوات إدارة المستقبل - القيادة التربوية الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض. المملكة العربية السعودية. الطبعة الثانية.
- الحر، عبد العزيز. (2017). القيادة في مدارس المستقبل. الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض. المملكة العربية السعودية.
- الحر، محمد. (2001). مدرسة المستقبل. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- خليفة، عصام الدين. (2019). أثر تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة على استدامة جودة الخدمة التعليمية في المملكة العربية السعودية. المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات العدد الثاني عشر يوليو 2019.
- الدليل الإجرائي للتقويم المدرسي الذاتي الإصدار الثاني (2023)، هيئة تقويم التعليم والتدريب. المملكة العربية السعودية.
- رشوان، أحمد. (2019). إدارة الجودة: مدخل التطوير والتحسين المستمر. دار فاروس العلمية.
- زيدان، سلمان. (2010). إدارة الجودة الشاملة (الفلسفة ومداخل العمل). دار المناهج للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.

السبباني، منى سعيد. (2023). التميز المؤسسي الأوروبي EFQM وعلاقته ببطاقة الأداء المتوازن في تطوير الأداء المؤسسي. المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات. المجلد الخامس الإصدار الخمسون 20 ديسمبر 2023

شميس، أحمد ومحمد، عدنان. (2019). بناء برنامج تدريبي مقترح لتنمية مهارات الإبداع الإداري لدى مديري مدارس التعليم بحث مقدم كجزء من متطلبات تسجيل أطروحة دكتوراه. جامعة إب-كلية التربية.

الصالح، شاكِر والصريمي، خالد. (2015). الجودة الشاملة. بيروت: دار الفكر. الطبعة الأولى. صيام، رسلان إبراهيم، محمد. (2017). فاعلية برنامج القيادة من أجل المستقبل وعلاقته بقيادة التغيير لدى مديري المدارس بوكالة الغوث الدولية في محافظات غزة. رسالة ماجستير غير منشورة.

الصيرفي، محمد. (2008). وظائف المدير العام. دار الكتاب القانوني. الظفيري. صلاح. (2011). درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة وعلاقتها بالتخطيط الاستراتيجي في وزارة التربية في دولة الكويت من وجهة نظر الإداريين. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة الشرق الأوسط.

العاني، خليل إبراهيم وآخرون. (2002). إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات الأيزو 9000 الطبعة الأولى مطبعة الأشقر. العراق.

العمري. كوثر، والرزيقية هاجر. (2022). أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة سفي تحسين الأداء بمدارس التعليم الأساسي في محافظة مسقط من وجهة نظر أعضاء الهيئتين الإدارية والتدريسية. بحث منشور. المجلة العربية للنشر العلمي العدد 45.

العنزي، عبد الله. (2024). أثر القيادة الاستراتيجية الناجحة على جودة الأداء والثقافة التنظيمية والأداء المالي للمؤسسات (دراسة تطبيقية على شركة الروسان للمقاولات). بحث منشور. المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات المجلد الخامس الإصدار 58.

العنزي، عبد الله. (2024). أثر القيادة الاستراتيجية على جودة الأداء والثقافة لتنظيمية والأداء المالي والمؤسسات (دراسة تطبيقية). المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات المجلد (5).

الفايز. فيصل. (2011). درجة تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المرحلة المتوسطة في دولة الكويت وعلاقتها بأداء المعلمين من وجهة نظر المديرين. بحث ماجستير غير منشور. جامعة الشرق الأوسط.

قانون التربية والتعليم لعام 1992.

القباطي، عثمان وعلى، عيسى. (2000) الاحتياجات التدريبية لمديري المدارس الثانوية العامة في مدينة تعز. مجلة دمشق، (26)، (472 - 372).

القطان، عروب. (2016) الكفايات اللازمة للقيادة التربوية لدى مديري مدارس التعليم العام بدولة الكويت ووسائل تميمتها من وجهة نظر الطالبات والمعلمات بكلية التربية الأساسية. بحث منشور. مجلة التربية. العدد الرابع والأربعون.

القيسي، هنا محمود. (2009). الإدارة التربوية مبادئ - نظريات - اتجاهات حديثة. دار المناهج للنشر والتوزيع: عمان. الأردن.

مجيد، سوسن والزيات، محمد عواد (2015). الجودة والاعتماد الأكاديمي لمؤسسات التعليم العام والجامعي. دار صفا للنشر والتوزيع: عمان. الأردن. الطبعة الثانية.

مؤسسة العون للتنمية (2016). الدراسة الميدانية للواقع التربوي والتعليمي بمحظة حضرموت. تنفيذ مؤسسة طيبة للتنمية.

B.N. Norton.(2025)(Mission، Vision، Value، and Educational Objectives. canadianimperial. <https://canadianimperial.ca/mission-vision-values-educational-objectives/>

Dr.Khuda Bakhsh . Dr.Javed Iqbal، Dr.Bibi Asia Naz .(2021). Total Quality Management Practices and Organizational Excellence of Government Secondary Schools in Khyber Pukhtunkhwa. xllkogretim Online – Elementary Education Online،2021؛ Vol 20 (Issue 5): pp.2839–2844.

Joseph، O. Mukolwe1*، Okwara Michael2 and Ajowi، O. Jack3 (2017) IMPLEMENTATION OF TOTAL QUALITY MANAGEMENT IN PRIMARY SCHOOLS AS A PANACEA FOR LOW ACADEMIC ACHIEVEMENT. European Journal of Research in Social Sciences. Vol. 5 No. 5، 2017.

Kakingo. Joy and Lekule .Chrispina(2021) Influence of Total Quality Management on Students' Academic Achievement in Public Secondary schools in Ifakara Town Council . [Vol 3 No 1 \(2021\): East African Journal of Education Studies.](#)

Marvin M. Montenegro¹ ،Edilberto Z. Andal (2021) Total Quality Management Practices and its Implication to Teachers' Performance and School Success INTERNATIONAL JOURNAL OF SOCIAL SCIENCE HUMANITY & MANAGEMENT RESEARCH ISSN (print) 2833-2172، ISSN (online) 2833-2180 Volume 02 Issue 06 June 2023 DOI: 10.58806/ijsshmr.2023.v2i6n08 Page No. 340-346

[/https://aiacademy.info](https://aiacademy.info)الأكاديمية العربية الدولية

[/https://www.edweek.org](https://www.edweek.org)

<https://spskills.com/>أكاديمية التخطيط الاستراتيجي

مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية

وليد أحمد عبد الله باعبد.

باحث دكتوراة إدارة تربوية جامعة حضرموت كلية التربية بالمكلا.

wab20355@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/7/10 تاريخ قبول البحث 2025/9/14

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.265>

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتمثلت الأداة في استبانة تم توزيعها على عينة عشوائية قوامها (151) فرداً من مجتمع الدراسة، وأبرز نتائج الدراسة أن درجة توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر عينة الدراسة، جاءت عالية من خلال حصول (8) مجالات من أصل (11) مجال على تقدير (عالي) وبنسبة مئوية (72.73%) في حين حصلت ثلاثة مجالات على تقدير (متوسط) وبنسبة مئوية (27.27%) . كما أثبتت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء أفراد عينة الدراسة (الإدارات المدرسية) في كل مجال من المجالات تبعاً ومتغير (الجنس)، بينما وجدت فروق ذات دلالة إحصائية بين آراء أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغير المسمى الوظيفي (مدير/ وكيل) لصالح المديرين، وفروق في نتائج متغير سنوات الخبرة لصالح فئة (10 سنوات فأكثر). وفي ضوء ما تقدم عرضه سابقاً توصي الدراسة وزارة التربية والتعليم بتطبيق معايير الجودة والاعتماد المدرسي، وإقرارها وفقاً وما تضمنه الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية.

الكلمات المفتاحية: الجودة - المعايير - برنامج التطوير المدرسي.

The Availability of Quality Standards in Governmental Public Education Schools in the City of Mukalla in Light of the Standards of the School Development Program in the Republic of Yemen

Waled Ahmed Baabbad

PhD Researcher in Educational Administration, College of Education,
Mukalla, Hadhramout University

Abstract:

The study aimed to identify the extent to which quality standards are available in public general education schools in the city of Mukalla according to the standards of the School Development Program in the Republic of Yemen. The researcher adopted the descriptive analytical method, and the study instrument was a questionnaire distributed to a random sample of 151 participants from the study population. The main findings of the study revealed that the degree of availability of quality standards in public general education schools in Mukalla, according to the standards of the School Development Program in Yemen from the perspective of the study sample, was high. Eight out of eleven domains received a "high" rating, representing 72.73%, while three domains received a "moderate" rating, representing 27.27%. The results also showed no statistically significant differences in the views of the sample members (school leadership) across the various domains based on the gender variable. However, statistically significant differences were found based on the job title variable (principal/vice-principal), in favor of the principals, and based on years of experience, in favor of those with ten years of experience or more. According to the above findings, the study recommends that the Ministry of Education adopt and implement quality standards and school accreditation in accordance with the reference framework of the School Development Program in the Republic of Yemen. .

Keywords: quality, standards, school development program.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد؛

في ظل العولمة والمعلوماتية والمنافسة الشديدة، يعيش العالم المعاصر فترة تحديات عظيمة نتيجة لثورة المعلومات التكنولوجية التي نعيشها، وأدت إلى حدوث تغييرات وتحولات سريعة في الكثير من المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والتكنولوجية، إذ أصبح لهذا التغير السريع أثر كبير فيما يحدث من تطورات في المؤسسات والمنظمات بمختلف أشكالها، والتي تشهد تطورات عديدة في وظائفها وأهدافها لمواكبة التغيرات المتسارعة في المجتمعات التي تنشأ فيها وتتأثر بها وتؤثر فيها. ولقد حرصت بلدنا على التعليم بجميع أنواعه ومنه التعليم العام على وجه الخصوص، فالتعليم المتميز هو أداة تنمية المجتمع ووسيلة صناعة نهضة، ويجسد ذلك الاهتمام باتخاذ مجموعة من التدابير التي هدفت إلى تحسين جودة التعليم العام، ومن أهمها وضع استراتيجيات كالاتراتيجية الوطنية للتعليم الأساسي 2003-2015م، والاتراتيجية الوطنية للتعليم الثانوي 2006-2015م، ومشروع الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي في مايو 2013م. ومن منطلق الوعي بدور التعليم في التنمية البشرية المستدامة، أصبحت جودة التعليم العام من القضايا المهمة التي حظيت بالاهتمام المتزايدة من قبل المعنيين بالتربية والتعليم، بالرغم مما تعانيه بلادنا من أوضاع نتيجة الحروب والصراعات، ووضع اقتصادي سيئ أثر سلباً على العملية التعليمية والتربوية، ومن جانب آخر تزايد الضغوط والانتقادات، التي يتعرض لها هذا القطاع فهو ما زال دون مستوى الطموحات والجهود التي تبذلها الدولة، ورغم ذلك إلا أن التعليم بمحافظة حضرموت وخاصة مديريات ساحل حضرموت شهدت استقراراً تعليمياً وتحسناً في البيئة المدرسية بشكل ملحوظ، لذا تعد هذه الدراسة محاولة من الباحث، للتعرف على مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم الأساسي والثانوي وفقاً للمعايير التي أقرتها وزارة التربية والتعليم بالجمهورية اليمنية في

مشروع الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي في مايو 2013م كونه يعد مدخلاً للجودة حيث تضمن الرؤية التطويرية المقدمة من وزارة التربية والتعليم لتحسين نوعية التعليم وفقاً لمعايير الجودة التعليمية الشاملة حيث قام الباحث بإجراء دراسته على مدار التعليم العام الحكومية الثانوي والأساسية بمدينة المكلا كنموذج للتعرف على مدى توافر هذه المعايير.

مشكلة البحث:

وفي ظل معاناة نظام التعليم العام في -بلادنا- لعدد من المشكلات وعدم وجود نظام تقويم مستقل للحكم على جودة المؤسسات التعليمية في ضوء معايير أو مؤشرات معتمدة ، قامت وزارة التربية والتعليم بإعداد واعتماد عدد من الاستراتيجيات الوطنية للتعليم؛ كما أعطت أهمية كبيرة لجودة التعليم والاعتماد المدرسي، وذلك من خلال إعداد هيكلية إدارية تتناسب مع هذا التوجه، كما تم اتخاذ عدد من الخطوات منها؛ صدور قرار رئيس مجلس الوزراء رقم (135) لسنة 2013م بتعيين مدير عام للجودة والاعتماد بالوزارة ، اتخاذ الوزارة عدداً من الإجراءات لاستكمال البنية الإدارية والهيكلية في مجال الجودة والاعتماد، ثم تشكيل فرق الجودة والاعتماد بمكاتب التربية والتعليم بالمحافظات والمديريات، بالإضافة إلى تعيين مختص للجودة في المدرسة ، وأيضاً تم اعتماد مشروع برنامج التطوير المدرسي (2013م) الذي هدف إلى المساهمة في تطوير واقع التعليم العام ومؤسساته وتحسين أدائها ومخرجاتها وفقاً لمعايير الجودة والاعتماد المدرسي. إلا إن الظروف والأزمة السياسية التي مرت بها اليمن منذ عام 2011م وامتدادها إلى قيام حرب 2015م وتبعاتها المستمرة إلى يومنا هذا، لم تتح الفرصة لتطبيق هذه الثورة الإدارية في منظومة التعليم ببلادنا ولم تتح الفرصة لإنشاء هيئة وطنية مستقلة للجودة والاعتماد، وهذا أثر سلباً على تحقيق الجودة والاعتماد في التعليم العام. (أخواجة، 2016، 61). وعطفاً على ما سبق، ومن خلال معاشتي للعمل التربوي والإشرافي في مدارس التعليم العام خلال الثلاث السنوات (2017- 2018 - 2019) شهدت مدارس مدينة المكلا والمجمعات

التعليمية تطوراً نوعياً ملموساً تمثل في: مشروع تحسين البيئة المدرسية وتوفير المختبرات ومعامل الحاسوب ومصادر التعلم المختلفة، وتدريب المعلمين، إلا أن الجدل بين الأوساط التعليمية ظل في ما حققته محافظة حضرموت من تقدماً في تطبيق معايير الجودة؟ فكانت الدراسة محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات.

أسئلة البحث:

ما مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر عينة الدراسة؟

"هل توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في تقديرات عينة الدراسة لمدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية تعزى للمتغيرات الديمغرافية.

أهداف البحث:

1. التعرف على مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر عينة الدراسة.

2. الكشف عما إذا وجدت فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في تقديرات عينة لمدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية تعزى للمتغيرات الديمغرافية.

أهمية البحث:

الأهمية النظرية: أنها دراسة تتناول مفهوماً تربوياً حديثاً وهو معايير الجودة، باعتباره أحد المتغيرات الأساسية الذي له تأثير على قدرة المنظمة على النمو والاستمرار.

الأهمية التطبيقية: تفيد هذه الدراسة مديري مدارس التعليم الأساسي والثانوي والمجمعات التعليمية وتعريفهم بأهمية تطبيق معايير الجودة لتحسين وتطوير مدارسهم. كما لنتائج الدراسة فائدة للمسؤولين عن التعليم خاصة بساحل حضرموت فهي تقدم تقييماً لوضع المدارس الأساسية والثانوية والمجمعات التعليمية بمدينة المكلا خاصة.

مصطلحات البحث:

مفهوم المعايير: يُعرف المعيار في اللغة العربية على أنه ما اتخذ للمقارنة، إذ جاء في المعجم الوسيط: العيار، المعيار: كل ما تقدر به الأشياء من كيل أو وزن ما اتخذ أساساً للمقارنة وجمعها: معايير. (المعجم الوسيط، ج2. 639). ويعرفه قاموس وبستر بأنه: مستوى أو درجة محددة من الجودة مناسبة أو ملائمة لغرض معين. (حيدر، 2016: 43).

مفهوم الجودة:

الجودة في اللغة: من جاد جودة صار جيداً، وأجاد: أي أتى بالجيد من القول أو العمل. (المعجم الوسيط، 145). وهناك تعريفات متعددة للجودة لعدد من العلماء أوردها (حيدر، 2016: 33) منها: تعريف (ديمنج): الملائمة للغرض. "درجة التوافق والاعتمادية التي تتناسب مع السوق ومع التكلفة، بمعنى المطابقة للاحتياجات". وتعريف (جوران): الملائمة للاستخدام "مدى ملائمة المنتج للاستخدام أي القدرة على تقديم أفضل أداء وأصدق صفات". وتعريف (كروسبي): المطابقة للمواصفات "المطابقة مع المتطلبات وأكد بأنها تنشأ من الوقاية وليس من التصحيح وبأنه يمكن قياس مدى تحقق الجودة من خلال كلف عدم المطابقة". وتعريف (هيئة المواصفات البريطانية): مجموعة صفات وملامح وخواص المنتج أو الخدمة التي تحمل نفسها عبء إرضاء الاحتياجات الملحة والضرورية.

الجودة في التعليم: قدرة الإدارات التعليمية في مستوياتها ومواقعها المختلفة على أداء أعمالها بالدرجة التي تمكنها من تخريج خريجين يمتلكون من المواصفات ما

يمكنهم من تلبية احتياجات التنمية في مجتمعهم طبقاً لما تم تحديده من أهداف ومواصفات لهؤلاء الخريجين. (الشافعي ورزق، 2000: 79). ويعرفها الباحث إجرائياً: " مستوى التعليم الذي يحقق رضا المستفيدين منه، ويحقق أهدافه كاملة من منظور عصري في إطار معايير الجودة التي اعتمدتها وزارة التربية والتعليم في الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي (مايو 2013م) وضمن قيم المجتمع وثقافته، وحاجاته، وبما يمكنه من التوائم مع مقتضيات العصر.

معايير الجودة المدرسية: حسب ما جاء في الإطار المرجعي فإن المعيار (Standard): المعايير هي المستويات المحددة والمعروفة للجميع والمتفق عليها؛ لقياس جودة الأداء المدرسي، وعند جمع هذه المعايير بعضها مع بعض تشكل فيما بينها أكثر العناصر أهمية في جوانب عمل المدرسة. وتحدد المعايير المستويات المرغوبة لأداء المدرسة بما يساعدها على تنفيذ وظيفتها وتطورها بشكل مقبول؛ ولذلك فإن معرفة مدى تطبيق المعيار تساعد على ضمان الجودة، كما أن مراجعة المعيار تساعد في تحديد خطط التحسين. (وزارة التربية والتعليم. 2013، 51). وإجرائياً: هي تلك المؤشرات والشروط التي ينبغي توافرها في نظام التعليم العام، والتي تتمثل في جودة القيادة والإدارة المدرسية، الموارد البشرية، عمليات التعليم والتعلم، مصادر وتقنيات التعليم والتعلم، تقويم عملية التعليم والتعلم، الإرشاد المدرسي والإعداد للحياة، القيم الخلقية والوطنية، حقوق الطفل وتكافؤ الفرص، البيئة المدرسية، الشراكة الأبوية والمجتمعية، الجودة والتحسين المستمر). ونظام التقويم والامتحانات، ثم جودة المعلمين، والأبنية والتجهيزات المادية، والتي تؤدي إلى مخرجات تتصف بالجودة وتعمل على تلبية احتياجات المستفيدين.

برنامج التطوير المدرسي: هو برنامج جاء تجسيدياً لتوجهات وزارة التربية والتعليم في الجمهورية اليمنية في تجويد التعليم العام وتحسين نوعيته ، يهدف إلى تطوير المدرسة تطويراً متكاملاً؛ لتكون قادرة بفاعلية وكفاءة على تقديم أفضل الممارسات التربوية والتعليمية من خلال تهيئة الموارد المادية والبشرية بحسب حاجات كل

مدرسة؛ لتمكينها من تحسين أدائها وتجويد مخرجاتها التعليمية، والنهوض والارتقاء بمستوى جودة مخرجاتها التربوية والتعليمية بما يتوافق مع معايير الجودة والاعتماد المدرسي من حيث (توفير بيئة مدرسية وتعليمية جاذبة آمنة وصحية ، وشراكة أبوية ومجتمعية فاعلة، مع تطوير قدرات الإدارة المدرسية، إكساب المعلمين المهارات المهنية والعلمية والقيم التربوية، وتوظيف تقنيات التعلم الحديثة وإثرائها، مع الاهتمام بالأنشطة الصفية التي تنمي قدرات الطلاب الذاتية) (وزارة التربية والتعليم، 2013، 46)

الأدب النظري والدراسات السابقة

أولاً: الأدب النظري

مفهوم الجودة: الجودة لغة: جاء عند الرازي في باب (ج و د) معناها: شيء (جيدٌ) والجمع (جياذ) و(أجاد) الشيء (فجاد) و(جوده) أيضاً (تجويداً) وشاعر (مجواد) بالكسر أي يجيد كثيراً. و(أجاد) النقد أعطاه (جياذاً) و(استجاده) عده جيداً. و(الجيد) العنق والجمع (أجياذ) (الرازي 1954، 116). وجاء في لسان العرب لابن منظور: وأتقن الشيء: أحكمه، وإتقانه إحكامه، وإلتقان: الإحكام للأشياء وفي التنزيل العزيز: (صنع الله الذي أتقن كل شيء) (النمل، آية 88)، ورجل تَقَنَّ وتَقَنَّ مُتَقَنَّ للأشياء حاذقٌ ورجل تَقَنَّ وهو الحاضرُ المُنْطِق والجواب، ثم قيل لكل حاذقٍ بالأشياء تَقَنَّ ومنه يقال أَتَقَنَّ فلانٌ عملَه إذا أَحْكَمَه (ابن منظور 1984، 73).

- **مفهوم الجودة اصطلاحاً:** لقد تعددت الآراء والكتابات التي حاولت تحديد مفهوم الجودة (Quality): فكلمة (Qualit) مأخوذة من الكلمة اليونانية (Qualitas) التي تعني طبيعة الشخص أو طبيعة الشيء ودرجة صلابته وكانت تعني قديماً الدقة والإتقان . (الدرادكة وشلبي، 2002، 15). ويستخدم مصطلح الجودة للدلالة على أن المنتج جيد أو الخدمة جيدة.

وعرّف معهد الجودة الفيدرالي الأمريكي الجودة بأنها: أداء العمل الصحيح وبشكل صحيح من المرة الأولى مع الاعتماد على تقييم المستفيد في معرفة مدى تحسين

الأداء. (السامرائي، 2007، 28). وتعرفها المنظمة العالمية للتقييس على أنها: مجموعة من الصفات والخصائص التي تتمتع بها سلعة أو خدمة ما تؤدي إلى إمكانية تحقيق رغبات معلنة أو مفترضة ضمناً. (Terfaya Nassima 2004 p13) أما الجودة حسب المعايير اليابانية فهي تعني: تطوير تصميم تصنيع السلع والخدمات الأكثر اقتصادية والأكثر منفعة والأكثر إرضاءً للمستهلك. (Seddiki 2004 p24 : Abdallah) وعرفت الجمعية الفرنسية للتقنيين AFNOR على أنها: قدرة مجموعة من الخصائص والمميزات الجوهرية على إرضاء المتطلبات المعلنة أو الضمنية لمجموعة من العملاء (Daniel Duret, Maurice Pillet 2002 P21)

النشأة والتطور التاريخي للجودة والجودة الشاملة: (حيدر 2016)

ليست الجودة وليدة اليوم، بل هي ثمرة الحضارة الإنسانية منذ القدم، فقد دعت إليها جميع الأديان السماوية، والتي أكدت على الجودة في القول والعمل، فحثت مثلاً في العمل على عدم الغش، والصدق والتقيد التام بالأوزان والمكاييل والمقاييس. يحرص الناس، منذ نشأتهم الأولى، على الحصول على الجيد في مناح كثيرة من حياتهم، ويستمترون في ذلك عبر مسيرة حياتهم الطويلة فكل فرد منا ، بني البشر ، يسعى لأن يعيش حياة سعيدة هائلة ، إذ نحرص على أن نحصل على الطعام الجيد ، واللباس الحسن ، والصحة السليمة، والمسكن المريح ، والأسرة السعيدة ، والعمل المربح ، والأصدقاء الأوفياء . وكلما تحقق لنا شيء من ذلك تقدمنا سريعاً لنيل آخر، ويستمر الإنسان في ذلك ما أوتي من عمر وبذلك غدت الجودة مسعى إنسانياً مهماً في حياته. لقد مارس الإنسان الجودة، أول ما مارسها، ليصف - بصورة عفوية - مدى رضاه عن شيء معين لاحظته أو استخدمه مثل: منزل، أو سيارة، أو سلعة محددة استهلكها مثل موبايل، أو ساعة، أو كتاب، أو خدمة تلقاها مثل خدمة مصرفية أو وسيلة نقل، أو خبرة مر بها، مثل رحلة أو زيارة لمكان ما، ولكنه لم يكثر حينها إلى الشروط التي ينبغي أن يستند إليها في إصدار حكمه حول موضوع وصفه ، مثل دقة الحكم أو قابلية التحقق من صحة ما وصفه ، أو ما سيواجهه فيما

لو نوقش فيما توصل إليه (وهي الشروط المتبعة حالياً والتي نسميها اليوم بالمساءلة في ميدان ضمان الجودة). ولكن ذلك الوصف لم يكن معتداً به بين المشتغلين بالمعرفة آنذاك؛ لأن ثقافة ذلك العصر كانت تقدر ما هو كمي فقط، فلقد كان ينظر إلى تلك الأحكام نظرة دونية، إذ تعد بأنها انطباعات غير معيارية، ومن ثم لم يؤخذ بها، لأن العلماء كانوا يضعون تلك الانطباعات أو الأحكام في خانة التقديرات الذاتية الصرفة، من دون أن يضعوا لها وزناً يذكر في شغلهم. لكن بعد أن اتضحت فائدة تلك الأحكام في الحياة العملية بين الناس _ على الرغم من عدم قدرة مُصْديرها على تفسيرها _ بدأ هذا النشاط الإنساني رحلته الطويلة في الدخول إلى ميدان الأحكام التقييمية المعترف بها. فتبلورت الفكرة في صورة مفهوم الجودة والذي تطور تدريجياً من تقدير انطباعي عفوي أو غير معياري قبل ذلك، إلى قيمة لها موقعها داخل المقاييس المتفق على دلالاتها وتأثيراتها. ومما ساعد على ذلك الانتشار ظهور مفاهيم البحث النوعي وبروز أهميته بين المشتغلين في المعرفة بذلك دخل مفهوم الجودة ميدان الصناعة وميدان الخدمات التي تقدم في المجتمع، وتشكلت له منهجية جديدة أصبحت لها أسسها وشروطها ومعاييرها، كما ظهرت له دلالات جديدة محددة بدقة، ومن هنا بدأ التنافس بين الشركات والمهتمين في البحث عن تعريف دقيق لمفهوم الجودة وآلياته لتنظيم إجراءاته. (29-30) ويرى العديد من الباحثين أن نشأة الجودة تعود إلى السنوات الأولى من القرن العشرين عندما بدأ المهندس الأمريكي فردريك تايلور بتجاربه التي بثها عبر كتابه "مبادئ الإدارة العلمية" عام 1911م والتي يريد من ورائها ضبط جودة العمليات بتقليل الفاقد من الزمن من خلال الممارسات والحركات غير المجدية بقصد زيادة الإنتاج وذلك بربط الحركة بالزمن الذي تحتاجه. (السامرائي 2007، 39).

الجودة في الإسلام: إن أسلوب الجودة نجده في تعاليم الدين الإسلامي بكل مفاهيمه، فجودة الإدارة وهي ما يسميها الدين الإسلامي بالإتقان والمسلم مطالب بإتقان عمله

لإرضاء الله عز وجل وإرضاء الآخرين، ففي الشريعة الإسلامية مبادئ ومفاهيم لإدارة الجودة الشاملة تدعو إلى مراعاة الإتيان من خلال:

- إنجاز الأعمال بإتقان وجودة عالية: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)) رواه البيهقي.
 - التعرض للقيم السامية واستخدام الوقت بحساب وعدم تضييعه والتعامل مع الناس باحترام وتعاون.
 - استخدام الموارد على مختلف أنواعها باقتصاد وعدم الإسراف والتشاور والصدق في اتخاذ القرار والعدل في التعامل مع العاملين وإعطاء الحقوق لأصحابها.
- (عليان 2004، 20-21).

مراحل تطوير مفهوم الجودة: لقد مر مفهوم الجودة بمراحل تاريخية متلاحقة وذلك نتيجة لتطور عمليات الإنتاج وتعقدها، وفيما يأتي توضيح لهذه المراحل:

المرحلة الأولى: ما قبل الثورة الصناعية: قبل الثورة الصناعية لم يكن هناك مصنع وإنتاج بمعنى الكلمة، فالمصنع كان عبارة عن ورشة work shop فيها رب العمل أو صاحب الورشة وعدد من العمال الذين يقومون بتصنيع سلعة معينة باستخدام أدوات يدوية وفق معايير جودة بسيطة يحددها الزبون من منطلق وجهة نظره ورغبته وما على صاحب الورشة إلا أن يلبي رغبة زبونه وبالنسبة لعملية الرقابة على الجودة فقد كانت تتم من قبل العامل نفسه ومنفرداً مع تدقيق نهائي من قبل صاحب الورشة . (عقيلي 2001، 22)

المرحلة الثانية: بعد الثورة الصناعية: يقصد بها تلك الفترة الزمنية التي امتدت من منتصف القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر، إذ أحدثت الثورة الصناعية تغييرات جذرية في مجال الصناعة منها: ظهور المصنع ليحل محل الورشة. وازدياد حجم العمل . وازدياد أعداد العاملين . وارتفاع مستوى المنتجات نتيجة لاستخدام الآلة في العمل. وفي هذه المرحلة لم تعد الرقابة على الجودة تتم من قبل العامل نفسه بل من قبل المشرف الذي عليه مسؤولية التحقق من الجودة (مرجع سابق)

المرحلة الثالثة: مرحلة الإدارة العلمية: ظهرت الإدارة العلمية في مطلع القرن العشرين بريادة فريدريك تايلو وقدمت للعالم الصناعي دراسات الحركة والزمن وسبل تخفيض تكلفة الإنتاج من خلال الحد من الهدر والضياع في العمل المصنعي الذي كان سائداً آنذاك، وفي هذه المرحلة ظهر مفهوم يُسمى فحص الجودة الذي سحبت بموجبه مسؤولية الفحص من المشرف المباشر وأسندت إلى مفتشين مختصين بالعمل الرقابي على الجودة. (المرجع السابق). فعملية التحقق من الجودة تركز على إجراء المطابقة بين معايير محددة بشكل مسبق مع جودة المنتج المنجز وتتضمن عملية الفحص تحديد مدى مطابقة المنتج للمواصفات الفنية الموضوعية، ومن ثمَّ فإنَّ المنتجات المطابقة للمواصفات الفنية يمكن تسليمها للعميل، أما المنتجات غير المطابقة للمواصفات الفنية إما أن تتلف أو يعاد العمل عليها أو يتم بيعها بأسعار أقل. (جودة 2009، 25). إن عملية الفحص كانت تركز فقط على اكتشاف الأخطاء والقيام بتصحيحها، فالخطأ أو العيب قد حصل فعلاً، وعملية الفحص اكتشفت الخطأ ولكنها لم تقم بمنعه.

المرحلة الرابعة: الرقابة الإحصائية على الجودة: ظهرت الرقابة الإحصائية على الجودة مع ظهور أسلوب الإنتاج الكبير عام 1931م الذي صاحبه آنذاك مفهوم تنميط وتوحيد الإنتاج كوسيلة للإقلال من أخطاء تصنيع السلعة، وشهدت هذه المرحلة استخدام علم الإحصاء في الرقابة على الجودة إذ إن نشاط الفحص أصبح غير كاف، وهذا ما أدى إلى اتباع أسلوب فحص العينات *sampling inspection* ويعد العالم والتر شيوارت من مؤسسي ومطوري نظرية ضبط الجودة إحصائياً . (السامرائي 2007، 46) كما يعد أدورد ديمينغ رائد الجودة أبرز من استخدم وطبق الرقابة الإحصائية على الجودة في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية ومن خلالها استطاعت اليابان أن تغزو أسواق العالم بسلعها ذات الجودة المتميزة. (قادة 2012، 7)

المرحلة الخامسة: تأكيد الجودة: ظهر مفهوم تأكيد الجودة ما بين 1960 إلى 1970 وقد شهدت هذه المرحلة تطور أساليب الرقابة على الجودة مما أدى

إلى ظهور مفاهيم تؤكد على ضمان الجودة لتحسين المنتجات وتعزيز مكانة الشركات. (العزاوي 2005، 19). فقد اعتمدت هذه المرحلة على التركيز على التخطيط وكيفية إدارة الجودة، والهدف منه وجود منظومة عمل تحدد الأساليب لمنع وقوع الأخطاء مبكراً وتصحيحه وتمنع تكراره، ويتطلب هذا العمل رقابة شاملة على العمليات كافة بدءاً من مرحلة تصميم المنتج وانتهاء إلى مرحلة وصوله للسوق ليد المستهلك وهذا يعني وجود جهود مشتركة من جميع الإدارات المعنية بتنفيذ هذه المراحل (قادة 2012، 7) **ولقد اتسمت هذه المرحلة بـ: التأكيد للمستهلك بأن المنتج مطابق.** وإعطاء تحذيرات مبكرة للإدارة عن احتمال وقوع الخطأ. (العتيبي 2007، 14) كما أنه تحقيقاً لشعار الإنتاج بدون أخطاء يتبنى تأكيد الجودة استخدام ثلاث أنواع من الرقابة:

- أ. الرقابة الوقائية: وهي الرقابة التي تُعنى بتنفيذ العمل أولاً بأول لاكتشاف الخطأ قبل وقوعه والعمل على منع حدوثه.
- ب. الرقابة المرحلية: وتعني بفحص المنتج بعد انتهاء كل مرحلة تصنيع للتأكد من مستوى الجودة بحيث لا ينتقل المنتج تحت الصنع من مرحلة لأخرى إلا بعد فحصه والتأكد من جودته.
- ت. الرقابة البعدية: وتعني التأكد من جودة المنتج بعد الانتهاء من تصنيعه وقبل انتقاله ليد الزبون وذلك ضماناً لخلوه من الأخطاء أو العيوب. (الطائي وآخرون 2009، 67)

المرحلة السادسة: إدارة الجودة الشاملة: ظهر هذا المفهوم عن الجودة بعد عام 1980 بسبب تزايد شدة المنافسة العالمية واكتساح الصناعة اليابانية للأسواق وخاصة البلدان النامية وخسارة الشركات الأمريكية والأوروبية لحصص كبيرة من هذه الأسواق ، وفي ظل هذه الظروف قامت الشركات الأمريكية بتطوير وتوسيع مفهوم إدارة الجودة الاستراتيجية بإضافة جوانب أكثر شمولاً وعمقاً واستخدمت أساليب متطورة في مجال تحسين الجودة والتعامل مع الزبائن والموردين وتفعيل أساليب تأكيد الجودة، وقد اعتمد

الأمريكيون على أفكار يابانية في تطوير إدارة الجودة الاستراتيجية لتصبح إدارة الجودة الشاملة بأبعادها الحالية. (العتيبي: 2007، 15) ويدخل إدارة الجودة الشاملة من الاتجاهات الحديثة في الإدارة التي لاقت نجاحاً كبيراً في تطوير إدارة المؤسسات عن طريق بناء ثقافة وفلسفة عميقة للجودة بمعناها الشامل داخل الأفراد في المؤسسات بجميع مستوياتهم الإدارية، فلم يعد ينظر إلى الجودة من الزاوية الضيقة " المطابقة للمواصفات " بل أصبح النظر إليها كجزء متداخل ومتربط بجميع الأنشطة في المؤسسات، كما أصبح للعمليات معنى أشمل غير المستهلك إذ أصبح يُعامل كشريك للمؤسسة يؤخذ برأيه وتنفذ طلباته. (المصدر السابق).

أبرز مراحل إدارة الجودة الشاملة:

الخصائص	المراحل			
	الإدارة العلمية	الرقابة الإحصائية على الجودة	تأكيد الجودة	إدارة الجودة الشاملة
الاهتمام	تحديد الانحراف أو الخطأ (كشف الأخطاء)	مراقبة جودة المنتج النهائي	التأكد من الجودة خلال عملية الإنتاج وعند الانتهاء منها.	التسيير الشامل لجودة المدخلات، العمليات والمخرجات في المنظمة.
الفترة الزمنية لإطلاق المرحلة	بداية القرن العشرين	مطلع الثلاثينيات	سنوات الخمسينيات	بداية الثمانينات
النماذج والتطبيقات الأساسية	فحص الجودة بالمطابقة بين جودة المنتج المنجزة والمعايير المحددة مسبقاً	الاحتمالات والإحصاء	الإجراءات التنظيمية والتقنية	تكوين وتحفيز العنصر البشري
الجهات المختصة مباشرة	مفتشين مختصين بمراقبة الجودة	مهندسي الجودة	مسؤولي وظيفة الإنتاج ووظيفة تأكيد الجودة	جميع أعضاء المنظمة ومحيطها
الرواد الممهدين للانطلاق	فريدريك تايلور	ادوارد ديمينج	جوزيف جوران	مهد لظهور هذا المفهوم كل من ديمينج ، جوران كروسبي وفيجنوم

(موزايي 2004 ، 47)

ويمكن القول: إن هناك ثلاثة عوامل أسهمت في تبلور مفهوم الجودة بوضوح، هي: الحرفية (Craftsmanship)، ونموذج المصنع (Factory Sytem)، ونظرية تايلور في الإدارة (Taylor System).

نشأة الإدارة العامة للجودة والاعتماد بوزارة التربية والتعليم في الجمهورية اليمنية (أخواجه 2017):

بعد تشكيل حكومة الوفاق الوطني في نهاية العام 2011م كان من توجهات وزارة التربية والتعليم حسب ما أعلن الوزير إعطاء أهمية لجودة التعليم والاعتماد المدرسي، فتم تعيين مدير لإدارة الجودة والاعتماد بالوزارة، وأسند إليه مهمة وضع تصور لهيكلية إدارية تتناسب مع هذا التوجه، وبناء على هذا التعيين قدم مدير الجودة والاعتماد تصوراً يتضمن مسارين:

المسار الأول: يهدف إلى إنشاء هيئة وطنية مستقلة خارج الوزارة تتبع مؤسسة الرئاسة أو الحكومة تكون معنية بجودة التعليم العام والاعتماد المدرسي، أسوة بمجلس الاعتماد الأكاديمي لمؤسسات التعليم العالي والذي تم إنشاؤه في العام 2010م بقرار رئيس الجمهورية، وتم تقديم مشروع بذلك على أن يتم عرضه على الحكومة ورئيس الجمهورية.

المسار الثاني: إعداد هيكلية إدارية متخصصة بجودة التعليم والاعتماد المدرسي داخل الوزارة وفروعها بمكاتب التربية والتعليم في المحافظات والمديريات وامتداد هذه الهيكلية على مستوى المدرسة، لتكون مساندة للهيئة المستقلة المراد إنشاؤها خارج الوزارة. وبالنسبة للمسار الأول لم تتح الفرصة لتحقيقه نظراً للظروف التي مرت بها اليمن وطبيعة تشكيل الحكومة وأولوياتها خلال تلك الفترة، وعدم تحمس قيادة الوزارة للسعي في ذلك.

أما ما يخص الجانب الثاني فقد تم اتخاذ عددٍ من الإجراءات أهمها:

- صدور قرار وزاري لسنة 2012م بتكليف مدير إدارة الجودة للعمل مديراً عاماً للجودة والاعتماد بالوزارة وذلك تمهيداً لإنشاء إدارة عامة.

- صدور قرار وزاري لسنة 2012م بتشكيل فريق التحديث في الوزارة، لإعادة هيكلة الوزارة بما يتناسب مع التوجه الجديد باستحداث عددٍ من الإدارات العامة ومنها الجودة والاعتماد، والتعليم الإلكتروني، وتحديد المهام والاختصاصات لها، وتقديم الهيكل الجديد لوزارة الخدمة المدنية لمراجعته على أن يتم تقديمه لمجلس الوزراء لإقراره.
 - صدور قرار رئيس مجلس الوزراء رقم (135) لسنة 2013م بتعيين مديرٍ عامٍ للجودة والاعتماد بالوزارة (وزارة الشؤون القانونية، 2013م).
 - تعيين فرق الجودة والاعتماد على مستوى مكاتب التربية والتعليم في المحافظات بواقع 5 أعضاء في كل مكتب وفق عدد من الشروط أقرتها الوزارة والتي كان من أهمها: ألا يقل مؤهل المتقدم لعضوية الفريق عن درجة البكالوريوس أو ما يعادلها، وأن يجيد استخدام الكمبيوتر وشبكة الأنترنت كأحد متطلبات تطبيق أنظمة الجودة والاعتماد المدرسي في المرحلة المقبلة.
 - تعيين فرق الجودة والاعتماد على مستوى مكاتب التربية والتعليم في المديريات بواقع 3 أعضاء في كل مديرية وفق الشروط نفسها.
 - التوجيه بتعيين مختص الجودة في المدرسة وتشكيل فريق الجودة في المدرسة.
 - تحديد مهام فرق الجودة والاعتماد وتعميم هذه المهام على مكاتب التربية والتعليم.
 - تنفيذ عددٍ من الندوات والورش التدريبية الخاصة بنشر ثقافة الجودة والاعتماد المدرسي على مستوى ديوان عام الوزارة وفرق الجودة والاعتماد بمكاتب التربية والتعليم بالمحافظات.
 - إعداد الخطة العامة للوزارة للأعوام 2013-2015م. (أخواجه 2017م، 3-1).
- معايير الجودة في التعليم بالجمهورية اليمنية وفقاً ومشروع الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي لوزارة التربية والتعليم**
- وبحسب الإطار المرجعي فقد وضعت الوزارة معايير للجودة ضمن أحد عشر مجالاً هي:

مجالات التطوير المدرسي:

1. القيادة والإدارة المدرسية.
2. الموارد البشرية (إدارة وتنمية الموارد البشرية).
3. عمليات التعليم والتعلم.
4. مصادر وتقنيات التعليم والتعلم.
5. تقويم عملية التعليم والتعلم.
6. الإرشاد المدرسي والإعداد للحياة.
7. القيم الخلقية والوطنية.
8. حقوق الطفل وتكافؤ الفرص.
9. البيئة المدرسية (الموارد المادية).
10. الشراكة الأبوية والمجتمعية.
11. الجودة والتحسين المستمر. (وزارة التربية والتعليم، 47)

ثانيا: الدراسات السابقة:

تم الاطلاع على عدد من الأبحاث والدراسات المحلية والعربية والتي تناولت الجودة الشاملة ومعاييرها وتطبيقاتها على المؤسسات التعليمية في التعليم العام ونستعرض عددًا منها وهي:

الدراسات المحلية:

دراسة الجعدي (2019) وهدفت الدراسة إلى التعرف على درجة تحقق متطلبات معايير الاعتماد المدرسي وهي: (القيادة التربوية الفعالة للمدرسة، الموارد البشرية، التعامل مع الطلاب والمجتمع المحلي، التخطيط للجودة والتحسين المستمر) في المدارس الثانوية الحكومية بمدينة ، وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة تحقق متطلبات معايير الاعتماد المدرسي في المدارس الحكومية من وجهة نظر عينة الدراسة ، جاءت متوسطة بشكل عام ، وفي ضوء النتائج قدم الباحث مجموعة من التوصيات أبرزها : سرعة إكمال تجهيز وإقرار الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي

بالجمهورية اليمنية والتي تشمل الأدلة الخاصة بالعمل الإجرائي للاعتماد المدرسي ومتطلبات تطبيقه ، ثم تعميم العمل به من خلال إدارات الجودة.

دراسة إبراهيم ، والدوش (2018م) هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة توافر تطبيق بعض معايير الاعتماد المدرسي في المدارس الثانوية بمحافظة عدن في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي المسحي كما استخدمت الاستبانة كأداة للدراسة واشتملت الاستبانة على 72 فقرة موزعة على أربعة مجالات وهي: 1-متطلبات تطبيق معيار القيادة والإدارة المدرسية 2-متطلبات تطبيق معيار الموارد البشرية 3-متطلبات تطبيق معيار البيئة المدرسية -الموارد المادية 4-متطلبات تطبيق معيار الشراكة المجتمعية ، وقد تكونت عينة الدراسة (34) مدير مدرسة و(40) مشرفاً تربوياً في المدارس الثانوية بمحافظة عدن ، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن تقدير درجة توافر تطبيق بعض معايير الاعتماد المدرسي في المدارس الثانوية بمحافظة عدن من وجهة نظر مديري المدارس والمشرفين التربويين كانت بدرجة متوسطة بشكل عام ، وخرجت الدراسة بمجموعة توصيات أبرزها : نشر الوعي بثقافة الجودة والاعتماد على مستوى صانعي القرار والمسؤولين والعاملين بقطاع التعليم والطلاب والمجتمع.

دراسة الفراص (2018) "وهدف الدراسة إلى معرفة مدى تطبيق نظام الاعتماد المدرسي بالمرحلة الثانوية في الجمهورية اليمنية ، من خلال استخدام منهج الوصفي التحليلي وبناء استبانة كأداة للدراسة وزعت على (439) مدير ومديرة بطريقة عشوائية استجاب منهم (120) مدير ومديرة ، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها :إن درجة أهمية تطبيق معايير نظام الاعتماد المدرسي بالمرحلة الثانوية بالجمهورية اليمنية جاءت عند عينة الدراسة موافقة كبيرة وبأهمية نسبية بلغت (79.2 %) ، كما اتفق أغلب أفراد العينة على معوقات تطبيق نظام الاعتماد المدرسي بالمرحلة الثانوية بالجمهورية اليمنية إذ أظهرت المتوسطات درجة موافقة كبيرة جداً بلغت (79.6 %) ، إن معظم أفراد عينة الدراسة يوافقون بدرجة متوسطة على درجة تطبيق نظام الاعتماد

المدرسي بالمرحلة الثانوية في الجمهورية اليمنية . وقد خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها: ضرورة العمل على إيجاد معايير وطنية للاعتماد المدرسي، وضرورة توفير متطلبات تطبيق نظام الاعتماد المدرسي.

التعقيب على الدراسات السابقة: يتبين من الدراسات السابقة التي تم عرضها، تناولها لإدارة الجودة الشاملة ومتطلبات تطبيقها في مدارس التعليم العام الثانوية والأساسية، وهذا يعكس أهمية ومكانة الجودة وضرورة تطبيقها كمدخل لتطوير النظام الإداري والارتقاء بالعملية التعليمية والتربوية داخل المؤسسات التعليمية بشكل عام. وقد هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام بمدينة المكلا، والدراسة تتشابه إلى حد ما مع الدراسات السابقة وتختلف معها في جوانب أخرى، حيث اتفقت مع أهداف بعض الدراسات من حيث الأهداف حول مدى توافر معايير الجودة ومتطلباتها، وعلى أهمية هذه المتطلبات والمعايير لتطوير وتحسين نظام المؤسسات التربوية والتعليمية. كما اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في عينة الدراسة، وهم الهيئات الإدارية للمؤسسات التعليمية وهم المديرون والوكلاء بينما أشركت دراسات أخرى أعضاء هيئة التدريس والمشرفين التربويين. واتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في اتخاذ أداة التحليل الوصفي للوصول لنتائج الدراسة، والتي اتفقت على إمكانية تطبيق نظام الجودة في المؤسسات التعليمية وتوفير متطلباته.

منهجية البحث وإجراءاته

منهج البحث: استخدام المنهج الوصفي المسحي، والذي يعتمد على جمع البيانات والحقائق وتصنيفها وتبويبها، بهدف استخراج الاستنتاجات ذات الدلالة، ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الظاهرة موضوع الدراسة.

مجتمع البحث

- **مجتمع الدراسة :** شمل المجتمع الأصلي للدراسة جميع مديري المدارس الحكومية و وكلائهم بمدينة المكلا بمحافظة حضرموت والذي اعتمد على قرار وكيل

وزارة التربية والتعليم مدير مكتب وزارة التربية والتعليم بمحافظة حضرموت لعام 2019 م بشأن تعيين الإدارات المدرسية ورياض الأطفال بمديرية مدينة المكلا إذ شمل القرار (202) مديراً ووكيلاً لمدارس التعليم الأساسي والثانوي والمجمعات التعليمية بمدينة المكلا ليصبح العدد بعد إضافة الثانوية النموذجية للبنين والثانوية النموذجية للبنات (206) مديراً ووكيلاً هو عدد مجتمع الدراسة، منهم (64) مديراً ومديرة و(142) وكيلاً ووكيلة، هم جميعاً مجتمع الدراسة .

عينة البحث: تم توزيع (160) استبانة على مجتمع الدراسة حيث استهدفت جميع مناطق مدينة المكلا، حيث شملت مدارس مدينة المكلا القديمة (حي الشهيد والصيادين وحي السلام) و معظم مدارس أحياء الشرج ، وأحياء الديس، وعدد من مدارس ضواحي مدينة المكلا كروكب وبويش والحرشيات والعيص ، ومعظم مدارس منطقة فوة حتى منطقة الطويلة إذ بلغت عدد المدارس التي تم اختيارها (55) مدرسة من أصل (64) مدرسة هي مدارس مدينة المكلا وبنسبة (86 %)، و قد تم استرجاع (151) استبانة من عينة مجتمع الدراسة (160) مديراً ووكيلاً ، من إجمالي عدد مجتمع الدراسة ككل والبالغ عددهم (206) مديراً ووكيلاً ، وبنسبة مشاركة (73.3 %) من مجتمع الدراسة ككل .

خصائص العينة الديمغرافية

توزيع أفراد العينة المستجيبة لكل متغير من المتغيرات على النحو الآتي:

1. توزيع أفراد العينة على متغير المسمى الوظيفي (مدير/ وكيل):

جدول يبين توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير المسمى الوظيفي

م	المسمى الوظيفي	التكرار	النسبة المئوية
1	مدير	53	35.10 %
2	وكيل	98	64.90 %
	المجموع	151	100 %

ويتضح من الجدول أن نسبة الوكلاء من عينة البحث بلغت (64.90 %) في حين بلغت نسبة المديرين (35.10 %) من عينة الدراسة.

2. توزيع أفراد العينة على متغير الخبرة:

جدول يبين توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير الخبرة العلمية

م	سنوات الخبرة العلمية	التكرار	النسبة المئوية
1	أقل من 5 سنوات	10	7 %
2	من 5 - 10 سنوات	15	10 %
3	أكثر من 10 سنوات	126	83 %
	المجموع	151	100 %

ويتضح من الجدول أن نسبة سنوات الخبرة (أكثر من 10 سنوات) تشكل أغلبية أفراد العينة بنسبة (83%) يليه سنوات الخبرة من (5-10 سنوات) بنسبة (10 %) وأقل من 5 سنوات بلغت نسبتهم (7 %) من أفراد العينة ككل.

3. توزيع أفراد العينة على متغير الجنس:

جدول يبين توزيع أفراد العينة وفقاً لمتغير الجنس

م	متغير الجنس	التكرار	النسبة المئوية
1	ذكر	81	53.64 %
2	أنثى	70	46.36 %
	المجموع	151	100 %

ويتضح من الجدول أن هناك تقارباً كبيراً في متغير الجنس (ذكر/ أنثى) يزيد قليلاً لصالح متغير الذكورة بنسبة (53.64 %) في حين أن متغير الأنوثة بلغ نسبته (46.36 %) بفارق (7.28 %). فقط.

4. توزيع أفراد العينة على متغير المرحلة الدراسية:

جدول يبين توزيع أفراد العينة وفقاً ومتغير المرحلة الدراسية:

م	المرحلة الدراسية	التكرار	النسبة المئوية
1	أساسي	104	68.87 %
2	ثانوي	22	14.57 %
3	مجمع	25	16.56 %
	المجموع	151	100 %

ويتضح من الجدول أن (68.87 %) من أفراد العينة يعملون في إدارة مدارس التعليم الأساسي في حين يعمل في إدارة التعليم الثانوي (14.57 %) من أفراد العينة، كما يعمل (16.56 %) من أفراد العينة في إدارة المجمعات التعليمية (أساسي وثانوي).

أدوات البحث: اعتمد الباحث الاستبانة أداة مناسبة لتحقيق أهداف الدراسة، مستنداً في بنائها إلى المجالات والمعايير الواردة في الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي في الجمهورية اليمنية. وقد تكوّنت الاستبانة من أحد عشر مجالاً تمثل مجالات تطبيق الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا، وتضمنت المعايير والمؤشرات المعتمدة في وثيقة الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي الصادرة عام 2013م. وبذلك اشتملت أداة الدراسة على (52) فقرة/معيّاراً موزعة على أحد عشر مجالاً، على النحو الآتي: القيادة والإدارة المدرسية (10) فقرات، الموارد البشرية (5) فقرات، عمليات التعليم والتعلم (6) فقرات، مصادر وتقنيات التعليم والتعلم (3) فقرات، تقييم عملية التعليم والتعلم (4) فقرات، الإرشاد المدرسي والإعداد للحياة (4) فقرات، القيم الخلقية والوطنية (4) فقرات، حقوق الأطفال وتكافؤ الفرص (4) فقرات، البيئة المدرسية (5) فقرات، الشراكة الأبوية والمجتمعية (3) فقرات، وإدارة الجودة والتحسين المستمر (4) فقرات.

صدق وثبات أداة البحث

أ- الصدق الظاهري: بعد الانتهاء من إعداد الاستبانة وتحديد (أقسامها ومجالاتها وفقراتها [المعايير]) في صورتها الأولية، وما احتوته من مجالات وفقرات تم اقتباسها نصياً من معايير ومؤشرات الجودة المدرسية والواردة في وثيقة الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي (2013م)، تحقق أهداف الدراسة الحالية دون تغيير، كون هذه المعايير ومؤشراتها سبق تحكيمها من قبل لجان علمية تتبع جهات رسمية وتم اعتمادها كمعايير للجودة والاعتماد المدرسي على المستوى الوطني.

ب - صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة: تم حساب صدق الاتساق الداخلي وفقاً لاستجابات أفراد العينة الاستطلاعية ($n = 20$) بحساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات كل فقرة والدرجة الكلية للمجال الذي تنتمي إليه الفقرة من مجالات الاستبانة أن معاملات ارتباط العبارات بالدرجة الكلية للمجالات التي تنتمي إليه العبارة من مجالات الاستبانة جاءت جميعاً دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01) أو عند مستوى دلالة (0.05). وجاءت قيم معاملات الارتباط قيماً عالية مما يدل على صدق الاتساق الداخلي بين المجالات والفقرات التي تنتمي لها.

ج) ثبات الأداة: ولحساب ثبات الأداة استخدم الباحث طريقة إعادة القياس على أفراد العينة الاستطلاعية (20) فرداً، وقد تم حساب ثبات أداة الدراسة (الاستبانة) باستخدام معامل " ألفا كرونباخ " (α cronbach) لحساب ثبات الأداة ككل، والجدول يوضح معامل ثبات (الاستبانة) لجميع مجالات الدراسة:

جدول يبين معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل محور والدرجة الكلية لمحاور الاستبانة

م	المجال	عدد الفقرات	معامل الثبات
1	القيادة والإدارة المدرسية	10	.90
2	الموارد البشرية	5	.81
3	عمليات التعليم والتعلم	6	.87
4	مصادر وتقنيات التعلم	3	.70
5	تقويم عملية التعليم والتعلم	4	.89
6	الإرشاد المدرسي والإعداد للحياة	4	.80
7	القيم الخلقية والوطنية	4	.84
8	حقوق الأطفال وتكافؤ الفرص	4	.77
9	البيئة المدرسية	5	.81
10	الشراكة الأبوية والمجتمعية	3	.84
11	إدارة الجودة والتحسين المستمر	4	.89
	الكل	52	.96

يتضح من الجدول أن قيم معاملات الثبات لمحاو وأبعاد أداة الدراسة جاءت بقيم عالية إذ تراوحت قيم معاملات الثبات لمحاو وأبعاد أداة الدراسة بين (70-90). وبلغت قيمة معامل الثبات الكلي لمحاو الاستبانة (96)؛ وتشير قيم معاملات الثبات هذه إلى صلاحية أداة الدراسة للتطبيق وإمكانية الاعتماد على نتائجها والوثوق بها.

محك الحكم على الإجابات

الجدول يوضح معيار الحكم على إجابات أفراد العينة بحسب فئات المحك ودلالاتها اللفظية

درجة الموافقة	طول الخلية	
	إلى	من
عالي جداً	5	من 4.20
عالي	4.20	أكبر من 3.40
متوسط	3.40	أكبر من 2.60
ضعيف	2.60	أكبر من 1.80
ضعيف جداً	1.80	1

الأساليب الإحصائية: استُخدمت مجموعة من التقنيات الإحصائية التي تتناسب مع طبيعة الدراسة وأهدافها، إذ تم إدخال البيانات برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (ب) (SPSS)، وقد استخدم الباحث المعالجات الإحصائية الآتية: النسب المئوية والتكرارات والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية. ومعامل ارتباط بيرسون للتأكد من صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة. ومعامل ألفا كرونباخ (Alpha cronbach) لقياس معامل ثبات أداة الدراسة وقياس مدى الارتباط لمحاو الأداة بالدرجة الكلية للأداة ومدى تحقق الانسجام بين محاورها. واختبار (T-Test) لعينتين مستقلتين لاختبار الفروق بين إجابات أفراد عينة الدراسة باختلاف الخصائص الشخصية (المسمى الوظيفي - الجنس العلمي). واختبار تحليل التباين الأحادي (One_ Way ANOVA) لمعرفة الدلالة الإحصائية للفروق، التي يمكن أن تعزى إلى متغيرات (سنوات الخبرة العملية - المرحلة الدراسية).

عرض ومناقشة نتائج البحث

وفيما يأتي يعرض الباحث نتائج الدراسة الميدانية ومناقشتها تبعاً لأسئلة الدراسة:

أولاً: عرض ومناقشة نتائج السؤال الأول والذي ينص على: "ما مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر عينة الدراسة؟"

للإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بتحليل تقديرات أفراد عينة الدراسة من خلال احتساب المتوسطات والانحرافات والترتيب التنازلي والدلالة اللفظية لكل مجال من مجالات معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية وكذا الدرجة الكلية وكانت النتائج كما هي مبينة في الجدول الآتي:

جدول يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والوزن النسبي والترتيب التنازلي والدلالة اللفظية لتقديرات أفراد عينة الدراسة نحو كل مجال من مجالات معايير الجودة والمجالات ككل

رقم المجال	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب التنازلي	الدلالة اللفظية
7	القيم الخلقية والوطنية	4.0662	0.62696	1	عالية
1	القيادة والإدارة المدرسية	4.0358	0.60015	2	عالية
6	الإرشاد المدرسي والإعداد للحياة	4.0281	0.61206	3	عالية
5	تقويم عملية التعليم والتعلم	3.9752	0.67685	4	عالية
3	عمليات التعليم والتعلم	3.9470	0.56777	5	عالية
8	حقوق الأطفال وتكافؤ الفرص	3.5844	0.68245	6	عالية
11	إدارة الجودة والتحسين المستمر	3.5066	0.78896	7	عالية
2	الموارد البشرية	3.4543	0.69625	8	عالية
9	البيئة المدرسية	3.3815	0.80278	9	متوسطة
4	مصادر وتقنيات التعليم والتعلم	3.2848	0.74872	10	متوسطة
10	الشراكة الأبوية والمجتمعية	3.2605	0.75512	11	متوسطة
	متوسط الككل	3.7403	0.50495		عالية

أظهرت نتائج الدراسة المبينة في الجدول السابق أن مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر عينة الدراسة بصفة عامة جاء بمتوسط حسابي (3.7403) يشير إلى درجة موافقة (عالية)، وبانحراف معياري (0.50495) يشير إلى تقارب الآراء حول مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا. وتفصيلاً وبحسب نتائج مجالات الدراسة وترتيبها التنازلي وفقاً لمتوسطاتها الحسابية جاءت النتائج على النحو الآتي:

أوضحت نتائج الدراسة أن ثمانية مجالات (القيم الخلقية والوطنية، القيادة والإدارة المدرسية، الإرشاد المدرسي والإعداد للحياة، تقويم عملية التعليم والتعلم، عمليات التعليم والتعلم، حقوق الأطفال وتكافؤ الفرص، إدارة الجودة والتحسين المستمر، الموارد البشرية) جاءت نتائجهم بمتوسطات حسابية تراوحت ما بين (3.4543-4.0662) تشير إلى درجة موافقة (عالية)، إذ جاء في الترتيب الأول مجال (القيم الخلقية والوطنية) بمتوسط حسابي بلغ (4.0662) يشير إلى درجة موافقة (عالية).

كما أوضحت نتائج الدراسة أن توافر معايير الجودة في المجالات الثلاثة المتبقية (البيئة المدرسية، مصادر وتقنيات التعليم والتعلم، الشراكة الأبوية والمجتمعية) جاءت نتائجها بدرجة (متوسطة). ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى تنامي الوعي داخل الإدارات المدرسية وخاصة بمدينة المكلا وحرصها على تجويد العملية التعليمية داخل أسوار المدرسة بشكل كبير من خلال الدعم الملاحظ من قبل السلطة بالمحافظة ومكتب التربية وتزويد المدارس بالمختبرات وقاعات الحاسوب ومصادر التعلم وتحسين بيئة المدرسة، وبالرغم من ضعف المشاركة المجتمعية إلا أن النتائج جاءت جيدة وتعبر عن الواقع. وبشكل عام فقد اتفقت نتائج الدراسة للسؤال الأول " ما مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية من وجهة نظر عينة الدراسة" مع دراسة (الجعدي 2019)، (إبراهيم والدوش 2018)، بدرجة مقاربة بين (المتوسطة والعالية)

تشير إلى توافر معايير الجودة ومتطلباتها بصورة في مدارس التعليم العام مما يتطلب من الجهات العليا التوجيه بتطبيق معايير الجودة في مدارس التعليم الحكومية في بلادنا.

ثانياً: عرض ومناقشة نتائج السؤال الثاني والذي ينص على: "هل توجد فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في تقديرات عينة الدراسة لمدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام الحكومية بمدينة المكلا في ضوء معايير برنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية تعزى لمتغيرات: الجنس (ذكر/أنثى)، مستوى المدرسة (أساسي / ثانوي)، المسمى الوظيفي (مدير/ وكيل)، الخبرة العملية (أدنى من 5 سنوات / 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات / 10 سنوات فأكثر)؟"

وللإجابة عن هذا السؤال قام الباحث بتحليل ومناقشة نتائج الدراسة بحسب متغيرات الدراسة وفقاً للآتي:

1- متغير الجنس (ذكر/أنثى):

للإجابة عن هذا السؤال استخدم الباحث اختبار (T-Test) لعينتين مستقلتين، وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة اختبار (ت) ومستوى الدلالة الإحصائية، وذلك لكل مجال من مجالات معايير الجودة وكذا الدرجة الكلية للمجالات ككل وذلك للتعرف على الفروق الإحصائية في تقديرات أفراد العينة وذلك بحسب متغير الجنس (ذكر/أنثى)، أظهرت نتائج الدراسة الآتي:

- أن مستوى دلالة الفروق في تقديرات عينة الدراسة لمدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام تبعاً لمتغير الجنس (ذكر/أنثى) باستخدام اختبار (T-Test) لجميع المجالات جاءت بمستوى دلالة (0.747) وهي أكبر من مستوى الدلالة المحددة ($\alpha \leq 0.05$)، مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة تعزى لمتغير الجنس (ذكر/أنثى). ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن جميع أفراد العينة تعيش في بيئة

واحدة، وخضعوا جميعهم لفرص تدريبية متساوية يدل عليه الاتفاق في آرائهم، ولهذا لم يؤثر متغير الجنس على مستوى تقديراتهم.

2- المسمى الوظيفي (مدير / وكيل):

للإجابة عن هذا السؤال استخدم الباحث اختبار (T-Test) لعينتين مستقلتين وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة اختبار (ت) ومستوى الدلالة الإحصائية، وذلك لكل مجال من مجالات معايير الجودة وكذا الدرجة الكلية للمجالات ككل وذلك للتعرف على الفروق الإحصائية في تقديرات أفراد العينة وذلك بحسب متغير المسمى الوظيفي (مدير / وكيل)، وأظهرت نتائج الدراسة الآتي:

- أن مستوى دلالة الفروق في تقديرات عينة الدراسة تبعاً لمتغير المسمى الوظيفي (مدير / وكيل) باستخدام اختبار (T-Test) للمجالات ككل جاءت بمستوى دلالة (0.002) وهي أصغر من مستوى الدلالة المحددة ($\alpha \leq 0.05$) ، مما يعني وجود فروق ذات دلالة إحصائية على مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة تعزى لمتغير المسمى الوظيفي (مدير / وكيل)، ولصالح فئة المدير ، إذ بلغت قيمة المتوسط الحسابي لتقديراتهم للمجالات ككل (3.8908) وهي أعلى من قيمة المتوسط الحسابي لتقديرات فئة الوكيل التي بلغت (3.6589) للمجالات ككل. يعزو الباحث هذه النتيجة، إلى كون هذه المجالات خارج نطاق إمكانيات الإدارات المدرسية بشقيها (المديرين / والوكلاء) إذ تحتاج هذه المجالات ليس إلى إرادة الإدارة وإدراكها لأهمية تطوير هذه المجالات فحسب بل إلى تدخلات المجتمع المحيط والإدارة العليا.

3- متغير المرحلة التعليمية (أساسي / ثانوي):

للإجابة عن هذا السؤال استخدم الباحث اختبار (T-Test) لعينتين مستقلتين وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة اختبار (ت) ومستوى الدلالة الإحصائية، وذلك لكل مجال من مجالات معايير الجودة وكذا الدرجة الكلية للمجالات

ككل وذلك للتعرف على الفروق الإحصائية في تقديرات أفراد العينة وذلك بحسب متغير المرحلة التعليمية (أساسي / ثانوي)، وأظهرت نتائج الدراسة الآتي:

- أن مستوى دلالة الفروق في تقديرات عينة الدراسة تبعاً لمتغير المرحلة التعليمية (أساسي / ثانوي) باستخدام اختبار (T-Test) لجميع المجالات جاءت بمستوى دلالة (0.218) وهي أكبر من مستوى الدلالة المحددة ($\alpha \leq 0.05$) ، مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة لمتغير المرحلة التعليمية (أساسي / ثانوي). ويعزو الباحث هذه النتيجة إلى ما تم تقديمه من إمكانات مادية وبشرية لجميع المدارس الثانوية تلبي احتياجات هذه المرحلة من التعليم بشرية ومادية بصورة لم تتوفر منذ سنوات، وبالمثل حصلت مدارس التعليم الأساسي وبشكل عام عن الاحتياجات التي تتلاءم مع هذه المرحلة من التعليم مما جعل البيئتين مشجعة للإدارة بصورة كبيرة وللطاقم التدريسي وللطلاب، وترجم ذلك عملياً كنتيجة في هذا البحث، إذ يتم تزويد المدارس بجميع احتياجاتها وبشكل مستمر وخاصة خلال العام الدراسي (2017/2018 ، 2018 / 2019).

4- متغير سنوات الخبرة (أقل من 5 سنوات، من 5 إلى أقل من 10 سنوات، من 10 سنوات فأكثر):

للإجابة عن هذا السؤال استخدم الباحث اختبار "تحليل التباين الأحادي" (One Way Anova) لمعرفة الفروق بين متوسطات ثلاث عينات مستقلة لمتغير الخبرة العملية (أقل من 5 سنوات/ من 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات/ 10 سنوات فأكثر)، وذلك لكل مجال من مجالات الدراسة والتي تقيس مدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام تبعاً لمتغير الخبرة العملية وكذا الدرجة الكلية للمجالات ككل، وأظهرت نتائج الدراسة أعلاه الآتي: أن مستوى دلالة الفروق في تقديرات عينة الدراسة لمدى توافر معايير الجودة في مدارس التعليم العام تبعاً لمتغير الخبرة العملية (أقل من 5 سنوات/ من 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات/ 10 سنوات فأكثر) باستخدام اختبار ((One Way Anova)) لمجالات الدراسة ككل جاءت بمستوى دلالة (0.210)

وهي أكبر من مستوى الدلالة المحددة ($\alpha \leq 0.05$) ، مما يعني عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات تقديرات عينة الدراسة تعزى لمتغير الخبرة العملية (أقل من 5 سنوات/ من 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات/ 10 سنوات فأكثر).

التوصيات

في ضوء النتائج التي أظهرتها الدراسة نوصي وزارة التربية والتعليم بما يأتي:

- 1 - بتطبيق معايير الجودة والاعتماد المدرسي، وإقرارها وفقاً وما تضمنه الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية حيث أثبتت توافر هذه المعايير بمدارس التعليم العام بمدينة المكلا بشكل خاص كبدائية لتطبيق معايير الجودة والاعتماد المدرسي.
- 2- نشر ثقافة الجودة والاعتماد المدرسي على مستوى صناع القرار، والمسؤولين، والعاملين بقطاع التعليم والطلاب والمجتمع ككل.
- 3- الاهتمام بتأهيل مديري مدارس التعليم العام الأساسي والثانوي في إدارة الجودة الشاملة وتعريفهم بأهمية تطبيق معايير الجودة لتحسين وتطوير مدارسهم.
- 4- استكمال إنشاء أقسام الجودة بالمديريات وفرقها في مدارس التعليم العام لتهيئة المدارس لتطبيق معايير الجودة.
- 5- توفير متطلبات تطبيق الاعتماد المدرسي لتهيئتها لتطبيق معايير الجودة.
- 6- تحسين علاقة المدرسة بالمجتمع المحلي والبحث عن مجالات شراكة حقيقية بينهما تضمن استقلالية المدارس في تأدية أدوارها الاجتماعية بكل حيادية.

المقترحات

الدراسة تناولت مفهوم تربوي حديث وهو معايير الجودة، باعتباره أحد المتغيرات الأساسية الذي له تأثير على قدرة المنظمة على النمو والاستمرار، وقد كانت نتائج الدراسة بحسب عينة البحث مشجعة فيوصي الباحث بالآتي:

1. إجراء دراسات مستقبلية عن مدى تحقق متطلبات معايير الجودة والاعتماد المدرسي في مدارس التعليم العام بمحافظة حضرموت ومحافظة أخرى.
2. إجراء دراسات مستقبلية عن درجة تحقق معايير الجودة والاعتماد المدرسي في مدارس التعليم العام الحكومي بمحافظة حضرموت في ضوء معايير الاعتماد للإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي بالجمهورية اليمنية.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، أنيس " المعجم الوسيط " مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن كرم، " لسان العرب " ، 1984م.
- أخواعة، علي محمد " نشأة الإدارة العامة للجودة والاعتماد بوزارة التربية والتعليم ، ورقة عمل مقدمة لمركز البحوث والتطوير التربوي" - عدن 2017م .
- أخواعة، علي محمد عبد الله "أثر اختلاف أنماط بيئات التدريب الإلكترونية التشاركية في تنمية المفاهيم والمهارات اللازمة لفرق الجودة والاعتماد بالجمهورية اليمنية واتجاهاتهم نحوه" 2016، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا للتربية بجامعة القاهرة .
- أرمسترنج ، ميشل. إذا كنت مديراً ناجحاً كيف تكون أكثر نجاحاً، (2001) الطبعة الأولى . (ترجمة : مكتبة جرير) مصر : دار الأفق .
- الاستراتيجية الوطنية للتعليم الحكومي 2015/2006.
- تقارير المجلس الأعلى للتخطيط بالجمهورية اليمنية 2013 .
- الجعدي ، سعيد عبد الله " درجة تحقيق متطلبات معايير الاعتماد المدرسي في المدارس الثانوية بمدينة المكلا في ضوء معايير مكتب التربية العربي لدول الخليج "2019
- جودة، محفوظ أحمد " إدارة الجودة الشاملة - مفاهيم وتطبيقات - " دار وائل للنشر، عمان الطبعة الرابعة 2009.
- حيدر، عبد اللطيف "تجويد التعليم بين التنظير والواقع مكتب التربية العربي لدول الخليج" 2016
- 1437/هـ .
- الدرادكة، مأمون و شلبي، طارق" الجودة في المنظمات الحديثة " دار الصفاء للنشر والتوزيع عمان، طبعة الأولى 2002 .
- الرازي، زين الدين أبي بكر بن عبد القادر " مختار الصحاح

السامرائي، مهدي "إدارة الجودة الشاملة في القطاعين الإنتاج والخدمي " دار جرير للنشر والتوزيع، عمان طبعة أولى 2007.

الطائي، يوسف حجيم وآخرون " نظم إدارة الجودة في المنظمات الإنتاجية والخدمية" دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

العتيبي، محسن بن نايف " استراتيجية نظام الجودة في التعليم " الطبعة الأولى 2007.
العزاوي، محمد عبد الوهاب " إدارة الجودة الشاملة " دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، طبعة 2005 .

عقيلي، عمر وصفي " مدخل إلى المنهجية المتكاملة لإدارة الجودة الشاملة (وجهة نظر)" دار وائل للنشر ، عمان ، الطبعة الأولى 2001 .

عليان، صالح ناصر "إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية - التطبيق ومقترحات التطوير " 2004 .

الفراص ، محمد أحمد " مدى تطبيق نظام الاعتماد المدرسي في المرحلة الثانوية بالجمهورية اليمنية (تطبيقاً على محافظة اب) " 2018م

قادة ،يزيد " واقع تطبيق الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم الجزائرية " 2012م

القانون العام للتعليم في الجمهورية اليمنية رقم (45) سنة 1992م المادة (19)
مشروع الإطار المرجعي لبرنامج التطوير المدرسي مايو 2013م .

موزاوي سامية ، رسالة ماجستير بعنوان " مكانة تسيير الموارد البشرية ضمن معايير الإيزو وإدارة الجودة الشاملة " كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، الجزائر دفعة 2004/2003

Daniel Duret, Maurice Pillet : qualite en production : de Iso9000a Six sigma ,
2eme edition , edition d organization,paris 2002

Seddiki Abdallah : Management de la qualite " De 1' inspection a 1' esprit
kaizen , opu , 2004

Simon,H.,(1957) Administrative Behavior, New York : Macmillan
Company.

Terfaya Nassima:"Demarche qualite dans 1entreprise et1analyse des risqué .Ed
Houma' Ager2004

سلطات الإدارة العامة في تعديل وإنهاء العقود الإدارية

د. نافع عبد القوي علي العلفي.

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون - جامعة العلوم والتكنولوجيا - مأرب - اليمن.

nafaalolofi@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/9/20 تاريخ قبول البحث 2025/11/17

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.266>

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة سلطات الإدارة العامة في تعديل وإنهاء العقد الإداري في اليمن، وفق قانون المناقصات والمزايدات ولائحته التنفيذية، وتحليل مدى حماية حقوق المتعاقد والرقابة القضائية على القرارات الإدارية. تعتمد الدراسة على منهج التحليل القانوني المقارن مع التجارب (مصر، وفرنسا)، بالإضافة إلى مراجعة الأحكام القضائية اليمنية وتطبيقاتها العملية. تناول البحث مفهوم العقد الإداري وخصائصه، والأسس القانونية للسلطة التقديرية في التعديل والإنهاء، مع إبراز الضمانات القانونية والقضائية للمتعاقد. أظهرت النتائج أن النصوص اليمنية تمنح الإدارة سلطات واسعة لكنها عامة وغير مفصلة، مع ضعف الرقابة القضائية الموضوعية، مما يؤدي إلى فجوة بين النص والتطبيق. كما كشفت الممارسة الإدارية عن حالات تعسف محتملة وانتهاك للتوازن المالي للعقد. بناءً على ذلك، قدم البحث توصيات إصلاحية تشمل تحديد حالات التعديل والإنهاء، توثيق الإجراءات، تقدير التعويض المالي، وتفعيل الرقابة القضائية، بهدف حماية حقوق المتعاقد وتحقيق المصلحة العامة. تُسهم هذه الدراسة في سد الفجوة العلمية في اليمن وتقديم إطار عملي لتحسين التشريع والممارسة الإدارية.

الكلمات المفتاحية: الإدارة العامة، العقد الإداري، التعديل، الإنهاء، المصلحة العامة، حقوق المتعاقدين، القانون اليمني.

Public Administration Powers in Amending and Terminating Administrative Contracts

Dr. Nafa Abdualqwi Ali Alolofi

Assistant Professor at the Faculty of Sharia and Law – University of
Science and Technology – Marib – Yemen.

Abstract:

This study examines the powers of public administration to amend and terminate administrative contracts in Yemen, under the Yemeni Public Tenders and Auctions Law and its executive regulations, and evaluates the protection of contractors' rights and judicial oversight of administrative decisions. The study employs a comparative legal analysis drawing on the experiences of Egypt and France, and reviews Yemeni judicial rulings and practical applications. It addresses the concept and characteristics of administrative contracts, the legal basis for discretionary powers in amendment and termination, and the legal and judicial safeguards for contractors. The findings indicate that Yemeni legislation grants broad administrative powers but lacks detailed provisions, with limited substantive judicial oversight, creating a gap between theory and practice. Administrative practices show potential for abuse and imbalance in the financial equilibrium of the contract. Accordingly, the study proposes reform measures, including defining cases of amendment and termination, documenting procedures, determining financial compensation, and enhancing judicial oversight, aiming to protect contractor rights and serve the public interest. This research contributes to filling the scientific gap in Yemen and provides a practical framework for improving legislation and administrative practices.

Keywords: administrative contract, amendment, termination, public interest, contractors' rights, Yemeni law.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد؛

يمثل العقد الإداري أداة أساسية تمكّن الإدارة العامة من تنفيذ المشروعات والخدمات ذات الصلة بالمصلحة العامة، وهو ما يقتضي بطبيعته منحه طبيعة خاصة تسمح بتعديل شروطه أو إنهائه كلما دعت الضرورة إلى ذلك، إلا أن هذه السلطة الاستثنائية، وإن كانت تستند إلى اعتبارات المرفق العام، قد تُثير إشكالات جوهرية تتعلق بحدود ممارستها والضمانات الممنوحة للمتعاقد الخاص، ولا سيما في ظل غياب التفسير القضائي المستقر في اليمن وتباين التطبيقات العملية لجهات التعاقد. وتتبع أهمية هذا البحث من الحاجة الملحة إلى تطوير الإطار القانوني المنظم لسلطات الإدارة العامة في تعديل العقد الإداري وإنهائه في اليمن، في ظل توسع مشاريع إعادة الإعمار وتنامي حجم العقود الحكومية. وتبرز مشكلة البحث في أنّ قانون المناقصات والمزايدات اليمني رقم (23) لسنة 2007م، لم يُفصّل بصورة واضحة نطاق سلطة الإدارة في تعديل العقد أو إنهائه، كما لم يحدّد المعايير التي تضبط هذه السلطات الاستثنائية وتوازن بين مقتضيات المنفعة العامة وحقوق المتعاقد. وقد أدّى ذلك إلى توسّع بعض الجهات الإدارية في استخدام هذه السلطات، وأثره السلبي على الثقة بالتعاقدات الحكومية، وعلى جودة تنفيذ المشروعات العامة.

مشكلة البحث: تتمحور المشكلة حول التساؤل الرئيسي التالي:

ما مدى تنظيم القانون اليمني لسلطات الإدارة العامة في تعديل وإنهاء العقد الإداري؟ وهل يوفر هذا التنظيم ضمانات كافية لحماية حقوق المتعاقدين وتحقيق التوازن المالي للعقد بين المصلحة العامة وحقوق الأفراد؟

أهمية البحث:

(1) الأهمية العلمية: وذلك من خلال:

- (أ) سدّ الفجوة العلمية في الدراسات القانونية اليمنية لعام 2020م حول سلطات الإدارة العامة في تعديل العقد الإداري، وتشخيص نقاط القصور التشريعي والتطبيقي.
- (ب) تقديم تحليل نقدي موثق للقوانين اليمنية مقارنة بالتشريعات الأخرى.

(2) الأهمية العملية: بتوفير توصيات عملية لتطوير التشريع والرقابة القضائية على العقود الإدارية

أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى ما يلي:

(1) تحديد الأساس القانوني لسلطات الإدارة في تعديل العقد الإداري وإنهائه وفق قانون المناقصات اليمني ولائحته التنفيذية.

(2) بيان الحدود الموضوعية والإجرائية التي يجب أن تلتزم بها الإدارة عند ممارسة هذه السلطات.

(3) إجراء دراسة مقارنة مع بعض التشريعات الأكثر تطوراً في القضاء الإداري لاستخلاص معايير أفضل للموازنة بين السلطة التقديرية وحماية الحقوق التعاقدية.

(4) تقديم مقترحات تشريعية لتطوير النظام القانوني اليمني في مجال تعديل وإنهاء العقد الإداري.

الدراسات السابقة: نظراً لنقص الدراسات السابقة المتعلقة بسلطات الإدارة في العقود الإدارية محدودة للغاية، الأمر الذي فرض على الباحث الاستعانة بالدراسات المصرية والفرنسية، مع محاولة إسقاط النتائج على الواقع اليمني قدر الإمكان، وقد تم تعويض غياب الدراسات اليمنية بتوسيع التحليل النصي والأحكام القضائية الم

حدود البحث: تتمثل في:

الحدود الموضوعية: دراسة سلطات الإدارة في التعديل والإنهاء دون غيرها من مراحل التعاقد الإداري.

الحدود الزمانية: دراسة النصوص النافذة حتى عام 2024 وما صدر بشأنها من أحكام.

الحدود المكانية: نطاق تطبيق القانون اليمني للمناقصات والمزايدات في واقع القضاء اليمن مع المقارنة بالقانون المصري والفرنسي.

منهج البحث وإجراءاته: يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، من خلال:

تحليل النصوص القانونية اليمنية، وخاصة قانون المناقصات والمزايدات رقم (23) لسنة 2007 م. إضافة إلى دراسة الفقه القضائي اليمني والمصري والفرنسي المتعلقة بسلطات الإدارة في تعديل وإنهاء العقود الإدارية.

خطة البحث: تضمن خطة البحث على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة
المطلب الأول: ماهية العقد الإداري

المطلب الثاني: سلطة الإدارة العامة في تعديل العقد الإداري وموقف القانون اليمني

المطلب الثالث: سلطة الإدارة العامة في إنهاء العقد الإداري وموقف القانون اليمني

المطلب الأول: ماهية العقد الإداري ويشتمل على أربعة فروع

الفرع الأول: مفهوم العقد الإداري.

الفرع الثاني: أهمية العقد الإداري

الفرع الثالث: خصائص العقد الإداري

الفرع الرابع: الأساس القانوني لسلطات الإدارة العامة في العقود الإدارية، وموقف التشريعات اليمنية

الفرع الأول: مفهوم العقد الإداري

يُعرف العقد الإداري: بأنه - العقد الذي يبرمه شخص معنوي من أشخاص القانون العام بقصد تسيير مرفق عام أو تنظيمه، وتظهر في نية الإدارة في الأخذ بأحكام القانون العام، مع تضمينه شروطاً استثنائية وغير مألوفة في القانون الخاص أو يخول المتعاقد مع الإدارة الاشتراك مباشرة في تسيير المرفق العام⁽¹⁾. ويختلف الفقه في وضع تعريف جامع مانع للعقد الإداري، لكن غالبية الفقهاء اشترطوا في العقد الإداري توافر ثلاثة عناصر، وهي:

(1) أن تكون الإدارة أحد أطراف العقد.

(2) أن يرتبط العقد بتسيير مرفق عام أو تنظيمه أو تحقيق مصلحة عامة.

(1) انظر؛ الأسس العامة للعقود الإدارية: 23.

(3) أن تختار الإدارة وسائل القانون العام، بأن يتضمن شروطاً استثنائية غير مألوفة في عقود القانون الخاص.

وفي الفقه العربي، أخذت معظم التشريعات بذات المعايير مع بعض الاختلافات، حيث يُعتبر العقد إدارياً بمجرد ارتباطه بالمصلحة العامة حتى دون النص على شروط استثنائية، كما هو الحال في مصر (1).

الفرع الثاني: أهمية العقد الإداري: تكمن في أنه:

(1) يتيح للإدارة تنظيم العلاقة مع المقاولين بمرونة بما يحقق استمرارية المشاريع العامة.

(2) يوفر إطاراً قانونياً لحماية المال العام وضمان تنفيذ التزامات الطرف الخاص.

(3) يشكل أداة لتقليل النزاعات، إذا ما تم تنظيمه بوضوح وفق الضوابط القانونية.

ورغم هذه الأهمية، تشير الممارسة العملية في اليمن إلى غياب واضح في النصوص، خصوصاً فيما يتعلق بسلطات التعديل والإنهاء، مما أدى إلى حالات تعسف إداري وضعف حماية حقوق المتعاقدين (2).

الفرع الثالث: خصائص العقد الإداري: يمتاز العقد الإداري عن غيره من العقود المدنية والتجارية الخاضعة للقانون الخاص بعدة خصائص:

(1) الطابع التنظيمي والارتباط بالمصلحة العامة: أي تدخل يجب أن يكون مبرراً بالمصلحة العامة الملحة

(2) الإلزامية التنفيذية: العقود الإدارية ملزمة للطرفين، مع تفويض الإدارة لسلطة التعديل وفق الضوابط القانونية.

(3) الشروط الاستثنائية: تمنح الإدارة في العقود الإدارية سلطات خاصة وشروط غير مألوفة في العقود المدنية كسلطة تعديل شروط العقد أو فسخه بإرادتها المنفردة متى اقتضت المصلحة العامة ذلك (3).

(1) انظر؛ العقد الإداري وأحكام التعديل: 17.

(2) انظر: الأسس العامة للعقود الإدارية: 55؛ الإدارة العامة والعقود الإدارية: 32.

(3) انظر: الإدارة العامة والعقود الإدارية: 39.

4) الطبيعة القضائية الخاصة: يحق للمتعاقد الطعن أمام القضاء الإداري المختص عند التعسف أو الإخلال بالتوازن العقدي⁽¹⁾.

الفرع الرابع: الأساس القانوني لسلطات الإدارة العامة في العقود الإدارية، وموقف التشريعات اليمنية من ذلك:

أولاً: الأساس القانوني لسلطات الإدارة العامة في العقود الإدارية.

تستند سلطات الإدارة في العقود الإدارية إلى أساسين رئيسيين هما:

1) الأساس القانوني: يمنح قانون المناقصات والمزايدات صلاحيات للإدارة العامة لتعديل بنود العقود أو إنهائها عند الضرورة، مع وضع ضوابط واضحة لتفادي أي تجاوزات أو تعسف في استخدام السلطة. على سبيل المثال، يجوز تعديل العقد لتلبية متطلبات جديدة أو لتفادي الخسائر الناجمة عن ظروف طارئة لم تكن متوقعة عند التعاقد.

2) الأساس المصلحي: ترتبط هذه السلطة بالمصلحة العامة التي تقتضي أحياناً إعادة النظر في العقود الإدارية لضمان استمرار المرافق والخدمات. فالهدف من منح الإدارة هذه السلطات هو تحقيق التوازن بين فعالية الإدارة وحقوق الأطراف المتعاقدة⁽²⁾.

ثانياً: موقف التشريعات اليمنية بشأن الأساس القانوني لتنظيم العقود الإدارية:

يستند النظام القانوني للعقود الإدارية في اليمن إلى عدة مصادر:

1) الدستور اليمني: ينص في المادة (18) على أن الموارد العامة تُدار بما يحقق المصلحة العامة، وهو ما يبرر تدخل الإدارة بعقودها لتحقيق أهداف المرافق العامة⁽³⁾.

2) قانون المناقصات والمزايدات رقم (23) لسنة 2007: يمثل الإطار التشريعي الرئيسي للعقود الإدارية، حيث نظم إجراءات إبرام العقود، أسس الشفافية والتنافس، وضوابط التعديل والفسخ⁽⁴⁾.

(1) انظر: العقد الإداري وأحكام التعديل: 56؛ خصائص العقود الإدارية : 23.

(2) انظر: العقد الإداري وأحكام التعديل: 61؛ خصائص العقود الإدارية: 52

(3) دستور الجمهورية اليمنية: م18.

(4) قانون المناقصات والمزايدات الجمهورية اليمنية: م30 وما بعدها.

(3) اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمزايدات: صدرت بالقرار الجمهوري لتفصيل إجراءات التطبيق، وحددت نسب التعديل المسموح بها، وآليات موافقة اللجان المختصة⁽¹⁾.

(4) القوانين المكملّة: مثل قانون الخدمة المدنية، قانون المالية العامة، وقانون المرافعات، التي تسهم في تنظيم المنازعات وتحديد آليات الرقابة على العقود العامة. ومن خلال استقرار وتحليل النصوص الدستورية والقانونية ذات الصلة بالموضوع والتطبيقات القضائية اليمنية، يتضح جلياً أن العقد الإداري في اليمن له أساس دستوري وقانوني، إلا أنها:

- (1) لا تُفصل حالات التعديل أو الإنهاء تفصيلاً دقيقاً.
 - (2) تسمح بقدر من السلطة التقديرية دون تحديد حدود واضحة.
 - (3) تكتفي بالإشارة إلى المصلحة العامة دون تحديد معايير قابلة للتطبيق.
- كما يُلاحظ أن غياب النصوص التفصيلية أدى إلى ممارسات غير متسقة، مما يؤكد الحاجة إلى تحليل نقدي مقارنة بين النصوص القانونية والتطبيق القضائي في اليمن. إضافة إلى أن المراجع اليمنية المتاحة تشير إلى أن هذه النصوص تعكس المبادئ العامة للعقد الإداري، لكنها لم توضح كيفية حماية المتعاقد من قرارات التعسف، مقارنة بالتشريعات المصرية والفرنسية.

خلاصة لما سبق: يتضح من هذا الإطار النظري أن العقد الإداري في اليمن يتمتع بالأسس القانونية العامة، لكنه يفتقر إلى الضوابط التفصيلية المتعلقة بالسلطات الاستثنائية، مما أدى إلى فجوة بين النص والتطبيق. ويؤكد هذا المطلب الحاجة إلى دراسة تحليلية دقيقة لممارسة الإدارة لسلطاتها في تعديل وإنهاء العقد الإداري، مع تقييم فعالية الرقابة القضائية وضمان حقوق المتعاقدين، وهو ما سيكون موضوعنا في المطالب التالية.

(1) لائحة قانون المناقصات، الجمهورية اليمنية: م26.

المطلب الثاني: سلطة الإدارة العامة في تعديل العقد الإداري وموقف القانون اليمني منه ويشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الطبيعة القانونية لسلطة الإدارة في تعديل العقد الإداري

الفرع الثاني: شروط استعمال الإدارة لسلطة تعديل العقد الإداري

الفرع الثالث: موقف المشرع اليمني من سلطة الإدارة في تعديل العقد الإداري

الفرع الأول: الطبيعة القانونية لسلطة الإدارة في التعديل: إن طبيعة العقود الإدارية بحكم اتصالها بالمرافق العامة وقيامها على فكرة استمرار هذه الأخيرة تقتضي حصول تغيير في ظروف العقد وملابساتها وفي طريق تنفيذه تبعاً لمقتضيات حسن سير المرفق بانتظام وإطراد، الأمر الذي يعني منح الجهة الإدارية سلطة في تعديل العقد تبعاً لتلك التغييرات⁽¹⁾. ورغم الخلاف بشأن فكرة سلطة الإدارة في تعديل عقودها الإدارية بإرادتها المنفردة، فقد لاقت هذه السلطة قبول لدى الفقه والقضاء الإداريين، وأصبحت الإدارة تفرض بإرادتها المنفردة على المتعاقد معها تغيير أحد شروط العقد كمدته أو أوضاع تنفيذه أو كمية الأعمال المراد تنفيذها، ودون أن يعتد بقاعدة العقد شريعة المتعاقدين، وبالتالي منح الجهة الإدارية هذه السلطة كلما دعت مقتضيات حسن سير المرافق العامة بانتظام وإطراد تبعاً للتغيرات التي تطرأ بعد انعقاد العقد خاصة وأن سلطة التعديل سلطة قائمة حتى ولو لم ينص عليها في العقد أو حتى مع النص على منع استعمال هذه السلطة⁽²⁾.

الفرع الثاني: شروط استعمال الإدارة لسلطة تعديل العقد الإداري: إن سلطة الإدارة في تعديل العقد وإن كانت سلطة أصلية وثابتة دون حاجة إلى النص عليها إلا أنها ليست طليقة من كل قيد، بل فرضت عليها عدة شروط ومبادئ تحد من سلطة الإدارة وهي بصدد استعمال سلطتها في التعديل، أهمها:

(1) انظر: العقود الإدارية: 87؛ العقود الإدارية: 69.

(2) انظر: خصائص العقود الإدارية: 57؛ الإدارة العامة والعقود الإدارية: 84.

(1) احترام القواعد العامة للمشروعية الإدارية: يجب على الإدارة في الأحوال التي يجوز لها تعديل العقد أن تحترم مبدأ المشروعية، إذ لا بد أن يصدر قرار التعديل من سلطة مختصة به وفق الصيغة التي حددها القانون، وينبغي أن يكون قرارها موافقاً للأنظمة النافذة. وقد استقرت أحكام القضاء الإداري على أن الإدارة لا يحق لها إجراء أي تعديل في شروط العقد إلا إذا اقتضت ذلك المصلحة العامة، فللإدارة حق تعديل شروط العقد وإضافة شروط جديدة بما يترأى لها أكثر اتفاقاً مع الصالح العام أو كلما اقتضت المصلحة العامة ذلك ⁽¹⁾.

(2) اقتصار التعديل على شروط العقد المتصلة بتسيير المرفق العام وحاجاته: أن طبيعة احتياجات المرفق المتغيرة باستمرار هي التي تقضي بتعديل بعض نصوص العقد، ويجب أن لا يمس هذا التعديل النصوص المتعلقة الامتيازات المالية لأن هذا الأمر سيؤدي حتماً إلى عزوف الأفراد عن التعاقد مع الإدارة.

وقد قضت محكمة القضاء الإداري المصري "أن سلطة الإدارة في التعديل ليست مطلقة، بل يرد عليها قيود منها أنها تقتصر على نصوص العقد المتعلقة بتسيير المرفق وحاجاته ومقتضياته، إلا في أحوال معينة استثنتها الشروط العامة الملحقة بالعقود الإدارية في بعض الدول وأجازت تعديل أجور السلع وأسعارها في عقود التزام المرافق العامة مع الأخذ بالحسبان التوازن المالي للعقد.

كما يشترط أن تكون تلك التعديلات في حدود معقولة على أساس مداها بحيث لا تؤدي إلى فسخ العقد الأصلي أو تبدل موضوعه أو تضع العقوبات في طريق تنفيذ العقد ⁽²⁾.

(3) الالتزام بموضوع العقد: لا يجوز أن يؤدي التعديل إلى تغيير طبيعة العقد، فلا يجوز للإدارة أن تجري من التعديلات ما يجعل المتعاقد أمام عقد جديد ففي هذه الحالة يكون للمتعاقد أن يطلب فسخ العقد ويمتنع عن التنفيذ.

(1) انظر: مبادئ القانون الإداري: 98؛ العقود الإدارية: 90.

(2) انظر: الأساس القانوني لحق الإدارة في تعديل العقد الإداري: 110.

وقد جرى القضاء الإداري في فرنسا على عدم جواز تعديل نصوص العقد الأساسية على أساس أن الشروط غير قابلة للتعديل، إذ أن ذلك يستلزم أخذ موافقة الطرف الثاني وإقالة العقد القديم وإنشاء عقد جديد متى توافرت عناصره⁽¹⁾.

الفرع الثالث: موقف المشرع اليمني من سلطة الإدارة في تعديل العقود الإدارية

أولاً: أساس سلطة التعديل في القانون اليمني: لقد نظم قانون المناقصات والمزايدات والمخازن الحكومية رقم (23) لسنة 2007 م في المواد (5، 27، وما بعدها) ولائحته التنفيذية، موضوع تعديل العقود الإدارية وحدود نسبة التعديل باعتباره من المسائل الجوهرية المرتبطة بمبدأ استمرارية المرفق العام. فقد نص القانون على أن الجهات الإدارية تستطيع، في حدود معينة، إصدار أوامر تغيير في العقود المبرمة سواء بالزيادة أو النقصان، شريطة أن تكون هذه التعديلات مبررة ومرتبطة بمتطلبات المصلحة العامة⁽²⁾. ويستفاد من قراءة نصوص القانون أن المشرع اليمني قد منح الإدارة سلطة تعديل العقود، ولكن ضوابط إجرائية قد تحد من تعسف الإدارة، أهمها:

- (1) ضرورة أن يكون التعديل بموجب قرار صادر عن الجهة المختصة (اللجنة العليا أو المناقصة الفرعية).
- (2) أن يتم التعديل لأسباب فنية أو مالية تقتضيها طبيعة المشروع أو متطلبات الخدمة العامة.
- (3) أن يخضع أي تعديل لإجراءات اعتماد رسمية وتوثيق في ملحق العقد.
- (4) احترام المصلحة العامة: لا يجوز التعديل إلا إذا اقتضته مصلحة جوهرية للمرفق العام.
- (5) عدم المساس بجوهر العقد: بحيث يظل موضوع العقد هو نفسه دون أن يتحول إلى عقد جديد.

(1) انظر: العقد الإداري وأحكام التعديل: 70؛ خصائص العقد الإداري: 53.

(2) قانون المناقصات، الجمهورية اليمنية، 2007.

(6) التعويض العادل للمتعاقد: وذلك عبر مراجعة الأسعار أو تعديل مدة التنفيذ بما يتناسب مع الأعباء الجديدة.

(7) ألا يتجاوز حدود النسبة القانونية: لا يجوز تجاوز النسبة المقررة في القانون (20%).

ونلاحظ أن المشرع اليمني هذا حذو العديد من التشريعات العربية، كالقانون المصري الذي أجاز للإدارة تعديل العقود الإدارية في حدود معينة (25%) مع تعويض المتعاقد⁽¹⁾.

ونستخلص مما سبق - أن هذا التنظيم يعكس رغبة المشرع في إقرار مبدأ مرونة الإدارة عند قيامه بأي إجراء لتعديل العقد، بوضع ضمانات شكلية للحد من التعسف. ثانياً: **حدود التعديل وإجراءاته وفق اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات**: جاءت اللائحة التنفيذية لقانون المناقصات والمزايدات لتفصل الضوابط العملية للتعديل. فنصت على أن: للجهة الإدارية إصدار أوامر تغيير بالزيادة أو النقصان في كميات الأعمال أو المواصفات.

حددت نسبة الزيادة أو النقصان المسموح بها في نطاق (20%) من القيمة الأصلية للعقد، ويشترط أن يتم التعديل بموافقة مسبقة من اللجنة المختصة إذا تجاوزت هذه النسبة⁽²⁾.

كما يجب أن يُثبت التعديل في ملحق عقدي يوقع عليه الطرفان ويعتمد من الجهة المختصة.

لا يجوز أن يؤدي التعديل إلى تغيير جوهر العقد بما يجعله مختلفاً عن موضوع المناقصة الأصلي، حفاظاً على مبدأ المساواة بين المتنافسين.

(1) قانون المناقصات المصري رقم 182 لسنة 2018 : م 51.

(2) انظر: الوجيز في القانون الإداري: 66.

وتؤكد هذه النصوص أن المشرع اليمني استلهم التجربة الفرنسية والمصرية في ضبط حدود التعديل، حيث سمح للإدارة بمرونة نسبية ($\pm 20\%$)، لكنه ألزمها بآلية رقابية داخلية عبر لجان المناقصات لضمان الشفافية⁽¹⁾.

كما نلاحظ أن اللائحة التنفيذية نصت على إمكانية تعديل مواعيد التسليم، الكميات، أو شروط الأداء المالي وفق ظروف غير متوقعة. إلا أن هذه النصوص عامة في طبيعتها، ولا تحدد:

(1) ما هي "الظروف الاستثنائية" التي تبرر التعديل.

(2) كيفية تحديد أثر التعديل على التوازن المالي للعقد.

(3) معايير التعويض للمتعاقد المتضرر.

وبالمقارنة مع التشريع المصري والفرنسي يتضح فيهما تحديد حالات التعديل بدقة، ويلزم الإدارة بتوضيح أسباب التعديل كتابةً، وتقدير التعويض المناسب للمتعاقد.

ثالثاً: أثر التعديل على التوازن العقدي: من المبادئ المستقرة في العقود الإدارية أن سلطة الإدارة في التعديل يجب أن تقابلها ضمانات إعادة التوازن المالي للعقد. فقد نصت اللائحة التنفيذية على أن أي تعديل يترتب عليه زيادة في التكاليف أو الأعباء المالية يجب أن يقابله تعديل في السعر أو التعويض المناسب للمتعاقد⁽²⁾.

ويُفهم من ذلك أن المشرع اليمني قد أقر صراحةً مبدأ إعادة التوازن المالي، وهو مبدأ مستمد من القضاء الإداري الفرنسي، وبذلك لا يحق للإدارة تحميل المتعاقد أعباء إضافية ناتجة عن تعديل العقد دون تعويضه، وإلا عد ذلك إخلالاً بمبدأ العدالة التعاقدية.

رابعاً: نطاق السلطة التقديرية للإدارة: تمارس الإدارة سلطاتها التقديرية وفق المصلحة

العامة الملحة، لكنها ليست مطلقة، ويحدد الفقه القانوني بعض الضوابط:

(1) أن يكون التعديل ضرورياً لاستمرار العقد دون إخلال بالمصلحة العامة.

(1) انظر: المرجع السابق: 74.

(2) انظر: الوجيز في القانون الإداري: 76.

(2) أن لا يتجاوز التعديل حدود العقد الأساسي أو يغيّر الجوهر الاقتصادي له.

(3) أن يصاحب التعديل إعلام المتعاقد وإتاحة فرصة للتظلم أو المراجعة.

خامساً: موقف القضاء من سلطة الإدارة في تعديل العقد الإداري

أ) القضاء اليمني: قضت المحكمة العليا - الدائرة الإدارية - في الطعن رقم 116 لسنة 1436 هـ - بأن: تعديل الجهة الإدارية لشروط العقد المبرم مع المقاول بزيادة الأعمال المطلوبة يدخل في صميم سلطاتها التنظيمية، شريطة أن يكون التعديل مبرراً بالمصلحة العامة وأن يتم تعويض المقاول عن الكلفة الزائدة وفق الأسعار التعاقدية، وإلا اعتبر التعديل إخلالاً بالتوازن المالي للعقد.

ب) القضاء المصري: قضت المحكمة الإدارية العليا المصرية (طعن رقم 654 لسنة 46 ق عليا، جلسة 2003/28/6) بأن: للإدارة سلطة تعديل شروط العقد الإداري بإرادتها المنفردة، إذا اقتضت المصلحة العامة ذلك، على أن يلتزم المتعاقد بتنفيذ التعديلات ويُعوض عن الأعباء المالية المترتبة⁽¹⁾.

ج) القضاء الفرنسي: كرّس مجلس الدولة الفرنسي في قضية *Compagnie Générale Française des Tramways* سنة 1910 مبدأ سلطة الإدارة في تعديل شروط العقد لتحقيق استمرارية المرفق العام، والتزامها بتعويض المتعاقد، مراعاةً لإعادة التوازن المالي للعقد.

ونستخلص من هذه الأحكام وما استقر في القضاء أن الرقابة القضائية على ما تقوم به الإدارة يمثل ضماناً أساسية لحماية حقوق المتعاقدين من تعسف الإدارة في تعديل شروط العقد وتحميله أعباء مالية دون مبرر، مما يستلزم إلزامها بالتعويض المناسب تحقيقاً لمبدأ التوازن المالي، وكفالة لاستمرارية خدمة المرفق العام.

على الرغم من النصوص القانونية، فإن الممارسة القضائية في اليمن تشير إلى وجود فجوة بين النص القانوني والتطبيق العملي، منها أن بعض الجهات الإدارية تُجري التعديلات دون إشعار المتعاقد، إضافة إلى عدم وجود تقييم مسبق لتأثير التعديل على

(1) انظر: الوجيز في القانون الإداري: 154؛ العقود الإدارية بين التشريع والقضاء في اليمن: 85.

التوازن المالي للعقد. كما أن القضاء اليمني ركّز على عيوب الإجراءات الشكلية دون دراسة موضوعية للملاءمة، مقارنة بالممارسات القضائية في مصر وفرنسا، حيث يُراجع القضاء الأسباب ومدى التناسب مع المصلحة العامة. وهذا يظهر أن التحدي الرئيسي يكمن في التطبيق، وليس النصوص وحدها. ومن هنا تتبّع ضرورة تحديد حالات التعديل، وتوثيق القرار، وإلزام الإدارة بتقدير التعويض المناسب، وتفعيل الرقابة القضائية.

المطلب الثالث: سلطة الإدارة العامة في إنهاء العقد الإداري وموقف القانون اليمني منه، ويشمل خمسة فروع

الفرع الأول: الأساس القانوني لسلطة الإدارة في إنهاء العقد الإداري:

الفرع الثاني: أهمية التوازن بين المصلحة العامة وحقوق المتعاقدين في العقود الإدارية

الفرع الثالث: موقف القانون اليمني من الأساس القانوني لسلطة الإدارة العامة في إنهاء العقود

الفرع الرابع: الضمانات القانونية والقضائية للمتعاقد

الفرع الخامس: الحلول المقترحة لتلافي القصور التشريعي والقضائي

الفرع الأول: الأساس القانوني لسلطة الإدارة في إنهاء العقد الإداري:

لقد اختلف الفقهاء في تحديد الأساس القانوني لسلطة الإدارة في إنهاء عقودها الإدارية دون خطأ. فمنهم من يرى: أن حق الفسخ الانفرادي هو امتداد طبيعي لسلطة الإدارة في التعديل الانفرادي. بينما يرى آخرون: أن حق الإدارة في فسخ عقودها الإدارية بإرادتها المنفردة هو مبدأ مقرر بواسطة القضاء، إلا أنه يضيف إلى ذلك أن هذه السلطة تختلف عن سلطة التعديل الانفرادي فلكل منها نطاقها المستقل إذ أن التعديل معناه أن يفرض على المتعاقد تقديم أشياء أو أداء أعمال لم ينص عليها في العقد في حين يشمل الإنهاء كل حذف جزئي أو كلي للالتزامات المتعاقد دون أن يطلب منه تقديم بديل عنها.

وهناك رأي ثالث : يرى أن سلطة الإدارة في إنهاء العقد إنما تقوم على ضرورات المرافق العامة التي تستلزم إنهاء العقود التي لم تعد نابعة أو متماشية مع المصلحة العامة، ومن غير المعقول أن يصبح العقد حائلاً دون تحقيق أهداف الإدارة وتأمين المنفعة العامة. وقد أيد هذا الاتجاه جمع كبير من الفقهاء العرب⁽¹⁾.

وبمكنا القول باعتبار سلطة الإنهاء الانفرادي للعقد من قبل الإدارة صورة من صور التعديل، وأن ذلك لا يحول دون التسليم بأن سلطة الإدارة في إنهاء العقد الإداري بإرادتها المنفردة هي صورة خاصة لها نظام قانوني متميز⁽²⁾.

الفرع الثاني : أهمية التوازن بين المصلحة العامة وحقوق المتعاقدين في العقود الإدارية : يعتبر الفقه أن التوازن بين المصلحة العامة وحقوق المتعاقدين هو الأساس لضمان شرعية القرارات الإدارية، حيث يُمكن الإدارة من تحقيق أهداف المرفق العام، وفي الوقت ذاته حماية حقوق الأطراف المتعاقدة⁽³⁾، وبذلك لضمان التوازن يجب على الإدارة اتباع الإجراءات المناسبة لتحقيقه ومنها :

- (1) تعزيز الشفافية: من خلال وضع آليات واضحة لإبلاغ المتعاقدين بأي تعديل أو إنهاء للعقد بتحديد مواعيد زمنية واضحة للإخطارات الرسمية.
- (2) وضع ضوابط قانونية صارمة: لتحديد الحالات التي يجوز فيها تعديل أو إنهاء العقد، والالتزام بالإجراءات الرسمية المحددة في القانون.
- (3) تعزيز الرقابة القضائية: تسهيل الوصول إلى القضاء الإداري للطعن في أي قرار تعسفي.

- (4) تطبيق التعويض العادل: لضمان حصول المتعاقدين على تعويض مناسب عند التعديلات أو الإنهاء التي تؤثر على مصالحهم عند عدم الإخلال من قبلهم، بما يعزز التوازن بين المصلحة وحقوق الأفراد⁽⁴⁾.

(1) انظر: الأسس العامة للعقود الإدارية: 132؛ القانون الإداري: 78.

(2) انظر: الأسس العامة للعقود الإدارية: 135.

(3) انظر: خصائص العقد الإداري: 62.

(4) انظر: المراجع السابقة، والعقود الإدارية: 121.

الفرع الثالث: موقف القانون اليمني من الأساس القانوني لسلطة الإدارة العامة في إنهاء العقود:

أولاً : موقف القانون اليمني من الأساس القانوني لسلطة الإدارة العامة في إنهاء العقود: تستند سلطة الإدارة في إنهاء العقد الإداري إلى أحكام قانون المناقصات والمزايدات رقم (23) لسنة 2007م ولأئحته التنفيذية، التي تمنح الإدارة الحق في إنهاء العقد في حالات محددة مثل إخلال المتعاقد بالتزاماته، أو عدم قدرة المتعاقد على تنفيذ المشروع بما يحقق المصلحة العامة (قانون المناقصات والمزايدات، 2007). وهذه السلطة استثنائية ويجب أن تمارس وفق حدود القانون لضمان عدم الإضرار بحقوق المتعاقدين، وقد نص القانون في المادتين (28، 32) من قانون المناقصات اليمني ولأئحته التنفيذية أن سلطة الإدارة في الإنهاء في القانون اليمني، محصورة في الحالات التالية :

أ) سلطة الإدارة بإنهاء العقد بسبب توافر أحد الأسباب المنصوص عليها في المادة (28) : على الجهة بعد موافقة لجنة المناقصات المختصة مصادرة الضمان وإنهاء العقد مع المقاول أو المورد أو المتعهد إذا ثبت أنه: 1) استعمل الغش أو التلاعب. 2) شرع أو قدم بنفسه أو بواسطة غيره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على رشوة أحد الموظفين. 3) التواطؤ معه - أي مع أحد الموظفين - بهدف الحصول على العقد أو مزايا أو مكاسب بدون وجه حق. 4) التنصل عن أي من التزاماته المحددة في العقد.

ب) سلطة الإدارة بإنهاء العقد في حالة التأخر أو الامتناع عن التنفيذ في المواعيد المحددة في العقد: وهو ما نصت عليه المادة (32) أنه: (إذا تأخر أو امتنع المقاول أو المورد أو المتعهد أو الاستشاري عن تنفيذ أو توريد الأصناف أو أداء الخدمات المتعاقد عليها في المواعيد المحددة في العقد يجب على الجهة اتخاذ الإجراءات الآتية على التوالي: 1) إخطاره كتابة. 2) إضافة غرامة التأخير. 3) إنهاء العقد وتقييم الأعمال المتبقية وتكليف غيره بإتمام الأعمال التي لم يتم تنفيذها بنفس المواصفات وعلى حسابه.

يختلف الإنهاء المنصوص عليها في هذه المادة عن الإنهاء المنصوص عليه في المادة (28) في أن الإنهاء في هذه الحالة غير مشروط بسبق طلب الموافقة من لجنة المناقصات المختصة وبالتالي يكون للجهة الإدارية استعمال سلطتها في الإنهاء مباشرة، هذا من ناحية، ومن أخرى أن تنفيذ الأعمال المتبقية يكون على حساب المتعاقد المتأخر أو الممتنع عن التنفيذ غير أنه يجب لأعمال حكم هذه المادة ضرورة أن يسبقها إخطار المتعاقد كتابياً بما ذكره النص⁽¹⁾.

ونستخلص مما سبق: أن للإدارة العامة الحق في إنهاء العقد الإداري لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة أو عدم التزام الطرف المتعاقد بالشروط الجوهرية. كما تحدد اللائحة التنفيذية الإجراءات الشكلية الواجب اتباعها عند إنهاء العقد، مثل إخطار المتعاقد كتابياً وإمهاله فرصة لتصحيح المخالفة إن وجدت، إلا أن هذه النصوص لم تحدد بشكل واضح الحالات التي تبرر الإنهاء لأسباب المصلحة العامة، ولم تفصل المعايير التي تحد من استخدام السلطة التقديرية بشكل تعسفي، ولم تضع قواعد دقيقة لتعويض المتعاقد عن الأضرار المالية الناتجة عن الإنهاء.

وبالمقارنة مع القانون المصري رقم 182 لسنة 2018²، نجد فارق كبير كون الأخير يحدد حالات الإنهاء بدقة، ويلزم القرار بتوضيح الأسباب والتقدير المالي لتعويض المتعاقد، مع ضمان الرقابة القضائية على القرار.

ثانياً: نطاق السلطة التقديرية للإدارة في الإنهاء

تمارس الإدارة السلطة التقديرية في إنهاء العقد وفق مبادئ المصلحة العامة الملحة، لكن هذه السلطة ليست مطلقة، ويجب أن تتوافق مع المبادئ التالية:

(1) ضرورة الإنهاء: يجب أن يكون القرار مرتبطاً بخطر يهدد المشروع أو المال العام.

(2) التناسب: أن لا يخل القرار بالحقوق الأساسية للمتعاقد أو التوازن المالي للعقد.

(3) الإجراءات الشكلية: إشعار المتعاقد، منح مهلة لتصحيح أو الرد، توثيق القرار.

(1) انظر: الوجيز في لقانون الإداري: 121؛ العقود الإدارية بين التشريع والقضاء في اليمن: 145.

حكم قضائي: في الدعوى رقم (57 لسنة - 1434 هـ المحكمة الإدارية الابتدائية - أمانة العاصمة)، اعتبرت المحكمة أن الإدارة مخولة بالإنهاء لأسباب تتعلق بالمصلحة العامة، ولكنها لم تتطرق إلى مدى التوازن المالي أو التعويض العادل، كونها مقيدة بالصلاحيات الممنوحة لها حسب قرار إنشاء المحكمتين الإداريتين في صنعاء وعدن، وهو ما يعكس قصور التطبيق القضائي.

ثالثاً: التحليل النقدي المقارن للإنهاء: على الرغم من النصوص القانونية، تُظهر الممارسة اليمينية:

- (1) ضعف التوثيق والمبررات عند إنهاء العقود.
 - (2) عدم مراعاة التوازن المالي للمتعاقد، خاصة في حالات الإنهاء المفاجئ.
 - (3) اعتماد القضاء على عيوب الإجراءات دون التحقق من الملاءمة أو التناسب.
- مقارنة : القضاء المصري والفرنسي - يشترط أن يكون الإنهاء مبرراً ومناسباً، وأن يصاحب قرار الإنهاء تعويض مالي متناسب، مما يحيد من تعسف الإدارة ويحقق التوازن العقدي.
- ولذلك - يظهر أن التحدي الأساسي ليس النص القانوني نفسه، بل تطبيقه العملي وغياب الرقابة القضائية الكافية، نتيجة عدم وجود كيان مستقل للقضاء الإداري، مما يؤدي إلى فجوة بين النظرية والتطبيق، ويستدعي وضع ضوابط دقيقة للإنهاء.

الفرع الرابع: الضمانات القانونية والقضائية للمتعاقد

أولاً: الضمانات القانونية للمتعاقد: تتمثل الضمانات القانونية للمتعاقد في اليمن ضمن إطار قانون المناقصات والمزايدات ولوائحته التنفيذية، وتشمل:

- (1) إشعار كتابي مسبق: يجب على الإدارة إخطار المتعاقد بنية التعديل أو الإنهاء، مع بيان الأسباب القانونية والموضوعية للقرار.
- (2) إمهال المتعاقد فرصة للتصحيح: يمنح القانون للمتعاقد فترة زمنية لتصحيح أي إخلال بالشروط الجوهرية قبل اتخاذ القرار النهائي.

(3) تقدير التعويض المالي: عند حدوث تعديل أو إنهاء، يجب مراعاة تعويض المتعاقد عن الأضرار الفعلية الناتجة عن القرار الإداري، بما يحافظ على التوازن المالي للعقد.

(4) حق الاعتراض الإداري: يمكن للمتعاقد التظلم من القرار الإداري أمام الجهة الإدارية العليا قبل اللجوء للقضاء، وهو ما يعزز مبدأ العدالة الإجرائية⁽¹⁾.

ومما سبق نلاحظ: أن الواقع في اليمن أظهر ضعف الالتزام بهذه الضمانات، خاصة فيما يتعلق بالتقدير المالي وتعويض المتعاقدين، مما يستدعي تطوير نصوص أكثر تفصيلاً لضمان حماية حقوق الطرف المتعاقد.

ثانياً: الرقابة القضائية على قرارات الإدارة: تلعب المحاكم الإدارية دوراً محورياً في ضمان التوازن العقدي وحماية المتعاقد. ويستند القضاء في اليمن على ما يلي:

(1) رقابة شكلية: التحقق من استيفاء الإجراءات الشكلية، مثل الإخطار الكتابي، وتطبيق اللائحة التنفيذية.

(2) رقابة موضوعية محدودة: تقييم سبب القرار ومدى توافقه مع المصلحة العامة، إلا أن التطبيق القضائي غالباً يقتصر على الشكل دون دراسة التناسب والتوازن المالي.

(3) إمكانية إيقاف التنفيذ: يحق للمتعاقد الطعن في القرار وطلب وقف التنفيذ إذا توافرت دلائل على التعسف الإداري⁽²⁾.

حكم قضائي: المحكمة الإدارية اليمنية في الدعوى رقم (12 لسنة 2015) ركزت على مخالفة الإجراءات دون فحص مدى التناسب، في حين أن القضاء المصري والفرنسي يطبق رقابة موضوعية شاملة على أسباب القرار والتعويض، بما يحد من تعسف الإدارة.

(1) انظر: العقود الإدارية: 165؛ العقود الإدارية آثارها وتنفيذها: 118.

(2) انظر: الأسس العامة للعقود الإدارية: 203.

ثالثاً: وسائل الإثبات وحدود مشروعيتها: في العقود الإلكترونية أو الرقمية، تعتبر

وسائل الإثبات الرقمي جزءاً من ضمان حقوق المتعاقد، وتشمل:

- (1) السجلات الرقمية الرسمية للعقد والمراسلات الإلكترونية.
 - (2) الإشعارات والتوثيقات الرقمية للتعديلات أو الإنهاء.
 - (3) النسخ الموقعة إلكترونياً وفق القانون اليمني للتوقيع الإلكتروني.
- وبذلك - لا يمكن قبول أي وسيلة إثبات تنتهك الخصوصية أو تخالف القوانين المنظمة للبيانات الإلكترونية، ويجب أن تخضع الرقابة القضائية للتحقق من صحتها⁽¹⁾.

التحليل النقدي المقارن لما سبق - نجد أن :

- (1) نصوص القانون اليمني توفر ضمانات عامة، لكنها ضعيفة من حيث التفصيل، خصوصاً في التعويض وضمانات الاعتراض الإداري.
- (2) الممارسة القضائية اليمنية أظهرت قصوراً في الرقابة الموضوعية، حيث ركز القضاء غالباً على شكل الإجراءات دون دراسة أثر القرار على التوازن المالي للمتعاقد.

(3) التجارب المقارنة (مصر وفرنسا) تؤكد ضرورة وجود:

(أ) رقابة قضائية موضوعية على أسباب القرار.

(ب) آلية دقيقة لحساب التعويض المالي.

(ج) التزام الإدارة بالتوثيق الدقيق لكل تعديل أو إنهاء.

ونستخلص مما سبق - يتضح أن الضمانات القانونية والقضائية للمتعاقد في اليمن محدودة، وتركز غالباً على الإجراءات الشكلية دون تقييم موضوعي لتأثير القرارات الإدارية، ومن الضروري تحديث النصوص القانونية، وتفعيل الرقابة القضائية، إضافة إلى الاستفادة من التجارب المقارنة كونها تقدم نماذج قابلة للتطبيق لتحسين التشريع

(1) انظر: العقود الإدارية بين التشريع والقضاء: 205؛ العقود الإدارية: 170؛ خصائص العقد الإداري: 69.

والرقابة القضائية في اليمن، كما أن تضمين وسائل الإثبات الرقمي يزيد من شفافية التعديلات والإنهاء ويحمي حقوق المتعاقد.

الفرع السادس: الحلول المقترحة لتلافي القصور التشريعي والقضائي: انطلاقاً من التحليل التشريعي والقضائي، يقترح البحث ما يلي

(1) تعديل نصوص قانون المناقصات واللائحة التنفيذية: من خلال تحديد حالات التعديل والإنهاء تفصيلاً مع معايير واضحة، وإلزام الإدارة بتبرير أي تعديل أو إنهاء كتابياً، مع توثيق الإجراءات، إضافة إلى تحديد آلية واضحة لحساب التعويض المالي للمتعاقد.

(2) تطوير الرقابة القضائية: من خلال توسيع الرقابة القضائية لتشمل التناسب والملاءمة مع المصلحة العامة والتوازن المالي، ووضع قواعد قضائية موحدة لتقليل التباين في القرارات.

(3) تعزيز ضمانات المتعاقد: بإلزام الإدارة بالإشعار المسبق وإمهال المتعاقد فرصة للتصحيح، وتنظيم حق التظلم الإداري قبل اللجوء إلى القضاء، واعتماد وسائل إثبات رقمية رسمية وموثقة لضمان شفافية الإجراءات.

(4) التدريب المؤسسي والتثقيف القانوني: عبر تدريب موظفي الإدارة العامة على الضوابط القانونية والممارسات القضائية الصحيحة. وتنظيم ورش عمل للقضاة لتعزيز الرقابة الموضوعية وضمان التوازن العقدي.

خاتمة البحث

خلصت الدراسة إلى أنَّ ممارسة الإدارة العامة لسلطاتها في تعديل أو إنهاء العقد الإداري تُعد ضرورة يفرضها الطابع المتغيّر للمرافق العامة، غير أن غياب الضوابط القانونية الدقيقة في التشريع اليمني شكّل محور الإشكالية التي انطلقت منها الدراسة. إذ تبين أن النصوص الحالية في قانون المناقصات والمزايدات لا تكفي لخلق التوازن المطلوب بين مقتضيات المصلحة العامة وحقوق المتعاقد الخاص، ما أدّى في التطبيق العملي إلى توسع بعض الجهات الإدارية في استعمال هذه السلطات بصورة

قد تُخل بمبدأ استقرار المعاملات وثقة المتعاقدين. وقد أكدت النتائج أهمية معالجة هذا القصور من خلال تحديد معايير واضحة للتعديل وإنهاء، وتفعيل الرقابة القضائية والإدارية، والاستفادة من التجارب المقارنة، وتتوافق هذه الخلاصة مع ما أكدته ندوة الدراسات اليمنية حول تعديل العقد الإداري من ضرورة تطوير الإطار القانوني الحاكم للعقود الإدارية بما يضمن الشفافية والكفاءة وحماية المال العام.

التوصيات

- (1) إصدار نصوص قانونية صريحة تُحدّد الحالات التي يجوز فيها للإدارة تعديل العقد الإداري أو إنهاءه، بحيث تُدرج مباشرة في قانون المناقصات والمزايدات أو لائحته التنفيذية، وبما يمنع التوسع غير المبرر في استخدام السلطة التقديرية.
- (2) وضع ضوابط إجرائية إلزامية تلتزم بها الجهات الإدارية قبل اتخاذ قرار التعديل أو الإنهاء، تشمل: بيان أسباب القرار بصورة مكتوبة ومُسببة، وحصوله على موافقة لجنة المناقصات المختصة، وإبلاغ المتعاقد خلال مدة زمنية محددة، إتاحة حق التنظيم الإداري قبل التنفيذ.
- (3) تحديد آلية متوازنة للتعويض عند تعديل العقد أو إنهائه، بحيث تشمل: معايير واضحة لحساب الضرر الفعلي والخسائر المتوقعة، تحديد سقف زمني لصرف التعويض، وتحميل الإدارة مسؤولية التأخير في السداد.
- (4) تعزيز الرقابة القضائية على قرارات التعديل وإنهاء من خلال: اعتبار أسباب القرار من عناصر المشروعية الخاضعة لرقابة القضاء، وتبني منهج رقابي يقوم على فحص مدى التناسب بين القرار والمصلحة العامة، وتمكين المتعاقد من طلب وقف تنفيذ قرار الإنهاء أو التعديل لحين البت في دعواه.
- (5) اعتماد نظام تقييم مسبق لآثار التعديل أو الإنهاء (Impact Assessment) قبل اتخاذ القرار، بحيث تُلزم الجهة الإدارية بإعداد تقرير يُقدّر: تأثير القرار على المال العام، وتأخير المشروعات، كلفة البديل، وجدوى الاستمرار أو الإنهاء. إضافة إلى تفعيل دور الأجهزة الرقابية.

(6) الاستفادة من التجارب المقارنة (خصوصاً الرائدة في القضاء الإداري كمصر، وفرنسا) في تنظيم سلطات الإدارة، ومواءمة قانون المناقصات اليمني مع أفضل الممارسات، وخاصة ما يتعلق: بالتعويض العادل، ورقابة القضاء الإداري، وإدارة التعاقدات الحكومية.

(7) توصية تشريعية بإنشاء لجنة مختصة في النزاعات التعاقدية الإدارية داخل نظام المناقصات، تكون مهمتها: تسوية النزاعات بسرعة، والحد من اللجوء إلى القضاء، وإصدار توصيات ملزمة أو شبه ملزمة لضمان استقرار المشاريع العامة.

المصادر والمراجع

- البناء، محمود، العقود الإدارية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2007م.
- جبير، مطيع، العقود الإدارية بين التشريع والقضاء في اليمن، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر، 2006م.
- الجمهورية اليمنية .الدستور اليمني. صنعاء: 1991م.
- الجمهورية اليمنية، قانون المناقصات والمزايدات والمخازن اليمني رقم 23 لسنة 2007م ولائحته التنفيذية 2009م.
- خليل، عادل، العقود الإدارية آثارها وتنفيذها، دار الثقافة الجامعية، القاهرة، 1999م.
- الخياط، سعيد الإدارة العامة والعقود الإدارية، مكتبة لبنان، بيروت، 2015م.
- الديحاني، عبد الله، خصائص العقود الإدارية. مجلة القانون، العدد 12-2003م.
- شرف الدين، أحمد، الوجيز في القانون الإداري، دار الفكر المعاصر، صنعاء 2002م.
- الشرقاوي، سعاد، العقود الإدارية، دار النهضة العربية، القاهرة 1978م.
- الطماوي، سليمان، الأسس العامة للعقود الإدارية، دراسة مقارنة، مطبعة جامعة عين شمس، 1991م.
- الطماوي، سليمان، الوجيز في القانون الإداري، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992م.
- الطماوي، سليمان، مبادئ القانون الإداري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1973م.
- عبد الفتاح، أحمد، العقد الإداري وأحكام التعديل، دار النهضة العربية، 2010 القاهرة.
- عبدالله، عبد الغني، النظرية العامة في القانون الإداري، منشأة المعارف للنشر بالإسكندرية، 2003.
- كريكو، فريال .الأساس القانوني لحق الإدارة في تعديل العقد الإداري. مجلة الدراسات القانونية، 2015م.

دور تخطيط الموارد البشرية في التطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي

د. التاج محمد محمد علي حامد.

أستاذ إدارة الأعمال المساعد، جامعة نجران، كلية إدارة
الأعمال، المملكة العربية السعودية.

emhamed@nu.edu.sa

د. أيمن محمد عامر محمد

أستاذ إدارة الأعمال المساعد، جامعة بخت الرضا، كلية
الاقتصاد والعلوم الإدارية، السودان

ayman1171988@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/9/10 تاريخ قبول البحث 2025/12/12

تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/v7i1.267>

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى تحديد دور تخطيط الموارد البشرية وعلاقته بالتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي بجمهورية السودان، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي المسحي الشامل لملائمته لأغراض وأهداف هذه الدراسة. تم تجميع البيانات باستخدام استبانة إلكترونية وزعت على مجتمع الدراسة. وتم تحليل البيانات باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS). وتوصلت الدراسة إلى أن تخطيط الموارد البشرية بأبعاده (التزام الإدارة العليا بالجودة، التخطيط الاستراتيجي، تمكين العاملين، التحسين والتطوير المستمر) له علاقة ارتباط موجبة بالتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي، وأوصت الدراسة دراسة الاحتياجات التدريبية وتوزيع فرص التدريب على جميع العاملين دون استثناء، وأن تلتزم الشركة ببرامج التدريب المخطط له بقدر المستطاع للحفاظ على ورفع مستوى التطوير الإداري والمهني للعاملين.

الكلمات المفتاحية: تخطيط القوى العاملة، التطوير الإداري.

The Role of Human Resource Planning in Managerial Development at Khaluj Investment Company for Desert Sheep

Dr. Ayman Mohammed Aamir Mohammed¹

Dr. Eltaj Mohammed MohammedAli Hamed²

¹Assistant Professor, Bakht Errada University, Sudan

²Assistant Professor, Najran University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:

The current study aimed to identify the role of human resource planning and its relationship to managerial development at Khaluj Investment Company for Desert Sheep in the Republic of Sudan. The study employed the comprehensive descriptive survey approach, as it was suitable for the purposes and objectives of this research. Data were collected using an electronic questionnaire distributed to the study population. Data were analyzed using the Statistical Package for the Social Sciences (SPSS). The study found that human resource planning—with its dimensions of top management commitment to quality, strategic planning, employee empowerment, and continuous improvement and development—has a positive correlation with managerial development at Khaluj Investment Company for Desert Sheep. The study recommended assessing training needs and expanding and distributing training opportunities to all employees without exception. It also recommended that the company adhere to planned training programs as much as possible to maintain and enhance the level of managerial and professional development among employees.

Keywords: Workforce planning, managerial development.

مقدمة:

يمثل المورد البشري العنصر الرئيس في نجاح وتطور المؤسسات، وحتى تتمكن تلك المؤسسات على اختلاف مجال نشاطها على البقاء والتطور في الصناعة التي تعمل في إطارها أن تحسن تحديد احتياجاتها من العناصر البشرية التي تساعد على وتعمل معها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية والمرحلية على السواء، لذلك فإن

تخطيط القوى العاملة يمثل الأداة الفعالة التي يمكن من خلالها أن تحدد المؤسسات على اختلافها بين ما تملكه وما تحتاجه من عناصر شريفة من حيث الكم والنوع. وتركز هذه الدراسة على موضوع تخطيط الموارد البشرية وأثره على التطوير الإداري، حيث أن التخطيط للموارد البشرية يتطلب تحديد الاحتياجات الوظيفية على المدى القصير والمتوسط وبالتالي عمل التوازن لما تحتاجه من العمالة وما يوفره سوق العمل ويكون له تأثير على التطوير الإداري والأداء في المؤسسات.

كما وأن التطوير الإداري يعتبر فعالية من الفعاليات الرئيسية في المنظمة ويتمتع بنفس الخصائص التي تتمتع بها الفعاليات الأخرى، وقد اكتسب أهمية كبرى في جميع المنظمات من خلال مساهماته في تأطير التنظيم الإداري والهياكل التنظيمية ودراسة الإجراءات والعمل على تبسيطها ورفع مستوى الوعي الإداري لدى القادة الإداريين الحاليين والمرتقبين وإلغاء الضوء على الجوانب التي تمكن الموظفين من الإنجاز بأعلى مستوى وتسهيل أداء الخدمة والرقى في الأداء عبر اقتراح أفضل السبل وأوضح الطرق مع الاستعانة بما توفره التقنية الحديثة من معطيات تعين على تحقيق الأهداف العامة والسامية لأي منظمة. ولتحقيق الأهداف التنظيمية يتطلب التعرف على نقاط القوة والضعف لدى الأفراد العاملين والسعي إلى اتخاذ القرارات المستمرة التي تضمن توفر الأفراد العاملين القادرين على مواكبة حجم التطور والتطوير الإداري والتغيرات المتسارعة في العالم.

مشكلة الدراسة:

تواجه العديد من المؤسسات تحديات في تحقيق التطوير الإداري الفعال نتيجة ضعف أو غياب تخطيط الموارد البشرية بشكل منهجي. فعلى الرغم من أن الموارد البشرية تُعدّ الركيزة الأساسية لأي عملية تطوير إداري، إلا أن عدم وجود تخطيط استراتيجي لها يؤدي إلى قصور في استثمار الكفاءات، وتضارب في توزيع المهام، وضعف في تحقيق الأهداف التنظيمية. هذا القصور يثير تساؤلات حول مدى تأثير

تخطيط الموارد البشرية على تحسين الأداء الإداري، ورفع كفاءة العمليات، وضمان استدامة التطوير داخل المؤسسات.

تساؤلات الدراسة:

تحاول الدراسة أن تجيب على تساؤل رئيس يتعلق بماهية دور تخطيط الموارد البشرية بأبعاده المختلفة في شركة خلوج وتأثيره على التطوير الإداري؟ وتتفرع منه التساؤلات التالية:

1. ما هي درجة التزام إدارة الشركة باتباع الخطوات العلمية لتحديد الاحتياجات المستقبلية من الموارد العاملة؟
2. هل تتبع إدارة الشركة الأساليب والاستراتيجيات المناسبة لتحليل الموارد البشرية الحالية من حيث الكم والنوع؟
3. ما مستوى التزام إدارة الشركة بوضع استراتيجيات وخطط التدريب والتوظيف للموارد البشرية مستقبلاً؟
4. ما هو مستوى دعم الإدارة شركة في شركة خلوج في الدعم والالتزام بالتطوير الإداري؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. دراسة دور تخطيط القوي العاملة بأبعاده المختلفة في شركة خلوج وتأثيره على التطوير الإداري.
2. تحديد درجة العلاقة بين تحديد الاحتياجات المستقبلية في شركة خلوج والأسس والتطوير الإداري.
3. تفسير العلاقة بين تحليل الموارد البشرية الحالية من حيث الكم والنوع في شركة خلوج وعلاقته بالتطوير الإداري.
4. دراسة مستوى تأثير خطط التدريب والتوظيف للموارد البشرية في شركة خلوج وتأثيره في التطوير الإداري.

أهمية الدراسة:

وتتبع أهمية الدراسة من أهمية تخطيط الموارد البشرية في المؤسسات وارتباط ذلك بمواكبة التطور في الأسس الإدارية الحديثة للموارد البشرية وعلاقته بضمان توفر المهارات والكفاءات اللازمة لتحقيق أهداف المنظمة على المدى القصير والطويل، ويمكن المنظمة من التكيف مع التغيرات في السوق والبيئة التنافسية، وتأثيره الكبير على التطوير الإداري والمعرفي، كما هذه الدراسة يمكن أن تفيد في إضافة معلومات في مجال التطوير الإداري وإثراء المكتب العربية والسودانية على وجه الخصوص.

فرضيات الدراسة:

تقوم الدراسة على فرضية رئيسية وهي أن هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين أبعاد تخطيط الموارد البشرية (تحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة، تحليل القوى العاملة الحالية، خطط التدريب والتوظيف) والتطوير الإداري في شركة خلوج، وقد اشتمت من هذه الفرضية الفرضيات التالية:

1. هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحديد الاحتياجات المستقبلية في شركة خلوج والأسس والتطوير الإداري.
2. هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحليل القوى العاملة الحالية في شركة خلوج والأسس والتطوير الإداري.
3. هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين وضع خطط التدريب والتوظيف للقوى العاملة في شركة خلوج والأسس والتطوير الإداري.

الدراسات السابقة:

دراسة Al-Qudah 2020: هدف الدراسة إلى تحليل أثر التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية على الأداء التنظيمي للشركات المساهمة العامة الأردنية بالنسبة للإدارة العليا ومديري الوحدات الوظيفية (الموارد البشرية، التسويق، المالية، والمحاسبة). وأظهرت النتائج أن اعتماد أبعاد التخطيط الاستراتيجي للموارد البشرية يؤدي إلى زيادة الإنتاجية العامة للمؤسسة، ورضا الموظفين، وتحسين السمعة،

بالإضافة إلى خفض تكاليف التشغيل. يجب على مديري الموارد البشرية فهم فعالية الممارسات المصممة استراتيجياً عبر الوظائف المختلفة.

دراسة العمري وعقيلي، (2020): هدفت هذه الدراسة دراسة مفهوم ودور ذكاء الأعمال في التطوير الإداري بجامعة الملك عبدالعزيز وبيان العلاقة بينهما ومدى تطبيقه بالجامعة. وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة مترابطة بين ذكاء الأعمال والتطوير الإداري. وأوصت الدراسة بضرورة دعم وتبني الإدارة العليا وبذل المزيد من الجهد لتطبيق ذكاء الأعمال في انجاز العمليات الإدارية.

دراسة العتيبي، صميده (2020) هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر تخطيط القوى العاملة الجيد على أداء العاملين بالقطاع الصحي دراسة ميدانية على العاملين بمستشفى الإيمان العام بالرياض، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها أن تخطيط القوى العاملة له أثره على الأداء الوظيفي للعاملين بمستشفى الإيمان العام، وأنه مطبق بدرجة كبيرة، أوصت الدراسة بحتمية وجود نظام تخطيط من قبل إدارة المؤسسة يتوافق وتطلعات المؤسسة بالدرجة الأولى، تشكيل لجان متخصصة توكل لها مهمة تصميم الهيكل التخطيطي، وتنظيماته، وإجراءاته، والإشراف على تطبيقه.

دراسة: Ellinger & Svendsen (2021) هدفت الدراسة إلى تحليل أثر تخطيط الموارد البشرية على الأداء التنظيمي في قطاع الشركات الصناعية بالنمسا، وذلك من خلال مراجعة الأدبيات ذات الصلة. أظهرت النتائج أن تخطيط الموارد البشرية يمثل أداة استراتيجية تمكّن المؤسسات من تلبية احتياجاتها الحالية والمستقبلية من الكفاءات، حيث يتيح لمديري الموارد البشرية التنبؤ بالمهارات الأكثر أهمية وتطويرها بما يحقق التوازن الأمثل بين عدد الموظفين ومستوى مهاراتهم. يشمل التخطيط الفعال للموارد البشرية عناصر أساسية مثل التمويل الكافي، الكفاءة المهنية، الفئات العمرية، والخلفيات الثقافية. كما بينت الدراسة أن ضعف التخطيط يؤدي إلى توظيف أفراد غير مؤهلين، مما ينعكس سلباً على كفاءة الأداء المؤسسي. خلصت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية قوية بين تخطيط الموارد البشرية والأداء التنظيمي، مؤكدة أن

التخطيط يعد عاملاً حاسماً في تحسين الأداء. وأوصت الدراسة بضرورة وضع سياسات واضحة للحفاظ على القوى العاملة، سد الشواغر الناتجة عن التقاعد، وتخصيص ميزانيات كافية لتوظيف الكفاءات عند الحاجة. كما أوصت الدراسة بتبني تدخلات واستراتيجيات مبتكرة وحملات توعوية لدعم تحقيق أهداف المؤسسة، وتعزيز العلاقات الإيجابية بين المشرفين والموظفين لضمان تحقيق الأهداف التنظيمية. وأخيراً، شددت على أهمية مراعاة العوامل الداخلية والخارجية لتعزيز القدرة التنافسية للمؤسسات في السوق.

دراسة Uba, Ibrahim, 2021 تناول الدراسة أثر تخطيط الموارد البشرية على أداء منظمات القطاع العام في نيجيريا.. أظهرت النتائج أن معامل الارتباط المتعدد يشير إلى وجود ارتباط قوي بين المتغيرات ($R = 0.779$) ، وأن الطلب المتوقع على القوى العاملة وعمليات التوظيف والاختيار يفسران 60.7% من التباين الكلي في أداء المنظمة. ومن بين المتغيرين المستخدمين، ساهمت عملية التوظيف والاختيار بأكبر قدر في تحسين الأداء المؤسسي. إن التخطيط الفعال للموارد البشرية من حيث التنبؤ بالطلب على القوى العاملة وعمليات التوظيف والاختيار يمكن المؤسسات من جذب النوع المناسب من الأشخاص بالعدد المطلوب، وتحسين خبرات ومواهب وقدرات الموظفين، والحفاظ عليهم في العمل. توصي الدراسة بأن تكون عملية التوظيف والاختيار مفتوحة وشفافة مع الحد الأدنى من التدخل السياسي للسماح باختيار المتقدمين ذوي الخبرة والمهارات المناسبة للانضمام إلى القوى العاملة.

دراسة العامود وآخرين، (2022): هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين أبعاد التطوير الإداري والأداء المتميز عند العاملين في اللجان التنفيذية بالاتحاد الرياضي العام بالجمهورية السورية، وقد بينت نتائج الدراسة على وجود ارتباط قوي وموجب بين غالبية أبعاد التطوير الإداري والأداء المتميز، بينما لم يتبين وجود ارتباط بعد التكوين المستمر والأداء المتميز لدى العاملين، وأوصت الدراسة باقتراح نموذج

للأداء المتميز للعاملين ووضع معايير لتقييمه ليكون عاملاً مساعداً في تطبيق إدارة التطوير الإداري وصولاً للأداء المتميز.

دراسة عوديش (2023) هدفت الدراسة إلى دراسة دور تخطيط الموارد البشرية في تطبيق إدارة الموارد البشرية الخضراء وتوصلت الدراسة هو اعتبار تخطيط الموارد البشرية كأساس لتطبيق إدارة الموارد البشرية الخضراء ووظائفها في مدارس محافظة دهوك، وعليه يجب إدراك قياداتها الإدارية بأن مساهمتهم في قضايا معالجة المشاكل البيئية يتطلب تطبيق إدارة الموارد البشرية الخضراء ولممارسة وظائفها، وهذا بدوره يحتاج إلى قيامهم بالتخطيط للموارد البشرية والتي تعتمد على مجموعة من الخطوات.

دراسة الغنام (2024) هدفت هذه الدراسة إلى دراسة دور تخطيط الموارد البشرية في تعزيز المركز التنافسي لمنظمات الأعمال، وخاصة من خلال دراسة العاملين في هيئة التقييس لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، والتعرف على واقع تخطيط الموارد البشرية في منظمات الأعمال بالمملكة العربية السعودية، وتحليل العلاقة بين هذا التخطيط وتعزيز المركز التنافسي للمنظمات. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج مهمة أبرزها: موافقة أفراد الدراسة على أن المنظمة تقوم بمتابعة وتقييم تنفيذ خطط الموارد البشرية بصورة مستمرة، وكذلك أن المنظمة تضع استراتيجيات لاستقطاب وتعيين الأكفأ لشغل الوظائف المتاحة، وأوصت الدراسة بضرورة وضع خطط خاصة بالتخطيط للقوى العاملة، وذلك من خلال تحديد العرض والطلب من الموظفين.

دراسة Aqila & Hasibuan، 2025: هدفت هذه الدراسة إلى تحليل عملية تخطيط الموارد البشرية في مواجهة التحديات التي تواجهها المنظمات، بالإضافة إلى تحديد الاستراتيجيات الفعالة لتحسين القدرة على الصمود وزيادة التنافسية. أجريت هذه الدراسة من خلال مراجعة الأدبيات من مصادر علمية متنوعة، نظراً لمحدودية الوصول المباشر إلى بعض المنظمات. أظهرت نتائج الدراسة أن المنظمات التي تمتلك نظاماً تكيفياً لتخطيط الموارد البشرية تكون أكثر قدرة على التعامل مع التغيير والضغوط، وتُظهر تحسناً مستمراً في الأداء.

الإطار النظري:

1. مفهوم تخطيط القوى العاملة:

تخطيط الموارد البشرية أو تخطيط القوى العاملة يتضمن تحديد الاحتياجات من العاملين من خلال التحليل الدقيق للموارد البشرية المتاحة وتحديد الإضافات و/أو الإحلال المطلوب من أجل الحفاظ على حجم وجودة القوى العاملة المرغوبة. لذلك يعرف (Dike، 2022، ص 94) تخطيط الموارد البشرية بأنه هو التحديد المسبق لمسارات العمل المستقبلية من بين عدد من البدائل، وذلك لتأمين الموارد البشرية، وإدارتها، وتحفيزها، وتعويضها، والتخطيط لمسارها المهني وخلافة المناصب، وترقيتها، وفصلها داخل المنظمة. بينما يرى (Uba, Ibrahim, 2021, P74) أن تخطيط الموارد البشرية ما هو إلا عملية اتخاذ القرار وضمان أن الشركة سيكون لديها عدد كافٍ من الأشخاص المؤهلين متاحين في الوقت المناسب، لأداء وظائف تلبي احتياجات المنظمة وفي الوقت نفسه توفر الرضا للأفراد المشاركين. وفقاً لـ (Bharadwaj, 2025, p30) يؤدي تخطيط الموارد البشرية الفعّال إلى زيادة الإنتاجية، وتحفيز الموظفين، وتحسين الأداء العام للأعمال. هناك عدة عوامل رئيسية تحدد مدى كفاءة خطة الموارد البشرية:

- **التزام الإدارة العليا:** تتطلب مبادرات تخطيط الموارد البشرية التزام الإدارة العليا.
- **اتخاذ القرارات بناءً على البيانات:** يجب أن تتماشى استراتيجيات الموارد البشرية مع التحليلات الموثوقة.
- **المرونة والقدرة على التكيف:** يجب أن تكون خطط الموارد البشرية قادرة على الاستجابة لاحتياجات العمل المتغيرة والعوامل الخارجية.

أهداف تخطيط القوى العاملة:

تتمثل أهداف تخطيط القوى العاملة وفقاً للعتيبي وصميذة (2020، ص 95-96) في الآتي:

1. التعرف على الوضع القائم للقوى العاملة بصورة تفصيلية تمكن من تحديد المعالم الواقعية لقوى العمل المتاحة.
 2. التعرف على مصادر القوى العاملة ودراساتها وتقييمها بهدف تحديد أسلوب الاستفادة المثلى منها في تنفيذ خطة القوى العاملة من حيث العدد والنوع.
 3. التعرف على واقع البيانات والمعلومات إلى المشاكل التي تحد من الاستخدام الرشيد لقوة العمل الحالية والممكنة في الحاضر والمستقبل.
 4. محالة وضع مجموعة من الحلول العملية لكل أو معظم هذه المشاكل في الوقت الحاضر مع ضرورة مراعاة الحل التدريجي لما تبقى منها في المستقبل وضمان عدم تكرارها.
 5. التنبؤ بأعداد ونوعيات القوى العاملة اللازمة لمختلف الأنشطة بالمنشأة خلال فترة زمنية مناسبة في المستقبل.
 6. تحديد معالم سياسات وخطط التعيين والتدريب اللازمة لضمان الوصول إلى مستوى التشغيل الاقتصادي السليم والمستقر داخل المنشأة.
- أبعاد تخطيط القوى العاملة:**

تشتمل تخطيط القوى العاملة على العناصر التالية:

1. **تحديد الاحتياجات المستقبلية:** وتهدف إلى تحليل أهداف المنظمة واستراتيجياتها لتحديد متطلبات القوى العاملة المستقبلية من حيث العدد والمهارات والمؤهلات، والتنبؤ بالتغيرات في حجم العمل والإنتاجية، وتأثير التكنولوجيا والابتكار على المتطلبات من المهارات.
2. **تحليل القوى العاملة الحالية:** وتتعلق بتقييم مهارات وقدرات الموظفين الحاليين، وتحديد نقاط القوة والضعف لديهم، وتحديد الفجوات بين المهارات الحالية والمهارات المطلوبة لتلبية الاحتياجات المستقبلية.
3. **وضع خطط التوظيف والتدريب:** وتعنى بتحديد استراتيجيات التوظيف المناسبة لجذب أفضل الكفاءات وتلبية الاحتياجات المستقبلية، وتطوير برامج تدريبية

لتنمية مهارات الموظفين الحاليين ورفع كفاءتهم، وضع خطط للتطوير الوظيفي لضمان استمرار الموظفين وتحفيزهم.

4. **تقييم الأداء:** وتعنى بوضع معايير واضحة لتقييم أداء الموظفين، وتحديد نقاط القوة والضعف في الأداء وتقديم التغذية الراجعة للموظفين، وتحديد الاحتياجات التدريبية اللازمة لتحسين الأداء.

5. **ضمان التوازن بين العرض والطلب:** وتعنى بتحقيق الموازنة بين عدد الموظفين الحاليين والاحتياجات المستقبلية من حيث العدد والمهارات، واتخاذ الإجراءات اللازمة لمعالجة أي فجوات في العرض أو الطلب على الموارد البشرية، وتحديد طرق لزيادة الإنتاجية وخفض التكاليف المتعلقة بالقوى العاملة.

6. **التواصل والتعاون:** وتعنى بالتواصل الفعال مع جميع المستويات التنظيمية حول خطط القوى العاملة وتوقعات الأداء، وتشجيع التعاون بين الأقسام والإدارات لتحقيق الأهداف المشتركة.

العوامل المؤثرة في تخطيط القوى العاملة:

يرى (Dike، 2022، ص 97) أن العوامل المؤثرة في تخطيط القوى العاملة بالمنظمة تنقسم إلى قسمين عوامل خاصة بالبيئة الداخلية بالمنظمة وعوامل خاصة بالبيئة الخارجية للمنظمة:

أولاً: العوامل المتعلقة بالبيئة الخارجية للمنظمة وتتمثل في الآتي:

1. **السياسات الحكومية:** السياسات الحكومية مثل سياسة العمل، سياسة العلاقات الصناعية، السياسة المتعلقة بحجز وظائف معينة لمجتمعات مختلفة وأبناء الوطن، تؤثر على تخطيط الموارد البشرية.(HRP)
2. **مستوى التنمية الاقتصادية:** مستوى التنمية الاقتصادية يحدد مستوى تطوير الموارد البشرية في الدولة وبالتالي يؤثر على توفر الموارد البشرية في المستقبل.
3. **بيئة الأعمال:** العوامل الخارجية في بيئة الأعمال تؤثر على حجم ومزيج الإنتاج وبالتالي على الطلب المستقبلي على الموارد البشرية.

4. **مستوى التكنولوجيا:** مستوى التكنولوجيا يحدد نوع الموارد البشرية المطلوبة.
 5. **العوامل الدولية:** العوامل الدولية مثل الطلب على الموارد وتوفر الموارد البشرية في مختلف البلدان.
 6. **الاستعانة بمصادر خارجية (Outsourcing):** توفر خدمات الاستعانة بمصادر خارجية مع المهارات والمعرفة المطلوبة يقلل من الاعتماد على تخطيط الموارد البشرية والعكس صحيح.
- ثانياً: العوامل البيئية الداخلية المؤثرة في المنظمة والتي تتمثل فيما يلي:**
1. **السياسات والاستراتيجيات التنظيمية:** السياسات والاستراتيجيات المتعلقة بالتوسع، التنوع، التحالفات، إلخ، تحدد الطلب على الموارد البشرية من حيث الجودة والكمية.
 2. **سياسات الموارد البشرية:** سياسات الموارد البشرية في المنظمة المتعلقة بجودة الموارد البشرية، مستوى التعويضات، جودة الحياة العملية، إلخ، تؤثر على خطة الموارد البشرية.
 3. **تحليل الوظائف:** بشكل أساسي، خطة الموارد البشرية تعتمد على تحليل الوظائف. الوصف الوظيفي والمواصفات الوظيفية يحددان نوع الموظفين المطلوبين.
 4. **الأفق الزمني:** المنظمات ذات البيئة التنافسية المستقرة يمكنها التخطيط على المدى الطويل، بينما الشركات ذات البيئة التنافسية غير المستقرة يمكنها التخطيط فقط على المدى القصير.
 5. **نوعية ودقة المعلومات:** أي عملية تخطيط تحتاج إلى معلومات دقيقة وذات جودة عالية، وهذا ينطبق بشكل أكبر على خطة الموارد البشرية؛ المعلومات الاستراتيجية والتنظيمية والمحددة.

6. سياسة عمليات الإنتاج في المنظمة: سياسة المنظمة المتعلقة بكمية الإنتاج وكمية الشراء من الخارج لإعداد المنتج النهائي تؤثر على عدد ونوع الأشخاص المطلوبين.

2. التطوير الإداري:

مفهوم التطوير الإداري:

يعرف العامود وآخرون (2022، ص 119) التطوير الإداري بأنه استراتيجية متطورة تستهدف تغير الاتجاهات والعقائد والقيم وتلك الهياكل التنظيمية لتتناسب مع الاحتياجات الجديدة، وللتعايش مع التحديات التي تفرضها التغيرات الهائلة في البيئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. كما يعرف رائد التطوير العربي (2024) التطوير الإداري بأنه هو عملية منظمة للتدريب والنمو الإداري، حيث يكتسب الأفراد الطامحون للارتقاء في السلم الإداري المعرفة والمهارات والرؤى والمواقف اللازمة، ويطبقونها بفعالية في إدارة الفرق والمديرين والمنظمات. والتطوير الإداري بناءً على المفهوم العام يعنى تطوير قدرات ومهارات الأفراد الإدارية من أجل مستوى وظيفي يعطيهم السلطة لأداة أعمال المنشأة على أساس علمي سليم، وذلك من خلال تنظيم دورات تدريبية لشاغلي الوظائف الإدارية العليا وبعض موظفي الإدارة الوسطي المتوقع تدرجهم لشغل مناصب قيادية في المستقبل، وتهدف إلى تحسين أداء المديرين القائمين بالعمل حالياً وإكسابهم مهارات وقدرات إدارية متميزة تؤهلهم لشغل مناصب أعلى عند ترقيتهم. وتختلف برامج التطور وفقاً للمفهوم السابق عن برامج التدريب العادي الذي يخصص لموظفي المستويات الدنيا وشاغلي الوظائف العمالية إذ يتميز الأول بطول فترة التدريب واختلاف طبيعة البرامج فهي تضم مهارات إدارية أكثر شمولاً يدخل في إطارها تغيير سلوك واتجاهات الأفراد إلى جانب بعض الصفات الشخصية اللازمة لشاغلي الوظائف القيادية، في حين يقتصر دور النوع الثاني، أي التدريب العادي على إكساب الموظف بعض المهارات لتعينه على أداء وظيفته التي يشغلها بأسلوب أفضل. ومع التسليم بأهمية هذا النوع من التدريب على ضوء

المستجدات الحديثة في مجال إدارة الأعمال على المستويين العام والخاص وبما أنه وظيفة أساسية لإدارة الموارد البشرية، فإنه يمكن أن يحقق نجاحاً أكبر إذا توفرت له بعض الجوانب التي يجب ألا يغفلها المختصون. ومن أهمها:

أ. ترشيح المديرين لبرامج التطوير الإداري بحسب الرغبة الشخصية، ومحاولة إقناعهم بأهمية الأساليب الحديثة التي طرأت على العمل الإداري، وبأن الأساليب التقليدية التي كان يتمسك بها البعض ويعتقد فعاليتها لم تعد تناسب التطور العلمي والتقدم التكنولوجي في أساليب العمل وفي الأجهزة والمعدات التي تستخدم في ذلك.

ب. توجيه برامج التطوير الإداري إلى المشكلات الحقيقية التي تعاني منها الإدارة وهي كثيرة، ومنها على سبيل المثال، إتاحة الفرصة أمام العاملين للمشاركة الفعالة في الإدارة وتقوية إحساسهم بانتمائهم إلى العمل وترغبتهم فيه.

أهمية التطوير الإداري:

يرى المقلي (2005، ص 493) أن التطوير الإداري هو عبارة عن عملية منتظمة تهدف إلى ضمان أن المنظمة يتوفر لديها المديرون الفاعلون الذين تحتاجهم لمقابلة احتياجاتها الحالية والمستقبلية من الكوادر الإدارية، ويعني التطور الإداري بتحسين أداء المديرين الحاليين وإتاحة الفرصة لهم للنمو والتطور وضمان لأقصى حد ممكن عمل الترتيبات اللازمة بالمنظمة للتعاقب الإداري. وهو لا يعتبر نشاطاً منفصلاً يوكل لأحد الاختصاصيين ومن ثم نسيانه أو تجاهله، ويعتمد نجاح برنامج التطوير الإداري على درجة التزام جميع المستويات الإدارية به، ويجب النظر إلى أن تطوير المسؤولين يعتبر جزءاً طبيعياً وأساسياً من عمل المدير، ولكن المثال يجب أن يأتي من أعلى الهرم الإداري. ولقد أجمعت كل الدراسات الميدانية على أهمية التطوير الإداري في دول العالم الثالث، حيث أن الطموحات العالية للجماهير والطاقات البشرية المحدودة والكفاءة والموارد الطبيعية غير المستثمرة كذلك يمكن أن نضيف بأن مرحلة التنمية وبرامجها يمكن أن تمضي بالفشل ما لم تكن هناك إدارة متينة البنيان تسير

الأشياء وفق جدول زمني محدد وتجري التغيرات اللازمة ما بين الضغوط المتناقضة من أجل التغيير.

دواعي ومبررات التطوير الإداري:

من أهم المبررات التي تستدعي القيام بالتغيير والتطور الإداري (جاد الرب، 2009، ص 25) ما يلي:

- أ. قصور التخطيط عن أداء مهامه بنجاح ودقة.
- ب. عدم التحديد الواضح للعلاقات التنظيمية.
- ج. الفشل في تفويض السلطة.
- د. عندما لا يصاحب التفويض السلطة اللازمة.
- هـ. اللامبالاة والإهمال عند استخدام المستشارين.
- و. إساءة استعمال السلطة الوظيفية من جانب الخبراء.
- ز. تعدد المستويات الإدارية.
- ح. إساءة فهم أهمية وظائف أقسام الخدمات في المنظمة.

أهداف التطوير الإداري:

يمكن تلخيص أهداف التطوير الإداري وفقاً لـ (محمد، 2020، ص 206) في الآتي:

1. تهيئة قدرات القادة بشكل يتناسب مع التطورات التي تفرضها أساليب العمل.
2. تغيير سلوك القادة وأساليبهم في العمل بالشكل الذي يتوافق مع المتطلبات الحديثة في الإدارة.
3. توفير مناخ التعاون بين أعضاء المنظمة بدلاً من الصراع والتنافس، وتطوير العلاقات الإنسانية فيما بينهم.
4. تطوير وسائل الاتصال من حيث اعتماد انفتاحه نظم الاتصالات.
5. اعداد بطاقة الوصف الوظيفي بهدف تطوير الرقابة الإدارية والأساليب الاشرافية على العاملين.

ملاحح التطوير الإداري: يرى العمري وعقيلي (2020، ص 89) أن أهم ملاحح التطوير الإداري تتمثل في الآتي:

أ. **الاتجاه نحو التغيير:** يعد العنصر الأول والأهم في التطوير الإداري؛ فلا يمكن حدوث أي تطوير إلا بإدخال تغييرات إيجابية معينة، كإعادة التنظيم الهيكلي للإدارة، وابتكار برامج لزيادة الإنتاج... وما إلى ذلك.

ب. **التوجه نحو الأهداف:** التطوير الإداري من الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق الأهداف.

ج. **الإدارة المبتكرة:** التطوير الإداري هو عملية ديناميكية وتقدمية في التفكير والعمل، ويهتم بتحديد وتطبيق الهياكل والأساليب والاحراءات والتقنيات والسياسات الجديدة وتخطيط المشاريع والبرامج بحيث يتم تحقيق أهداف التطوير وغاياته بأقل قدر ممكن من الموارد والوقت.

د. **التوجه حول المشاركة:** التطوير الإداري من الوسائل التي تدعو الى المشاركة في صياغة الخطط، والسياسات، والبرامج التنموية، وتنفيذها.

هـ. **التنسيق الفعال:** ينطوي التطوير الإداري على زيادة التخصص والمهنية، مما يجنب هدر الموارد البشرية، وازدواجية الوظائف، وإهمال الوظائف الهامة وما إلى ذلك.

و. **المنظور البيئي:** يرتبط التطوير الإداري بالبيئة وينطوي على تفاعل وثيق بين الإدارة والبيئة، وتحدد البيئة المعاملات التنفيذية للتطوير؛ فهو يتطلب صفات المرونة والاستجابة في الاحراءات والأساليب الإدارية، وتؤثر التغيرات التي تطرأ على الإدارة على بيئته.

منهجية الدراسة واحراءاتها:

1. منهجية الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي المسحي الشامل لملائمته لأغراض وتحقيق أهداف هذه الدراسة وذلك بهدف تحديد علاقة تخطيط القوى العاملة ودوره في التطوير

الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي بجمهورية السودان. وتمثلت أداة الدراسة في صياغة وتصميم استبانة كأداة رئيسة للحصول على البيانات اللازمة وذلك بعد الاطلاع على الدراسات السابقة التي استخدمت الاستبانة كوسيلة لاختبار فرضيات الدراسة، وقد راعى الباحثون في صياغتها البساطة والوضوح في صياغة عبارات متغيرات الدراسة باعتماد مقياس لكرت الخماسي، وشملت الاستبانة على (18) عبارة مقسمة على محاور الدراسة المستقلة والتابعة غايتها معرفة آراء المبحوثين عن علاقة تخطيط القوى العاملة ودوره في التطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي.

2. مجتمع وعينة الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من جميع العاملين بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي. وقد بلغ عدد العاملين من هم على رأس العمل (106) من العاملين، وقد تم توزيع استبانة الكترونية على جميع المستهدفين وقد استجاب فقط عدد (92) منهم وبنسبة استجابة بلغت 87% كما هو حسب الفئات الموضحة في الجدول أدناه:

جدول (1) التكرارات والنسب المئوية حسب متغيرات الدراسة

النسبة	التكرار	الفئات	
85%	79	ذكر	الجنس
15%	13	أنثى	
52%	48	أقل من 3 سنوات	سنوات الخبرة
28%	25	من 3 سنوات إلى 8 سنوات	
20%	19	8 سنوات فأكثر	

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

3. الأساليب والمعالجات الإحصائية:

لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات التي تمّ تجميعها تم استخدام العديد من الأساليب والمعالجات الإحصائية للإجابة عن أسئلة الدراسة، وذلك باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وهي:

1. معامل ألفا كرو نباخ اختبار (ت) لتحديد الاتساق الداخلي بين متغيرات الدراسة.

2. المتوسطات والانحرافات المعيارية للإجابة على تساؤلات الدراسة

3. تحليل للانحدار الخطي البسيط ($ANOVA^b$) لاختبار أثر المتغيرات المستقلة على المتغير التابع.

4. الاتساق الداخلي:

للتأكد من ثبات الأداء، تم حساب معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha) لمجالات الدراسة حيث كانت النتائج كما هو مبين في الجدول (2).

جدول (2) معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا

المجالات	معامل كرونباخ ألفا
تحديد الاحتياجات المستقبلية	0.84
تحليل قوى العمل الحالية	0.87
وضع خطة التدريب والتوظيف	0.78
التطوير الإداري	0.88
إجمالي أبعاد الدراسة	0.84

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

يبين الجدول رقم (2) أن قيم معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا لجميع أبعاد فقرات أداة الدراسة (الاستبانة) قد تراوحت ما بين (0.78-0.88)، وهذه القيم تعد مؤشر على ثبات أداة الدراسة، والاتساق بين فقراتها وموثوقيتها وإمكانية الاعتماد عليها لإجراء التحليل الإحصائي.

5. الإجابة على تساؤلات الدراسة:

للإجابة على تساؤلات الدراسة تم حساب الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية ومربع كاي لعبارات كل بعد من أبعاد الدراسة كما هو موضح في الجداول التالية:

السؤال الأول: ما هي درجة التزام إدارة الشركة باتباع الخطوات العلمية لتحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة؟

الجدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار مربع كاي لعبارات السؤال الأول

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كأي	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية	التفسير
تهتم إدارة الشركة بتحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة	3.79	.97	40.491	4	0.000	دالة
تتبع إدارة الشركة الأسس العلمية والعملية المناسبة لتحديد الاحتياجات من القوى العاملة المستقبلية	3.45	1.08	19.925	4	0.001	دالة
تقوم إدارة الشركة بتحليل القوى العاملة الحالية لتحديد الاحتياجات المستقبلية من حيث الكم والنوع	3.40	1.08	20.491	4	0.000	دالة
تأخذ إدارة الشركة في الاعتبار تأثير التكنولوجيا والابتكار على المتطلبات من المهارات	3.43	1.10	23.887	4	0.000	دالة
المتوسط	3.52	1.03				

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

يتضح من خلال نتائج التحليل الإحصائي في الجدول رقم (3) أن الأوساط الحسابية لاستجابات عينة الدراسة عن عبارات المحور الأول (تحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة) يشير إلى درجة اتفاق جيدة من قبل المستجيبين على أن الشركة يتبنى مفهوم تحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة وذلك من خلال اتباع الخطوات العلمية لتحديد احتياجاتها من القوى العاملة حيث تراوحت قيمة الوسط الحسابي بين (3.40 - 3.79). وأن الانحراف المعياري للعبارات يتراوح ما بين (0.97 - 1.10) مما يدل على أن آراء المشاركين متقاربة حول ممارسات تخطيط القوى العاملة. وأن قيم مربع كاي لجميع العبارات ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.05)، وبالتالي يمكن القول إن آراء المشاركين متقاربة جدًا حول التزام إدارة الشركة باتباع الخطوات العلمية في تحديد احتياجاتها المستقبلية من القوى العاملة.

السؤال الثاني: هل تتبع إدارة الشركة الأساليب والاستراتيجيات المناسبة لتحليل القوى العاملة الحالية من حيث الكم والنوع؟

الجدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار مربع كاي لعبارات السؤال الثاني

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية	النتيجة
تتبع إدارة الشركة أساليب مناسبة لتحليل القوى العاملة الحالية	3.45	1.28	15.208	4	.004	دالة
تعتمد إدارة الشركة تقييم مهارات وقدرات الموظفين الحاليين وتحديد نقاط القوة والضعف لديهم	3.25	1.18	8.415	4	.078	غير دالة
تعمل إدارة الشركة على تحديد الفجوات بين المهارات الحالية والمهارات المطلوبة لتلبية الاحتياجات المستقبلية	3.38	1.16	17.283	4	.002	دالة
تحدد إدارة الشركة مستوى المهارات والكفاءات المطلوبة لتلبية الاحتياجات المستقبلية	4.30	1.05	58.981	4	.000	دالة
المتوسط	3.60	1.17				

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

تبين نتائج التحليل الإحصائي في الجدول رقم (4) أن الأوساط الحسابية لاستجابات عينة الدراسة عن عبارات السؤال الثاني (تحليل القوى العاملة الحالية) يشير إلى درجة اتفاق من قبل المستجيبين على أن الشركة يتبع الخطوات العلمية لتخطيط القوى حيث تراوحت قيمة الوسط الحسابي بين (3.25 - 4.30). وأن الانحراف المعياري للعبارات يتراوح ما بين (1.05 - 1.28) مما يدل على أن آراء المشاركين متقاربة حول اتباع الخطوات العلمية لتخطيط القوى العاملة. وأن قيم مربع كاي لجميع العبارات ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.05)، باستثناء عبارة مدى ملائمة محتوى التدريب للاحتياجات التدريبية. وبالتالي يمكن القول إن آراء المشاركين

مقارنة حول ممارسات الخطوات والأساليب المناسبة لتحليل القوى العاملة الحالية لتحديد الاحتياجات المستقبلية من المهارات والكفاءات.

السؤال الثالث: ما مستوى التزام إدارة الشركة بوضع استراتيجيات وخطط التدريب والتوظيف للقوى العاملة مستقبلاً؟

الجدول (5) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار مربع كاي لعبارات السؤال الثالث

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	الدالة الإحصائية	النتيجة
تهتم إدارة الشركة بوضع استراتيجيات وخطط تدريب القوى العاملة	3.72	1.12	16.151	4	.003	دالة
تلتزم إدارة الشركة بتحديد محتوى تدريبي ملائم للاحتياجات المستقبلية	3.62	1.08	1.113	3	.774	غير دالة
تعتمد إدارة الشركة أساليب واستراتيجيات تدريب ملائمة لموضوع التدريب	4.43	.91	69.547	4	.000	دالة
تدريب العاملين بالشركة يساعد في رفع كفاءة ومهارات العاملين	3.32	1.25	10.679	4	.030	دالة
تحدد إدارة الشركة استراتيجيات التوظيف المناسبة لجذب أفضل الكفاءات وتلبية الاحتياجات المستقبلية	4.30	1.05	58.981	4	.000	دالة
المتوسط	3.77	1.09				

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

تبين نتائج التحليل الإحصائي في الجدول رقم (5) أن الأوساط الحسابية لاستجابات عينة الدراسة عن عبارات السؤال الثالث (وضع استراتيجيات وخطط التدريب والتوظيف) يشير إلى درجة اتفاق من قبل المستجيبين على أن الشركة يعمل الخطوات العلمية لتخطيط القوى حيث تراوحت قيمة الوسط الحسابي بين (3.32 - 4.30). وأن الانحراف المعياري للعبارات يتراوح ما بين (0.91 - 1.25) مما يدل على أن آراء المشاركين مقارنة حول التزام الشركة بوضع استراتيجيات وخطط التدريب والتوظيف. وأن قيم مربع كاي لجميع العبارات ذات دلالة إحصائية عند مستوى

معنوية (0.05)، باستثناء عبارة مدى التزام إدارة الشركة بتحديد محتوى تدريبي ملائم للاحتياجات المستقبلية. وبالتالي يمكن القول إن آراء المشاركين متقاربة حول التزام الشركة بوضع استراتيجيات وخطط التدريب والتوظيف وتحديد الاحتياجات المستقبلية من المهارات والكفاءات.

السؤال الرابع: ما هو مستوى دعم الإدارة شركة في شركة خلوج في الدعم والالتزام بالتطوير الإداري؟

الجدول (6) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار مربع كاي لعبارات السؤال الرابع

العبارة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة مربع كاي	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية	النتيجة
تدعم إدارة الشركة أنشطة وعمليات التطوير الإداري بقوة	3.89	1.07	22.755	4	.000	دالة
تهتم إدارة الشركة بآراء العاملين في التطوير الإداري	3.26	1.31	4.264	4	.371	غير دالة
تتفهم إدارة الشركة عملية التغيير في جميع الأقسام من أجل التطوير الإداري	3.53	1.17	20.302	4	.000	دالة
تهتم إدارة الشركة في تضمين أهداف مؤدية للتطوير الإداري	3.53	1.15	16.717	4	.002	دالة
المتوسط	3.55	1.18				

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

تُظهر نتائج التحليل الإحصائي في الجدول رقم (6) أن الأوساط الحسابية لاستجابات عينة الدراسة عن عبارات السؤال الرابع (التطوير الإداري) يشير إلى درجة اتفاق من قبل المستجيبين على أن إدارة الشركة تتعاطم لديها أهمية التطوير الإداري حيث تراوحت قيمة الوسط الحسابي بين (3.26 - 3.89). وأن الانحراف المعياري للعبارات يتراوح ما بين (1.07 - 1.31) مما يدل على أن آراء المشاركين متقاربة إلى حد ما حول التزام إدارة الشركة بالتطوير الإداري. وأن قيم مربع كاي لجميع العبارات ذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية (0.05)، باستثناء عبارة مدى

اهتمام الإدارة العليا بأراء العاملين في التطوير الإداري. وبالتالي يمكن القول إن آراء المشاركين متقاربة إلى حد ما حول مدى اهتمام إدارة الشركة بالتطوير الإداري ومساعدة العاملين على تحسين مهاراتهم الشخصية والتنظيمية، سواء كانوا يشغلون مناصب إدارية حالياً أو يستعدون لتولي مثل هذه الوظائف في المستقبل.

6. اختبار فرضيات الدراسة:

الفرضية الأولى: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار
جدول (7) نتيجة تحليل الانحدار الخطي البسيط للعلاقة بين تحديد الاحتياجات المستقبلية والتطوير الإداري

الفرضية الأولى	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R^2)	معامل الانحدار (B)	قيمة (T) المحسوبة	مستوى النتيجة
هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحديد الاحتياجات المستقبلية والتطوير الإداري	0.35	0.12	0.309	2.694	0.01 قبول

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

يتبين من الجدول رقم (7) ومن خلال قيمة معامل الارتباط (R) وقيمة معامل الانحدار (B) ما يلي:

1. يتضح من خلال قيمة معامل الارتباط (R) وقدرها (0.35) على وجود علاقة ارتباطية موجبة بين تحديد الاحتياجات المستقبلية وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري، كما بلغت قيمة معامل الانحدار (0.309) وهذه القيمة الموجبة تدل على وجود أثر طردي بين تحديد الاحتياجات المستقبلية والمساهمة وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري.

2. كما تشير نتائج معامل التحديد (R^2) إلى أن لتحديد الاحتياجات المستقبلية أثر على التطوير الإداري بنسبة 12% حيث بلغت قيمة معامل التحديد (0.12) بينما المتغيرات الأخرى تؤثر على المفهوم بنسبة 88%.

3. كما يتضح من نتائج التحليل وجود علاقة ارتباط ايجابية بين تحديد الاحتياجات

المستقبلية وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري، وفقاً لاختبار (t) عند مستوى معنوية (0.05) حيث بلغت قيمة (t) المحسوبة (2.694) بمستوى دلالة معنوية (0.01) وهذه القيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05). وبناء على تلك النتائج يتم رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل والذي يشير إلى وجود علاقة وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار المحدودة.

الفرضية الثانية: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحليل القوى العاملة الحالية والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار

جدول (8) نتيجة تحليل الانحدار الخطي البسيط للعلاقة بين تحليل القوى العاملة الحالية والتطوير الإداري

الفرضية الثانية	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R ²)	معامل الانحدار (B)	قيمة (T) المحسوبة	مستوى دلالة معنوية	نتيجة العلاقة
هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحليل القوى العاملة الحالية والتطوير الإداري	0.43	0.18	0.530	3.361	0.001	قبول

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

يتبين من الجدول رقم (8) ومن خلال قيمة معامل الارتباط (R) وقيمة معامل الانحدار (B) ما يلي:

1. يتضح من خلال قيمة معامل الارتباط (R) وقدرها (0.43) على وجود علاقة ارتباطية موجبة بين تحليل القوى العاملة الحالية وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري، كما بلغت قيمة معامل الانحدار (0.530) وهذه القيمة الموجبة تدل على وجود أثر طردي بين تحليل القوى العاملة الحالية والمساهمة وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري.

2. كما تشير نتائج معامل التحديد (R²) إلى أن لتحليل القوى العاملة الحالية أثر على التطوير الإداري بنسبة 18% حيث بلغت قيمة معامل التحديد (القوى التفسيرية) (0.18) بينما المتغيرات الأخرى تؤثر على المفهوم بنسبة 82%.

3. كما يتضح من نتائج التحليل وجود علاقة ارتباط ايجابية بين تحليل القوى العاملة الحالية وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري، وفقاً لاختبار (t) عند مستوى معنوية (0.05) حيث بلغت قيمة (t) المحسوبة (3.361) بمستوى دلالة معنوية (0.001) وهذه القيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05). وبناء على تلك النتائج يتم رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل والذي يشير إلى وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحليل القوى العاملة الحالية والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار المحدودة.

الفرضية الثالثة: هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين وضع خطط التدريب والتوظيف والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار

جدول (9) نتيجة تحليل الانحدار الخطي البسيط لعلاقة وضع خطط التدريب والتوظيف والتطوير الإداري

الفرضية الثالثة	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R ²)	معامل الانحدار (B)	قيمة (T) المحسوبة	مستوى المعنوية	نتيجة العلاقة
هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين وضع خطط التدريب والتوظيف والتطوير الإداري	0.35	0.12	0.317	2.651	0.011	قبول

المصدر: إعداد الباحثين من نتائج التحليل الإحصائي باستخدام برنامج SPSS

يتبين من الجدول رقم (9) ومن خلال قيمة معامل الارتباط (R) وقيمة معامل الانحدار (B) ما يلي:

1. يتضح من خلال قيمة معامل الارتباط (R) وقدرها (0.35) على وجود علاقة ارتباطية موجبة بين وضع خطط التدريب والتوظيف وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري، كما بلغت قيمة معامل الانحدار (0.317) وهذه القيمة الموجبة تدل على وجود أثر طردي بين تحليل القوى العاملة الحالية والمساهمة وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري.

2. كما تشير نتائج معامل التحديد (R²) إلى أن لوضع خطط التدريب والتوظيف أثر على التطوير الإداري بنسبة 12% حيث بلغت قيمة معامل التحديد (القوى التفسيرية) (0.12) بينما المتغيرات الأخرى تؤثر على المفهوم بنسبة 88%.

3. كما يتضح من نتائج التحليل وجود علاقة ارتباط ايجابية بين وضع خطط التدريب والتوظيف وانعكاس نتائجها على التطوير الإداري، وفقاً لاختبار (t) عند مستوى معنوية (0.05) حيث بلغت قيمة (t) المحسوبة (2.651) بمستوى دلالة معنوية (0.011) و هذه القيمة أقل من مستوى المعنوية (0.05). وبناء على تلك النتائج يتم رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل والذي يشير إلى وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين وضع خطط التدريب والتوظيف والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار المحدودة.

7. الاستنتاجات والمقترحات:

أولاً الاستنتاجات:

1. اتفاق عينة الدراسة على أن إدارة الشركة تتبنى مفهوم تحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة وذلك من خلال اتباع الخطوات العلمية لتحديد احتياجاتها لمستقبلية من القوى العاملة، مع الأخذ في الاعتبار تأثير التكنولوجيا والابتكار على المتطلبات من المهارات.

2. اتفاق عينة الدراسة على أن إدارة الشركة تتبع الخطوات والأساليب المناسبة لتحليل القوى العاملة الحالية لتحديد الفجوات بين المهارات الحالية والمهارات المطلوبة لتلبية الاحتياجات المستقبلية من المهارات والكفاءات.

3. اتفاق عينة الدراسة على أن إدارة الشركة تقوم بوضع استراتيجيات وخطط التدريب الملائمة وتحديد استراتيجيات التوظيف المناسبة لجذب أفضل الكفاءات وتلبية الاحتياجات المستقبلية

4. اتفاق عينة الدراسة على أن إدارة الشركة تهتم بالتطوير الإداري ومساعدة العاملين على تحسين مهاراتهم الشخصية والتنظيمية، سواء كانوا يشغلون مناصب إدارية حالياً أو يستعدون لتولي مثل هذه الوظائف في المستقبل.

5. بينت نتائج التحليل الإحصائي أن هنالك علاقة ارتباط موجبة بين تحديد الاحتياجات المستقبلية من القوى العاملة والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في

الضأن الصحراوي، حيث أن كل زيادة بمقدار وحدة واحدة في درجة تحديد الاحتياجات المستقبلية تؤدي إلى زيادة متوقعة في التطوير الإداري، مع ثبات العوامل الأخرى.

6. كشفت نتائج التحليل الإحصائي أن هنالك علاقة ارتباط موجبة بين تحليل القوى العاملة الحالية والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي، حيث أن كل زيادة بمقدار وحدة واحدة في درجة تحليل القوى العاملة الحالية تؤدي إلى زيادة متوقعة في التطوير الإداري، مع ثبات العوامل الأخرى.

7. أظهرت نتائج التحليل الإحصائي أن هنالك علاقة ارتباط بين وضع خطط التدريب والتوظيف من القوى العاملة والتطوير الإداري بشركة خلوج للاستثمار في الضأن الصحراوي، حيث أن كل زيادة بمقدار وحدة واحدة في درجة وضع خطط التدريب والتوظيف تؤدي إلى زيادة متوقعة في التطوير الإداري، مع ثبات العوامل الأخرى.

التوصيات:

1. تعزيز عمليات وأنشطة تحديد الاحتياجات المستقبلية عبر استخدام أدوات تحليل علمية مثل تحليل الفجوات ودراسات السوق، ودمج فرق العمل في عملية تحديد الاحتياجات لزيادة دقة المعلومات.

2. وربط خطط الاحتياجات بخطط التدريب والتطوير الإداري لضمان تأثير أكبر على الأداء، ومراجعة دورية للاحتياجات المستقبلية لضمان توافقها مع المتغيرات الداخلية والخارجية.

3. الاستثمار في نظم معلومات الموارد البشرية لجمع وتحليل بيانات القوى العاملة بشكل دوري، وتوفير معلومات كافية عن القوى العاملة الحالية والاستفادة منها لسد احتياجات الشركة والمساعدة في عمليات التطوير الإداري.

4. ربط نتائج تحليل القوى العاملة بخطط التطوير الإداري لضمان توجيه الجهود نحو تحسين الأداء المؤسسي والمساعدة في تحقيق الأهداف الاستراتيجية للشركة.

5. استخدام مؤشرات أداء رئيسية (KPIs) لمتابعة فجوات المهارات والاحتياجات التدريبية، وتحسين جودة البيانات الخاصة بالقوى العاملة لتكون القرارات مبنية على معلومات دقيقة وموثوقة.
6. تحسين جودة خطط التدريب والتوظيف لتكون مبنية على تحليل دقيق لاحتياجات المؤسسة، ومواءمة خطط التدريب مع أهداف التطوير الإداري لضمان تحقيق أثر أكبر.
7. تقييم فعالية البرامج التدريبية بشكل دوري وقياس مردودها على الأداء المؤسسي، وإدماج خطط التدريب والتوظيف ضمن التخطيط الاستراتيجي لضمان الاستدامة.
8. دراسة الاحتياجات التدريبية وتوسيع وتوزيع فرص التدريب على جميع العاملين دون استثناء، وأن تلتزم الشركة ببرامج التدريب المخطط له بقدر المستطاع للحفاظ على ورفع مستوى التطوير الإداري والمهني للعاملين.

المصادر والمراجع

- السلمي، على، 1998. إدارة الموارد البشرية، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
- العامود، سوزان وآخرون، 2022. دور أبعاد التطوير الإداري في تحقيق الأداء المتميز عند العاملين في اللجان التنفيذية للاتحاد الرياضي في الجمهورية السورية، مجلة جامعة حماة، المجلد الخامس العدد 21، ص 114-125.
- العتيبي، عبدان شاهر، وصميذة، عمر علي الصغير، 2020. أثر تخطيط القوى العاملة الجيد على أداء العاملين بالقطاع الصحي، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية المجلد الرابع العدد الثامن، ص 92-93.
- العمرى، محمد بن عبدالله، وعقيلي، عثمان بن موسى 2020. دور نكاه الأعمال في التطوير الإداري بجامعة الملك عبدالعزيز، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، المجلد 28، العدد 13، ص 77-110.
- عوديش، جيمس يوحنا، 2023. دور تخطيط الموارد البشرية في تطبيق إدارة الموارد البشرية الخضراء: دراسة لآراء عينة من القيادات الإدارية في عدد من مدارس محافظة دهوك. مجلة جامعة دهوك، المجلد: 62 ، العدد: 2 (العلوم الإنسانية والاجتماعية)، ص 1440-14457.

الغنام، ماجد إبراهيم 2024. تخطيط الموارد البشرية ودوره في تعزيز المركز التنافسي لمنظمات الأعمال: دراسة على العاملين في هيئة التقييس لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار الثامن والستون، ص 7-45.

محمد، موفق حديد، 2020. الإدارة العامة، هيكلية الأجهزة وصنع السياسات وتنفيذ البرامج الحكومية، دار الشروق عمان، الطبعة الأولى.

المقلي، عمر احمد عثمان، 2005. إدارة الأفراد، الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة.

موقع رائد التطوير العربي، مايو 7، 2024. <https://ar-/التطوير-الإداري/> entrepreneur.com

- A. Ubah & Ibrahim, Umar Abbas, 2021. Examining the effect of human resource planning on the performance of public sector organizations: Evidence from Nigeria Chizomam, International Journal of Research in Business and Social Science, 10(5), 72-82.
- Al-Qudah, Shaker, Obeidat, Abdallah Mishael, Shrouf, Hosam, Abusweilem, Mohammed A., 2020. The impact of strategic human resources planning on the organizational performance of public shareholding companies in Jordan. Problems and Perspectives in Management, Volume 18, Issue 1.
- Aqila, Annisa Dillys, and Hasibuan, Abdurrozzaq, 2025. Human Resource Planning as an Effort to Increase Organizational Competitiveness Amidst Internal and External Pressure. Journal of Advance Multidisciplinary Studies. Vol. 1, No. 2.
- Dike, B. W. (2022). Human resource planning for effective educational development in Nigeria. International Journal of Institutional Leadership, Policy and Management, 4(1), 92-103.
- Ellinger, D., D., & Svendsen, S., (2021). The Impact of Human Resource Planning on Organizational Performance; A Case of Manufacturing Firms in Austria. Journal of Human Resource & Leadership, 5(2), 14-21.
- V. Bharadwaj, 2025. The Impact of Human Resource Planning on Organizational Performance. Emerging Frontiers in Management and Leadership, Published by BSSS, Bhopal. <https://doi.org/10.51767/ic250203>

محطات الوقود في مدينة المكلا والملاءمة المكانية لتوزيعها باستخدام نظم المعلومات الجغرافية

د. أمين عبدالقادر حسين هشة.

أستاذ مشارك في علم الخرائط ونظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بُعد، ورئيس قسم العلوم الاجتماعية بكلية التربية المكلا - جامعة حضرموت..

hashlehamen@gmail.com

تاريخ إرسال البحث للمجلة 2025/10/18 تاريخ قبول البحث 2025/11/21
تاريخ نشر البحث 2026/6/19

doi <https://doi.org/10.71311/.v7i1.268>

ملخص:

يهدف البحث إلى التعرف على مدى ملائمة محطات الوقود في مدينة المكلا لمعايير التخطيط المحلية، من حيث مواقعها، ومدى كفايتها لحاجة السكان، واختلافاتها المكانية، ونمط توزيعها، وتحديد المحطات الملائمة وغير الملائمة المطابقة لهذه المعايير، مع اقتراح أماكن ملائمة لتشييد محطات مستقبلًا. استخدم البحث المنهج الكمي والمنهج الوصفي التحليلي، وقد اعتمد على تقنية نظم المعلومات الجغرافية بشكل أساسي في التحليل المكاني لتوزيع محطات الوقود، وتحليل الملاءمة المكانية، والمواقع الأفضل لتشييد المحطات الجديدة، وقد خلص البحث لاهم النتائج التالية: يعد نمط التوزيع المتقارب المنتظم هو السائد في توزيع محطات الوقود في مدينة المكلا، وتباين التوزيع المكاني لمحطات الوقود في أحياء المدينة، مع خلو بعض الأحياء من الخدمة. غياب معيار الحجم السكاني الأمثل / محطة، في التوزيع الجغرافي لمعظم محطات الوقود، من حيث تكس بعض المحطات أو تباعدها. وجود عدد من المحطات في مجمعات خدمية تحتوي على أسواق تجارية ومطاعم وفنادق وتكون بذلك مخالفة لمعيار المسافة الفاصلة عن المباني السكنية، والمحلات التجارية ومخالفة لشرط المسافة الفاصلة بين المحطات. وجود عدد من محطات الوقود المخالفة لمعيار البعد عن التقاطعات، وبعض الاستخدامات، مثل المدارس، والمستشفيات، ومراكز

بيع الغاز. من جملة عدد المحطات، تحقق بعض المحطات ملائمة مكانية متوسطة من جملة عدد المحطات. اقترح البحث أماكن جديدة مطابقة للمعايير التخطيطية؛ لتشييد محطات وقود جديدة. الكلمات المفتاحية: مدينة المكلا، محطات الوقود، الملاءمة المكانية، المعايير التخطيطية، نمط التقارب.

Gas Stations in the City of Mukalla and the Spatial Suitability of Their Distribution Using Geographic Information Systems

Prof. Dr. Amen Hashleh

Associate Professor of Maps, Geographic Information Systems, and Remote Sensing – Head of the Department of Social Sciences – Faculty of Education, Hadramout University

Abstract:

The research aims to identify the suitability of gas stations in the city of Mukalla to local planning standards, in terms of their locations, their adequacy to meet the needs of the population, their spatial differences, and their distribution pattern, and to identify suitable and unsuitable stations that meet these standards, with a proposal for suitable places to build stations in the future. The research used the descriptive analytical approach and relied mainly on geographic information systems technology in the spatial analysis of the distribution of gas stations, spatial suitability analysis, and the best locations for building new stations. The research concluded with the following important results: The regular clustered distribution pattern is the dominant one in the distribution of gas stations in the city of Mukalla. The spatial distribution of gas stations varies across the city's neighborhoods, with some neighborhoods being devoid of service. The absence of the optimal population size per station criterion in the geographical distribution of most gas stations, in terms of crowding of some stations or their spacing. A number of stations are located in service complexes containing commercial markets, restaurants, and hotels. This violates the standard regarding the distance separating stations from residential buildings and shops, as well as the condition regarding the distance between stations themselves. A number of gas stations violate the standard of distance from

intersections and certain facilities, such as schools, hospitals, and gas sales centers, out of the total number of stations. Some stations demonstrate moderate spatial suitability out of the total number of stations. The research proposed new locations that comply with planning standards for the construction of new gas stations.

Keywords: Mukalla city, spatial suitability, planning standards, clustered pattern

مقدمة:

الملاءمة المكانية (Suitability Spatial) يقصد بها التنظيم الموقعي لتوزيع المراكز الخدمية في المدينة ⁽¹⁾، بحيث تكون المسافة بين كل مركز خدمة، وأخرى قريبة من أماكن توزيع السكان وتركزهم، وهذا يتم من خلال استخدام المعايير التخطيطية الخاصة بكل خدمة. وتعد دراسة التنظيم المكاني للظواهر من صميم عمل الجغرافي، وهذا لا يكون على صورتها الوصفية فقط، ولكن من خلال تحليل مركب هذه الخصائص وتفسيرها من حيث طبيعة التوزيع ⁽²⁾، وقد أدت الاستعانة بنظم المعلومات الجغرافية إلى تقديم حلول لبعض مشكلاتها، وهو ما يدعم المكانة التطبيقية لعلم الجغرافية في مجال التخطيط والتنمية ⁽³⁾. وتعد خدمة محطات إمداد الوقود من الخدمات الحيوية، إذ لا تكتمل منظومة الحركة بدونها، ومن هنا تأتي أهميتها من حيث كفايتها، وكفاءتها وتوزيعها الجغرافي المتوازن، في ظل تحقق معايير الأمن والسلامة، خاصة أنها تتعامل مع مادة سريعة الاشتعال.

¹⁾ Chapin, J. r., (1995): Urban land use planning, Fourth Edition university of -Illinois Press, London, P 101

²⁾ Abdullah, Nashwan Shukri, (2014): Suitability Model Based on GIS and MCDA for Spatial Distribution of Settlements in Different Geographic Environments, European Scientific Journal /SPECIAL/ edition vol.2, June. P251

³⁾ باشا، إفراج عزب السيد (2019): التباين المكاني لتوزيع محطات الوقود في محافظة الفيوم باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلد 30، العدد 116 ص.1516

للمحافظة وبين بقية المراكز الحضرية في إطار شبكة المستوطنات الحضرية، وضمن مديرية مدينة المكلا التي يحدها من الشرق مديرية غيل باوزير ومن الغرب مديرية بروم ميفع ومن الشمال مديرية أرياف المكلا ومن الجنوب خليج عدن. ⁽¹⁾ وتبلغ مساحة المدينة الكلية نحو 372 كم² ⁽²⁾، وتشغل المساحة العمرانية المأهولة منها 92.81 كم²، وهو ما يشكل نحو 25 % من جملة مساحتها، يسكنها نحو 455061 نسمة ⁽³⁾ وهو ما يشكل نحو 46% من جملة عدد سكان مديريات ساحل حضرموت، ونحو 5 % من جملة سكان الجمهورية اليمنية، وتنقسم المدينة إداريًا إلى تسعة عشر حي وتظم 27 حارة.

جدول 1 سكان مدينة المكلا في 1994م، 2004م، 2018م

الحي	عدد السكان عام 1994	عدد السكان عام 2004	تقدير السكان عام 2018
1 الشهيد خالد	7,483	6,341	16,307
2 الصيادين	6,519	6,163	15,850
3 السلام	11,478	9,905	25,474
4 أكتوبر	28,017	20,709	53,260
5 -30 نوفمبر	3,153	18,095	46,536
6 الغُمَال	6,258	3,655	9,400
7 النصر	16,294	21,667	55,723
8 الثورة	14,849	21,568	55,469
9 المتضررين	1,508	9,936	25,554
10 قوة القديمة	5,822	9,152	23,537
11 المساكن (الصدافة)	2,524	7,423	19,091
12 ابن سينا	3,060	7,526	19,355
13 -22 مايو	-	11,200	28,804
14 امبيخة	447	372	957
15 بويش	1,064	4,293	11,041
16 خلف	-	1,216	3,128
17 روكب	3,387	7,351	18,906
18 العيص	1,237	2,326	5,982
19 الحرشيات	3,459	8,044	20,687
المجموع	116,559	176,942	455,061

المصدر: باسل شملان (2020): تقييم واقع التوزيع المكاني لمواقع المدارس الحكومية في مدينة المكلا باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة حضرموت.

⁽¹⁾ المحمدي، عمر (2012): المصدر نفسه.

⁽²⁾ تم احتساب المساحة عن طريق برنامج arcgis10.8

⁽³⁾ باسل شملان (2020): تقييم واقع التوزيع المكاني لمواقع المدارس الحكومية في مدينة المكلا باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة حضرموت..

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

يعد تحديد الملاءمة المكانية لمحطات الوقود في المدن من الموضوعات المهمة، إذ تعد هذه الخدمة جزءاً من خدمات المدينة الضرورية التي تعتمد عليها قطاعات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية، وهي تتخلل النسيج العمراني داخل المدينة إلى جانب استعمالات خدمية أخرى، ومع خطورة الوقود بوصفه مادة سريعة الاشتعال، فلا بد أن يخضع إنشاء هذه المحطات إلى معايير تضمن الأمن والسلامة، إضافة إلى ضمان وصولها إلى كافة القطاعات بشكل سهل وآمن، لذا يمكن تقييم مواقعها، باستخدام التحليل المكاني الملاءمة المكانية، "وهو أسلوب تقني يهدف إلى قياس العلاقات المكانية بين الظاهرة الجغرافية ومحيطها المكاني"، إذ إن الملاءمة المكانية لا تعمل على ظاهرة دون أخرى، بل ترتبط بعلاقات قائمة بين الظواهر الجغرافية مجتمعة، حيث إن الظواهر تتغير باستمرار مع مرور الزمن، مما يعني تغير قيمة المكان⁽¹⁾، وهذا يتطلب مراقبة مدى الملاءمة بين الخدمة والمكان، وتدور إشكالية البحث الرئيسة حول مدى مطابقة المحطات للضوابط والمعايير الموقعية، وتقييم نمط توزيعها المكاني، ومدى مناسبتها لاحتياجات السكان . وتواجه مدينة المكلا عدداً من المشاكل والتحديات المتمثلة في سوء توزيع الخدمات العامة بشكل عام، والخدمات اللوجستية بشكل خاص؛ نتيجة لارتفاع معدل النمو السكاني والتوسع العمراني، وكذلك عدم اتباع معايير التخطيط المكاني للخدمات اللوجستية، وعدم ملاءمتها مع مبدأ توفير السلامة للسكان، وتهميش العمل باللوائح والقوانين المنظمة لإنشاء هذه الخدمات، وبناءً على ذلك جاءت هذه الدراسة لتقييم واقع التوزيع المكاني لمحطات الوقود، واقتراح المواقع الأنسب لها وفقاً للمعايير التخطيطية للخدمات اللوجستية في الجمهورية اليمنية وتتلخص تساؤلات البحث في الأسئلة الآتية:

1. ما هي ملامح التوزيع المكاني لمحطات الوقود في مدينة المكلا؟
2. ما هو نمط التوزيع المكاني للمحطات في المدينة؟
3. هل التوزيع المكاني الحالي لمحطات الوقود متلائم بالنسبة إلى باقي الاستخدامات؟

(1) تطبيق مبدأ الملاءمة المكانية لمحطات تعبئة الوقود في البصرة: 276

4. هل تتوفر بالمدينة مناطق سكنية جديدة مطابقة للمعايير التخطيطية يمكن اقتراحها لتشييد محطات وقود بها؟

أهداف البحث: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على خصائص التوزيع المكاني لمحطات الوقود في مدينة المكلا.
- تحليل نمط التوزيع المكاني لمحطات الوقود في المدينة.
- تقييم التوزيع المكاني الحالي للمحطات، لتحديد الملاءمة المكانية لمواقعها.
- اقتراح مواقع جديدة وفقاً للمعايير التخطيطية والتوسع المستقبلي للمدينة.

خطة البحث:

- فقد تم توجيهها لتغطيه المحاور التالية:
- التوزيع الجغرافي لمحطات الوقود في مدينة المكلا.
- التحليل المكاني لتوزيع محطات الوقود.
- تقييم مواقع محطات الوقود في مدينة المكلا.
- المواقع الملائمة لتشييد محطات وقود جديدة.

منهج البحث وإجراءاته:

منهج البحث: اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك في وصف مواقع المحطات، من أجل فهم أبعادها المكانية وتحليلها، وتصنيفها وفق مدى ملاءمة موقعها الحالي للمعايير التخطيطية، كما استعانت الدراسة بنظم المعلومات الجغرافية لإنتاج الخرائط، واستخدام أدوات التحليل المكاني لتحديد نمط التوزيع، إضافة إلى الأسلوبين الكمي، والخرائطي في تحليل موضوع الدراسة، كما لجأت إلى العمل الميداني لاستكمال البيانات الأساسية عن خصائص المحطات، وتنفيذ مسح ميداني عن المحطات قيد الدراسة.

أولاً: التوزيع الجغرافي لمحطات الوقود في مدينة المكلا

تشكل دراسة التوزيع المكاني جوهر العمل الجغرافي، ولفهم سلوك الظاهرة الجغرافية؛ لابد من التعرف على صورة التوزيع الحالية، فهذه هي نقطة البداية⁽¹⁾، إذ إنها الأساس الذي يعتمد عليه في تحديد نمط التوزيع، وموقعها بالنسبة للاستخدامات

⁽¹⁾ الجغرافيا موضوعها وأهدافها: 340

477

نحو 5.24 % من جملة عدد سكان المدينة، ويضمان 15 محطة تعبئة وقود، وهو ما يشكل نحو 37.5 % من جملة عدد المحطات بالمدينة، والحيان واقعان في اتجاهين متضادين، ففي العيص يقع في الجهة الشرقية ويمثل المدخل الشرقي للمدينة، ويقع به الطريق الرابط بين مدن ساحل ووادي محافظة حضرموت والمهرة، بالإضافة الى وجود مطار الريان الدولي. وحي بن سينا يقع في الجهة الغربية من المدينة وهو يربط بين الخط الدولي الرابط بين محافظة حضرموت وكل من محافظة شبوة وعدن.

جدول 2 التوزيع العددي لمحطات الوقود ونسبتها في أحياء مدينة المكلا وفقاً لعدد السكان والمساحة عام 2024

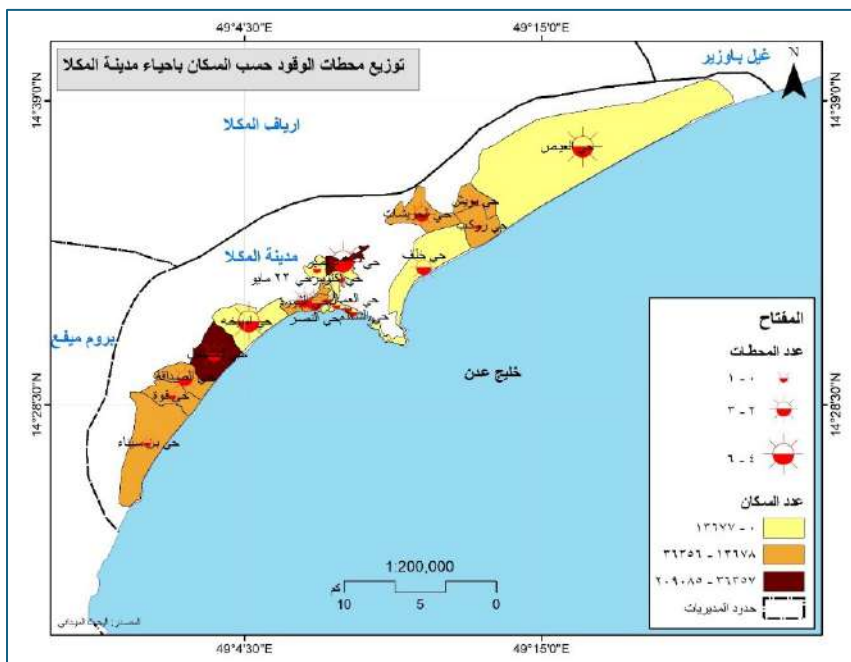
م	الحي	تقدير السكان عام 2018	عدد المحطات	%	م	الحي	تقدير السكان عام 2018	عدد المحطات	%
1	الشهيد خالد	16,307	-	0	11	المساكن (الصدّاقة)	19,091	3	7.5
2	الصيادين	15,850	-	0	12	ابن سينا	19,355	7	17.5
3	السلام	25,474	-	0	13	22 مايو	28,804	-	-
4	أكتوبر	53,260	1	2.5	14	امبيخه	957	3	7.5
5	30 نوفمبر	46,536	3	7.5	15	بويش	11,041	-	-
6	العُمّال	9,400	-	0	16	خلف	3,128	3	7.5
7	النصر	55,723	2	5	17	روكب	18,906	1	2.5
8	الثورة	55,469	1	2.5	18	العيص	5,982	8	20
9	المتضررين /حي المستقبل	25,554	5	12.5	19	الحرشيات	20,687	2	5
10	قوة القديمة	23,537	1	2.5					
	الاجمالي	327,110	13	32.5			127,951	27	67.5

المصدر: البحث الميداني

- **أحياء بها 3-5 محطات:** وشملت هذه الفئة خمسة أحياء وهي حي خلف 30، نوفمبر، وامبيخه، حي الصدّاقة/ المساكن، المستقبل ويشغلون مساحة نحو 25.10 % من جملة مساحة الكتلة العمرانية، ويسكن بها نحو 19.73 % من جملة

عدد سكان المدينة، وتضم 17 محطة وقود، ما يشكل نحو 42.5٪، وهذه الأحياء تشغل موقعا متوسطا ضمن الكتلة العمرانية للمدينة.

شكل رقم 3 التوزيع الجغرافي لأعداد محطات الوقود وعلاقته بالسكان في أحياء مدينة المكلا



- **أحياء بها 1-2 محطات:** تضم ستة أحياء وهي أحياء أكتوبر، الثورة، الحريشات، النصر، روكب، فوة القديمة ويشغلون مساحة نحو 14.31٪ من جملة مساحة الكتلة العمرانية، ويسكن بها نحو 48.88 ٪ من جملة عدد سكان المدينة، وتضم ثمان محطات وقود، ما يشكل نحو 20٪، وهذه الأحياء تشغل موقعا متوسطا ضمن الكتلة العمرانية للمدينة.
- **أحياء لا توجد بها محطات:** وتظم ستة أحياء وهي 22 مايو، السلام، الشهيد، الصيادين، العمال، بويش، ويشغلون مساحة تصل نسبتها إلى نحو 4.55٪ من جملة مساحة الكتلة العمرانية، ويسكن بها نحو 26.12 ٪ من جملة عدد سكان المدينة، وتعتبر هذه الأحياء النواة التي نشأت منها مدينة المكلا وتتسم أحيائها بكثافة العمران وضيق شوارعها. ويتضح مما سبق تباين توزيع محطات الوقود على أحياء المدينة، حيث تتركز المحطات بشكل لافت للنظر في أحياء شرق المكلا، وغربها والتي تستحوذ على نحو ثلاث أرباع عدد المحطات، بالرغم من ضمها 5٪ من عدد السكان، في حين تضم الأحياء الجديدة

التي نشأت بسبب التوسع العمراني الذي شهدته المدينة حوالي نصف عدد المحطات، ويسكن بها نحو نصف عدد السكان، ويشير ذلك إلى عدم وجود ارتباط بين عدد السكان وتوزيع محطات الوقود، وأظهر ذلك معامل ارتباط بيرسون (0.356) ولعل تركيز المحطات في أحياء شرق وغرب مدينة المكلا يمكن تفسيره كونها لا تقدم الخدمة لسكان المكلا فحسب، بل إلى المترددين على المدينة، حيث تمثل حلقة وصل بين المديرية الشرقية ومحافظة المهرة وكذا بين المديرية الغربية ومحافظة عدن وشبوة، إضافة إلى موقع مطار الريان الدولي في شرق المدينة، والذي يقصده المسافرون من أنحاء المحافظة والمحافظات المجاورة.

جدول 3 عدد المحطات ومساحتها وتوزيعها حسب الأحياء بمدينة المكلا

م	اسم المحطة	المساحة/ م ²	الحي	م	اسم المحطة	المساحة/ م ²	الحي
1	بن يمين	692	30-نوفمبر	22	زسوكي	5207	المستقبل/المتضررين
2	المضييق الغويزي	1752	30-نوفمبر	23	محطة الستين	1800	المستقبل/المتضررين
3	بن دغيش	549	30-نوفمبر	24	الوطن	3576	المستقبل/المتضررين
4	بن لحمر	8128	أكتوبر	25	محطة جديدة الستين	2244	المستقبل/المتضررين
5	اربعين شقة	6164	الثورة	26	محطة رئاسة الجامعة	93	المستقبل/المتضررين
6	محطة شركة النفط	7629	الحريشات	27	محطة الشاطئ	3243	النصر
7	جول مسحة	8242	الحريشات	28	قوراب الصيادين	888	النصر
8	محطة الوادي	6551	الصدافة	29	الكورنيش	14148	امبيخه
9	جوهرة الستين	3089	الصدافة	30	السلام	3083	امبيخه
10	بن دول	4313	الصدافة	31	محطة الغاز امبيخه	5218	امبيخه
11	محطة وقود الريان	2908	العيص	32	بن سينا	9742	بن سينا
12	محطه بن حترش للمحروقات	1545	العيص	33	الحرمين	3808	بن سينا
13	محطة	6661	العيص	34	العمودي الستين	3294	بن سينا
14	محطة جولة الريان	8566	العيص	35	تاج الجوهرة	1158	بن سينا
15	دومان الريان للغاز	98064	العيص	36	بحر العرب	2502	بن سينا
16	باخریصة	4247	العيص	37	جسر حلة	7885	بن سينا
17	الوديان	5950	العيص	38	محطة 3	3432	بن سينا
18	المعاري بويش	9441	العيص	39	صيادي روكب	1205	روكب
19	بارحيم خلف	3197	خلف	40	النهدي	4117	فوة القديمة
20	المنطقة الثانية	1627	خلف				
21	الذهبي	11255	خلف				

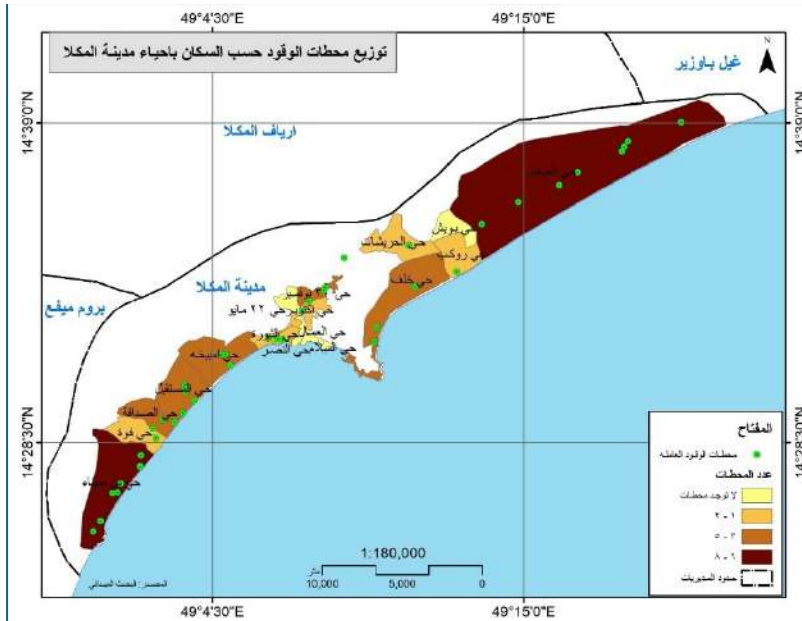
المصدر: البحث الميداني

جدول 4 توزيع المحطات حسب الأحياء بمدينة المكلا

م	اسم الحي	إجمالي مساحة المحطات (م ²)	عدد المحطات	% من إجمالي مساحة المحطات
1	30 نوفمبر	2,993	3	1.08
2	أكتوبر	8,128	1	2.93
3	الثورة	6,164	1	2.22
4	الحريشات	15,871	2	5.73
5	الصدقة/المساكن	13,953	3	5.03
6	العيص	137,382	8	49.56
7	المستقبل/المتضررين	12,920	5	4.66
8	النصر	4,131	2	1.49
9	امبيخه	22,449	3	8.10
10	بن سينا	31,821	7	11.48
11	خلف	16,079	3	5.80
12	روكب	1,205	1	0.43
13	فوة القديمة	4,117	1	1.49
	الإجمالي	277,213	40	100

المصدر: البحث الميداني

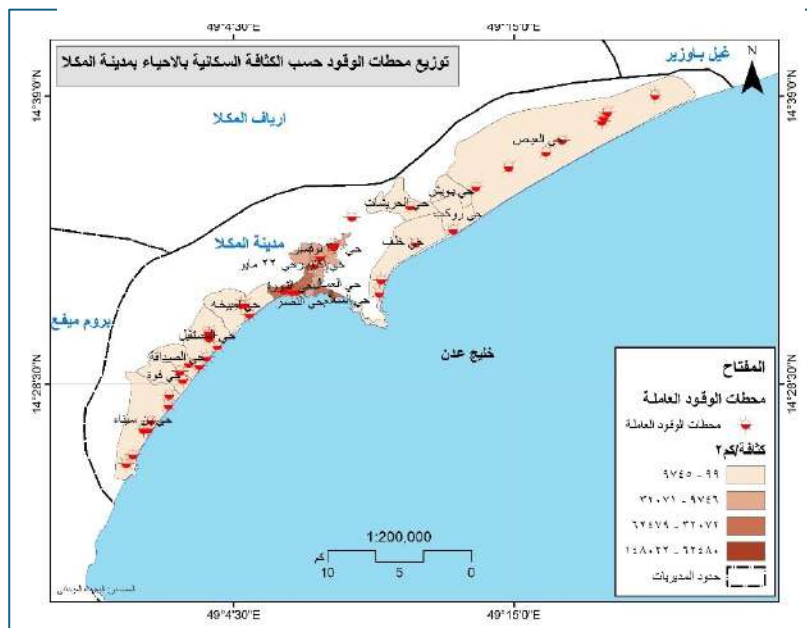
شكل رقم 4 التوزيع الجغرافي لمحطات الوقود في أحياء مدينة المكلا عام 2024



2. التوزيع وفقاً لكثافة السكان:

تتركز الخدمات الحيوية؛ حيث يشتد الطلب عليها، وتعد محطات الوقود من بينها، حيث يحتاج إليها السكان للحركة عبر وسائل النقل الخاصة والعامة، والسكان أحد معايير تحديد عدد محطات الوقود اللازم لتوفير احتياجاتهم من الوقود، فالسكان هم هدف الخدمة، وتعد في الوقت ذاته مؤشراً لما يعرف باسم نسب الخدمة supply " Ratio، حيث تقيس الخدمة وفقاً لعدد السكان في منطقة. محددة⁽¹⁾، وقد بلغ معدل خدمة الوقود في مدينة المكلا نحو 12,067 نسمة / محطة، ويمكن توضيح العلاقة بين توزيع محطات الوقود وكثافة السكان من خلال الشكل رقم (5)

شكل رقم 5 التوزيع الجغرافي لمحطات الوقود وفقاً لكثافة السكان في أحياء مدينة المكلا



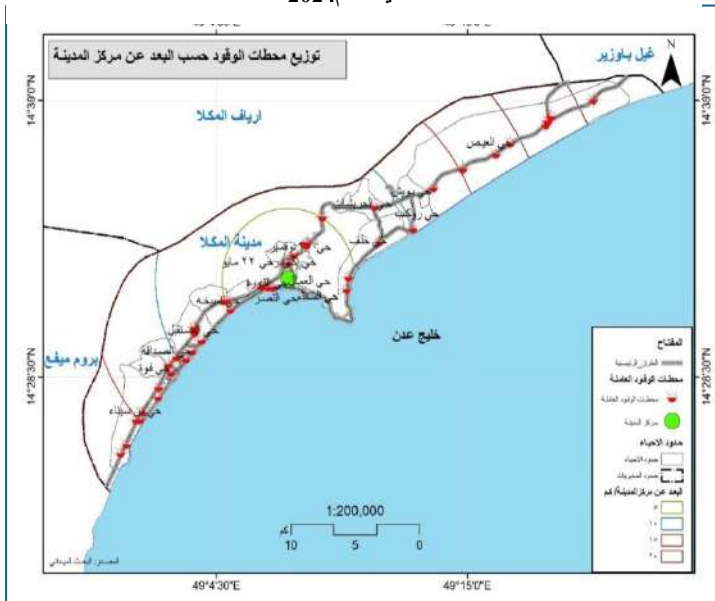
⁽¹⁾ محطات التزود بالوقود في مركز كفر الدوار، دراسة جغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية: 255

3. التوزيع وفقاً للبعد عن مركز المدينة: كانت المُكَلَّا في نشأتها الأولى قرية صغيرة تقع على شاطئ خليج عدن، يُطلق عليها (الخيصة)، يتخذها الصيادون مأوى لهم في أثناء عملهم فيها، ويرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر الميلاديين، ولم يكن عدد سكاّن هذه القرية الصغيرة في سنة 1703م يزيد عن 3000 نسمة، يقطنون على مساحة من الأرض لا تزيد مساحتها عن 25 هكتاراً، وهي محصورة في اللسان البري الذي يمتد من رأس المُكَلَّا إلى سفح جبل القارة، ويحده من الشرق خليج حُلف، ومن الغرب خليج المُكَلَّا، ومن الجنوب البحر⁽¹⁾، وقد نمت المدينة حول هذا اللسان الذي يُعرّف حالياً بحَيّ الشهيد خالد. ولقد تطورت مدينة المُكَلَّا في تخطيطها وعمرانها على مَرّ الحقب التاريخية المختلفة التي مرت بها، وقد واكب نمو المدينة السريع تباين توزيع محطات الوقود، والسؤال الذي يطرح نفسه، هل كان انتشار المحطات متزامناً مع النمو العمراني أم كان متركزاً حول مركزها؟ ويمكن الإجابة على هذا السؤال من خلال تحليل شكل (6) الذي ضم أربع نطاقات تتخذ شكلاً دائرياً على النحو التالي:

النطاق الأول: يطوق

مركز المدينة، ويبعد عنه 5 كم، وتوجد به 12 محطة، وهو يشكل نحو 30% من جملة عدد محطات الوقود بالمدينة، وتتنوع على سبعة أحياء، وهو ما يشكل نحو 36% من جملة عدد الأحياء، ولعل زيادة عدد المحطات في هذه

شكل رقم 6 التوزيع الجغرافي لمحطات الوقود في أحياء مدينة المكلا وفقاً للبعد عن مركز المدينة عام 2024



(¹) مدينة المكلا وإقليمها الوظيفي دراسة في الجغرافية الحضرية: 13-16.

الدائرة، سببه ضمها قلب المدينة، وهو أكثر مناطق المناطق حركة، وتركز معظم جهات العمل، والتسوق، والسكن والمستشفيات، والترفيه.

النطاق الثاني: يبعد عن مركز المدينة 10 كم، وتوجد به عشر محطات وقود، وهو ما يمثل 25 % من جملة عدد المحطات، وتتنوع على أربعة أحياء، تبلغ نسبتها 21 % من جملة عدد الأحياء، وتضم أحياء أحدث تشييداً من النطاق السابق، وتقطعها شوارع تجمعية وشريانية، وتضم بعض المراكز الإدارية، الأسواق والمجمعات التجارية واسعة المساحة، والمدارس، وتشهد حجم حركة كبير، حيث يخترقها الطريق الرابط بين المكلا والمدن الأخرى، ولعل كل هذا يبرر تركيز محطات الوقود بهذا النطاق.

النطاق الثالث: يوجد به عشر محطات وقود، ما يعادل نحو 25 % من جملة عدد محطات الوقود، تتوزع على نحو خمسة عشر حياً، وهو ما يوازي 26 % من جملة عدد أحياء المدينة، وبداخلها طرق سريعة، وتتصف معظم أحيائها باتساع المساحة، وتتووع الاستخدامات، واتساع حركة التردد، حيث يستقبل الوافدين إلى المدينة من محافظات الأخرى، والعابرين لها قاصدين مدينتي سيئون والشحر.

النطاق الرابع:

يبعد نحو 20 كم عن مركز المدينة، ويضم 8 محطات، ما يمثل نحو 20% من جملة عدد المحطات، وتضم حي العيص، والتي يتصف باتساع مساحته مقارنة بالنطاقات السالفة، كما تحوي مداخل المدينة من الشرق، وتضم مطار الريان، ويخترقها طرق شريانية رئيسية الرابطة بين المدينة والمدن الأخرى.

4. التوزيع وفقاً لشبكة الطرق:

تعد شبكة الطرق العامل الأكثر تأثيراً في توزيع محطات الوقود؛ لارتباطها بحركة المركبات، من حيث امتدادها، وحالتها، وعدد مساراتها، حيث تضيف قيمة للأراضي المارة بها، وتكسبها مميزات؛ تجعلها مواضع ملائمة لإنشاء محطات الوقود⁽¹⁾ وتتألف شبكة الطرق في مدينة المكلا تبعاً لتصنيف وزارة الأشغال العامة والطرق من عدة أنماط بلغ جملة أطوالها 613.49 كم، بلغت نسبة الطرق الرئيسية 30.8 %، والطرق الفرعية والداخلية 69.2 % من مجموع أطوال الطرق والشوارع بمدينة المكلا.

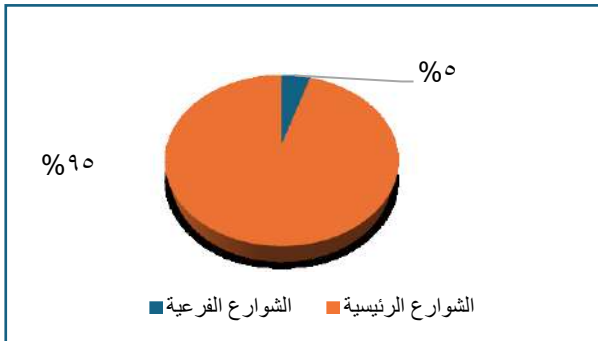
⁽¹⁾ محطات التزود بالوقود في مركز كفر الدوار، دراسة جغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية: 260

جدول 5 أنماط شبكة الطرق وأطوالها وأعداد محطات الوقود

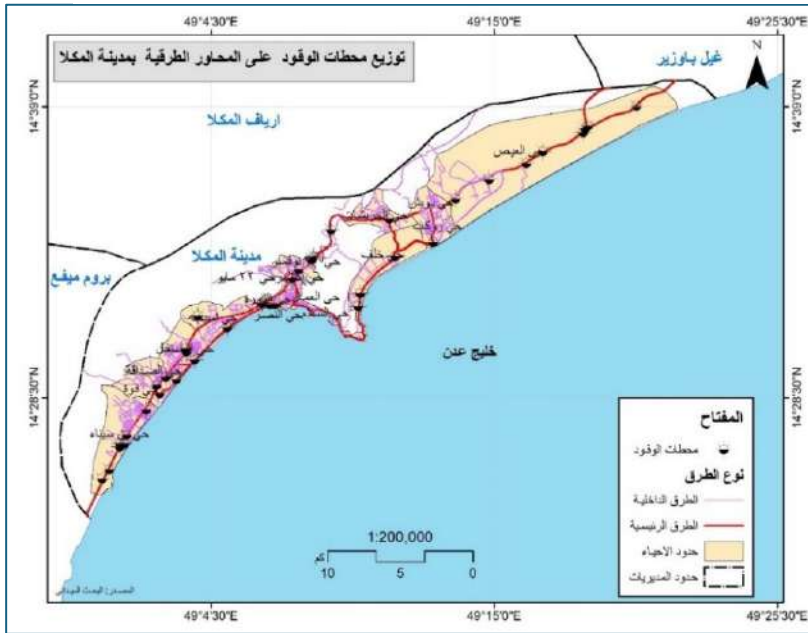
م	النوع	الطول كم	%	عدد المحطات	%
1	الطرق الرئيسية	189.11	30.83	38	95
2	الطرق الداخلية	424.37	69.17	2	5
3	الإجمالي	613.49	100	04	100

استحوذت الطرق الشريانية الرئيسية على ثمانية وثلاثين محطة وقود في المدينة، وهو ما يمثل نحو 95 % من جملة عدد محطات الوقود بالمدينة، والتي تتميز بحركة مرور كثيفة، وترتبط بين الطرق التجميعية داخل المدينة وخارجها، وتستحوذ على نحو 30% من أطوال شبكة الطرق بالمدينة، ومن أهمها طرق المكلا - عدن، المكلا - المهرة، المكلا - سيئون، بينما الطرق الداخلية استحوذت على 5% فقط من عدد المحطات بالمدينة. ويعود السبب الى تركيز المحطات على الطرق الرئيسية لتوفر المساحات المطلوبة لإنشاء المحطات واتساع الشوارع، مما وفر بناء مجمعات خدمية على هذه المحاور الطرقية.

شكل رقم 7 توزيع الطرق بمدينة المكلا



شكل رقم 8 التوزيع الجغرافي لمحطات الوقود وعلاقتها بشبكة الطرق بمدينة المكلا

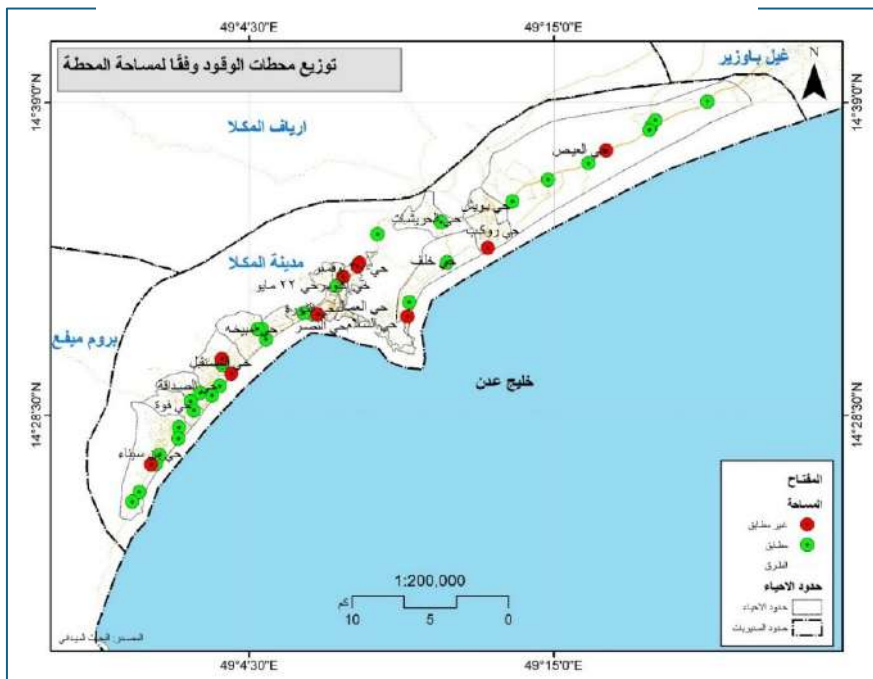


5. التوزيع وفقاً للمساحة:

حددت اللائحة الخاصة بإجراءات وشروط تشييد محطات الوقود توفر مساحة لا تقل عن 2250 م² كحد لإنشاء المحطة⁽¹⁾، وقد تباينت مساحة محطات الوقود وفقاً لهذا المعيار، وأظهر الحصر الميداني التزام نحو 71% من عدد المحطات بالحد الأدنى للمساحة وتشتأثر بما يزيد على نصف جملة مساحة المحطات، البالغة نحو 268912 م²، وتتوزع معظمها على الطرق السريعة والشريانية، والتي تتجاوز مساحة بعضها معيار المساحة لتصل إلى 14148 م² مثل محطة كورنيش السيتين، بينما 29% من المحطات لم تلتزم بالمساحة الخاصة بإنشاء المحطة، وتم إنشائها على مساحة اصغر من المساحة التخطيطية وتركزت تلك المحطات في الأحياء الوسطى من المدينة ذات الكثافة السكانية المرتفعة.

⁽¹⁾ الجمهورية اليمنية، وزارة النفط والمعادن، شركة النفط اليمنية (2006): لائحة إجراءات وشروط إنشاء محطات الوقود والغسيل والتشحيم

شكل رقم 9 توزيع محطات الوقود وفقاً لمساحة المحطة



صورة 1 مثال لبعض المحطات التي مساحتها تجاوزت الحد الأدنى للمساحة



المصدر: برنامج قوقل ارث

جدول 6 مساحة محطات الوقود العاملة بمدينة المكلا

م	المساحة متر مربع	اسم المحطة	م	المساحة متر مربع	اسم المحطة
1	دومان الريان للغاز	98064	21	الوطن	3576
2	الكورنيش	14148	22	محطة جديدة3	3432
3	الذهبي	11255	23	العمودي الستين	3294
4	بن سينا	9742	24	محطة الشاطئ	3243
5	المعاري بويش	9441	25	بارحيم خلف	3197
6	محطة جولة الريان	8566	26	جوهرة الستين	3089
7	جول مسحة	8242	27	السلام	3083
8	بن لحر	8128	28	محطه وقود الريان	2908
9	جسر حلة	7885	29	بحر العرب	2502
10	محطة شركة النفط	7629	30	محطة جديدة الستين	2244
11	محطة	6661	31	محطة الستين	1800
12	محطة الوادي	6551	32	المضييق الغويزي	1752
13	اربعين شقة	6164	33	المنطقة الثانية	1627
14	محطة الوديان	5950	34	محطه بن حترش للمحروقات	1545
15	محطة الغاز امبيخه	5218	35	صبادي روكب	1205
16	زسوكي	5207	36	تاج الجوهرة	1158
17	بن دول	4313	37	قوراب الصيادين	888
18	باخرصة	4247	38	بن يمين	692
19	النهدي	4117	39	بن دغيش	549
20	الحرمين	3808	40	محطة رئاسة الجامعة	93

المصدر: البحث الميداني

ثانيًا: التحليل المكاني لتوزيع محطات الوقود

يعد التحليل المكاني الإحصائي من الأساليب المهمة في قياس العلاقات المكانية بين الظواهر، وذلك من أجل تفسير العلاقات المكانية والاستفادة منها في فهم توزيع الظاهرة، والتنبؤ بسلوكها مستقبلاً⁽¹⁾، ويستخدم التحليل المكاني من أجل تقييم مدى التوازن في توزيع الخدمات، ومن أهم المؤشرات المستخدمة في التحليل المكاني، خاصة الظواهر النقطية قياس التوزيعات الجغرافية المكانية، وتحليل صلة الجوار، وأخيرا تحليلات الحرم الجغرافي.

1. تحليل قياس التوزيع الجغرافي Measuring Distribution Geographical

يضم هذا التحليل عدة مؤشرات منها المركز المتوسط، والظاهرة المتوسطة، والمسافة المعيارية، ومؤشر اتجاه التوزيع ويمكن تحليل نتائج هذه المؤشرات وفق ما يلي:

⁽¹⁾ التحليل المكاني لاستخدام نظم المعلومات الجغرافية: 50

أ. **المركز الجغرافي المتوسط: Mean Center** : يقصد به الموقع المثالي الذي يتوسط مواقع مفردات الظاهرة قيد الدراسة⁽¹⁾، وتؤكد نتائج تطبيق المؤشر أن المركز الجغرافي المتوسط يقع في حي السلام من أحياء مدينة المكلا العتيقة.

ب. **الظاهرة المركزية: Central Feature** : تقوم هذه الأداة بتحديد الظاهرة أو المعلم الذي يقع أقرب ما يكون لمركز توزيع الظواهر قيد الدراسة، مع الأخذ بعين الاعتبار لتكدس النقاط وانتشارها وتجمعها⁽²⁾، يتم تقدير الظاهرة المركزية من خلال حساب المتوسط الحسابي للمسافة بين كل مواقع محطات الوقود، فقد تطابق مع موقع " محطة الشاطئ " بحي النصر، ويبعد بنحو (1791 م) عن المركز المتوسط، ويشير التقارب بين المركز المتوسط والظاهرة المركزية إلى تقارب المسافة وتشابهها بين محطات الوقود.

ج. المسافة المعيارية: Standard Distance

يمكن الاستعانة بهذا المؤشر في تحديد شكل انتشار مواقع الظاهرة قيد الدراسة حول مركزها المتوسط، أي مدى تقارب مفردات الظاهرة من المركز المتوسط أو تباعدها، ويعبر عن الشكل بدائرة معيارية تضم معظم مفردات الظاهرة، وقد بلغت مساحة المسافة المعيارية لمحطات الوقود في مدينة المكلا 470.18 كم²، إذ بلغ نصف قطر الدائرة المعيارية 12.7 كم، ويضم نطاق المسافة المعيارية 22 محطة وقود، وهو ما يمثل نحو 55% من جملة عدد محطات الوقود، وفي هذا دلالة على عدم التوزيع المنتظم، حيث يفترض أن يضم النموذج الأساسي 68.3 % من مجموع مفردات الظاهرة، كما يدل أيضًا على كثافة المحطات في وسط المدينة، حيث موقع المنطقة المركزية ومركز الأعمال والخدمات مع كثافة الحركة، وتوزعت حوالي 18 محطة خارج الدائرة المعيارية، وهو ما يعادل 45% من جملة عدد المحطات، تركزت في الأحياء الشرقية والغربية وهي متباعدة بشكل واضح، وتتركز في مدخل المدينة الشرقي، والغربي .

(1) تحليلات إحصائية ومكانية متقدمة: 162

(2) أسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية: 164.

د-الاتجاه التوزيعي **Directional Distribution** : يعبر الاتجاه التوزيعي أو ما يعرف بالشكل البيضاوي المعياري للتشتت عن اتجاه انتشار الظاهرة الجغرافية، وذلك من خلال رسم الشكل البيضاوي، ويمثل اتجاه التوزيع أغلبية مفردات الظاهرة قيد الدراسة، الذي يمكن من خلاله الحكم على اتجاه توزيع الظاهرة والعوامل المرتبطة بها⁽¹⁾، وتحدد هذه التقنية اتجاه انتشار المحطات من خلال قياس الانحراف المعياري في الاتجاه X ، والانحراف المعياري في الاتجاه Y بصورة منفصلة عن بعضه البعض، وينتج عن ذلك الشكل البيضاوي، فإما أن يقترب من الشكل الدائري إذا كان امتداد الظاهرة شبة متوازن في جميع الجهات، أو قد يكون شكلاً بيضاوياً طولياً أقرب إلى الشكل المستطيل، إذا كانت الظاهرة التي مثلت تمتد باتجاه معين أكثر من امتدادها بالاتجاه الآخر. وتفيد هذه التقنية في تحديد طبيعة العلاقة بين عدد المحطات، وكيفية ارتباطها مع الظواهر الجغرافية الأخرى، كامتداد المحطات مثلاً على طول طريق أو توافقها مع اتجاه التوسع العمراني للمدينة⁽²⁾.

يعبر هذا المؤشر عن شكل انتشار الظاهرة، واتجاه معظم مفرداتها، حيث يقيس المحور الأكبر قيمة الاتجاه الغالب لمفردات الظاهرة، وينحرف الشكل البيضاوي عن الدائرة المعيارية انحرافاً طفيفاً، حيث بلغت زاوية الدوران 57.60 درجة، وتتجه محطات الوقود في مدينة المكلا نحو الجنوب الغربي، وبلغ طول قطر المحور الأكبر 1995.78 كم، في حين بلغ طول قطر المحور الأصغر 17186.14 كم، وضم الشكل البيضاوي 25 محطة، وهو ما يوازي نحو 62.5 % من جملة عدد محطات الوقود بالمدينة، وهذا التوزيع متوافق مع الكثافة السكانية والسكنية بالمدينة، وتوزعت نحو 6 محطة بشكل مشتت متباعد خارجه، مع ملاحظة تركيزها في الأحياء الغربية من المدينة.

2: تحليلات أنماط التوزيع المكاني: Analyzing Pattern

النمط المكاني Spatial Pattern هو الطريقة أو الكيفية والشكل والاتجاه الذي تتخذه مواضع الظواهر في توزيعها وانتشارها المكاني، وعلاقة هذه المواقع ببعضها والنظام

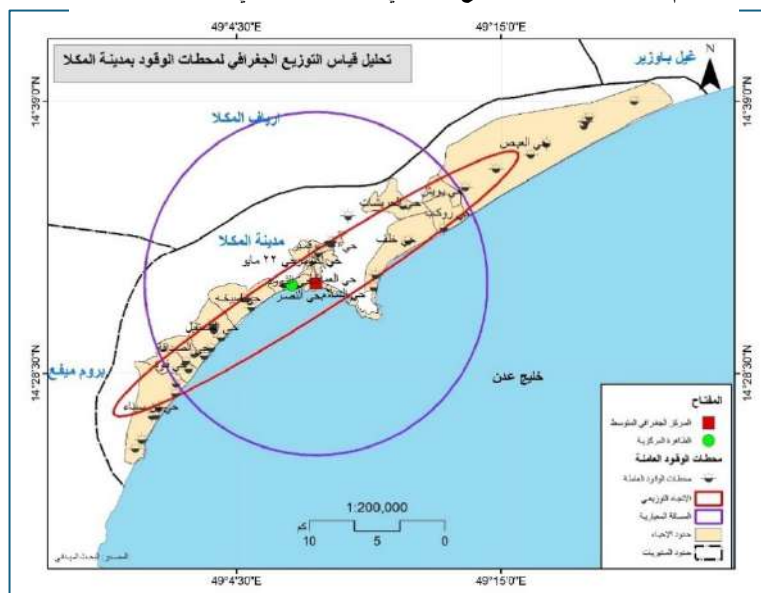
⁽¹⁾ أسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية: 46.

⁽²⁾ تحليل نمط التوزيع المكاني لمدارس البنات الثانوية في أحياء مدينة بريدة (دراسة في جغرافية الخدمات): 27.

الذي يسلكه هذا الانتشار ⁽¹⁾، ويمكن الاعتماد على مؤشري صلة الجوار، وتحليل موران في تحديد نمط التوزيع، وبتطبيق المؤشرين جاءت النتائج كالتالي:
أ. مؤشر صلة الجوار **Nearest Neighbor** :

يفيد هذا التحليل في الحكم على نمط التوزيع، وينتهي الحكم إلى مدى تشتت التوزيع وانتشاره ⁽²⁾، وتتراوح قيمته بين (صفر : 2.15)، ويشير إلى ثلاثة أنماط (المتقارب، والعشوائي، والمتباعد)، ونحصل على قيمة المؤشر بقسمة المتوسط المحسوب على المتوسط المتوقع

شكل رقم 10 بعض مؤشرات التوزيع الجغرافي لمحطات الوقود في مدينة المكلا



للمسافة بين محطات الوقود، والمعياري في تحديد نمط التوزيع هو النسبة بين المسافتين ويطلق عليه قيمة (Z)، وتشير نتائج مؤشر صلة الجوار شكل (29) إلى أنه اتخذ نمطاً متقارباً، حيث بلغت قيمته (0.78) أي أقل من واحد

صحيح، وجاءت قيمة (Z) (- 2.65)، والتي تقع في نطاق ثقة (P-value) (0.007872)، وهذا يشير إلى توزيع غير عشوائي، إذ تتركز المحطات في أحياء، في حين تخلو أحياء أخرى منها، ومع توفر مناطق غير مخدومة فنقل كفاءة الخدمة، ولا تتحقق عدالة التوزيع .

(1) جغرافية الحضر مدخل إلى المفاهيم وطرق التحليل: 32

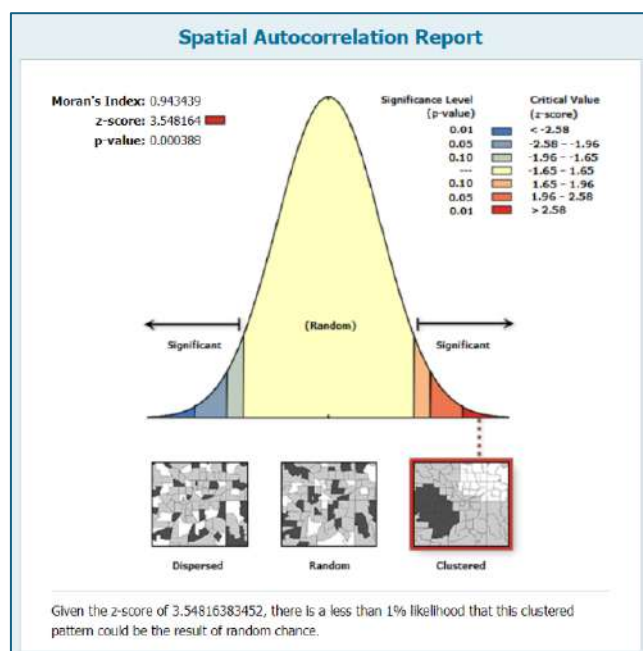
(2) محطات التزود بالوقود في ريف مركز كوم حمادة، دراسة جغرافية: 284

جدول 7 مدلول قيمة معامل صلة الجوار

النمط الفرعي	قيمة صلة الجوار		النمط
متجمع تمامًا	0	أقل من 1	المتقارب/ المتجمع
متقارب غير منتظم	0.5-0		
متقارب متجه للعشوائي			
عشوائي	1- 0.5	1	العشوائي
متباعد في المسافات	2-1	أكبر من 1	متباعد/ المنتظم
منتظم (الشكل مربع)	2		
منتظم (الشكل سداسي)	أكبر من 2		

المصدر: داؤود، جمعة محمد. (2012)، أسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية، ط1، ص52.

شكل رقم 11 نتائج تحليل الجار الأقرب لمحطات الوقود في مدينة المكلا



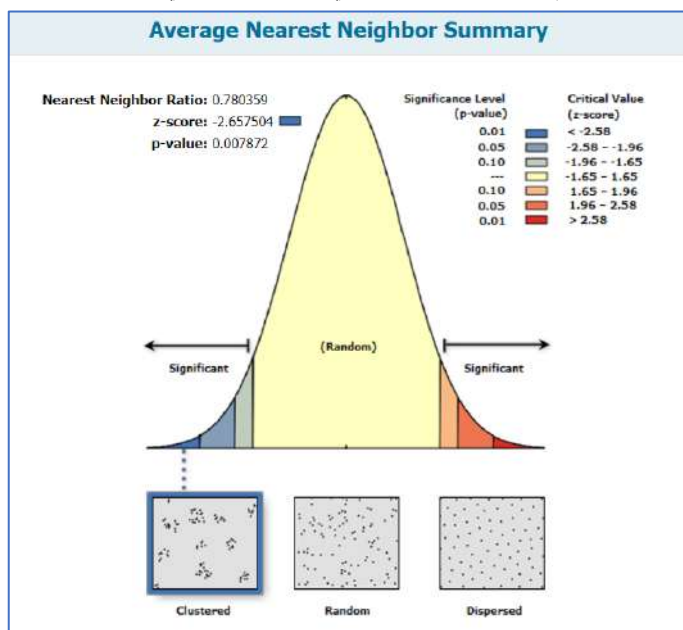
ب. تحليل الارتباط الذاتي المكاني: يعرف باسم معامل موران Spatial Auto Correlation (Moran's I)، ويستخدم لتحديد نمط انتشار الظاهرة من خلال دراسة التماثل في توزيعها مكانياً، ومدى ارتباطها بقيمة أخرى تدخل بوصفها معيار لحساب معامل الارتباط، واعتمدت الدراسة على الارتباط بين محطات الوقود وعدد السكان المخدمين، وتتراوح قيمة المؤشر بين $(-1, +1)$ ، فكلما اقتربت من القيمة السالبة

دل ذلك على تشتت توزيع الظاهرة، أما العلاقة الموجبة فهي دليل الارتباط المنتظم، والصفر يعني توزيع عشوائي، وقد بلغت قيمة المؤشر بعد تطبيقه (0.943439)، وهوما يؤكد ارتباط مكاني منتظم عشوائي نسبياً شكل (11)، حيث تتركز بعض المحطات في أحياء، يقل فيها عدد السكان، وهذا يعني أن هناك معايير أخرى أثرت في التوزيع المكاني لمحطات الوقود في المدينة.

3: تحليلات القرب الجغرافي: Proximity Analysis: يستدل بهذا المؤشر على نطاق تأثير الخدمة، أو المناطق التي تغطيها الخدمة، والأخرى التي حرمت منها، من خلال تطبيق تحليل حرم الظاهرة، وتحليل مناطق التخصيص، ويعبر عنه بطريقة المضلعات، وبالاستناد إلى المعايير التخطيطية التي حددت المسافة الفاصلة بين كل محطة، وأخرى بحيث لا تقل عن 2000 متر، (إجراءات وشروط إنشاء محطات الوقود والغسيل والتشحيم، الشركة اليمنية للنفط 2006)، ويمكن تسجيل نتائج تطبيق التحليلين على النحو التالي:

أ. تحليل حرم الظاهرة: Buffering

شكل رقم 12 معاملات الارتباط المكاني لمحطات الوقود في مدينة المكلا



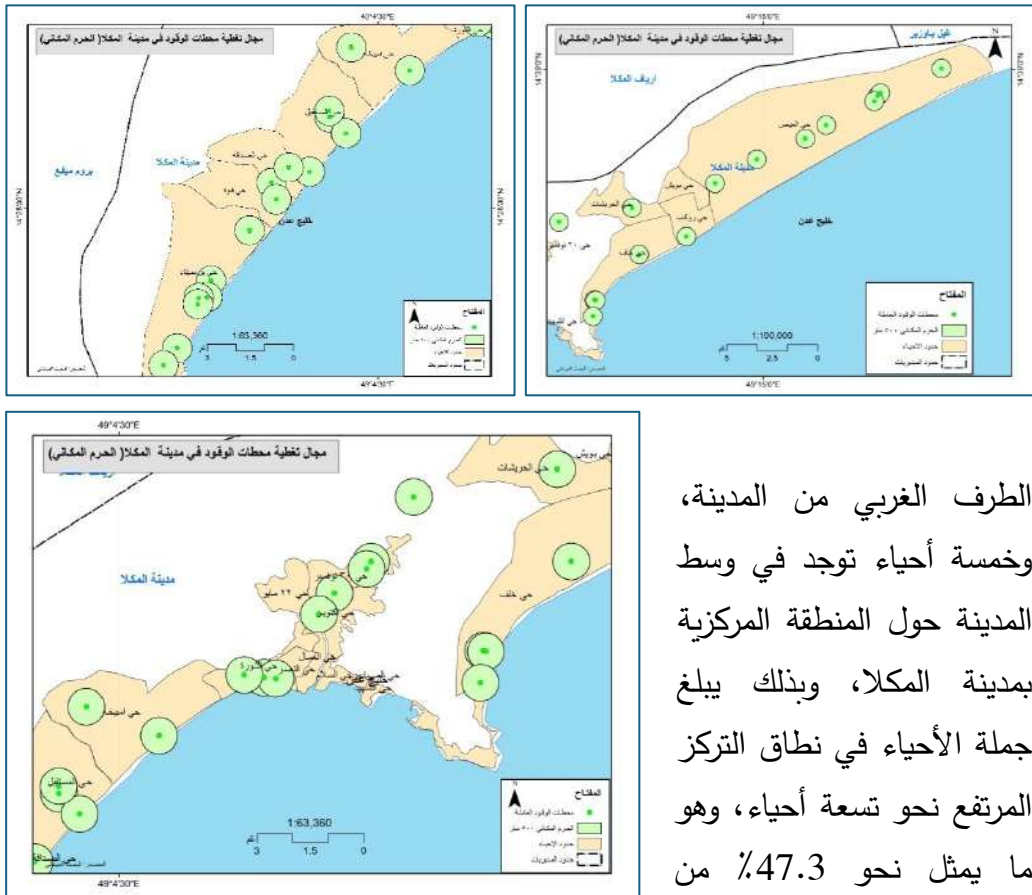
أظهر تحليل حرم الظاهرة أن هناك تداخلاً واضحاً بين نطاقات محطات الوقود والبالغ 500م، حيث خالف 27 محطة المسافة الفاصلة بينها وبين المحطة الأخرى أي 67.55 % شكل (12)، مما يدل على مخالفة بعض المحطات لشرط المسافة الفاصلة، حيث تتركز كثير من المحطات في نطاق المناطق التي

تشهد حركة تردد واسعة، كما في معظم أحياء وسط المدينة، مما يحقق مزيداً من الطلب على الخدمة

ب. تحليل كيرنل لقياس الكثافة: Kernel Density

يهدف هذا التحليل الإحصائي إلى قياس كثافة التركز المكاني للظاهرة، ويعتمد على حساب كثافة النقاط حول المركز، ويظهر على شكل خلايا متصلة بشكل الكثافة التي تظهر عليها الظاهرة محل الدراسة ⁽¹⁾، وبتطبيق التحليل شكل (13) يتبين ما يلي: تتوزع مناطق التركز المرتفعة في مساحات متصلة واسعة تضم أربعة أحياء تقع في

شكل رقم 13 مجال تغطية محطات الوقود في مدينة المكلا (الحرم المكاني)

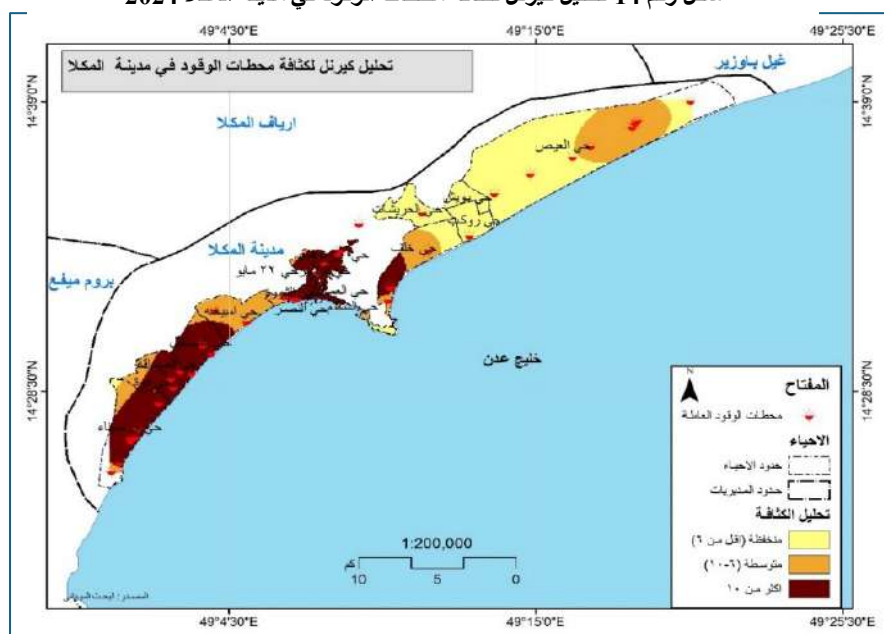


الطرف الغربي من المدينة، وخمسة أحياء توجد في وسط المدينة حول المنطقة المركزية بمدينة المكلا، وبذلك يبلغ جملة الأحياء في نطاق التركز المرتفع نحو تسعة أحياء، وهو ما يمثل نحو 47.3% من

⁽¹⁾ التحليل المكاني للمواقع الأثرية والسياحية في المدينة المنورة باستخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية GIS : 10

جملة عدد أحياء المدينة، ويستحوذ هذا النطاق على 57.5 % من أعداد محطات الوقود، ويعود السبب في كثافة المحطات في هذه المنطقة إلى أطوال شبكة الطرق الشريانية والتجمعية بأحيائه، كما أنه نطاق انتقالي بين قلب المدينة، وأطرافها. تضم مساحة نطاق التركيز المكاني المتوسط نحو أربعة أحياء المدينة 21.05% من الأحياء، ويقع بها تسع محطات، وهو ما يوازي نحو 22.5 % من جملة عدد محطات الوقود، معظمها في الجهة الشرقية من مدينة المكلا.

شكل رقم 14 تحليل كيرنل لكثافة محطات الوقود في مدينة المكلا 2024



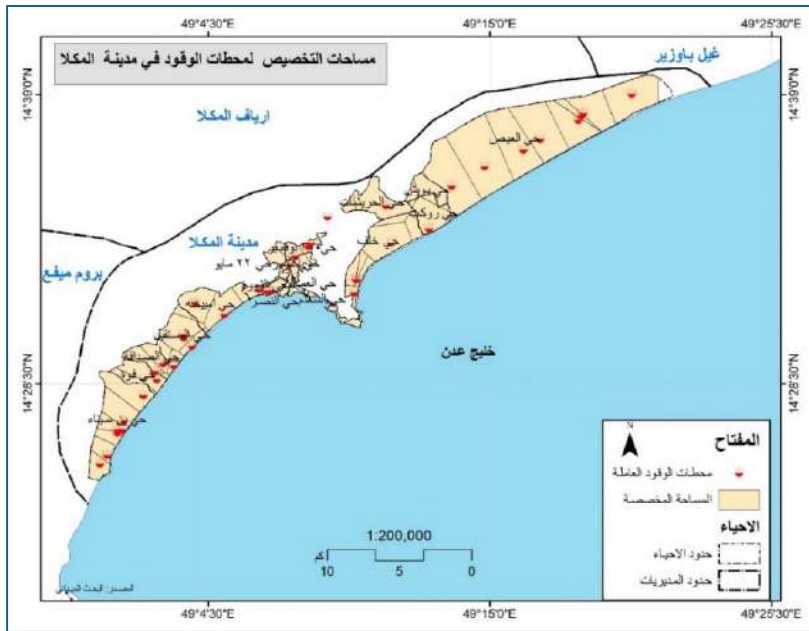
انخفاض كثافة التركيز المكاني في الأحياء الحديثة شرق المدينة، ووسطها، ويضم هذا النطاق ثمان محطات وقود 20% فقط، ويغطي نحو ستة أحياء، وهو ما يشكل نحو 31.57% من عدد أحياء المدينة، ومرد ذلك اتساع مساحة هذه الأحياء، واستحواذ بعض الاستخدامات فيها على مساحات واسعة مثل المناطق الصناعية الأولى والثانية، وصناعية الورش، والأحياء المطلة على ساحل خليج عدن وتضم استخدامات سياحية، وترفيهية، والضواحي الحديثة.

ج- تحليل مساحات تخصيص المركز : Allocation Areas to Center

ويعرف بمضلع " ثيسين " Create Thiessen Polygon "، ويعتمد هذا المؤشر على تشييد مضلعات، كل منها يحوي نقطة واحدة محطة وقود وحدوده تعتمد على النقاط المحيطة بالنقطة بحيث يتم تصنيف المسافات بين النقطة داخل المضلع وبقية

النقاط الأقرب

شكل رقم 15 مساحات التخصيص لمحطات الوقود في مدينة المكلا



إليها⁽¹⁾، ومن

ثم تقسيم

الخدمة

مساحيًا بناءً

على المسافات

الفاصلة بين

كل نقطة،

وأخرى، وقد

أوضح تطبيق

المؤشر تبين

مساحات

التخصيص

بين محطات

الوقود شكل(15)، حيث نقل المساحة للمحطات المتركة في وسط المدينة، في حين تنتسح المساحة على أطراف المدينة الجنوبية، والشرقية، والغربية، وهذا يعبر عن توزيع غير متوازن للمحطات، كما يعكس عدم توفر شرط مساحة المحطات، والبعد عن المنشآت الخدمية والسكنية بمسافات محددة، وأن عامل تحقيق الأرباح يعد من أهم العوامل المؤثرة في توزيع المحطات.

⁽¹⁾ نظم المعلومات الجغرافية من الألف، تطبيق عملي على برنامج Arc Gis 10.2 : 129

ثالثاً: تقييم مواقع محطات الوقود

صار التوزيع الجغرافي العادل للخدمات قضية تشغل العديد من الباحثين، ويعد الوقوف على مستوى كفاءة التوزيع المكاني للخدمات أحد روافد التخطيط الحضري⁽¹⁾، وتحليل الملاءمة المكانية واحداً من التطبيقات المفيدة في نظم المعلومات الجغرافية للتخطيط الحضري⁽²⁾ حيث يهدف إلى ترتيب استخدامات الأرض وفق معايير موقعيه مناسبة، وخدمة الوقود تعد أحد الخدمات الضرورية، والخطرة في الوقت ذاته، كما إنها نشاط اقتصادي يحتاج إلى مواقع تحقق عوائد ربحية مناسبة، وهذا ما يفسر كثافتها في أماكن دون الأخرى؛ لذلك وضعت معايير لتشييد محطات الوقود؛ لضمان سلامة السكان والمنشآت، ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال هو، هل التزمت كل محطات الوقود في مدينة المكلا بهذه المعايير؟، وهل يمكن اقتراح مواقع لتشييد محطات وقود مستقبلاً تتفق مع المعايير التخطيطية؟، هذا ما سوف تتم الإجابة عنه من خلال تقييم الملاءمة المكانية لمواقع محطات الوقود في المدينة .

وقد اعتمدت دراسة الملاءمة المكانية على قياس عدد من المعايير التخطيطية المستمدة من لائحة القرار رقم (76) لسنة 2006 والخاص بإجراءات وشروط إنشاء محطات الوقود والغسيل والتشحيم، واللائحة التنفيذية لقانون البناء رقم (351) لسنة 2008 والخاصة بإنشاء محطات الوقود، واستعانت الدراسة بنظم المعلومات الجغرافية، والدراسة الميدانية لقياسها، وأهم المعايير التي اعتمدت الدراسة عليها في التقييم هي:

- البعد بين كل محطة وأخرى داخل المدن في الاتجاه الواحد من الطريق لا يقل عن 500م، ولا يقل عن 250م من النقطة الموازية للمحطة من الطريق إذا كانت المحطة الأخرى على الجهة المقابلة من الطريق.
- عرض الشارع الذي تقع عليه المحطة لا يقل عن 24متر.

¹ Tong, L., et al. (2017): Multi-order urban development model and sprawl patterns: An analysis in China, 2000– 2010, Landscape and urban planning, Volume 167. P38

² تحسين التخطيط المكاني لمحطات الوقود ومراكز الخدمة على طريقي مكة المكرمة- المدينة المنورة، استناداً إلى نظم المعلومات الجغرافية متعددة المعايير (GIS-MCA): 101

- مساحة قطعة الأرض المزمع إنشاء المحطة عليها لا تقل عن 1500 م² وألا تقل واجهتها عن 30 متر.
- ألا يقل البعد بين المحطة ومنحنيات الجسور والتقاطعات العلوية عن 300 متر.
- المسافة الفاصلة بين المحطات، والمباني السكنية لا تقل عن 150 متر.

1. المسافة الفاصلة بين المحطات في الاتجاه نفسه: تضمنت لائحة المعايير التخطيطية وجوب وجود مسافة 500 م بين كل محطة، وأخرى في الاتجاه نفسه، واستعانت الدراسة في قياس هذا المعيار ببرنامج Arc tool box من خلال شريط Spatial Analyst Tools، واختيار مجموعة أدوات التحليل المكاني Distance، واختيار أداة Euclidean Distance، وذلك لقياس المسافة الفعلية بين المحطات، ثم الاستعانة بشريط Spatial Analyst Tools، واختيار مجموعة إعادة التصنيف Reclassify واختيار أداة Reclassify، لبيان المحطات المطابقة وغير المطابقة لهذا المعيار. وقد أسفرت نتيجة التحليل عن عدم مطابقة 20 محطة للمسافة المحددة، وهو ما يشكل نحو 51% من جملة عدد المحطات، بواقع ثلاث محطات لكل من حي العيص شرق مدينة المكلا وعدد محطتين حي خلف، وأربع محطات وسط المدينة في أحياء 30 نوفمبر وحي النصر، وعشر محطات في الجهة الغربية من مدينة المكلا

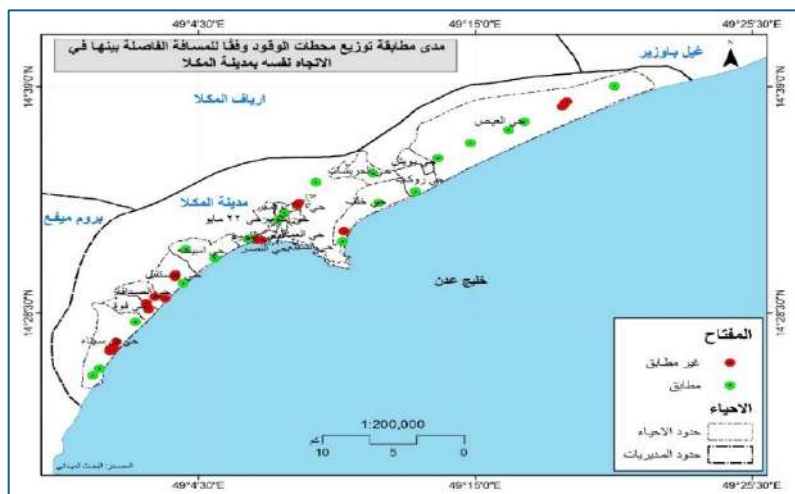
توزعت على أحياء

المستقبل محطتان
وحي الصداقة أربع
محطات وحي بن
سيناء أربع محطات.
شكل (16) وتركزت
المحطات المتطابقة
في شرق المدينة تسع
محطات بحي العيص،
وخلف.



المصدر: قولل إيرث

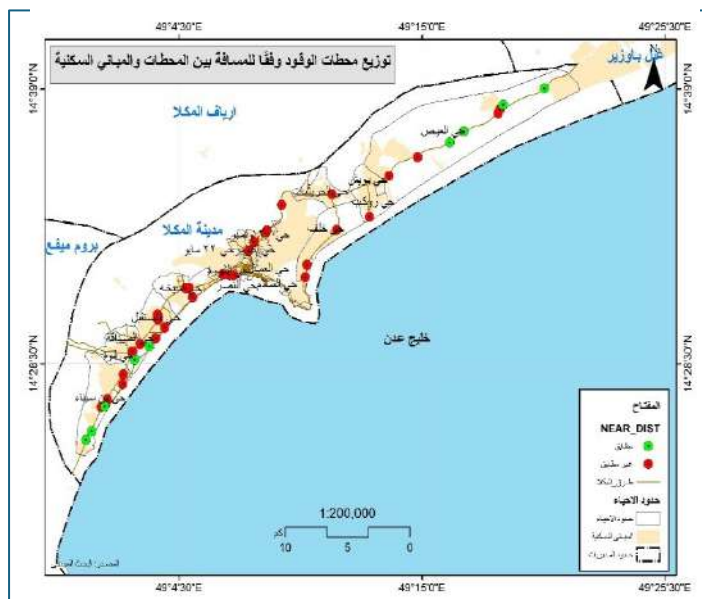
شكل رقم 16 مدى مطابقة توزيع محطات الوقود وفقاً للمسافة الفاصلة بينها في الاتجاه نفسه بمدينة المكلا



2. المسافة الفاصلة بين المحطات والمباني السكنية:

نصت المعايير التخطيطية على وجوب ترك مسافة فاصلة بين محطات الوقود، والمباني السكنية المجاورة

شكل رقم 17 توزيع محطات الوقود وفق المسافة بين المحطات والمباني



لها بنحو 150 م حداً أدنى، واستعانت الدراسة بطبقة الاستخدام السكني، واختيار مجموعة الاقتراب Proximity، من شريط Analysis Tools، واختيار أداة Near، وأظهرت نتائج القياس مخالفة 17 محطة وقود، وهو ما يمثل 42.5% من

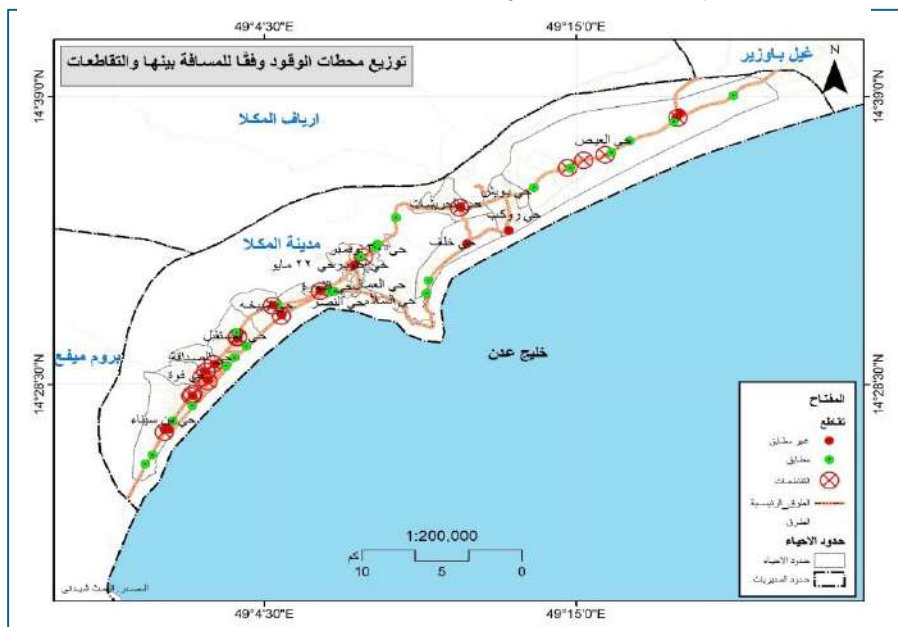
عدد محطات الوقود في المدينة، ويتركز أكثرها في النصف الغربي من مدينة المكلا
شكل (16).

3. المسافة بين محطات الوقود والتقاطعات:

حددت المعايير مسافة 300 م بين محطة الوقود، والتقاطعات حدًا أدنى، وذلك حتى
لا يسبب دخول السيارات، أو
خروجها من المحطات مشاكل
مرورية، وبتطبيق خطوات قياس
المسافة بين المحطات وأقرب
تقاطع إليها، يتبين عدم مطابقة
أربع عشرة محطة أي نسبه 35%
من المحطات العاملة تتوزع على
الأحياء المختلفة من المدينة.



شكل رقم 18 مدى مطابقة توزيع محطات الوقود وفقاً للمسافة بينها والتقاطعات



4. عرض الطريق الذي تطل عليه واجهة المحطة: حددت المعايير التخطيطية أن تطل واجهة محطة الوقود على شارع لا يقل عرضه عن 24 م، ومع اتباع الخطوات السابقة، وإضافة طبقة الطرق، واستخدام أداة Spatial Join بهدف معرفة عرض الطريق وطوله الذي تقع عليه محطة الوقود، تبين مطابقة مواقع المحطات على الشوارع الرئيسة في مدينة المكلا والمحاور الطرقية الرابطة بين المدينة والمدن الأخرى. وفي ضوء نتائج تحليل الملاءمة المكانية لتوزيع محطات الوقود في مدينة المكلا يمكن تقسيم المحطات من حيث مدى مطابقتها للمعايير التخطيطية والتي أفرز قياسها عن تباينات بين المحطات كما يلي شكل (19).

صورة 4 صورة مثال لوجود محطة الوقود قرب مناطق وجود منطقة خدمات حيوية



المصدر: فوغل إيرث

شكل رقم 19 مدى مطابقة توزيع محطات الوقود وفقاً لعرض الشارع الواقعة عليه



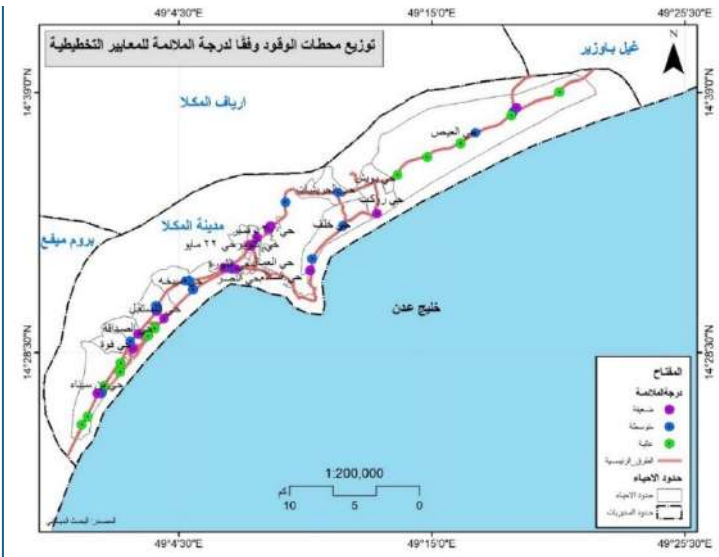
• **محطات وقود حققت ملائمة مكانية عالية:** وهي التي توافقت مع المعايير التخطيطية الأربعة، حيث اثني عشر محطة بها، وهو ما يشكل نحو 30 % من جملة عدد المحطات، وتركز نحو 12.5 % من هذه المحطات في حي العيص شرق مدينة المكلا، ونحو 17.5 % في أحياء فوة وبن سينا في الجهة الغربية من المدينة.

• **محطات وقود حققت ملائمة مكانية متوسطة:** وهي التي استوفت ثلاثة معايير من أربعة، وتضم نحو أربعة عشر محطة، وهو ما يوازي نحو 35 % من جملة عدد محطات الوقود في المدينة، تتركز 10% في منطقة خلف، و2.5% في المنطقة الوسطى حي النصر، ونحو 22.5 % توزعت في أحياء امبيخه والمتضررين والصدافه، وأغلب محطاتها مخالف لشروط المسافة الفاصلة عن المباني السكنية، والمسافة الفاصلة بين المحطات.

• **محطات وقود حققت ملائمة مكانية ضعيفة:** وهي التي توافقت على اثنين معايير، وشملت أربعة عشر محطة، وهو ما يعادل 35% من جملة عدد المحطات، وتركزت في المنطقة الوسطى من المدينة وأحياء امبيخه والمستقبل.

رابعا : المواقع الملائمة لتشييد محطات وقود جديدة

في ضوء نتائج دراسة الوضع الحالي لمحطات الوقود في مدينة المكلا، ومدى مطابقتها لبعض



المعايير التخطيطية، مثل المسافة الفاصلة بين المحطات، وبينها وبين الاستخدامات، والتقاطعات وعرض الطريق، تبين أن نسبة المحطات التي طابقت أربعة معايير نحو 30% من جملة عدد المحطات، في حين

اتفقت 70 ٪ من المحطات مع اثنين إلى ثلاثة معايير ، ومن ثم اعتمدت الدراسة على اقتراح مواقع جديدة.

ومع الحراك السكاني والعمراني للمدينة، واحتياجات السكان المتنامية لهذه الخدمة، يمكن اقتراح مواقع ملائمة لتشييد محطات وقود جديدة، مع مراعاة المعايير التخطيطية المستخدمة سلفاً، في اختيار أنسب المواقع المطابقة لها، ومن خلال توظيف أدوات

صورة تبين تركيز المحطات على المحاور الطرقية الرئيسية بمدينة المكلا



المصدر: قوقل إيرث

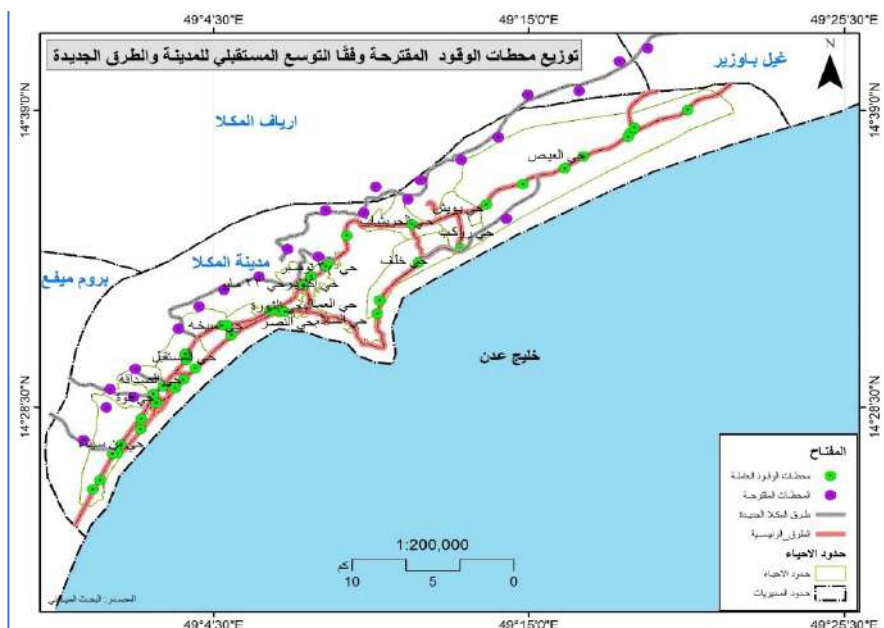
التحليل المكاني
Spatial
Analysis

وإضافة طبقة جديدة
وهي الأراضي
الفضاء التي لا تقل
مساحتها عن
2000م². ثم الربط
المكاني
الأراضي الفضاء

والطرق الرئيسية التي لا يقل عرضها عن 24 م، ثم تحديد الاستخدامات التي يجب الابتعاد بمسافة محددة، مثل (المباني السكنية، والمصانع، والمدارس، والمراكز التجارية، ومراكز بيع الغاز، ومحولات الكهرباء، ومحطات المياه)، إضافة إلى الاستخدامات الخاصة مثل: المطار، والمناطق العسكرية، ويتم التحديد من خلال الاختيار الشرطي Select، واستخدام الأداة Near، أو Buffer، ثم استثناء الأراضي الفضاء التي لا تطابق معيار المسافة المحددة.

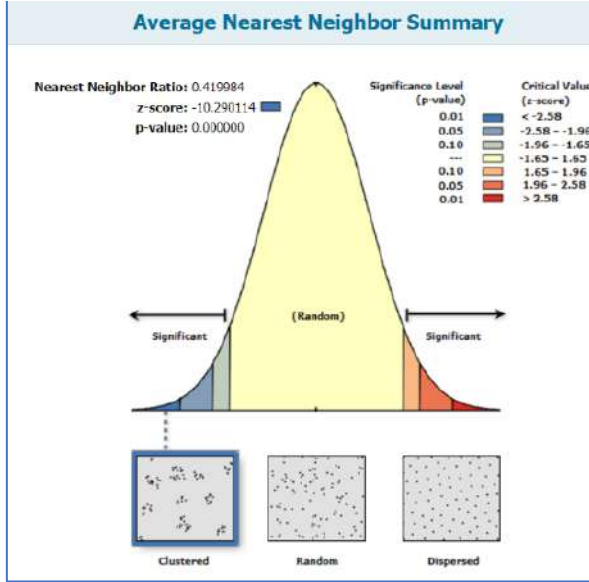
وأُسفرت نتائج التحليل عن اقتراح مواقع لتشييد 23 محطة وقود (شكل 21) اتفقت

شكل رقم 21 التوزيع المكاني لمحطات الوقود القائمة والمقترحة في مدينة المكلا



جميعها مع المعايير المختارة، وتوزعت المواقع المقترحة على المحاور الطرقية الجديدة الرابطة بين المخططات السكنية والتوسع العمراني المستقبلي والذي من المتوقع تشهده المدينة بعد تنفيذ هذه الطرق وشقها والتي بدأت معالم العمل بها خلال هذه العام مثل الخط الدائري للمدينة وكذا المخططات السكنية الجديدة مثل مخطط مدينة زايد في المساكن ومخططات منطقة الدواجن بابن سينا ومخططات حلة ووادي خمر الواقعة في الغرب كلها تشهد حركة سكانية وعمرانية مستمرة ؛ نظراً لتوفر مساحات شاغرة بها؛ فمعظم هذه الأحياء حديثة النشأة، واسعة المساحة لا زالت قيد التعمير، ويمكن استيعاب الخدمات ضمن المخططات بما يوافق الاشتراطات التخطيطية لهذه الخدمات.

ويسهم التوزيع المقترح في تحسين التوزيع المكاني للمحطات الحالية إلى حد ما، ولكنه لا يحقق عدالة التوزيع؛ لأن الأحياء الأكثر احتياجًا والأكثر سكانًا مثل أحياء المكلا القديمة مثل السلام والشرح والديس حيث لا تتوفر بها مساحات من الأرض تتفق مع المعايير التخطيطية، ومع إجراء تحليل صلة الجوار على طبقة المحطات القائمة، والمقترحة (شكل 18)، سجلت قيمة المؤشر (0.42)، وجاءت قيمة (Z) (-10.3)، والتي تقع في مستوى ثقة 0.02، وهو ما يشير



إلى نمط يميل إلى التباعد والتشتت، أي يضم نقاطاً متقاربة، وأخرى متباعدة، في حين كانت قيمة المؤشر للمحطات القائمة (0.78)، أي نمط متقارب، مما يعد تحسناً نسبياً في توزيع المحطات، ولكن قد تتحقق عدالة التوزيع إذا ما تم نقل المحطات التي لم تتوفر بها سوى شرطين أو ثلاثة، وعددها ثلاثة عشرة محطة إلى مواقع ملائمة، والإبقاء على المحطات المتفقة مع أربعة اشتراطات إلى خمسة، ونسبتها 86 % من جملة عدد المحطات .

النتائج والتوصيات

- تبين عشوائية التخطيط وعدم الالتزام بالمعايير التخطيطية المطلوبة لبعض الخدمات الخاصة بالمناطق الحضرية والمدن مثل أماكن المدارس، المستشفيات، المراكز التجارية والمجمعات (المولات)، الجامعات، الفنادق... الخ من الخدمات التي

لوحظ من الدراسة وقوع أغلبها في محيط محطات الوقود ولا تبعد عنها إلا بضعة أمتار قليلة.

- تتوزع محطات الوقود في مدينة المكلا وفقاً لأحياء المدينة، حيث تضم مدينة المكلا 40 محطة موزعة على ثلاثة عشر حيًّا، وهو ما يشكل نحو 74 % من جملة أحياء المدينة البالغ عددها تسعة عشر حيًّا، ويتباين التوزيع المكاني لمحطات الوقود على مستوى أحياء المدينة، إذ تستحوذ أحياء العيص وبن سينا على 37.5%.
- تتركز المحطات بشكل لافت للنظر في أحياء شرق المكلا، وغربها، بالرغم من ضمها 5% من عدد السكان بالمدينة، مما يعني ضعف العلاقة الارتباطية بين توزيع المحطات وعدد السكان؛ وذلك بسبب ارتباطها بطرق النقل أكثر من ارتباطها بالعوامل الأخرى.
- تركز معظم محطات الوقود بالقرب من مركز المدينة، إذ يقع نحو 55% من جملة محطات الوقود في النطاق الواقع ما بين 5، 10 كم من مركز المدينة، ويضم 57.8% من عدد الأحياء، في حين ضم النطاق الذي يبعد أكثر من 15 كم عن مركز 18 محطة، ما يشكل 45 % من جملة عدد المحطات.
- بلغ معدل خدمة الوقود في مدينة المكلا نحو 12,067 نسمة / محطة، وهذا يوضح العلاقة بين توزيع محطات الوقود وعدد السكان.
- تحظى الطرق الشريانية الرئيسية بالنسبة الأكبر من توزيع المحطات حيث تقع ثمانية وثلاثين محطة وقود على الشوارع الرئيسية، ما يمثل نحو 95 % من جملة عدد محطات الوقود بالمدينة، وتتميز بحركة مرور كثيفة، وترتبط بين الطرق التجميعية داخل المدينة وخارجها، ومن أهمها طريق المكلا -شبهه - عدن، المكلا- المهرة، المكلا - سيئون، بينما الطرق الداخلية استحوذت على 5% فقط من عدد المحطات بالمدينة.

• تبين من الدراسة التزام 71% من عدد المحطات بالحد الأدنى من المساحة والمحدد في اللائحة المنظمة لإنشاء المحطات 2250 م² الصادرة عن شركة النفط اليمنية.

• تبين نتائج التحليل المكاني لتوزيع محطات الوقود بان المركز الجغرافي المتوسط لمحطات الوقود يقع في حي السلام أحد أحياء المدينة العتيقة. وتقع الظاهرة المركزية لتوزيع المحطات بالمكلا عند "محطة الشاطئ" بحي النصر، والذي يبعد بنحو (1791 م) عن المركز المتوسط، ويشير التقارب بين المركز المتوسط والظاهرة المركزية إلى تقارب المسافة وتشابهها بين محطات الوقود. وبلغت مساحة المسافة المعيارية لمحطات الوقود في مدينة المكلا 470.18 كم²، إذ بلغ نصف قطر الدائرة المعيارية 12.7 كم، ويضم نطاق المسافة المعيارية 22 محطة وقود، وهو ما يمثل نحو 55% من جملة عدد محطات الوقود، وفي هذا دلالة على عدم التوزيع المنتظم، حيث يفترض أن يضم النموذج الأساسي 68.3 % من مجموع مفردات الظاهرة، كما يدل أيضًا على كثافة المحطات في وسط المدينة، حيث موقع المنطقة المركزية ومركز الأعمال والخدمات مع كثافة الحركة، وتوزعت حوالي 18 محطة خارج الدائرة المعيارية، وهو ما يعادل 45% من جملة عدد المحطات، تركز في الأحياء الشرقية والغربية وهي متباعدة بشكل واضح، وتتركز في مدخل المدينة الشرقي، والغربي .

• يشير الاتجاه التوزيعي لمحطات الوقود نحو الجنوب الغربي من مدينة المكلا، وبلغ طول قطر المحور الأكبر 1995.78 كم، في حين بلغ طول قطر المحور الأصغر 17186.14 كم، وضم الشكل البيضاوي 25 محطة، وهو ما يوازي نحو 62.5 % من جملة عدد محطات الوقود بالمدينة، وهذا التوزيع متوافق مع الكثافة السكانية والسكنية بالمدينة، وتوزعت نحو 6 محطات بشكل مشتت متباعد خارجه، مع ملاحظة تركزها في الأحياء الغربية من المدينة.

• وتشير نتائج مؤشر صلة الجوار الى نمط التوزيع المكاني لمحطات الوقود حيث اتخذ نمطًا متقاربًا، حيث بلغت قيمته (0.78) أي أقل من واحد صحيح، وجاءت

قيمة (Z) (-2.65)، والتي تقع في نطاق ثقة P- (0.0078)، وهذا يشير إلى توزيع غير عشوائي، إذ تتركز المحطات في أحياء، في حين تخلو أحياء أخرى منها، ومع توفر مناطق غير مخدومة فنقل كفاءة الخدمة، ولا تتحقق عدالة التوزيع. وقد بلغت قيمة مؤشر معامل موران الذي يوضح الارتباط الذاتي المكاني (0.94)، وهوما يؤكد ارتباط مكاني منتظم عشوائي نسبياً، حيث تتركز بعض المحطات في أحياء، يقل فيها عدد السكان، وهذا يعني أن هناك معايير أخرى أثرت في التوزيع المكاني لمحطات الوقود في المدينة.

- تشير نتائج تحليل حرم الظاهرة والتي أحد تحليلاتها القرب الجغرافي أن هناك تداخلاً واضحاً بين نطاقات محطات الوقود والبالغ 500م، حيث خالفت 27 محطة المسافة الفاصلة بينها وبين المحطة الأخرى أي 67.55 %، مما يدل على مخالفة بعض المحطات لشرط المسافة الفاصلة، حيث تتركز كثير من المحطات في نطاق المناطق التي تشهد حركة تردد واسعة، كما في معظم أحياء وسط المدينة، مما يحقق مزيداً من الطلب على الخدمة.

- تبين من تحليل كيرنل لقياس الكثافة مناطق التركيز المرتفعة في تسعة أحياء، وهو ما يمثل نحو 47.3% من جملة عدد أحياء المدينة، ويستحوذ هذا النطاق على 57.5 % من أعداد محطات الوقود، وضم نطاق التركيز المكاني المتوسط نحو أربعة أحياء المدينة 21.05% من الأحياء، ويقع بها تسع محطات، وهو ما يوازي نحو 22.5 % من جملة عدد محطات الوقود، معظمها في الجهة الشرقية من مدينة المكلا. انخفاض كثافة التركيز المكاني في الأحياء الحديثة شرق المدينة، ووسطها، ويضم هذا النطاق ثمان محطات ووقود 20% فقط، ويغطي نحو ستة أحياء، وهو ما يشكل نحو 31.57% من عدد أحياء المدينة.

- أوضح تحليل مساحات تخصيص المركز، أن المساحة للمحطات المتركة في وسط المدينة تقل، في حين تتسع المساحة على أطراف المدينة الجنوبية، والشرقية، والغربية، وهذا يعبر عن توزيع غير متوازن للمحطات، كما يعكس عدم توفر شرط

مساحة المحطات، والبعد عن المنشآت الخدمية والسكنية بمسافات محددة، وأن عامل تحقيق الأرباح يعد من أهم العوامل المؤثرة في توزيع المحطات.

• أظهرت نتائج تحليل الملاءمة المكانية لتوزيع محطات الوقود في مدينة المكلا من حيث مدى مطابقتها للمعايير التخطيطية والتي أفرز قياسها عن تباينات بين المحطات. فهناك محطات وقود حققت ملاءمة مكانية عالية: وهي التي توافقت مع المعايير التخطيطية، حيث يوجد 12 محطة بها، وهو ما يشكل نحو 30 % من جملة عدد المحطات، وتركز نحو 12.5 % من هذه المحطات في حي العيص شرق مدينة المكلا، ونحو 17.5 % في أحياء فوة وبن سيناء في الجهة الغربية من المدينة.

بينما محطات وقود حققت ملاءمة مكانية متوسطة: والتي استوفت ثلاثة معايير من أربعة، وتضم نحو أربعة عشر محطة، ما يوازي نحو 35 % من جملة عدد محطات الوقود في المدينة، تركز 10% في منطقة خلف، و2.5% في المنطقة الوسطى حي النصر، ونحو 22.5 % توزعت في أحياء امبيخه والمتضررين والصداعة، وأغلب محطاتها مخالف لشرط المسافة الفاصلة عن المباني السكنية، والمسافة الفاصلة بين المحطات، ومحطات وقود حققت ملاءمة مكانية ضعيفة: وهي التي توافقت على اثنين معايير، وشملت أربعة عشر محطة، وهو ما يعادل 35% من جملة عدد المحطات، وتركزت في المنطقة الوسطى من المدينة وأحياء امبيخه والمستقبل.

• اقترحت الدراسة المواقع الملائمة لتشييد محطات وقود جديدة في المستقبل وقد اقترحت الدراسة 23 محطة لتشييدها وقد تم تطبيق المعايير المختارة، حيث توزعت على المحاور الطرقية الجديدة الرابطة بين المخططات السكنية والتوسع العمراني المستقبلي لمدينة المكلا والذي من المتوقع تشهده المدينة بعد تنفيذ هذه الطرق وشقها والتي بدأت معالم العمل بها خلال هذه العام مثل الخط الدائري للمدينة وكذا المخططات السكنية الجديدة مثل مخطط مدينة زايد الواقع خلف المساكن ومخططات منطقة الدواجن بابن سينا ومخططات حلة ووادي خمر الواقعة في الغرب كلها تشهد حركة سكانية وعمرانية مستمرة ؛ نظراً لتوفر مساحات شاغرة بها؛ فمعظم هذه الأحياء

حديثه النشأة، واسعة المساحة لا زالت قيد التعمير، ويمكن استيعاب الخدمات ضمن المخططات بما يوافق الاشتراطات التخطيطية لهذه الخدمات .

وتوصي الدراسة بما يلي:

- تفعيل اللوائح والأنظمة الخاصة بالتخطيط الحضري وقانون البناء والذي ينظم توزيع الخدمات وتركزها داخل المجال الحضري ويحدد المواصفات الفنية لإنشائها، والذي تبين من الدراسة عدم تطبيقه في اغلب استخدامات المجالات الحضرية بالمدينة والتي تخضع لعشوائية وحسب رغبة المالك الذي يهمله المردود المالي فقط بغض النظر عن إجراءات الأمن والسلامة المطلوب توفرها في المركز.
- تفعيل اللوائح والأنظمة الخاصة بمنح تراخيص إنشاء محطات الوقود والغاز، وتشديد الرقابة من قبل الجهات المختصة ومتابعة مدى الالتزام بها. وما حدث يوم في عدن وأدى الى انفجار محطة غاز وما لحق من أضرار بشرية ومادية لخير دليل على العشوائية وعدم الالتزام بالقانون.
- إعادة النظر في المحطات التي لم تستوفِ إلا معيارين أو ثلاثة، وخاصة تلك الواقعة في منطقة خدمات مكتظة بالسكان، وذلك بإزالتها أو نقلها إلى أماكن بديلة تتميز بالملاءمة المكانية، لتحسين توزيع المحطات ومن ثم كفاية هذه الخدمة.
- بناء حائط مرتفع يفصل المحطات المخالفة لشرط المسافة الفاصلة عن المباني السكنية المجاورة؛ لما تمثله من خطورة على السكان في هذه المناطق، مع زيادة وسائل الأمن والسلامة.

المصادر والمراجع

- أبونشطان، دارس (2024): تحليل المخاطر في محطات البترول بمدينة صنعاء باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية مجلد 1 عدد 1.
- الجمهورية اليمنية، رئاسة مجلس الوزراء، محافظة حضرموت: إنجازات حاضرة لتنمية مستدامة 2003 - 2008.
- باسل شملان (2020): تقييم واقع التوزيع المكاني لمواقع المدارس الحكومية في مدينة المكلا باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة حضرموت.

باشا، إفراج عزب السيد (2016): التباين المكاني لتوزيع محطات الوقود في محافظة الفيوم باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلد 30، العدد 116.

الجار الله، أحمد جار الله (2000): جغرافية الحضر مدخل إلى المفاهيم وطرق التحليل، الطبعة الأولى، ألوان للطباعة، الرياض.

الجمهورية اليمنية، وزارة الشؤون القانونية: القرار الجمهوري رقم (19) لسنة 2002م بشأن قانون البناء، الجريدة الرسمية

الجمهورية اليمنية، وزارة الشؤون القانونية: القرار الوزاري رقم (52) لسنة 97م بشأن اللائحة التنظيمية للشركة اليمنية للغاز والهيكل التنظيمي. [/https://ygc.gov.ye](https://ygc.gov.ye)

الجمهورية اليمنية، وزارة الشؤون القانونية: القرار رقم 351 لسنة 2008 بشأن اللائحة التنفيذية لقانون البناء، الجريدة الرسمية

الجمهورية اليمنية، وزارة الشؤون القانونية: قرار جمهوري رقم (40) لسنة 2000م بشأن لائحة وزارة النفط والثروة المعدنية

الجمهورية اليمنية، وزارة الشؤون القانونية: قرار رئيس مجلس الوزراء رقم (260) لسنة 1997م بشأن اللائحة التنفيذية لقانون التخطيط الحضري.

الجمهورية اليمنية، وزارة النفط والمعادن، الشركة اليمنية للنفط: لائحة إجراءات وشروط إنشاء محطات الوقود والغسيل والتشحيم قرار رقم 76 لسنة 2006.

الجمهورية اليمنية، وزارة النفط والمعادن، شركة النفط اليمنية (2006): لائحة إجراءات وشروط إنشاء محطات الوقود والغسيل والتشحيم

الحويدر، عبد الرحمن، وجاسم، زينب أحمد (2018): تطبيق مبدأ الملاءمة المكانية لمحطات تعبئة الوقود في البصرة، المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة، العدد (36).

الخاروف ريم، قاسم دويكات، موسى دهن (2021): التقييم المكاني لمحطات الوقود في مدينة إربد وخطورتها على استعمالات الأرض المجاورة باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، دراسات

العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 48، العدد 3.

الخفاجي، احمد ضياء موسى (2022): كفاءة التوزيع المكاني لمحطات تعبئة الوقود والغاز في محافظة بابل، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم الجغرافية، جامعة بابل

داود، جمعة محمد (2012): تحليلات إحصائية ومكانية متقدمة، مركز البحوث والدراسات العربية، القاهرة.

داود، جمعة محمد (2018): أسس التحليل المكاني في إطار نظم المعلومات الجغرافية، مكة المكرمة.

الرباضي، خالد عبد الحليم (2009): دور الأشغال اليمنية في سلامة المنشآت المؤتمر الهندسي الثاني -كلية الهندسة، جامعة عدن مارس.

شرف، محمد إبراهيم (2008): التحليل المكاني لاستخدام نظم المعلومات الجغرافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

الشيخ، آمال يحي عمر (2010): التحليل المكاني للمواقع الأثرية والسياحية في المدينة المنورة باستخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية GIS، جامعة الكويت، سلسلة رسائل جغرافية، رسالة (367)، ديسمبر.

الصالح، ناصر، والسرياني، محمد محمود (2000): الجغرافية الكمية والإحصائية أسس وتطبيقات بالأساليب الحاسوبية الحديثة، مكتبة العبيكان، الرياض.

صفوح، خير (2000): الجغرافية موضوعها وأهدافها، دار الفكر العربي، دمشق.

الطيب، محمد الطيب (2017): نظم المعلومات الجغرافية من الألف، تطبيق عملي على برنامج Arc Gis 10.2

عبد الكريم، أشرف أحمد على (2020): تحسين التخطيط المكاني لمحطات الوقود ومركز الخدمة على طريقي مكة المكرمة- المدينة المنورة، استنادًا إلى نظم المعلومات الجغرافية متعددة المعايير (GIS-MCA، مجلة مركز البحوث الجغرافية والكارتوجرافية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مجلد (17)، العدد 30.

العتيبي، غازي سفر بدر (2021): أنماط التوزيع المكاني لمحطات الوقود بمدينة عفيف المجلة العربية للنشر العلمي، العدد 33، ISSN: 2663-5798. <http://www.ajsp.net>

قمح، حسين محمود (2022): محطات التزود بالوقود في مركز كفر الدوار، دراسة جغرافية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مجلد 14 العدد الأول، يناير.

المحمدي، عمر (2012): مدينة المكلا وإقليمها الوظيفي (دراسة في الجغرافية الحضرية)، أطروحة دكتوراه، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة عدن.

محمود، مها حسنين محمد (2022): الملاءمة المكانية لتوزيع محطات الوقود في مدينة الدمام باستخدام نظم المعلومات الجغرافية مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد (56).

نعينع، محمد أحمد إبراهيم (2021): محطات التزود بالوقود في ريف مركز كوم حمادة، دراسة جغرافية، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مجلد 13 (العدد الأول) يناير.

Abdullah, Nashwan Shukri, (2014): Suitability Model Based on Gis and MCDA for Spatial Distribution of Settlements in Different.

Chapin, J. r., (1995): Urban land use planning, Fourth Edition university of -Illinois Press, London.

Geographic Environments, European Scientific Journal /SPECIAL/ edition vol.2, June.

Robinson. A. H., Sale. R.O., (1960): Elements Of geography. New York.

Tong, L., et al. (2017): Multi-order urban development model and sprawl patterns: An analysis in China, 2000- 2010, Landscape and urban planning, Volume 167.

<https://www.momra.gov.sa/ar/regulations/222>

<https://agoyemen.net/userimages/pdf/%E1%C7%C6%CD%C9%20%DE%C7%E4%E6%E4%20%C7%E1%CA%CE%D8%ED%D8%20%C7%E1%CD%D6%D1%20%ED.pdf>

<https://www.yumpu.com/xx/document/read/62233395>

https://yemen-nic.info/ministations/section.php?SECTION_ID=466